(فهرسة نزهة الناظرين)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

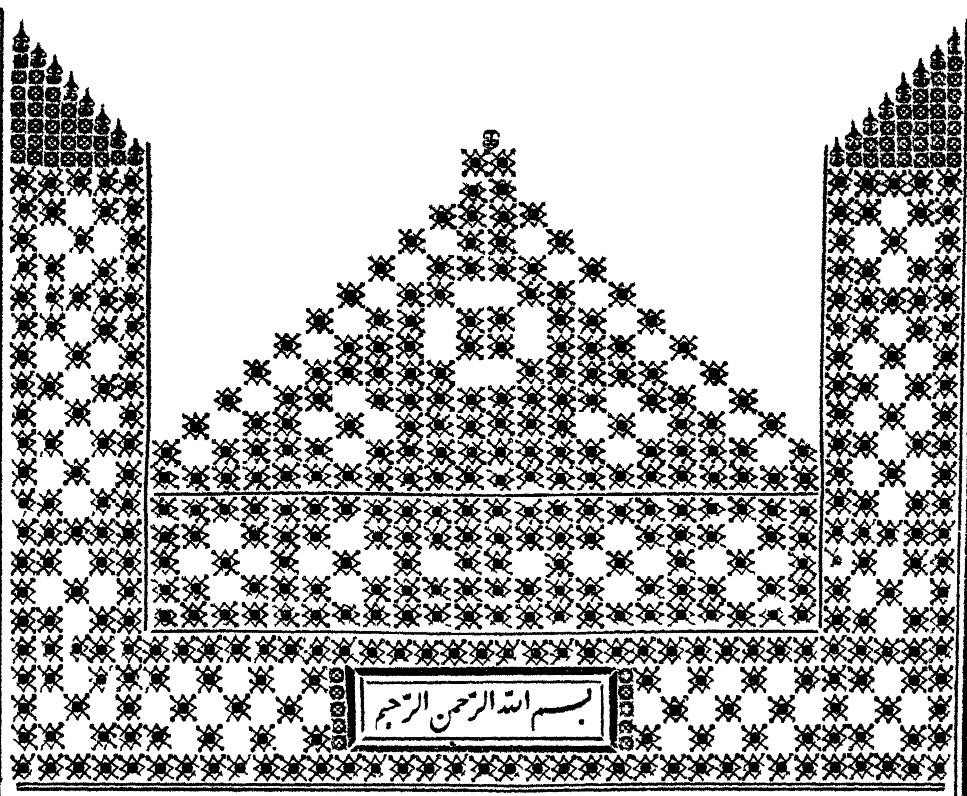
صحيفة

(تمت)

كتاب نزهة الناظرين في تفسير آيات من كتاب رب العالمين
وأحاديث مروية عن سيد المرسلين وآثار منقولة عن الصحابة
المنتخبين وحكايات مأثورة عن الانبياء والعلماء
والصالحين تأليف العالم العلامة الشيخ تقي
الدين عبد الملك بن أبي المنى البابي ثم الحلبي
خطيب الجامع الكبير الاموى وامامه
بحلب الشهير بالشيخ عبيد
الضرير رحمه المولى
ونفعنا بعلومه
آمين

(وهذا الكتاب نظير الاحياء مرتب على أربعة أرباع)
(كما ذكره في كشف الظنون)

(وبهامشه مختصر احياء علوم الدين للامام الغزالي)
(نفعنا الله به آمين)



الحمد لله الذي أحيا قلوب العارفين باتساع رحمته وألهمهم من التوسل اليه ما يدفعون به عظيم أخذه
وعقوبته ووهب لهم من مطايا الحزن والبكاء ما يتوصلون به الى منازل جنته الملك الذي خضع كل جبار
لعزته وغرقت الآمال في بحار فضله ونعمته وتحيرت الالباب في عجائب صنعته وحكمته وتقاصرت
الالفاظ عن وصف جلاله وعظمته *(أحمده)* اذ شرفنا بلواء الاسلام والتوحيد وأرسل الينا خير
الخلق والعبيد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ننجو بها يوم القيامة من الهول الشديد
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين واماما للمتقين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد
أجمعين وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره
وأقسم بحياته في كتابه المبين وقرن اسمه باسمه فلا يذكر الا ذكر معه كما في التشهد والخطب والتأذين صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين صلاة كاملة مستمرة الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فهذا
كتاب مشتمل على تفسير آيات من كتاب رب العالمين وأحاديث مروية عن سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى سائر النبيين وآثار منقولة عن الصحابة المنتخبين ونكت وحكايات مأثورة عن الانبياء
والعلماء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين جمعته من كتب الائمة المحققين منها كتاب معالم التنزيل
للامام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله وكتاب المصابيح له أيضا وكتاب احياء علوم الدين للامام حجة
الاسلام أبي حامد الغزالي وكتاب نصيحة الملوك له أيضا وكتاب الشفاء للقاضي عياض وكتب الامام أبي
زكريا النووي الاربعة شرح مسلم ورياض الصالحين والاذكار والتبيان في آداب حملة القرآن وكتاب
تنبيه الغافلين للفقيه أبي الليث السمرقندي وكتاب بستان العارفين له أيضا وكتاب أسرار التنزيل ولطائف
التأويل للامام فخر الدين الرازي وكتاب روضة المشتاق الى الملك الخلاق لابي الفرج بن الجوزي وكتاب
التذكرة لابي عبد الله القرطبي وكتاب طهارة القلوب للشيخ عبد العزيز الديريني وكتاب توثيق عرا
الايمان للقاضي شرف الدين البارزي وكتاب المنتقى في الاحكام للشيخ مجد الدين عبد السلام بن تيمية وكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله ورضي عنه الحمد لله على جميع نعمه حتى على توفيقه لحمده والصلاة على سيد المرسلين محمد نبيه ورسوله وعبده وعلى آله وأصحابه وخلفائه من بعده ووزرائه في عهده أما بعد فانه قد عن لي في بعض أسفاري أن أستخرج من كتابي احياء علوم الدين لبابه لتعذر استصحابه مع كبر حجمه فأقدمت على ذلك مستوفقا من الله ومستخيرا ومصليا على نبيه وهو يشتمل على أربعين بابا والله الموفق للصواب

(الباب الاول في العلم والتعلم)

اعلم أن فضيلة العلم شواهدها من القرآن كثيرة فمنها قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى وتلك الامثال

حدائق الاولياء ورياض السادة الاصفياء للشيخ سراج الدين بن الملقن وكتاب غاية السول في خصائص الرسول وكتاب تحفة المحتاج وكتاب شرح المنهاج له أيضا وكتاب منهاج القاصدين في تفضيل الخلفاء الراشدين للشيخ الامام موفق الدين بن قدامة الحنبلي وكتاب الكبائر للشيخ الامام الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي وكتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابي الفتح اليعمري الشهير بابن سيد الناس وكتاب روض الرياحين للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله وكتاب كفاية المعتقد في الرد على المنتقد له أيضا فأكثر نقلي من هذه الكتب رحمة الله ورضوانه على مصنفيها وقد نقلت من غيرها شيأ يسيرا وقد جعلت هذا الكتاب أربعة أرباع الربع الاول في العبادات والربع الثاني في العادات والربع الثالث في المهلكات والربع الرابع في المنجيات وسميته نزهة الناظرين في الاخبار والآثار المروية عن الانبياء والصالحين وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه وأن ينفعني به ولمن نظر فيه ودعا لي بخير وأن يوفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل والنية وأن لا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا الى أحد من خلقه فانه حسبنا ونعم الوكيل اللهم اني قد جمعت هذا الكتاب مع تقصيري عن العمل بما فيه وعن القليل منه ولكني أرجو منك التوفيق والهداية فاني لم أيأس من رحمتك الهي كم من عبد لك كان ضالا فهديته فاجعلني من جملتهم يا ألله يا رحمن يا رحيم يا لطيف يا حليم يا غفور يا شكور يا عفو يا رؤف يا عظيم الجود يا واسع المغفرة أسألك بأسمائك الحسنى أن لا تخيب رجائي وأن لا تجعلني ممن يخالف قوله فعله وأن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

*(بسم الله الرحمن الرحيم * وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)*

*(كتاب العلم * وفيه ثمانية أبواب)*

(الباب الاول) في فضل العلم وتعلمه وتعليمه قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وفي صحيح البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن صفوان بن عسال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب قال الخطابي في معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال أحدها أنه بسط الاجنحة الثاني أنه بمعنى التواضع تعظيما لطالب العلم الثالث أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم رواه البخاري ومسلم وقال لمعاذ لما بعثه الى اليمن والله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها رواه أحمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين رواه الدارقطني وقال ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

[illegible] الا العالمون ومن الاجلهم قوله العلماء ورثة الانبياء وقال عليه السلام أفضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتاج اليه نفع وان استغني عنه أغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال عليه السلام أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فلأنهم قد دلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام العالم أمين الله في الارض وقال عليه السلام تشفع الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقال فتح الموصلي أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام مات ولقد صدق اذ غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسم الطعام والشراب ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم وليس يشعر به لان شواغل الدنيا أبطلت احساسه فاذا كشف عنه الموت تلك الشواغل أحس بألم عظيم وتحسر تحسرا لا آخر له وهو معنى قوله عليه السلام الناس نيام

الاذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما رواه الترمذى وقال من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وأن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيرا او يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته رواه الطبرانى فى الكبير باسناد لا بأس به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير الفقه خير من كثير العبادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أفضل عند الله من ألف عابد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات الفقه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يذكرون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه فقال عليه الصلاة والسلام كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الجهال وانما بعثت معلما فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم وقيل فى قوله تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى أى الحياء وقال عليه الصلاة والسلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يامعشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم رواه الطبرانى فى الكبير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة واحدة فى الجنة وقال على كرم الله وجهه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه وقال على رضى الله عنه

ما الفضل الا لأهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الأنس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة وقال ابن مسعود رضى الله عنه منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لا يستويان أما طالب العلم فيزداد فى رضا الرحمن وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء ثم قرأ كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى قال ابن عباس رضى الله عنهما العلم أفضل من المال لان العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة ولان العلم يحرسك وأنت تحرس المال ولان العلم لا يعطيه الله الا لمن يحبه والمال يعطيه من يحب ومن لا يحب ولأن العلم لا ينقص بالبذل والانفاق والمال ينقص بهما ولان صاحب المال اذا

الا ما أوتوا التبسوا وأما فضيلة التعلم فيدل عليها قوله عليه السلام ان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم بما يصنع وقال عليه السلام لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وقال أبو الدرداء من رأى أن الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله وأما فضيلة التعليم فيدل عليها قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية قال ما آتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن تبينه ولا تكتمه وقال عليه السلام لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها وقال عمر رضى الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل أجر ذلك العمل وقال معاذ ابن جبل فى التعليم والتعلم ورويته أيضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلم العلم لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند

مات انقطع ذكره والعالم اذا مات فذكره باق ولان صاحب المال يسئل عن كل درهم من أين اكتسبه وأين أنفقه وصاحب العلم له بكل حديث درجة فى الجنة وجاء رجل الى أبي ذر رضى الله عنه فقال انى أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به فقال انك ان توسد العلم خير من أن توسد الجهل ثم ذهب الى أبي الدرداء رضى الله عنه فقال له مثل ذلك فقال أبو الدرداء ان الناس يبعثون من قبورهم على ما ماتوا عليه يبعث العالم عالما ويبعث الجاهل جاهلا ثم ذهب الى أبي هريرة رضى الله عنه فقال له مثل ذلك فقال أبو هريرة ما أنت بواجد شيأ أضيع له من تركه وحكى عن ابن المبارك رحمه الله أنه كان فى حال الموت ورجل عنده يكتب له العلم فقيل له فى مثل هذه الحالة تتعلم فقال لعل الكلمة التى تنفعنى لم تبلغنى بعد وحكى أنه قيل له لو أن الله تعالى أوحى اليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم قال أطلب فيه العلم ويقال ان العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره وروى عن سالم بن أبي الجعد رحمه الله أنه قال اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت فى أى الحرف أحترف فاخترت العلم على كل الحرف فلم تمض لى مدة حتى أتانى الخليفة زائرا فلم آذن له وقال أبو مسلم الخولانى رحمه الله مثل العلماء كالنجوم فى السماء اذا بدت للناس اهتدوا واذا خفيت عنهم تحيروا وقال امامنا الشافعى رحمه الله طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم وقال من لا يحب العلم فلا خير فيه ولا يكون بينك وبينه معرفة ولا صداقة وقال العلم مروءة من لا مروءة له وقال ان لم يكن الفقهاء وفى رواية العالمون أولياء فليس لله ولى وقال ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء وقال من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر فى الفقه نبل قدره ومن نظر فى اللغة رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه ومن نظر كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذى يأكل بدينه قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فلم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى يتميز الانسان بها على سائر البهائم هو العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك لقوته فان الجمل أقوى منه ولا لعظمه فان الفيل أعظم منه ولا لشجاعته فان السبع أشجع منه ولا لأكله فان الجمل أوسع بطنا منه ولا لجماعه فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يتميز الا بالعلم

(الباب الثانى فى اكرام أهل العلم والنهى عن ايذائهم)

قال الله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب روى أبو داود عن أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله تعالى اكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه واكرام ذى السلطان وعن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم رواه أبو داود وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب قال الامامان أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى ان لم يكن العلماء أولياء الله تعالى فليس لله ولى وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا ومعه أصحابه فجاء على رضى الله عنه ولم يكن له مجلس فرآه أبو بكر رضى الله عنه فتزحزح له عن مكانه ثم قال ههنا يا أبا الحسن فسر النبى صلى الله عليه وسلم بما صنع أبو بكر وقال أهل الفضل أولى بأهل الفضل ولا يعرف أهل الفضل الا أهل الفضل وقال الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى اعلم يا أخى وفقنى الله واياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ان لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة وان من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب بلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب فليحذر الذين

القرآن ومنار سبيل الـ... يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتفى آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس ولهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه يوصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء ومن حيث العقل فليس تخفى فضيلة العلم اذ به الوصول الى الله تعالى والى قربه وجواره وهو السعادة الابدية واللذة السرمدية التى لا ينقضى آخرها ففيه عز الدنيا وسعادة الآخرة والدنيا مزرعة الآخرة فالعالم بعلمه يزرع لنفسه السعادة الابدية بتهذيب أخلاقه على ما يقتضيه العلم ولعله أيضا بالتعليم يزرع سعادة الابد فانه يهذب أخلاق الناس ويدعوهم بعلمه الى ما يقربهم الى الله تعالى كما

يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

(الباب الثالث فيما جاء في موت العلماء)

قال الله تعالى أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها وقال عطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال ابن مسعود رضي الله عنه موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال ابن مسعود أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد صائم النهار وقائم الليل أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه قال علي رضي الله عنه اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الاخلاف منه وقال انما مثل الفقهاء كمثل الاكف اذا قطعت كف لم تعد وقال سلمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم وقال علي بن موسى أعظم الرزايا موت العلماء

(الباب الرابع)

ينبغي للعالم أن لا يقصد بعلمه توصلا الى غرض من أغراض الدنيا قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الآية وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من أعراض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة رواه أبو داود باسانيد صحيحة وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو ليصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في جهنم فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحى فيقال بم لقيت ذلك وانما اهتدينا بك فيقول كنت أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وقال مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يعلم الناس الخير و ينسى نفسه كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقال علي رضي الله عنه يا حملة القرآن اعملوا به فانما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا يباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله وقال امامنا الشافعي رحمه الله تعالى وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم يعني علمه وكتبه على أن لا ينسب الى حرف منه (وحكى) أبو الفرج بن الجوزي في كتابه روضة المشتاق الى الملك الخلاق عن بعض السادة أنه قال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل ملك عبدا فعلمه شرائع الاسلام فأطاع وأحسن وعصى السيد وأساء فاذا كان يوم القيامة أمر بالعبد الى الجنة وأمر بسيده الى النار فيقول عند ذلك واحسرتاه واغبناه أما هذا عبدي أما كنت مالكا لمهجته وماله وقادرا على جميع ماله فماله سعد ومالي شقيت فيناديه الملك الموكل به لانه تأدب وما تأدبت وأحسن وأسأت ورجل كسب مالا فعصى الله سبحانه في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار المال الى وارثه فأحسن في انفاقه وأطاع الله سبحانه في اخراجه وقدمه بين يديه فاذا كان يوم القيامة أمر للوارث الى الجنة وبصاحب المال الى النار فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا مالي فما لي ما حسنت به أحوالي فيناديه الملك الموكل به لانه أطاع الله تعالى فيه وما أطعت وأنفق لوجهه وما أنفقت فسعد وشقيت ورجل علم قوما

ووعظهم

قال الله تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فهو يدعو الخواص بالحكمة والعوام بالمواعظ والمعاندين بالجدال فهو ينجو بنفسه و بغيره وهذا كما قال الانسان

بياض بالاصل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فمما يجب عليه بعد بلوغه واسلامه ان يعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وليس يجب عليه احكامهما بالبراهين بل يكفي أن يعتقد ذلك من غير ريب وشك ولو على سبيل التقليد وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن يسلم من أجلاف العرب ثم بعد ذلك يشتغل بتعليم ما يتجدد عليه من أوامر الله تعالى كالصلاة بحسب تجدد الاوامر فيتعلم الصلاة عند وجوبها أو يستعد لها قبل وجوبها وكذلك الصيام ويجب عليه تعلم الزكاة ان كان علك ما يجب فيه الزكاة عند تمام الحول بعد الاسلام ويجب عليه ذلك بقدر الحاجة و ينبه على وجوب الحج عليه ولا يلزمه المبادرة الى تعلمه كما لا يجب عليه المبادرة الى أدائه ويجب عليه أن يتعلم ما يجب عليه تركه من المعاصي على ممر الايام بحسب ما تمس اليه

ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل فاذا كان يوم القيامة أمر بهم الى الجنة وأمر به الى النار فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا أعلى فالهم فازوا به ومافزت وسلموا به وماسلمت فيناديه الملك الموكل به لانهم عملوا بما قلت وماعملت فسعدوا وشقيت

(الباب الخامس في تحذير العلماء من الدخول على الامراء)

قال الله تعالى ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه لاتميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لاترضوا بأعمالهم وقال السدي لاتداهنوهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن تبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن ومازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا رواه أحمد باسناد من رواه أحدهما رواة الصحيح وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله رواه الحاكم وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون من بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه مالم يمار قراؤها أمراءها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال سفيان في جهنم واد لايسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وماهي قال أبواب الامراء يدخل أحدهم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه وقيل للاعمش لقد كثر من يأخذ عنك فقال لاتعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لايفلح منهم الا القليل وكذلك قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي مامن شئ أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال سحنون ماأسمج بالعالم أن يؤتى مجلسه فلا يوجد فيقال هو عند الامير وقال أبو ذر لسلمة ياسلمة لاتغش أبواب السلطان فانك لن تصيب من دنياهم شيأ الا أصابوا من دينك أفضل منه وقال من كثر سواد قوم فهو منهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله تعالى وقال الفضيل ماازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله تعالى بعدا وكان ابن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا الغنى عن هؤلاء السلاطين وقال ابن سيرين لاتحمل للسلطان كتابا حتى تعلم مافيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه وقال حتى أعلم ماتكتب فيه وروى عن عثمان بن أبي زائدة انه سأله واحد من الاجناد فقال أين الطريق فسكت وأظهر أن به صمما وخاف أن يكون متوجها الى ظالم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وقال رجل لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل يخاف علي أن أكون من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فمن الظلمة وروى عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه قال نعمتان ان رزقك الله تعالى اياهما فاحمده عليهما واشكره اجتنابك باب السلطان واجتنابك باب الطبيب وقال معاوية بن أبي سفيان العافية أربعة أشياء بيت يأويه وعيش يكفيه وزوجة ترضيه ونحن لانعرفه فنؤذيه يعني لايعرفه السلطان

(الباب السادس ينبغي للمعلم أن يرفق بالمتعلم ويبذل له النصيحة)

الحاجة وان خطر بباله شك في معتقد انه وجب عليه الخوض في التعليم والنظر بقدر مايزيل الشك وتعلم العلم الذي به النجاة عن المهلكات والفوز بالدرجات وتحصيله أيضا فرض عليه وماوراء ذلك من العلوم فرض كفاية (اعلم) أن درجات العلوم بقدر قربها من علم الآخرة وبعدها فكما أن علوم الشرعيات تفضل على غيرها من العلوم فالعلم الذي يتعلق بحقائق الشرعيات يفضل على مايتعلق بظواهر الاحكام فالفقيه يحكم على الظاهر بالصحة والفساد ووراءه علم يعرف به كون العبادة مقبولة أو مردودة وذلك من علوم الصوفية على ماسأبين والعلماء المشهورون الذين اتخذ الناس مذاهبهم واقتدوا بهم كانوا قد جمعوا بين علم الفقه وبين علوم الحقائق وبين العمل بها وانما يعرف ذلك بالكشف عن أحوالهم ونقل أقوالهم وهم خمسة الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد ابن حنبل وسفيان الثوري رحمة الله عليهم وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما في علوم الآخرة كما كان عالما بعلوم الفقه الظاهر الذي يتعلق بمصالح

قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وعن أبي هرون العبدي قال كنا نأتي أبا سعيد الخدري فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أكرم الناس على جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس الى لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت وفي رواية ان الذباب ليقع عليه فيؤذيني وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه وعن أيوب السختياني ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله عز وجل

(الباب السابع في آداب المتعلم)

من آدابه أن يطهر قلبه من الادناس ليصلح لقبول العلم فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وقال بعضهم يطيب القلب للعلم كما تطيب الارض للزراعة ومنها أن يتواضع لمعلمه وان كان أصغر منه قالوا العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال علي رضي الله عنه من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه من دونهم بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغتابن عنده أحدا ولا تغمزن بعينك ولا تقولن قال فلان خلافا لقوله ولا تسار في مجلسه ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه اذا كسل ولا تعرض أي تشبع من طول صحبته وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا وقال الشافعي رحمه الله تفقه قبل أن ترأس فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه وقال عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما من رق وجهه رق علمه قال النووي رحمه الله معناه من استحى في طلب العلم كان علمه رقيقا أي قليلا قال مجاهد رحمه الله لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر وقالت عائشة رضي الله عنها نعم النساء نساء الانصار لم يكن يمنعهن الحياء عن أن يتفقهن في الدين قال النووي رحمه الله ولا تتعلم الا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته فقد قال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم

(الباب الثامن في التحذير من المسارعة الى الفتيا)

وجميع هذا الباب منقول من شرح المهذب للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله (عن عبد الرحمن بن أبي ليلى) قال أدركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل أحدهم عن المسئلة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول وفي رواية ما منهم من يحدث بحديث الا ود أن أخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شئ الا ود أن أخاه كفاه الفتيا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم من أفتى في كل ما يسئل فهو مجنون وعن الشعبي والحسن وأبي حصين التابعيين قالوا ان أحدكم يفتي في المسئلة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر وعن عطاء بن السائب التابعي قال أدركت أقواما يسئل أحدهم عن الشئ فيتكلم وهو يرعد وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان [٢] اذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله وعن سفيان بن عيينة وسحنون أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما وعن الشافعي رحمه الله وقد سئل عن مسئلة فلم يجب فقيل له فقال حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب وعن الاثرم قال سمعت أحمد ابن حنبل يكثر أن يقول لا أدري وذلك فيما عرف الاقاويل فيه وعن الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في ست وثلاثين منها لا أدري وعن مالك أيضا أنه ربما كان يسئل عن خمسين مسئلة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول من أجاب في مسئلة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على

انفاق وكانوا يريدون الجنة بعلومهم رحمه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها في خصلة واحدة وهي الشهرة والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ونحن نورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع اما الشافعي رحمه الله فيدل على كونه عابدا انه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم وقال الربيع كان الشافعي رحمه الله تعالى يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في كل ليلة مرة وقال الحسين الكرابيسي رحمه الله تعالى بت مع الشافعي غير مرة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة لا يمر على آية رحمة الا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المؤمنين واقتصاره على خمسين آية يدل على تبحره في أسرار القرآن وقال الشافعي ما شبعت منذ ست عشرة سنة لانه يثقل البدن ويقسي

[٢] قوله اذا أغفل الخ هكذا بالنسخ ولعل صوابه مقاتله تأمل اهـ مصححه

الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وسئل عن مسئلة فقال لا أدري فقيل هي مسئلة خفيفة سهلة فغضب
وقال ليس في العلم شيء خفيف وقال الشافعي رحمه الله ما رأيت أحدا جمع الله تعالى فيه من آلة الفتيا ما جمع
في ابن عيينة أسكت منه على الفتيا وقال أبو حنيفة رحمه الله لولا الفرق من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت
يكون لهم المهنأ وعلي الوزر وعن مالك رحمه الله قال ما أفتيت حتى شهد لي سبعون اني أهل لذلك وفي رواية
ما أفتيت حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعا لذلك قال مالك ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلا لشيء
حتى يسأل من هو أعلم منه

(كتاب الايمان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من
قبل الآية وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد
حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم
الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه
قال فاخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره
وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال
فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال فاخبرني عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وان
ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل
قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على
الله تعالى وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه
أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق
ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع
وسبعون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقال
من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته
وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن
الاسلام بعمل والجهاد ماض مذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل
والايمان بالاقدار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده
ورسوله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار يعني حرم عليه الخلود فيها قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله
لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على
الشرك ولو عمل من أعمال البر ما عمل

(باب الايمان بالقدر)

قال الله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى ومن يضلل الله فلا هادي
له وقال تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل
أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل

القلب ويزيد الفطنة
ويجلب النوم ويضعف
صاحبه عن العبادة وقال
ما حلفت بالله تعالى لا صادقا
ولا كاذبا قال وسئل عن
مسئلة فسكت فقيل الا
تجيب فقال حتى أعلم ان
الفضل في سكوتي أو في
الجواب وقال أحمد بن يحيى
خرج الشافعي يوما من
سوق القناديل فتبعناه فاذا
رجل يسفه على رجل من
أهل العلم فالتفت الشافعي
الينا فقال نزهوا أسماعكم
عن استماع الخنا كما
تنزهون ألسنتكم عن
النطق به فان المستمع
شريك القائل وان السفيه
لينظر الى أخبث شيء في
وعائه فيحرص أن يفرغه في
أوعيتكم ولو ردت كلمة
السفيه لسعد رادها كما
يشقى بها قائلها وقال
الشافعي كتب حكيم الى
حكيم يقول قد أوتيت علما
فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب
فتبقى في الظلمة يوم يسعى
أهل العلم بنور علمهم وأما
زهده فقد قال رحمه
الله من قال انه جمع بين
حب الدنيا وحب خالقه
فقد كذب وسقط سوطه
من يده فرفعه اليه انسان
فأعطاه جزاءه عليه خمسين
دينارا وسخاء الشافعي أشهر
من الشمس ويدل على
خوفه من الله تعالى
واشتغال همه بالآخرة
ما روى عنه أنه سمع

شيء بقدر حتى العجز والكيس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما أكتب فقال القدر ما كان وما هو كائن الى الأبد وعن أبي خزامة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الابيض والاحمر والاسود والاصفر وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه يقول أنا الله لا اله الا أنا خلقت الخير وقدرته فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له وأجريت الخير على يديه أنا الله لا اله الا أنا خلقت الشر وقدرته فويل لمن خلقت الشر له وخلقته للشر وأجريت الشر على يديه وعن عبد الله بن مسعود قال قالت أم حبيبة رضي الله عنها اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد دعوت الله بآجال معلومة وأرزاق مقسومة وآثار مبلوغة لا يعجل شيء منها قبل حلها ولا يؤخر شيء منها بعد حلها فلو دعوت الله أن يعافيك أو سألت الله أن يعيذك أو يعافيك من عذاب في النار أو عذاب في القبر لكان خيرا أو لكان أفضل وروى البيهقي عن الربيع انه قال سئل الشافعي رحمه الله عن القدر فأنشأ يقول

ماشئت كان وان لم أشاء * وماشئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن

(باب الاعتصام بالكتاب والسنة)

قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال قتادة والسدي حبل الله القرآن روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة قال الشافعي رحمه الله سمعت بعض من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال الشافعي رحمه الله يعني ان اختلفتم في شيء فردوه الى الله والرسول يعني والله أعلم الى ما قال الله والرسول وقال البيهقي وروينا عن ميمون بن مهران انه قال في هذه الآية الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول اذا قبض الى سنته وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (قوله عضوا عليها بالنواجذ) أي اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته

والنواجذ

سفيان بن عيينة يروي حديثا من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل انه قد مات فقال ان مات فقد مات أفضل أهل زمانه وقرأ بعضهم هذا يوم لا ينطقون الآية فرؤي الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبتك المشتاقون اللهم هب لي جودك وظلني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك وأما كونه عالما باسرار القلوب فيدل عليه أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى بحبال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت أعمالهم وقال اذا أنت خفت على نفسك العجب فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر ويدل على أنه أراد بالفقه والمناظرة وجه الله تعالى أنه قال وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم وما نسب الي منه شيء وهذا قاطع في انه لم يرد به صيتا في الدنيا ومتاع الغرور وقال ما ناظرت احدا فأحببت أن يخطئ وما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون

والنواجذ بالنون والجيم والذال المعجمة هي الانياب وقيل الاضراس وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع هذه الامة أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة فقال رجل يا رسول الله ان هذا اليوم في الناس لكثير قال وسيكون في قرون بعدي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة وقال ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال من رغب عن سنتي فليس مني وقال ان الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي رواه الترمذي وقال اذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة قال ابن المديني وهم أصحاب الحديث رواه الترمذي وقال ما أحدث قوم بدعة الا رفع الله مثلها من السنة رواه أحمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال الحسن رحمه الله لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة حتى يدعها وقال محمد بن مسلم من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة السالكين وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة وقال الجنيد رحمه الله الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى اثر الرسول وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة وقال النووي رحمه الله من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال الجنيد رحمه الله تعالى علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة

(فصل) فيما جاء في النهي عن البدع غير ما تقدم من الاحاديث قال الله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل قال مجاهد يعني البدع والشبهات فتفرق بكم عن سبيله عن طريقه ودينه الذي ارتضاه وقال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أي فلا واسطة بينهما فمن أخطأ الحق وقع في الضلال وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله عز وجل في أمة قبلي الا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم لعله أنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة من خردل وعن أبي واقد رضي الله عنه قال خرجنا

عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط الا وأنا أريد أن يبين الله تعالى الحق على لسانه أو على لساني وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي وأما الامام مالك رحمه الله تعالى فانه كان متحليا بهذه الخصال الخمس ويدل عليه أنه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وقال الشافعي رحمه الله رأيته انه سئل عن أربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وزهده وورعه أشهر من أن يذكروا وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فكذلك روي أنه كان يحيي نصف الليل فأشار اليه انسان بأن هذا الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال أنا أستحي ان أوصف بما ليس في وكذلك أحمد بن حنبل وسفيان زهدهما وورعهما أظهر من أن يذكر وسيأتي في أثناء الكتاب من الحكايات ما يدل على ذلك فانظر الآن الى الذين يدعون الناس الى الاقتداء بهؤلاء صدقوا في دعواهم أم لا

(فصل) في بيان أن جميع العلوم ليست محمودة يعني بذلك السحر والطلسم

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم تركبون سنن من قبلكم قال الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله أنظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس و يعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها او يضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها وروى ابن وضاح عن عمر رضى الله عنه انه أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة

(فصل) في أقسام البدعة البدعة فعل مالم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة فمن الواجبة نصب أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وتعلم النحو الذي يفهم منه كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لان حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها الا بمعرفة ذلك ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وصلاة التراويح وكل احسان لم يعهد في الصدر الاول ومن المباحة التبسط في ألوان الاطعمة ولبس الطيالسة وتوسيع الاكمام ومن المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام وأما تلحين القرآن بحيث يتغير عن الوضع العربي فالاصح أنه من البدع المحرمة ومن المحرمة مذهب القدرية والحرورية والمرجئة والمجسمة قال الشيخ عزالدين رحمه الله والرد على هؤلاء من البدع الواجبة قال الشافعي رحمه الله البدع بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة

(كتاب فضل النبي صلى الله عليه وسلم)

وماخصه الله به من الكرامات وبيان وجوب محبته وتعظيمه وذكر معجزاته وأخلاقه وفضل الصلاة عليه وفيه ستة أبواب *(الباب الاول في فضله وبيان ماخصه الله من الكرامات)* قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم قوله تعالى من أنفسكم أى تعرفون حسبه ونسبه قال السدى من العرب من بنى اسمعيل قال ابن عباس رضى الله عنه ليس من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب قال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من أولاد الجاهلية من زمان آدم عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خرجت من نكاح لم أخرج من سفاح وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا وقرأ ابن عباس والزهرى وابن محيصن من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم وقوله تعالى عزيز عليه ماعنتم أى ماأضر بكم في دنياكم وآخرتكم حريص عليكم أى على هدايتكم بالمؤمنين رؤف رحيم أعطاه الله اسمين من أسمائه لفضله عنده ومن فضائله أن الله قرن اسمه مع اسمه ورفع ذكره في التأذين مع ذكره قال الله عز وجل ورفعنا لك ذكرك ووضع به الاغلال والآصار التي كانت على العباد فقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وخاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فقال يا أيها الرسول يا أيها النبي وقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون أقسم تعالى بمدة حياته وأصله بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يامحمد قال ابن عباس رضى الله عنهما ماخلق الله تعالى ولاذرأ ولابرأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وماسمعت الله اقسم بحياة أحد غيره وقال الله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أى لجميع الخلق للمؤمنين بالهداية وللمنافقين بالامان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب ولانهم عرفوا انما أصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وروى الترمذى

عن

والنجوم والفلسفة ومايشابهها

أما السحر والطلسم فانهما مؤديات الى أنواع من الضرر وأما النجوم فلانها منهى عنها اذ قال عليه السلام اذا ذكر النجوم فامسكوا وانما أمرنا بالامساك لان الانسان مشغوف بالاحالة على الاسباب يعنى الوسائط المحسوسة والمتخيلة ولعله يغفل بسببه عن مسبب الاسباب وأما الفلسفة فلانها دائما الى أمور على خلاف الشرع ولا ينكر أن الحسابات لايمكن مخالفتها وانكارها ولكن هى مدخل الى ماوراءها فليقتصر منها على قدر الحاجة ومن الطبيعيات على الطب للمعالجة ومن النجوم على معرفة المنازل ودلائل القبلة

(فصل) في آداب المعلم والمتعلم أما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن نظم تفاريقها في سبع جمل (الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق لقوله عليه السلام بنى الدين على النظافة وليست النظافة مرادة في الثياب بل في القلب ويدل عليه قوله تعالى انما المشركون نجس بين أن النجاسة لاتختص بالثياب فما لم يطهر الباطن عن الخبائث لايقبل العلم النافع في الدين ولا يستضئ بنور العلم

عن أبي موسى رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى علي أمانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار وقال ثابت البناني رحمه الله كان شاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس ويتزين فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم اجتهد الشاب وشمر في العبادة فقيل له لو فعلت هذا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقرت عيناه بك فقال كان لي أمانان فمضى أحدهما فلم يبق الا الآخر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الاستغفار والاجتهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أمان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن وقال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ماعاش ومادامت سنته باقية فهو باق فاذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم وقيل هي شفاعة نبيهم وهو شفيع صدق عند ربهم وقال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية قال علي رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ بذلك العهد على قومه وقيل ان حروف كهيعص من كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ويهديك صراطا مستقيما وأيدك بنصره وبالمؤمنين والله يعصمك من الناس ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال الله تعالى الله نور السموات والارض قال ابن عباس هادي أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلال ينجون مثل نوره أي نور الله عز وجل في قلب المؤمن وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم روى أن ابن عباس قال لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروى سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد عليهما الصلاة والسلام وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليه السلام وسماه مباركا لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نبي نور محمد على نور ابراهيم عليهما السلام وقال الله عز وجل يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار وداعيا الى الله الى توحيده وطاعته باذنه بأمره وسراجا منيرا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة وقيل معناه شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا لحجة ظاهرة لحضرتنا وقيل شاهد له فلا يرى الا ايانا ومبشرا للمحسنين برضانا ونذيرا للعصاة بعقبانا وداعيا الخلق الى بابنا وسراجا هاديا لهم الى أنوار الانس منيرا عليهم ظلمات النفس وقال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها وقيل المراد به ذنوب أمته صلى الله عليه وسلم قال النووي رحمه الله وعلى هذا يكون المراد الغفران

قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعض المحققين تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله أي العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه (الوظيفة الثانية) ان يقلل علائقه ويبعد عن وطنه حتى يتفرغ قلبه للعلم فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي اليه زمام الاختيار كالمريض المدنف يلقي زمام الاختيار الى الطبيب من غير أن يتحكم بشيء في استدعاء نوع من الانواع دون نوع وينبغي أن يكون على خدمة المعلم كما روى أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنك يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس كذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس من أخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم وقيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

لبعضهم أو سلامتهم من الخلود في النار وقيل المراد ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتأويل وقيل ما تقدم لأبيك آدم وتأخر من ذنوب أمتك وقيل المراد انه مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان وقيل هو تنزيه له من الذنوب وقال بعضهم من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أخبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولم ينقل انه أخبر أحدا من الانبياء عليهم السلام بمثل ذلك بل الظاهر أنه لم يخبرهم لان كل واحد منهم اذا طلب منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي قد أصاب وقال نفسي نفسي ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يوجل منها في ذلك المقام فاذا استشفعت الخلائق بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام قال أنا لها قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي قيل خمسة عشر يوما وقيل أربعون فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله والضحى أقسم بالضحى وأراد النهار كله لانه قابله بالليل وقيل أراد وقت ارتفاع الشمس والليل اذا سجى قيل أقبل بظلامه ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وللآخرة خير لك من الاولى قال عليه الصلاة والسلام انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل الشفاعة في أمته حتى يرضى روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وقال أبو جعفر محمد بن علي رضي الله عنه انكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ذكر الله تعالى حاله قبل الوحي وذكره نعمته عليه فقال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى أي صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوي اليه وضمك الى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك ووجدك ضالا عما أنت عليه اليوم فهداك لتوحيده ووجدك عائلا فأغنى أي فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل فرضاك بما أعطاك من الرزق وهو المختار اذ ذاك حقيقة الغنى قال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال فأما اليتيم فلا تقهر قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وأما السائل فلا تنهر قالوا يريد السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقيل السائل طالب العلم وأما بنعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله تعالى وقيل القرآن أمره أن يقرأه وقيل فاشكروا التحدث بنعمة الله تعالى شكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله تعالى شكر وتركه كفر وقال الله تعالى ألم نشرح لك صدرك أي نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالايمان والنبوة ووضعنا عنك وزرك قيل معناه حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها الذي أنقض أثقل ظهرك وأوهنه ورفعنا لك ذكرك روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله تعالى وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقال معناه جعلت تمام الايمان بذكرك معي ويقال جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني ومن أحبك أحبني ومن أنكرك فما عرفني ثم وعده اليسر بعد العسر وذلك أنه كان بمكة في شدة فقال فان مع العسر يسرا أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن نظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به ان مع العسر يسرا كرره لتأكيد

(الوظيفة الرابعة) أن يحترز عن الاصغاء الى الاختلافات من الناس فان ذلك يورث دهشة وحيرة فانه يميل في أول الامر قلبه الى كل ما يلقى اليه خصوصا الى طرق التعطيل التي توافق الكسل والبطالة ولا يجوز للمبتدئين الاقتداء بأفعال المنتهين حتى قال بعضهم من زارنا في البداية صار صديقا ومن زارنا في النهاية صار زنديقا فانهم في النهاية سكنت جوارحهم عن الحركات الا في الفرائض واستبدلوا بالنوافل سر القلوب ودوام الشهود على الدوام والغافل يظن به البطالة والكسل وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (الوظيفة الخامسة) أن لا يدع فنا من فنون العلم المحمودة الا ويخوض فيه حتى يطلع على مقصوده فان ساعده العمر استوفاه والا اختار الاهم واختيار الاهم انما يمكن بعد الاطلاع على الكل (الوظيفة السادسة) أن يصرف العناية الى الاهم من العلوم وهو علم الآخرة أعني بذلك قسم المعاملة والمكاشفة والمعاملة تفضي الى المكاشفة والمكاشفة معرفة الله تعالى وذلك نور يقذفه الله تعالى في قلب زكي بالعبادة والمجاهدة وذلك الذي ينتهي الى

الوعد وتعظيم الرجاء فاذا فرغت فانصب فاتعب قيل معناه فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع *(سؤال)* ان قيل ما معنى قوله يوم القيامة مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة قيل سبب التقييد أنه في يوم القيامة يظهر سودده لكل أحد ولا يبقى منازع بخلاف الدنيا فقد نازعه ملوك الكفار وزعماء المشركين وهذا قريب من معنى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال العلماء ولم يقل هذا فخرا بل صرح بنفي الفخر في حديث آخر وانما قاله لوجهين أحدهما امتثال قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث الثاني أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه الى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه وأما الحديث الآخر لا تفضلوا بين الانبياء فجوابه من خمسة أوجه أحدها انه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به الثاني قاله أدبا وتواضعا الثالث أن النهي انما هو عن تفضيل يؤدي الى نقص المفضول الرابع انما نهى عن تفضيل يؤدي الى الخصومة والفتنة كما هو مشهور في سبب الحديث الخامس أن النهي يختص بالتفضيل في نفس النبوة ولا تفاضل فيها وانما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى فلا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني اتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة واني قائل قولا غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله وانا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وان الله عز وجل وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وانا أول شافع ومشفع ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا انصتوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منثور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وهو الذي ليس بعده نبي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فانا من اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا وذلك قوله أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة فذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم فانا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ودعوة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي الى السماء الدنيا اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وقيل

رتبة ايمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه الوارد فيه لو وزن ايمان أهل الارض بايمان أبي بكر رضي الله عنه لرجح وذلك لسر وقر في صدره لا لترتيب البراهين والحجج والعجب ممن يسمع هذه الاقوال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يزدري بسمعه ما يسمعه من كلام الصوفية على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية ثم فابتدأ في هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب فاعلم أن أشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى وهذا بحر لا يدرك منتهى غوصه وأقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء والاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي أن حكيمين من الحكماء المتعبدين رؤي في يد أحدهما رقعة وفيها ان أحسنت كل شئ فلا تظن انك أحسنت كل شئ حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر رقعة فيها كنت قبل أن أعرف الله أشرب وأظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب (الوظيفة السابعة) أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه بما يوصله الى

ان آدم عليه السلام قال عند معصيته اللهم بحق محمد اغفر لي ذنبي فقال الله تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وروى أن الله تعالى لما خلق العرش كتب عليه بالنور لا اله الا الله محمد رسول الله فلما أخرج آدم من الجنة رأى على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة مكتوبا باسم محمد مقرونا باسم الله تعالى فقال يارب هذا محمد من هو قال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو استشفعت الينا بمحمد في أهل السموات والارض لشفعناك فيهم وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وحكى أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن شريح بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم زيارة كل دار فيها أحمد أو محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه اذا كان يوم القيامة ينادي مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وعن مالك رحمه الله انه قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا خيرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد أو محمدان وثلاثة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ومن فضائله ماذكره ابن سبع انه كان نورا فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل ويشهد له انه صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يجعل في جميع أعضائه وجهاته نورا وختم ذلك بقوله واجعلني نورا وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الظلمة كما يرى في النور ومن فضائله ماروى عن عائشة رضي الله عنها قالت يارسول الله اني أراك تدخل الخلاء ثم يجيء الذي يدخل بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثرا فقال ياعائشة أما علمت أن الله أمر الارض أن تبتلع ما خرج من الانبياء وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كرامتي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي ومن خصائصه ماذكره البخاري في تاريخه الكبير مرسلا انه عليه الصلاة والسلام كان لا يتثاءب قال مسلمة بن عبد الملك ما تثاءب نبي قط وانها من علامات النبوة وقيل كان لا يتمطى أيضا لانه من عمل الشيطان ذكره ابن سبع في شفاء الصدور وذكر فيه أيضا انه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما وان كل دابة ركب عليها بقيت على القدر الذي كان يركب عليها فلم تهرم لبركته صلى الله عليه وسلم ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ايثاره أمته على نفسه بدعوته اذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة وكل منهم عجل دعوته في الدنيا واختبأ هو صلى الله عليه وسلم دعوته شفاعة لامته ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ماذكره الامام أبو حامد في الاحياء قال رحمه الله روي أن عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس اليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال عز وجل عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضلك عنده ان بعثك في آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضلك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فماذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله سبحانه احياء الموتى فماذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لا تأكلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه

فقال

…الاعلى من المقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه *بيان وظائف المرشد المعلم* وأحسن أحواله ماقيل من علم وعمل فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا ينبغي أن يكون كالابرة تكسو غيرها وهي عارية أو ذبالة المصباح تضيء على غيرها وهي تحترق كما قيل

صرت كأني ذبالة نصبت
تضيء للناس وهي تحترق

ومن تقلد التعظيم فقد تقلد أمرا عظيما فليحفظ آدابه ووظائفه (الوظيفة الاولى) الشفقة على المتعلم واجراؤه مجرى الولد لقوله عليه السلام انما أنا لكم كالوالد لولده بل هو الوالد على الحقيقة لان الاب سبب الحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولذلك يقدم حقه على حق الابوين فاما التعليم على قصد الدنيا فهو اهلاك وأي اهلاك واذا كان ذلك فليكن تلامذة الرجل الواحد متحابين فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنيها وشهورها منازل الطريق الترافق بين المسافرين من ادالى بلد يوجب التحابب التوادد فكيف السفر الى الله تعالى والفردوس لاعلى ولا ضيق فيه فليكن

فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره ولقد آمن معك الكثير وما آمن معه الا قليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لو لم تجالس الا كفأ لك ماجالستنا ولو لم تنكح الا كفأ لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفأ لك ماواكلتنا ولقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ماروى أن الارض افتخرت على السماء بفضله قيل ان السماء كانت تفتخر على الارض قبل مولده صلى الله عليه وسلم فكانت تقول ان العرش فيّ والملائكة والشمس والقمر والنجوم وأنت خالية عن هذا كله فكانت السماء لها الفخر على الارض الى أن ولد نبينا صلى الله عليه وسلم فافتخرت الارض على السماء فقالت ان كان الشمس والقمر والنجوم والملائكة فيك فقد ولد على ظهري نبي مبارك نور العرش من نوره وعلى ظهري مبعثه ودعوته على ظهري مستعمل شريعته فسمع الله مفاخرتها على السماء بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لاجرم حيث افتخرت بحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم جعلت تراب شرقك وغربك طهورا له ولامته وشرقك وغربك مساجد لهم ومصلى فلذلك قال صلوات الله وسلامه عليه جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ومن فضائله صلى الله عليه وسلم انه أعطى عليا فصا من ياقوت وأمره لينقش عليه لا اله الا الله ففعل وجاء بالفص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو عليه منقوش لا اله الا الله محمد رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم آمرك أن تنقش عليه لا اله الا الله فلم زدت فيه محمد رسول الله فقال والذي بعثك نبيا يارسول الله مافعلت الا ما أمرتني به فهبط جبريل وقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أحببتنا فكتبت اسمنا ونحن أحببناك فكتبنا اسمك ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ان رجلا عصى الله مائتي سنة كلها يتمرد ويجترئ عليه فلما مات أخذ بنو اسرائيل برجله وألقوه على مزبلة فأوحى الله الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جمع بني اسرائيل ففعل ما أمره الله تعالى فتعجبت بنو اسرائيل من ذلك فأخبروه أنه لم يكن في بني اسرائيل أعتى منه ولا أكثر معاص منه فقال قد علمت ولكن الله أمرني بذلك فقالوا فاسأل ربك فسأل موسى ربه عز وجل فقال يارب قد علمت ما قالوا فأوحى الله اليه ان صدقوا انه قد عصاني مائتي سنة الا أنه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ووضعه بين عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة ومن فضائله صلى الله عليه وسلم انه كان يستأذن رب العزة كل يوم سبعون ألف ملك ينظرون اليه في الارض لما يعلمون من كرامته على الله عز وجل ومن فضائله صلى الله عليه وسلم مارواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال اني قد مننت عليك بسبعة أشياء أولها اني لم أخلق في السموات والارض أكرم عليّ منك والثاني ان مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي كلهم مشتاقون اليك والى أمتك والثالث لم أعط أمتك مالا كثيرا حتى لا يطول عليهم الحساب والرابع لم أطوّل أعمارهم حتى لا يجتمع عليهم الذنوب الكثيرة والخامس لم أعطهم من القوّة كما أعطيت من قبلهم حتى لا يدعوا الربوبية كما ادعت الامم السابقة والسادس أخرجهم في آخر الزمان حتى لا يطول مكثهم تحت التراب والسابع لا أعاقب أمتك كما عاقبت بني اسرائيل اذا أصابهم دم الحيض في ثيابهم أمرت بقطعه ولا يجوز الغسل منه واذا أذنبوا ذنبا وجدوه مكتوبا على أبوابهم ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ماذكره الثعلبي عن ابن عباس قال أوحى الله عز وجل الى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولولاه ماخلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ولما خلق الله آدم لم يكن له من يأنس به فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر القصري فخلق منه حوّاء ولم يحس آدم

بعيدا من التنافس والتزاحم لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة (الوظيفة الثانية) الاقتداء به لقوله صلى الله عليه وسلم فلا تطلب الاجر على التعلم قال الله تعالى لانريد منكم جزاء ولا شكورا وهو وان كان له منة عليهم فلهم المنة لكونهم سبب تقربه الى الله تعالى بغراسة العلم والايمان في قلوبهم (الوظيفة الثالثة) أن لايدخر شيأ لغد من النصيحة كمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والخوض في العلم الخفيّ قبل احكام الجليّ (الوظيفة الرابعة) نصح المتعلم ومنعه من الاخلاق الذميمة لابطريق التصريح بل التعريض فان التصريح يهتك حجاب الهيبة وينبغي أن يستقيم هو ثم يطالبه بالاستقامة والا فالنصح لاينفع لان الاقتداء بالافعال آكد من الاقتداء بالاقوال

(فصل في آفات العلم وبيان علماء الآخرة وعلماء السوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لاينفعه الله بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا واعلم أن العالم بالخوض في العلم حرم السلامة فاما الهلاك واما السعادة الابدية قال الخليل ابن أحمد الرجال أربعة

بذلك ولم يجد له ألماً ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة قط ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع
الزينة وأجلسها عند رأسه فلما انتبه آدم من نومه ورآها مد يده اليها فقالت الملائكة مه فقال ما لكم وقد
خلقها الله تعالى لي فقالوا حتى تمهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
فقال ومن محمد قالوا أحسن الانبياء من ولدك ولولا محمد لما خلقت قيل لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى
الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني
أدخلته النار ثم بعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها قالت له أعوذ بعزة الله أن تأخذ مني
اليوم شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع الى ربه ولم يأخذ شيأ وقال يارب استعاذت بك فأمر ميكائيل
فأتاها فاستعاذت منه فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث ملك الموت فاستعاذت منه فقال وأنا أعوذ بعزته
أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من سبخها وطيبها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فلذلك كان في
ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح واختلفت صورهم وألوانهم ثم صعد بها ملك
الموت الى الله عزوجل فأمره أن يجعلها طينا بالماء المر والمالح والعذب حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك
اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها
محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الرفيق الاعلى
فقبض من موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام ثم تركها أربعين سنة حتى
صارت طينا لازبا صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذي اذا ضربته صلصل ثم جعله جسدا وألقاه على
طريق الملائكة التي تصعد وتهبط فيه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم
يكن شيأ مذكورا قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة وسأل عبد الله بن سلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله تعالى آدم قال خلق رأسه وجبهته من تربة الكعبة وظهره من بيت
المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من المشرق
ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة كلما مر به ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته
وطول قامته ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيأ يشبهه من الصور

(الباب الثاني في وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية فكفى بهذا دلالة على
وجوب محبته اذ قرع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وفسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية من ولده ووالده
والناس أجمعين قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما المحبة ثلاثة أقسام محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد
ومحبة شفقة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة
في محبته قال ابن بطال ومعنى الحديث ان من استكمل الايمان علم أن حق النبي صلى الله عليه وسلم آكد
عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لان به استنقذنا من النار وهدينا من الضلال قال القاضي ومن
محبته نصر سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه قال واذا تبين ماذكرنا تبين
أن حقيقة الايمان لا تتم الا بذلك فلا يصح الايمان الا بتحقيق اعلاء قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على
كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد ذلك واعتقد ماسواه فليس بمؤمن روى البخاري أن عمر رضي
الله عنه قال يارسول الله لانت أحب الي من كل شئ الا نفسي قال والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك
من نفسك قال عمر فانه الآن والله لانت أحب الي من نفسي فقال الآن ياعمر وعن أنس رضي الله عنه أن
رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يارسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير

ورجل يدري ويدري أنه
يدري فذلك عالم فاتبعوه
ورجل يدري ولا يدري أنه
يدري فذلك نائم فأيقظوه
ورجل لا يدري ويدري أنه
لا يدري فذلك مسترشد
فعلموه ورجل لا يدري ولا
يدري أنه لا يدري فذلك
جاهل فاحذروه وقال سفيان
يهتف العلم بالعمل فان أجابه
والا ارتحل وقال تعالى
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها وعلماء
الآخرة هم الذين لا يأكلون
الدنيا بالدين ولا يبيعون
الآخرة بالدنيا لما علموا من
عز الآخرة وذل الدنيا ومن
لم يعلم مضارة الدنيا مع
الآخرة ومضادتها فليس
من العلماء ومن أنكر ذلك
فقد أنكر مادل عليه
القرآن والاخبار وجميع
الكتب المنزلة وقول جميع
الانبياء ومن علم ذلك ولم
يعمل به فهو أسير الشيطان
فقد أهلكته شهوته وغلبت
عليه شقوته وكيف يعد
من حزب العلماء من هذه
درجته وقال في مناجاة
داود أتدري ما أصنع بالعالم
اذا آثر شهوته على محبتي
ان أحرمه لذيذ مناجاتي
ياداود لا تسأل عني عالما
قد أسكرته الدنيا فيصدك
عن طريق محبتي أولئك
قطاع طريق عبادي
ياداود اذا رأيت طالبا
فكن له خادما ياداود من رد
الي هاربا كتبته شهيدا
ومن كتبته شهيدا لم أعذبه

صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت أن تصبح أو تمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله ومن علامة محبته الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومنها كثرة ذكره فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه روى أن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين واني ان أدخلت الجنة كنت أدنى منزلة من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

(الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره)

قال الله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه قال العلماء تعزروه تجلوه وتبالغوا في تعظيمه قال عمرو رضي الله عنه وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كدت أن أطيق أن أملأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما قدرت لاني لم أكن أملأ عيني منه وفي حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤسهم الطير ومن اجلاله وتعظيمه أنه لا يجوز لاحد رفع صوته فوق صوته قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا أن ينادى باسمه قيل في قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الآية أي لا تخاطبوه يا أحمد يا محمد ولكن قولوا يا نبي الله يا رسول الله توقيرا له وقال مجاهد وقتادة في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد بن عبد الله لكن فخموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع *وحكى أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ناظر الامام مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين يدي الخليفة في ذلك اليوم خمسمائة سيف فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وان حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا قال فاستكان له الخليفة وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم بل استقبله واستشفع به قال تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

(الباب الرابع في معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

وهي كثيرة وأعلاها قدرا وأوضحها ذكرا هذا القرآن العزيز الذي عجزت الفصحاء عن معارضته ويئست العقلاء عن الاتيان بشيء من مثله فمن اعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته ومن اعجازه حسن نظمه وأسلوبه الذي لا يشبهه نظم ولا نثر ومن اعجازه ما أخبر به من المغيبات المستقبلة فوقع كما أخبر ومن اعجازه ذكر قصص الماضين مع كون النبي صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ الكتب ولم يخالط علماء أهل الكتاب وكذلك ما فيه من ذكر الملكوت الاعلى والملائكة وذكر القيامة وما فيها وذكر الجنة والنار ونحو ذلك ومن اعجازه انقطاع الاطماع عن معارضته وعجز العقول عن مقابلته مع فصاحة أهل زمانه

بالنار أبدا وكذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال عمر رضي الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وكان يقول يحيى بن معاذ الرازي لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصروية وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية وأنشد شعرا

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها
فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقيل شعر

يا معشر القراء يا ملح البلد
ما يصلح الملح اذا الملح فسد

واعلم أن اللائق بالعالم المتدين أن يكون مطعمه وملبسه ومسكنه وجميع ما يتعلق بمعاشه في دنياه وسطا لا يميل الى الترفه والتنعم ولا يبالغ في طرف الزهد فيها وينبغي له أن يحترز من الدخول على السلاطين وأرباب الدنيا ما أمكنه حذرا من الفتنة

(فصل في العقل وشرفه)

وهو منبع العلم ويدل على شرفه قوله عليه السلام أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي

وشدة عداوتهم وماذاقوا في القتال من أهوال النزال ولم تخطر المعارضة لهم ببال قال القاضي عياض رحمه
الله لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وقال عتبة بن ربيعة حين سمع
القرآن يا قوم قد علمتم اني لم أترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث مثله ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه أسرى به في
ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى راكبا البراق وجمعت له الانبياء كلهم فصلى بهم اماما ثم
عرج به من بيت المقدس الى السماء ففتحت له كل سماء وسلم عليه من فيها من الملائكة حتى جاوز السموات
السبع ووصل الى سدرة المنتهى ثم جاوزها الى أن وصل الى مقام يسمع فيه صرير الاقلام فوقف موقف
الكرامة والزلفى وأقيم في مقام النجوى وكان في قرب الاكرام كقاب قوسين أو أدنى فسمع خطاب العلي
الاعلى ورأى من آيات ربه الكبرى وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم رجع من ليلته الى مكة وورد بذلك
القرآن وانتشرت بفضيلته الاخبار واستمرت على ذلك الآثار روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى في السماء
الدنيا آدم وفي الثانية عيسى ويحيى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي
السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السهيلي رحمه الله فان قيل ما الحكمة في
كون عيسى في السماء الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وعيسى أفضل
منهم فانه من أولي العزم وما الحكمة في عدم ذكر نوح مع كونه من أولي العزم وذكر من هو دونه في
الفضل قال فالجواب ان ارائه من ذكر على هذا الوجه المذكور اشارة الى التأسي والاقتداء والتسلي
فأرى آدم في الاولى اشارة الى ان أول أحواله كحال آدم أخرجه العدو من وطنه مكة الى المدينة كما أخرج
آدم عدوه من الجنة الى الارض وأرى عيسى في الثانية اشارة الى أن ثاني أحواله كحال عيسى اذ آذاه اليهود
وقصدوا قتله وسموه كما آذوا عيسى وزعموا أنهم قتلوه وما قتلوه وما صلبوه وأرى يوسف في الثالثة اشارة الى
ان ثالث أحواله كحال يوسف اذ جاءه أهله واجتمع بهم كما اجتمع شمل يوسف بأهله وأرى في الرابعة
ادريس اشارة الى أن رابع أحواله كحال ادريس في كتابة الكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام
وادريس أول من كتب وأرى في الخامسة هرون اشارة الى أن خامس أحواله كحال هرون في محبة الناس
له كما كانت بنو اسرائيل تحب هرون وأرى في السادسة موسى اشارة الى أن سادس أحواله كحال موسى
في عوده الى مكة وطنه الاول كما عاد موسى الى مصر بعد خروجه منها خائفا يترقب وأرى ابراهيم في السابعة
اشارة الى أن آخر أحواله من أداء مناسك الحج واحياء سنة أبيه ابراهيم الخليل قال الشيخ محيي الدين النووي
رحمه الله تعالى كان الاسراء سنة خمس أوست من النبوة وقيل سنة اثني عشر منها وقيل بعد سنة وثلاثة شهور
وقيل غير ذلك وكان ليلة السابع والعشرين من رجب الفرد قال وكان الاسراء به صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة ومن معجزاته انشقاق القمر روى البخاري عن أبي معمر عن ابن
مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ورواه مسروق عنه انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم
ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان قد سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها
فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك * وحكى
السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا الى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا
ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم حبس الشمس له عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه ورأسه في حجر علي عليه السلام فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى

مثلك بك آخذ وبك أعطي
وبك أثيب وبك أعاقب
وقال صلى الله عليه وسلم
سألت جبرائيل ما السودد
قال العقل وحقيقة العقل
غريزة يتهيأ بها ادراك
المعلومات النظرية وكأنه
نور يقذف في القلب به
يستعد لادراك الاشياء
وذلك يتفاوت بتفاوت
الغرائز والله أعلم

*(الباب الثاني في الاعتقاد
وفيه فصول)*

*(فصل في ترجمة عقيدة
أهل السنة)* وهي أنه
تعالى وتقدس واحد
لا شريك له فرد لا مثل له
صمد لا ضد له منفرد لا ند
له وانه قديم لا أول له أزلي
لا بداية له مستمر الوجود
لا آخر له أبدي لا نهاية له
قيوم لا انقطاع له لم يزل ولا
يزال موصوفا بنعوت الجلال
لا يقضى عليه بالانقضاء
والانفصال بتصرم الآباد
وانقراض الآجال بل هو
الاول والآخر والظاهر
والباطن التنزيه وأنه
ليس بجسم مصور ولا
جوهر محدود مقدر وانه لا
يماثل الاجسام لا في التقدير
ولا في قبول الانقسام
وانه ليس بجوهر ولا تحله
الجواهر ولا بعرض ولا
تحله الاعراض بل لا يماثل
موجودا ولا يماثله موجود
ليس كمثله شئ ولا هو مثل
شئ وأنه لا يحده المقدار ولا
تحويه الاقطار ولا تحيط به
الجهات ولا تكتنفه الارض

الله عليه وسلم أصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها قد غربت ثم رأيتها قد طلعت بعد ما غربت ووقفت على
الجبال وذلك بأصهباء في خيبر ولما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي
في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ومن معجزاته نبع الماء
من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوا ماء فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين
أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وعن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في
ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه
فقلت وكم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في
هذا النبع قولان أحدهما أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر
ويؤيده أنه جاء في رواية فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه الثاني يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته فصار يفور
من بين أصابعه لا من نفسها ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم وفي حديث جابر في اطعامه رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وأطعم صلى الله عليه وسلم الجيش من مزود أبي
هريرة حتى شبعوا كلهم ثم رد ما بقي فيه ودعا له فأكل منه مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم فلما قتل عثمان ذهب وحمل منه نحو خمسين وسقا في سبيل الله ومن معجزاته كلام
الشجر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال
يا أعرابي أين تريد قال الى أهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
وأن محمدا عبده ورسوله قال ومن يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي في شاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فأقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما
قال ثم رجعت الى مكانها ومن معجزاته حنين الجذع قال جابر رضي الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم أمره فعاد
الى مكانه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت أردك الى الحائط الذي كنت فيه ينبت لك
عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم
أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم ليسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في
مكان لا أبلى فيه وسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن رحمه الله اذا حدث به بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا
اليه لمكانه وأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه ومنها كلام الجمادات قال ابن مسعود رضي الله عنه كنا نأكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس رضي الله عنه أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم كفا من حصى فسبح في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر
فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة

والسموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك كله قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن العوارض من التغيير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت الجلال منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يارسول الله وقال عليه الصلاة والسلام انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل انه الحجر الاسود وقال عليه الصلاة والسلام لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله ومنها كلام أصناف الحيوانات روى عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا فقال ماهذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابى وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعى منه فأقعى الذئب وقال للراعى ألا تتقى الله حلت بينى و بين رزقى قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرمين يحدث الناس بأنباء ماقد سبق فاتى الراعى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق وعن عبد الله بن قرط قرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أوست أوسبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بأيهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يارسول الله قال ماحاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الاعرابى وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وجاء فى رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال لها وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار تعنى المكاس ان لم أفعل وروى أنه صلى الله عليه وسلم أصاب حمارا بخيبر وقال له اسمى يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وأنه كان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه و يستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى فى بئر جزعا وحزنا فمات وروى أن عنزا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فى عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع أملكها وما أراك فربطها فوجدها قد انطلقت فقال عليه الصلاة والسلام ان الذى جاء بها هو الذى ذهب بها ومر عليه الصلاة والسلام فى سفر ببعير يستقى عليه الماء فلما رآه جرجر ووضع جرانه فقال انه يشتكى كثرة العمل وقلة العلف ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلام الصبيان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم وقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ماحملك على ماصنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا كاذبا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت ورواه أيضا جابر وفيه فاخبرتنى هذه الذراع قال ولم يعاقبها و روى انه عليه الصلاة والسلام أتى بصبي قد شب ولم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله وروى انه جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى فناداها باسمها يافلانة أجيبى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله لى خيرا منهما وعن أنس ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم أنى هاجرت اليك والى نبيك رجاء أن تعيننى على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم

بالابرار فى دار القرار وانعاما منه بالنعيم بالنظر الى وجهه الكريم (الحياة القدرة) وانه حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته (العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجرى من تخوم الارضين الى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء و يدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال (الارادة) وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر ايمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسر زيادة أو نقصان طاعة

وطعمنا ومن معجزاته ابراء المرضى وذوى العاهات روى النسائى عن عثمان بن حنيف ان أعمى قال يارسول الله ادع الله أن يكشف لى عن بصرى فقال له فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى" قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وقد رد صلى الله عليه وسلم عين قتادة بن النعمان يوم أحد بعد ما وقعت على وجنته فكانت أحسن عينيه وتفل فى عين على رضى الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء وجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت ومن معجزاته اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم عن أنس قال قالت أمى يارسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدى هاتين من ولدى مائة لا أقول سقطا ولا ولد ولد ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت منه الايدى وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين ألفا ومن معجزاته انقلاب الاعيان له أعطى عكاشة جذل حطب حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى يده سيفا فقاتل به ودفع لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع فى يده سيفا وشكا اليه قوم ملوحة فى مائهم فجاء فى نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين وأتته امرأة بصبى لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب على طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره ومن معجزاته ما أطلعه الله عليه من الغيوب عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشئ فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وروى ابن اسحق ان أبى بن خلف كان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندى اليوم فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فيقول عليه السلام بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلنى والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من بأس قال انه كان قد قال لى بمكة والله أنا أقتلك والله لو بصق على لقتلنى فمات بسرف وهم قافلون به الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم فى الحسن ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فصالح معاوية وحقن دماء الفئتين من المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على رضى الله عنهما وقال للعباس وقد أسر ببدر افد نفسك فقال ليس لى مال فقال أين ما دفعت بمكة الى أم الفضل وقلت ان أصبت فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا فقال العباس ما علم بذلك أحد غيرى وغيرها وأنا أعلم انك رسول الله ومن معجزاته عصمة الله له من الناس وكفايته من أذاهم قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابى فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى فقال الله فارتعدت يد الاعرابى وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه ونزلت هذه

أو عصيان كفر أو ايمان الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمعت الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا وان ارادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى أزله لوجود الاشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى أزله من غير تقدم ولا تأخر بل الامور كلها لا بترتيب أفكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شان (السمع والبصر) وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه

الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه ورجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطأ كثيبا أهيل وذكر ابن اسحق أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وروى ابن اسحق ان أبا جهل أتاه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه فأقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله أن يدعو الله له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف ان رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض دونه فحل ما رأيت مثله قط فهم أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذ وروى ان أبا جهل ابتاع من رجل ابلا وماطله فأتى نادي قريش مستعينا بهم فأحالوه على محمد صلى الله عليه وسلم استهزاء فمضى معه فطرق باب أبي جهل فعرفه فخرج مبحوث العقل وقال أهلا بأبي القاسم فقال أعط هذا حقه فأعطاه من فوره فعيره قومه فقال اني رأيت والله على رأسي تنينا فاتحا فاه لو أبيت لالتقمني ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت فلم يره فعل شيأ فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه الا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وغيره أن قريشا خافوا لما أسلمت الانصار أن يعظم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم ابليس في صورة شيخ فقالوا له من أنت فقال شيخ من نجد فلما سمعت باجتماعكم أردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا قالوا ادخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه حتى يهلك فيه فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي هذا والله لان حبستموه ليخرجن أمره الى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو وأما أنا فأرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع اذا غاب عنكم واسترحتم فقال ابليس ما هذا برأي تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم قالوا صدقت أيها الشيخ فقال أبو جهل والله لاشيرن عليكم برأي ما أرى غيره اني أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش شابا نسيبا ثم يعطى كل واحد منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي بني هاشم يطيقون حرب قريش كلها وانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس صدق هذا الفتى القول ما قال لا أرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له تسج ببردي فانه لم يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر على رؤسهم التراب وهو يقرأ انا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر رضي الله عنه وخلف عليا رضي الله عنه بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته فلما أصبح المشركون ساروا الى علي رضي الله عنه قالوا له أين صاحبك قال لا أدري فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار

وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كلامه وكتبه المنزلة على رسله وأن القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات

(الافعال) وأنه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعدلها وأتمها وانه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد فان العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما وكل

وكان الله قد أرسل العنكبوت فنسج على بابه فلما رأوه على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة فجعل كفار قريش في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله فبلغ ذلك سراقة بن مالك بن جعشم قال سراقة فأخذت رمحي وركبت فرسي وتبعتهم فلما دنوت منهم عثرت بي فرسي فنزلت عنها فاستخرجت الازلام من كنانتي واستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام فسرت حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فنزلت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر ما يريد الناس بهم وأعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني الا أن قالا أخف عنا فسألته يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله في مشاورة قريش في أمر النبي صلى الله عليه وسلم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية ومن ذلك كفاية الله نبيه المستهزئين قال الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر ولا تخف أحدا غير الله فان الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة فأتى جبريل محمدا صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال قد كفيت وأومأ الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال يريش نباله وعليه برد يماني وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر أن يطامن فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منه ومات ومر به العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل الى أخمص رجله وقال قد كفيت فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال بئس عبد سوء فأشار بيده الى عينيه وقال قد كفيت فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب بوجهه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا يصنع بك شيأ غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله على انه خالي فقال قد كفيت وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات حبنا وفي رواية الكلبي انه خرج من أهله فأصابه السموم فاسود حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال قد كفيت فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا مالحا وأصابه العطش فلم يزل يشرب من الماء حتى انقد بطنه فمات ذكر هذه الخمسة أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل هكذا وزاد غيره ثلاثة عقبة بن أبي معيط وأبا لهب والحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس فأما عقبة فهو عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت وقيل علي رضي الله عنه بعد أن أسره عبد الله بن مسلمة وأما أبو لهب فهلك بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون

ماسواه من جن وشيطان وملك و... وأرض وحيوان ونبات و... وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه بعد أن لم يكن شيأ اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم وانه لو صب عليهم العذاب صبا لكان منه عدلا وانه يثيب عباده على الطاعات كرما لا بالاستحقاق واللزوم وانه وجب حقه في الطاعة بايجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد العقل ولكن بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به (معنى الكلمة الثانية) وهي الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه وانه تعالى بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرر وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد

أنها تعدى أشد العدوى فلما أصابته تباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثا لا يقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا المسبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وأما الحكم فانه أسلم رضى الله عنه ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ماروى أنه لما بنى المسجد قال لابى بكر رضى الله عنه أحتاج الى جذوع فقال لى بمكة بيت فيه جذوع تصلح فدعاها النبى صلى الله عليه وسلم فخلق الله تعالى لها أجنحة فطارت اليه وأصابه فى بعض أسفاره عطش فأتاهم غلام أسود براوية ماء فاستعملوها وهى باقية فمسح النبى صلى الله عليه وسلم وجه الغلام فابيض فرجع الى مواليه فقالوا الجمل لنا الا العبد فأخبرهم بالقصة فأسلموا وكان عند أنس رضى الله عنه منديل اذا اتسخ ألقاه فى النار فينظف ويقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمسح به وجهه والنار لا تأكل شيأ مر على وجوه الانبياء وأعطى قتادة بن النعمان عرجونا وقال استضئ به حتى تأتى بيتك وستجد فى زاويته شيطانا فاضربه به قال قتادة رضى الله عنه فأضاء العرجون كالشمعة ووجدت فى الزاوية قنفذا فأحرقته به وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله تعالى عن بعض الحنفية انه قال قيل ظهر على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف وانه ذكر ان من معجزاته انبات النخلة فى سنام البعير وادراك ثمرها فى الحال ثم تناولها الحاضرون فمن علم الله انه يؤمن كانت الثمرة حلوة فى فمه ومن علم أنه لا يؤمن عاد حجرا فى فمه

(الباب الخامس فى جمل من أخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن تعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام بأوامره وزواجره وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال أنس كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان عليه السلام أرجح الناس حلما وقال أيضا خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وروى أنه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وكان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس عفوا لا ينتقم لنفسه ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيف فى يده وقال لرسول الله من يمنعك منى قال له الله فسقط السيف من يده فقال له عليه الصلاة والسلام وقد أخذ السيف من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وعفا عليه السلام عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح ولم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس فما سئل شيأ فقال لا وأعطى صفوان بن أمية غنما ملأت واديا بين جبلين فقال أرى محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ورد على هوازن سباياهم وكانت ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب مالم يطق حمله وحملت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فارد سائلا حتى فرغ منها وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعنى طبقا واجر زغب يريد قثاء فأعطانى ملء كفه حليا وذهبا وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على بن أبى طالب كنا اذا حمى أو اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء قال أبو سعيد الخدرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن

وهو قول لا اله الا الله مالم يقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة وانه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر عنه بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة تعرض بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالبعث والنشور وأنه تعالى يحيى العظام وهى رميم كما أنشأها أول مرة ويرد الروح فى الجسد كما هو فى الدنيا قبل الموت ويجعله شخصا سويا ويؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفتهما فى العظم مثل طباق السموات والارض يوزن فيهما الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى وان

يقول مابال أقوام يصنعون ويقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وعن أنس رضى الله عنه انه عليه السلام كان لا يواجه أحدا بما يكره وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وكان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة هذا من كلام على رضى الله عنه فى صفته وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب سعد له حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما أن تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفى رواية اركب امامى فصاحب الدابة أحق بمقدمها وعن عائشة رضى الله عنها فى حديث عنه صلى الله عليه وسلم انه مادعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته الا قال لبيك وقال جرير ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم أحد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه وما أخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبته بين يدى جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد ويكرم من يدخل عليه وربما يبسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وروى أنه كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته ويسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما شفقته صلى الله عليه وسلم على خلق الله ورأفته بهم ورحمته لهم فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة ليلا لئلا يعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة وانه كان يسمع بكاء الصبى فيتجاوز فى صلاته ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرنى بما شئت فيهم ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيأ وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الارض والسماء والجبال ان تطيعك فقال أؤخر عن أمتى لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وروى انه عليه السلام قال لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكان صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد وقال عبد الله بن أبى الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ثم نسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئته فاذا هو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاثة أنتظرك وعن أنس رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن أبى قتادة وفد للنجاشى فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه يكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم ولما جىء

يؤمن بأن الساعة حق وان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين فيساقون الى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار وأن يؤمن بالحوض المورود حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش فى الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون ويسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج المؤمنين الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته من الله عز وجل ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع

بأخته من الرضاعة الشيما في سبي هوازن بسط لها رداءه وخيرها بين المقام عنده والتوجه الى أهلها فاختارت قومها فتعها وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا على علو منصبه فمن ذلك ان الله خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد أعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال لامرأة أتته في حاجة اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس اليك حتى أقضي حاجتك فجلست وجلس وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب وحج على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة وكان يبدأ من لقيه بالسلام وعن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وكان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس انه كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت تقضي حاجتها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله وعن الربيع بن خثيم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو ساحر وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الطيبة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها وأما زهده في الدنيا فقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وكان يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا قالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية من خبز شعير يومين متواليين وقالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا قالت ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر صاع شعير في رف لي وقال اني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب بل أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وكان يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا آية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة

(الباب السادس في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أمر الله تعالى المؤمنين كافة بعد ندائهم بخطابه الشفاهي بما ذكر من الصلاة والتسليم مؤنسا بان الله وملائكته يفعلون ذلك أي انه أمركم به ليس لحاجة له الى ذلك بل لقصد تشريفكم لما آمنتم به بأمر توافقون فيه مالك الملك الاعظم تعالى وخواص خواص عباده الصالحين المكرمين مع أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هداكم الله به اليه وارشدكم على لسانه الى كل ما يزلف لديه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ليست الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة منا له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله سبحانه وتعالى

أخرج بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ويحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام عليهم فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق أهل الضلالة والبدعة فنسأل الله كمال اليقين والثبات على الدين لنا ولكافة المسلمين انه أرحم الراحمين

(فصل) في وجه التدريج الى الارشاد واعلم أن الصبي في أول نشوه مستعد لقبول الحق من غير برهان بفطرة الله تعالى فليلق اليه ترجمة العقيدة حتى يحفظ فلا يزال يفهم بعد ذلك شيأ فشيأ ويترشح في باطنه فلا يحتاج الى أن يثبت ذلك بالبراهين ثم لا يخوض العاقل في طلب البراهين الا بقدر الحاجة والحاجة فيه أن يعرض له اشكال فيتصدى لما يزيله وأما الخوض في علم الكلام على سبيل الابتداء فمثله كالقاء الرجل نفسه في البحر ليسبح فانه ربما لا يسلم اعتقاده عند الاصغاء الى الشبه نعم ينبغي أن يكون في الناس من يقوم به اذا مست

أمرنا بمكافأة من أنعم علينا وأحسن الينا فان عجزنا عن مكافأته دعونا له ان يكافئه عنا ولما عجزنا عن مكافأة سيد الاولين والآخرين أمرنا رب العالمين أن نرغب اليه وأن نصلي عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة باحسانه الينا وافضاله علينا ولا احسان أفضل من احسانه صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا رواه مسلم قال القاضي عياض رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا معناه رحمته وتضعيف أجره كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفا بين الملائكة كما جاء في الحديث وان ذكرني في ملاذ كرته في ملا خير منه والله أعلم وعن أبي بن كعب رضي الله عنه انه قال قلت يارسول الله انى أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى قال ماشئت قلت الربع قال ماشئت وان زدت فهو خير قلت النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير قال أجعل لك صلاتى كلها قال اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال النووي قوله أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائى صلاة عليك قال صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة وقال صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على نسى طريق الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كل يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله لو لم يكن للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثواب سوى أنه يرجو بذلك الشفاعة لكان الواجب على العاقل ان لا يغفل عنها فكيف وفيها مغفرة للذنوب وفيها الصلاة من الله تعالى قال واذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر العبادات تفكر فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فسائر العبادات أمر الله تعالى عباده بها وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد صلى عليه بنفسه ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه فثبت بهذا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من العبادات قال النووي رحمه الله اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما وحكى الغزالى رحمه الله فى الاحياء عن بعضهم قال كنت أكتب الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال صلى الله عليه وسلم أما تتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت قال النووي رحمه الله يستحب لقارئ الحديث وغيره ممن فى معناه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع صوته بالصلاة عليه والتسليم ولا يبالغ فى الرفع مبالغة فاحشة قال وممن نص على رفع الصوت الامام الاعظم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى وآخرون وقد نص العلماء من أصحابنا وغيرهم على أنه يستحب ان يرفع صوته بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التلبية وحكى ابن الملقن رحمه الله ان مشطاح الصوفى رحمه الله رؤى بعد موته فى المنام وكان ماجنا فقيل مافعل الله بك قال غفر لى قيل بأى شئ قال استمليت على بعض المحدثين مسندا فصلى الشيخ على النبي صلى الله عليه وسلم فصليت أنا ورفعت صوتى فصلى أهل المجلس عليه فغفر لنا ذلك اليوم وعن أبي بيان الاصفهانى رحمه الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له هلا نفعت ابن عمك الشافعى بشئ أو خصصته بشئ قال نعم سألت ربى ان لايحاسبه فقلت بم قال لانه كان يصلى على صلاة لم يصل على بمثلها قلت وما هى قال كان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وعن ابن عبد الحكم قال رأيت الشافعى فى المنام فقلت مافعل الله بك قال رحمنى وغفر لى وزففت فى الجنة كما تزف العروس ونثر على كما ينثر على العروس

الحاجة اليه فى دفع المبتدع أو ازالة شبهته

(فصل) معنى الاسلام هو الاذعان والتسليم ومعنى الايمان هو قبول القلب والله تعالى ذكرهما فى القرآن مرة فأراد بهما شيأ واحدا فقال تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن الا بيت واحد وذكرهما مرة بمعنيين مختلفين فى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا يعنى أذعنتم ولن تنشرح به صدوركم

(الباب الثالث فى أسرار الطهارة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء شطر الايمان وقال عليه السلام بنى الدين على النظافة قال تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية وللطهارة أربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث الثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام الثالثة تطهير القلب عن الاخلاق الذميمة الرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها ففى كل رتبة تخلية وتحلية والتخلية نصف العمل لكون الآخر موقوفا عليه واليه أشار بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم

فقلت بم بلغت هذا الحال فقال بقولي في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون

(فصل) في ذكر المواضع التي وردت فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بخصوصها الموضع الاول في الصلوات عن عقبة بن عمرو رضي الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال اذا صليتم علي فقولوا اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد النبي الامي وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الدارقطني الثاني بعد الاذان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي رواه مسلم الثالث عند دخول المسجد قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم صل على محمد واذا خرج قال بسم الله اللهم صل على محمد الرابع في أول الدعاء وآخره وقد أوجبه بعض العلماء عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو الله في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه وتعالى والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وروى الترمذي عن عمر رضي الله عنه انه قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شئ حتى تصلي على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم الخامس في كل مجلس وأوجب ذلك بعض العلماء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم رواه الترمذي السادس في يوم الجمعة وليلتها وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي فقالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت قال ان الله حرم على الارض أجساد الانبياء رواه أبو داود والنسائي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة علي ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا رواه البيهقي وروى عنه عليه السلام انه قال من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت ذنوبه السابع كلما ذكر وأوجبها بعض العلماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده ابواه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل ولم يصل علي ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أدلكم على خير الناس وشر الناس وأكسل الناس وأبخل الناس وألأم الناس وأسرق الناس قيل بلى يارسول الله قال خير الناس من انتفع به وشر الناس من شقي به أخوه المسلم وأكسل الناس من ارق في ليلة ولم يذكر الله بلسانه وجوارحه وألأم الناس من اذا ذكرت عنده فلم يصل علي وأبخل الناس من يبخل بالتسليم على الناس وأسرق الناس من يسرق صلاته قيل يارسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم سجودها ولا ركوعها وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أخيط شيأ في السحر فسقطت الابرة وطفي السراج فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من نور وجهه ووجدت الابرة فقلت ما أضوأ وجهك يارسول الله فقال الويل لمن لم يرني يوم القيامة قالت قلت ومن الذي لم يرك يوم القيامة يارسول الله قال البخيل قلت ومن هو البخيل يارسول الله قال الذي اذا ذكرت عنده لم يصل علي الثامن

فقوله ثم ذرهم تخلية عما سوى الله وكذلك القلب لابد من تخليته عن الاخلاق الذميمة ثم تحليته بالاخلاق المحمودة وكذلك في الجوارح لابد من تخليتها من الآثام وتحليتها بالطاعة وكل واحد من هذه المراتب شرط الخوض فيما بعده فتطهير الظاهر ثم تطهير الروح ثم تطهير القلب ثم تطهير السر فلا ينبغي أن تظن أن المراد بالطهارة تطهير الظاهر فحسب فيفوتك ما هو المقصود ولا تظن أن هذه المراتب في الظاهر تدرك بالمنى وتنال بالهوينا فانك لو شمرت له طول عمرك فربما تفوز فيه ببعض المقاصد

(فصل) في طهارة الاحداث وهي الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ونحن نورد كيفيتها بآدابها وسننها مبتدئين بقضاء الحاجة لانه سبب الوضوء (آداب قضاء الحاجة) ينبغي أن يبعد عن نظر الناظرين اليه في الصحراء وأن يستتر بشئ ان وجده ولا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وان لا يستقبل الشمس والقمر الا اذا كان في بناء والعدول في الابنية مستحب ولا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الجحر ويتوقى المواضع الصلبة ومهاب الرياح احترازا من الرشاش ويقدم

عند اللقاء والمصافحة روى ابن السني عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبدين متحابين في الله يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر التاسع عند الصباح والمساء قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة العاشر عند تعسر الامور قال صلى الله عليه وسلم من تعسر عليه شيء فليكثر من الصلاة علي فانها تحل العقد وتكشف الكرب وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله عن الفاكهاني انه روى عن الشيخ موسى الضرير رحمه الله انه ركب مركبا في البحر المالح قال فثارت علينا ريح تسمى الاقلابية قل من ينجو منها من الغرق قال فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول قل لاهل المركب يقولون ألف مرة اللهم صل على محمد صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والآفات وتقضي بها لنا جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات قال فاستيقظت وأخبرت أهل المركب بالرؤيا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثمائة مرة ففرج الله عنا تلك الشدة الحادي عشر عند كتابة اسمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وحكى ابن الملقن رحمه الله أن بعض أصحاب الحديث رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي فقيل له بماذا قال بصلاتي في كتبي على النبي صلى الله عليه وسلم الثاني عشر عند طنين الاذن روى ابن السني عن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير الثالث عشر عند خدر الرجل روى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه خدرت رجله فقال له رجل أذكر أحب الناس اليك فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم فكأنما نشط من عقال

(فصل) قال في تسهيل المقاصد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة على سائر نوافل الطاعات وفي صحيح مسلم ما يقتضي تفضيلها على الصلاة النافلة ونقل في الشفاء انها أفضل من العتق قيل والمعنى فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى عليه الله ذكره ومن ذكره حصل له بذكره الشرف واختلفوا في المعنى الذي شرع لنا أن نصلي عليه فقال النيسابوري لانه ينتفع بدعائنا ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم سلوا لي من الله الوسيلة ليعلم أن الغنى في الحقيقة هو الله تعالى وقال الحليمي يجوز أن الله تعالى جعل اعطاء الوسيلة موقوفا على دعائنا وكذلك الشفاعة قال النيسابوري وقيل ان لم يكن محتاجا الى دعائنا فنحن محتاجون الى شفاعته وأمرنا بالصلاة عليه لخطبا ليشفع لنا بها ألا ترى انه أمرنا بمدحته وبالاستغفار لاصحابه من غير حاجة لهم اليها قال النيسابوري ويقال أمرك بالصلاة عليه لانه تعالى أراد أن يمن عليك به وبك عليه والاحسن أن يقال ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هدية منك اليه والهدية توجب المكافأة والمحبة والوصلة والقرب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أكثركم علي صلاة فهو وان لم يكن محتاجا الى صلاتنا فنحن محتاجون الى التودد والتقرب اليه بهذه الهدية والتحبب رغبة في القرب منه وطمعا في المكافأة لشفاعته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيها الا اظهار المحبة كان ذلك كافيا قال بعضهم واظهار المحبة يوجب النعمة كما أن اظهار العداوة يوجب النقمة ألا ترى أن الوزغ حين نفخ النار على ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان نفخه لا يصل الى النار ولا الى قريب منها استوجب النقمة لاظهار العداوة والبغضة وقد أمر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال انه كان ينفخ على نار ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين *(مسئلة)* قال القاضي عياض رحمه الله اختلف شيوخنا في جواز الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فذهب بعضهم وهو اختيار ابن عبد البر الى انه لا يقال وأجازه غيره وهو مذهب أبي محمد بن أبي زيد وحجة الاكثر تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وليس فيها ذكر الرحمة والمختار أنه لا يذكر الرحمة *(حكايات)* جاءت في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الاولى) قال

الرجل اليسرى في دخوله واليمنى في خروجه من البناء ولا يبول قائما ولا يبول في المغتسل فانه عليه السلام قال عامة الوسواس منه ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله أو رسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس ويقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث أو من الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى في ما ينفعني ويكون في الدخول والخروج ذاكرا لله تعالى خارج بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجي في موضع قضاء الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على أسفل القضيب وان غلب عليه الوسواس فليرش الماء على سراويله وفي الخبر أنه عليه السلام فعل ذلك أعني الرش ونهى أن يستنجي بروث أو عظم ويستنجي بثلاثة أحجار ويستحب أن يجمع بين الماء والحجر واستعمال الحجر أن يضعه على المؤخر ويمر بها الى المقدم وان قدر على الادارة كان أولى والانقاء لا بد منه وبالاوتار مستحب (كيفية الوضوء) لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الغائط الا توضأ قال عليه السلام لا يحافظ على الوضوء الا مسلم وينبغي أن يبتدئ بالسواك قال عليه

ابن الملقن رحمه الله روى أن امرأة جاءت الى الحسن البصري فقالت ياشيخ توفيت لي ابنة وأريد أن أراها في المنام فقال الحسن صلي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم مرة وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة ثم اضطجعي وصلي على النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترقدي ففعلت فرأتها في المنام وهي في العقوبة وعليها لباس من قطران ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من النار فلما انتبهت جاءت الى الحسن البصري وأخبرته بالقصة فقال تصدقي لعل الله أن يعفو عنها ثم في تلك الليلة رأى الحسن في النوم كأنه في روضة من رياض الجنة ورأى سريرا منصوبا وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت له ياحسن أتعرفني فقال لا فقالت أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصدقة فقال لها الحسن بغير هذا وصفت لي حالك فقالت هو كما قالت قال فبماذا بلغت هذه المنزلة فقالت كنا سبعين ألف نفس في العقوبة كما وصفت لك والدتي فعبر واحد من الصالحين على قبورنا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة وجعل ثوابها لنا فأعتقنا الله تعالى من العقوبة ببركته وبلغ نصيبي ماقد شاهدته (الثانية) حكى أبو الليث عن سفيان الثوري أنه قال كنت أطوف فاذا أنا برجل لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له ياهذا انك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك من هذا شئ فقال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري فقال لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال خرجت أنا ووالدي حاجين الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت لأعالجه فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه اذ مات واسود وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون مات والدي واسود وجهه فجذبت الازار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت فاذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الازار عن وجهه فمر بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت ياعبد الله من أنت الذي من الله علي ووالدي بك في ديار الغربة فقال أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به مانزل فاستغاث بي وأنا غياث لمن يكثر الصلاة علي فانتبهت فاذا وجهه أبيض (الثالثة) حكى القاضي شرف الدين البارزي رحمه الله في كتاب توثيق عرا الايمان عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان أنه قال قطعنا مع الحاج سنة سبع وثلاثين وستمائة فعرضت لي حاجة في الطريق فنزلت عن راحلتي فغلبني النوم فنمت فلم أنتبه الى آخر النهار فلما انتبهت فاذا أنا في برية قفراء فهالني مارأيت فمشيت في البرية ولا أدري أين أروح ودخل علي الليل وقويت علي الوحشة والخوف واشتد علي العطش وأشرفت على التلف وعاينت الهلاك وأيست من الحياة فناديت في ظلام الليل يامحمداه يامحمداه أنا مستغيث بك فلم أتم الكلام حتى سمعت قائلا يقول لي أرشد فنظرت فاذا أنا بشخص فأخذ بيدي فزال عني ما كنت أجده من التعب والعطش وأنست به ثم سار بي ساعة فبينما أنا كذلك اذ سمعت الحاج والدليل ينادي بالناس وقد أوقد لهم نارا يهتدون بها فنظرت فاذا أنا براحلتي قدامي واقفة فصحت من فرحي بها فقال لي دونك وراحلتك ثم رفعني بيده فوضعني على راحلتي وتركني وهو يقول نحن لانخيب من طلبنا واستغاث بنا فعلمت عند ذلك أنه النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت أنواره تلوح في ظلام الليل وهو ماض صلوات الله وسلامه عليه وقد لحقني من الشدة شئ عظيم كيف لم أقبل يديه ورجليه (الرابعة) حكى عن أبي الخير الاقطع أنه قال قدمت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقمت فيها خمسة أيام ماذقت شيأ فتقدمت الى القبر الشريف وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه وقلت يارسول الله أنا ضيفك الليلة وتنحيت ونمت خلف القبر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعلي بين يديه فحركني علي وقال قم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اليه وقبلت بين عينيه فأعطاني رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وفي يدي نصفه

*(فصل

السلام صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك ثم يجلس للوضوء فيقول بسم الله الرحمن الرحيم قال عليه السلام لاوضوء لمن لم يسم الله تعالى ويقول أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة وينوي رفع الحدث أو استباحة الصلوات ويستديم النية الى غسل الوجه ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويبالغ في المضمضة والاستنشاق الا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعني على قراءة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يغرف لانفه ويستنشق بغرفة واحدة ثلاثا ويستنثر مافيه ويقول فيه اللهم أوجدلي رائحة الجنة وأنت عني راض ويقول في الاستنثار اللهم اني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ثم يغرف غرفة لوجهه ويغسل من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى مايقبل من الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ولا يجب غسل النزعتين فهما من الرأس ويجب ايصال الماء الى موضع التحذيف وهو مايعتاد النساء تنحية الشعر عنه ويجب ايصال الماء الى

(فصل في الصلاة على الانبياء) وآلهم تبعا لهم صلوات الله وسلامه عليهم من كتاب الاذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قال أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا وأما غير الانبياء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم ابتداء فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه واختلف في هذا المنع فقال بعض أصحابنا هو حرام وقال أكثرهم مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير منهم الى أنه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود قال أصحابنا والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالانبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله سبحانه وتعالى وكما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه وان كان معناه صحيحا واتفقوا على جواز جعل غير الانبياء تبعا لهم في الصلاة فيقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه للاحاديث الصحيحة في ذلك وقد أمرنا به في التشهد ولم يزل السلف عليه خارج الصلاة أيضا وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الاحياء والاموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك وعليكم وهذا مجمع عليه

(فصل) قال النووي رحمه الله يستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الاخيار فان كان المذكور صحابيا ابن صحابي قال قال ابن عمر رضي الله عنهما ليشمله وأباه جميعا قال النووي رحمه الله فان قيل اذا ذكر لقمان ومريم هل يصلى عليهما كالانبياء أم يترضى كالصحابة والاولياء أو يقول عليهما السلام فالجواب أن الجماهير من العلماء على أنهما ليسا نبيين وقد شذ من قال هما نبيان ولا التفات اليه ولا يعرج عليه فاذا عرفت ذلك فقد قال بعض العلماء كلاما يفهم منه انه يقول قال لقمان أو مريم صلى الله على الانبياء وعليه أو عليها وسلم قال لانهما يرتفعان عن حال من يقال رضي الله عنه لما في القرآن العزيز مما يرفعهما قال النووي رحمه الله والذي أراه أن هذا لا بأس به وأن الارجح أن يقال رضي الله عنه أو عنها لان هذا مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهما نبيين وقد نقل امام الحرمين اجماع العلماء على أن مريم ليست نبية ذكره في الارشاد ولو قال عليه السلام أو عليها فالظاهر أنه لا بأس به والله أعلم

(كتاب فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة أبواب)

(الباب الاول في دلائل فضل هذه الامة)

قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدلا خيارا قال الله تعالى قال أوسطهم أي خيرهم وأعدلهم وخير الاشياء أوسطها لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا أي معدلا مزكيا لكم وذلك أن الله يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانهم أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نذير فيقول من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقد سمى الله تعالى هذه الامة صالحين فقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر

منابت الشعور الاربعة الشاربان والحاجبان والهدبان والعذاران ويجب ايصال الماء الى ما يقبل من الوجه اذا كانت اللحية خفيفة دون الكثيفة وحكم العنفقة كحكم اللحية في الكثافة والخفة ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصابع في محاجر العين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما ويقول اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك وتخليل اللحية مستحب ثم يغسل يديه الى المرفقين ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة فانه روى ان الحلية تبلغ موضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمرهما الى القفا ويردهما الى المقدمة هكذا يفعل ثلاث مرات ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركتك وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد فيدخل مسبحتيه

أن الارض يرثها عبادي الصالحون أي كتبنا في الكتب المنزلة من بعد اللوح المحفوظ والمراد بالارض كل أرض فتحها المسلمون كالحجاز والعراق وغيرهما وقيل يعني أرض الجنة وقال ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ووصفها بالفلاح فقال تعالى قد أفلح المؤمنون ووصفها بالخير قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قيل معناه أنتم خير أمة وقيل معناه كنتم خير أمة في اللوح المحفوظ وقال مجاهد وعكرمة أي كنتم خير الناس للناس وقيل معناه أنتم خير أمة للناس لانكم تأمرونهم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر وتردونهم الى الاسلام وتدخلونهم الى الجنة وتمنعونهم دخول النار وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة فأرفع رأسي فأقول أمتي يارب أمتي يارب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحميرا وكما بين مكة وبصرى وقال صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة فاذا كان يوم القيامة يدفع الى كل رجل رجل من أهل الشرك فقيل هذا فداؤك رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم أمتي أمة توفي سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل وفي الصحيحين عن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار الا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو شعرة سوداء في ثور أبيض وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منهم من هذه الامة وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن وذكر الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يارب هل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي قال الله تعالى ياموسى ان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق كفضلي على جميع خلقي قال يارب ليتني رأيتهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم سمعت قال فاني أريد أن أسمع كلامهم قال الله عز وجل يا أمة أحمد فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة أحمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي وقد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد غفرت لكم قبل أن تعصوني من جاءني يوم القيامة يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسولي وعبدي جعلت الجنة مأواه وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وروى الثعلبي أيضا عن كعب الاحبار أن موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال اني أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام ياموسى فقال يارب اني أجد أمة هي الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد وقال رب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها ضعف له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت مثلها

فاجعلهم

بابهاميه على ظاهرهما ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم أعتق رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل بخنصر يده اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ من الخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند القدم اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين ويرفع الماء الى أنصاف الساقين واذا فرغ قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ويقول سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اجعلني من التوابين

فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام فقال رب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته قال ياليتني كنت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأوحى الله عز وجل اليه ثلاث آيات ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا

(الباب الثاني في أن أفضل الامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الآية والتي بعدها وقال في الثالثة والذين جاؤا من بعدهم يعني التابعين وهم يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة * في بيان أفضل الامة وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا اشرط في هذه الآية في الذين يجيئون من بعد المهاجرين والانصار أن يكونوا مستغفرين لمن سبقهم داعين لهم يسمونهم لهم اخوانا فكل من كان في قلبه غل لاحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله تعالى بهذه الآية لان الله عز وجل رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوأوا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل قالت عائشة رضي الله عنها أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقال مالك بن مغول قال عامر بن شراحيل الشعبي يامالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا تثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله تسفك دماؤهم ويفرق شملهم وتدحض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المظلمة وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من الصحابة أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية للفقراء المهاجرين والذين تبوّأوا الدار والذين جاؤا من بعدهم وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي الصحيحين أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من أحب جميع أصحابي تولاهم واستغفر لهم جعله الله يوم القيامة معهم في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم أصهارا وأنصارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اختارني واختار لي أصحابا فجعلهم أصحابي وأصهاري وأنصاري وسيأتي قوم من بعدهم يسبونهم وقال أيضا يبغضونهم فلا تجالسوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم وقال صلى الله عليه وسلم من مات من أصحابي بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر في قلوب العباد

واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا فمن فعل هذا ختم على وضوءه بخاتم ورفع له تحت العرش يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثوابه الى يوم القيامة ويكره في الوضوء أن يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في أثناء الوضوء (كيفية الغسل) أن يستنجي ويتوضأ كما سبق ويؤخر غسل الرجلين فيصب الماء على شقه الايمن ويستمر ثلاثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل الشعر ويوصل الماء الى منابت الشعر خف أو كثف فان تحت كل شعرة جنابة وليس على المرأة أن تنقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلالها ويحتفظ أن لا يمس الذكر فينتقض الوضوء وليتعهد معاطف البدن ولا ينسى النية في افتتاح الغسل والواجب في الوضوء النية عند الوجه وغسل اليدين الى المرفقين والمسح وغسل الرجلين الى الكعبين الا الموالاة ليست واجبة والاغسال الواجبة أربعة الغسل لخروج مني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعداه من الاغسال سنة كغسل الجمعة والعيدين

فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاختاره لرسالته ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلبه فاختارهم لصحبته

(الباب الثالث فى بيان أن أفضل الصحابة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والعشرة الابرار)

قال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم الآية قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قال أبو منصور البغدادى أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم أهل بيعة الرضوان وممن له مزية أهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى القبلتين فى قول ابن المسيب وطائفة وفى قول الشعبى أهل بيعة الرضوان وفى قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل النار ان شاء الله أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه حين قال دعنى أضرب عنقه يعنى حاطبا انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وعن سهيل بن مالك قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا ذلك له يا أيها الناس انى راض عن عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والمهاجرين الاولين فاعرفوا ذلك لهم يا أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وعن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعلى وعثمان فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن فى الجنة وسعد فى الجنة وسعيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة رواه النسائى والترمذى وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه الآية قال الحسن رحمه الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا على يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرين بالجنة كمثل زرع الزرع محمد رسول الله أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعنى استغلظ للاسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب استقام الاسلام بسوقه يعجب الزراع قال المؤمنون ليغيظ بهم الكفار قول عمر لاهل مكة بعد ما أسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أرحم أمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عز وجل عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد وأقرؤهم أبى وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح رواه معمر عن قتادة مرسلا وفيه وأقضاهم على رضى الله عنه

(الباب الرابع فى بيان أن أفضل السابقين الخلفاء الاربعة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابى أربعة فجعلهم خير أصحابى وفى كل أصحابى خير أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض عليكم الصلاة والصيام والحج فمن أبغض أحدا منهم أدخله الله النار وعن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وأعتق بلالا من ماله وحملنى الى دار الهجرة رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيثما دار قال الشيخ موفق الدين بن قدامة رحمه الله وهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون الذين وعدهم الله بالاستخلاف ورضى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهم قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية لا يجوز أن تحمل الآية على استخلاف غيرهم لان وعد الله حق لا يجوز الخلف عليه وما وجد الاستخلاف بعد النبى صلى الله عليه وسلم مع الشروط المذكورة فى الاخبار المأثورة فى جماعة

والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ودخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير جنب والمجنون اذا أفاق وان غسل ميتا فالكل مستحب فافهم تغنم (كيفية التيمم) من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانع عن الوصول اليه من سبع وحائل وحابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو عطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبع الا بأكثر من ثمن مثله أو كان به جراحة أو مرض يخاف من استعمال الماء فساد العضو أو شدة الضنا فيصبر حتى يدخل عليه وقت الصلاة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين و يضرب عليه يديه ضاما بين أصابعه و ينوى استباحة الصلاة و يمسح بها وجهه كله مرة واحدة ولا يتكلف ايصال التراب الى منابت الشعور بحال و يستوعب بشرة وجهه بالتراب أو الغبار و يحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ثم ينزع خاتمه و يضرب ضربة ثانية لليد يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من

غيرهم كوجودها فيهم سيما وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مدة خلافتهم وحث على سنتهم ووصفهم بصفاتهم وسماهم بأسمائهم

(الباب الخامس في بيان أن أفضل الاربعة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما)

عن علي كرم الله وجهه قال كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين ثم قال لا تخبرهما يا علي رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم أنا الاول وأبو بكر الثاني وعمر الثالث وقال علي ان امارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا وقال صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبرائيل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بني أولا تعلم قلت لا قال أبو بكر قلت ثم من قال يا بني أولا تعلم قلت لا قال ثم عمر قال ثم بدرته قلت يا أبت ثم أنت قال يا بني أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم رواه البخاري وعن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن علي رضي الله عنه أنه قال لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر الا جلدته الحد وقال علي في خطبته ألا ان خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر بن الخطاب

(الباب السادس في بيان أن أفضل الاربعة أبو بكر رضي الله عنه)

قال الله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا قال الشعبي عاتب الله أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض وقال الحسين بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكار نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر رضي الله عنه ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام ومودته لا تبقين في المسجد خوخة الا خوخة أبي بكر وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة كلمته في شئ فأمرها أن ترجع اليه قالت يا رسول الله أرأيت ان جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال ان لم تجديني فأتي أبا بكر وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين وقال عمر رضي الله عنه والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر وقال وددت لو أني شعرة في صدر أبي بكر وقال لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الارض لرجح ايمان أبي بكر بايمان أهل الارض وقال ألا ان أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر فمن قال غير ذلك بعد يومي هذا فهو مفتر عليه وعليه ما على المفتري وقال علي رضي الله عنه خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعن أبي يحيى قال سمعت عليا رضي الله عنه يحلف لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق يعني قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به الآية وقال ابن عمر رضي الله عنهما كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وقال أبو الدرداء رآني النبي صلى الله عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين على

الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعد اليمنى الى المرفوع ثم يقلب كفه اليسرى على باطن ساعد اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وعرض هذا التكليف الاستيعاب بضربة واحدة ولا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة ان تعذر بضربة وله أن يصلي بالتيمم فرضا واحدا وما شاء من النوافل (فصل) يستحب التنظيف من الاوساخ التي تكون على الرأس وفي الاذن وفي الانف وتنظيف الرواجب وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ ويكره تأخير تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة لاكثر من أربعين يوما ويدخل الحمام بشرط أن يستر عورته ويحذر من الاطلاع على عورات الناس وينوي بالدخول التنظيف لاجل الصلاة ويقول عند دخوله ما يقول عند دخول بيت الماء وكذلك عند الخروج واذا أراد تقليم الاظفار ابتدأ بمسبحة يده اليمنى ويختم بابهامه اليمنى وابتدا في اليسرى بالخنصر الى الابهام وينبغي أن يكتحل وترا روى أنه عليه السلام كان يكتحل في اليمنى ثلاثا

أفضل من أبي بكر الصديق وقال صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي واختلفوا في سبب تلقيب أبي بكر رضي الله عنه بعتيق على ثلاثة أقوال أحدها ماروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت اني جالسة ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في فناء البيت اذ أقبل أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر والثاني أنه اسم سمته به أمه قاله موسى بن طلحة والثالث أنه سمي به لجمال وجهه وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اجتمع المهاجرون والانصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه وعيشك يارسول الله اني لم أسجد لصنم قط فغضب عمر رضي الله عنه وقال يقول وعيشك يارسول الله اني لم أسجد لصنم قط وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة فقال أبو بكر رضي الله عنه ان أبا قحافة أخذ بيدي فانطلق بي الى مخدع فيه الاصنام فقال لي هذه آلهتك الشم العلى فاسجد لها وخلاني وذهب فدنوت من الصنم وقلت اني جائع فأطعمني فلم يجبني فقلت اني عطشان فاروني فلم يجبني فقلت اني عار فاكسني فلم يجبني فأخذت صخرة وقلت اني ملق عليك هذه الصخرة فان كنت الها فامنع نفسك منها فلم يجبني فألقيت الصخرة عليه فخر لوجهه وأقبل والدي فقال ماهذا يابني فقلت هذا الذي ترى فانطلق بي الى أمي فأخبرها فقالت دعه فهذا الذي ناجاني به الله فقلت ياأماه وما ناجاك به الله فقالت ليلة أصابني المخاض ولم يكن عندي أحد سمعت هاتفا يقول أسمع الصوت ولاأرى الشخص ياأمة الله على التحقيق ألا أبشري بالولد العتيق اسمه في السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق قال أبو هريرة رضي الله عنه فلما انقضى كلام أبي بكر رضي الله عنه نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال صدق أبو بكر فصدقه ثلاث مرات ومن فضائله رضي الله عنه أن الله أعطاه من عنده مثل ما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسة أشياء * الاول انه سبحانه وتعالى قال لنبيه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال لابي بكر ولسوف يرضى * الثاني أنه قال لنبيه ونيسرك لليسرى وقال لابي بكر فسنيسره لليسرى * الثالث ان جبريل نزل على أبي بكر بالسلام كما نزل بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال يامحمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال ياجبريل أنفق ماله على قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال على ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض الرابع ان الله ساوى بينه وبين نبيه في الصحبة في الغار قال الله تعالى اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه * الخامس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع الوحي فيغشى عليه وكان أبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فسمعه أبو بكر رضي الله عنه فغشي عليه ومن فضائله رضي الله عنه أنه أسلم على يده من العشرة المشهود لهم بالجنة خمسة عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ومن فضائله رضي الله عنه أنه تنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والاسلام روى عن أبي العالية قال سئل أبو بكر رضي الله عنه في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شربت خمرا في الجاهلية قال أعوذ بالله قالوا ولم قال كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي لانه من شرب كان لعرضه ومروءته مضيعا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبو بكر وقال ربيعة بن كعب كان اسلام الصديق شبيها بالوحي وذلك لانه كان تاجرا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب فقال من أين أنت قال من مكة قال من أيها قال من قريش قال أي شئ أنت قال تاجر قال ان صدق الله رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته فأسر الصديق رضي الله عنه حتى بعث سيد الاولين والآخرين فجاءه فقال ما الدليل على ماتدعي فقال الرؤيا التي رأيتها بالشام فعانقه وقبل بين عينيه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك نبي الله ورسوله

وفي اليسرى اثنين ليكون الجميع وترا ولا ينبغي أن يكون فعل من أفعالك خاليا عن نوع ترتيب لابحسب الاتفاق فهو الفرق بين البهائم والآدمي فالبهيمة تتحرك كيفما اتفق والآدمي كيفما أمر وختان الولد ينبغي أن يتأخر عن اليوم السابع من الولادة مخالفة لليهود قال عليه السلام الختان سنة للرجال مكرمة للنساء قال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لايأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شئ حسن ويكره في اللحية الخضاب بالسواد والتبييض بالكبريت ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعا للرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم بالمراجل أولئك لاخلاق لهم

(الباب الرابع في أسرار الصلاة ومهماتها وفيه فصول)

(فصل في صلاة الجماعة والاذان وغيرهما) فضيلة الاذان قال عليه السلام ثلاث يوم القيامة على كثيب من مسك أذفر ولايهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مابين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله

(الباب السابع قد تبين بما سبق من الاحاديث أن أفضل الاربعة بعد أبي بكر عمر رضي الله عنهما ونحن نذكر شيأ من فضائله زيادة على ماسبق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في المراد بمحدثون فقال ابن وهب ملهمون وقيل مصيبون اذا ظنوا وقيل تكلمهم الملائكة وجاء في رواية مكلمون وقال البخاري يجري الصواب على ألسنتهم وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الاسلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أتيت فضلي عمر بن الخطاب فقالوا فما أولته يارسول الله قال العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه وقال علي رضي الله عنه ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر وقال ابن مسعود رضي الله عنه مازلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا ان اسلام عمر كان فتحا وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة وقد نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي تحريم الخمر وفي مقام ابراهيم وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر ودون الدواوين في العطاء ورتب الناس فيه على سوابقهم وهو الذي نور شهر الصوم بصلاة التراويح فيه وأرخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس الى اليوم وهو أول من سمي بأمير المؤمنين وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظا ياعمر

(الباب الثامن في بيان فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه)

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وقال علي رضي الله عنه كان عثمان أوصلنا للرحم وكان من الذين اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في مكة حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان الله مقمصك قميصا فان أراد المنافقون أن تخلعه لهم فلا تخلعه ولا كرامة يقولها مرتين وثلاثا رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة قال يقتل فيها هذا المقنع مظلوما قال فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان رواه أحمد والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة غفر الله له فأتى عثمان صاحبها وكان يهوديا فاشترى منه نصفها باثني عشر ألفا وقال لصاحبها اختر ان شئت نصبت لي دلوا ونصبت أنت لك دلوا وان شئت كان لك يوم ولي يوم فقال اليهودي بل يكون لي يوم ولك يوم فكان الناس يستقون في يوم عثمان ليومين فقال اليهودي أفسدت على نصيبي فاشتر بقيتها مني فاشتراه منه بثمانية آلاف درهم وسبلها للمسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فاشتراه عثمان فجعله في المسجد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سقى شربة من ماء حيث يوجد الماء كان كمن أعتق رقبة ومن سقى شربة حيث لا يوجد الماء كان كمن أحيا نفسا فكل من شرب من بئر رومة الى يوم القيامة فلعثمان بكل شربة عتق رقبة

(الباب التاسع في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة تبوك فقال يارسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقال علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي أن لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق وعن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه والله أنت مني وأنا منك وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي

تعالى ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة ورجل أذن للصلاة وقال عليه السلام يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل المراد من قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله المؤذنون فاذا سمعت الاذان فقل مثل مايقول الا في الحيعلتين فانك تقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند الفراغ اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته (فضيلة المكتوبة) قال عليه السلام الصلوات كفارات لما بينهن مااجتنبت الكبائر وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال عليه السلام الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين ويروى أول ماينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله (فضيلة اتمام الاركان) قال عليه السلام مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال عليه السلام ان

مولاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكان آخر الثلاثين خلافة علي رضي الله عنه وقال محمد بن الحنفية كنا مع علي رضي الله عنه وعثمان محصور فأتاه رجل فقال ان أمير المؤمنين مقتول الساعة فقام علي فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال خل لا أبا لك فأتى علي الدار وقد قتل عثمان فأتى داره وأغلق بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا فقالوا ان عثمان قد قتل ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك فقال لهم علي لا تريدوا فاني أكون لكم وزيرا خير من الامير قالوا لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك قال فان أبيتم علي فان بيعتي لا تكون سرا ولكن أخرج الى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني قال فخرج الى المسجد فبايعه الناس وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا قال عمر أنا هو يا رسول الله قال لا ولكن خاصف النعل فابتدرنا ننظر من هو فاذا هو علي رضي الله عنه يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن عطية وقد علم المؤمنون أن عليا رضي الله عنه هو الذي قاتل أهل التأويل وقد كانت خلافة علي رضي الله عنه مذكورة في كتب الله المتقدمة فان كعبا روى عن حبر من أحبار اليهود انه سأله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من يلي بعده الخلافة قال العدل أبو بكر قلت فمن يلي بعده قال قرن من حديد عمر بن الخطاب قلت فمن يلي بعده قال الحيي الستير عثمان قلت فمن يلي بعده قال الهادي المهدي علي بن أبي طالب

(الباب العاشر في كف اللسان عن ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد منهم بسوء)

قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم قالت عائشة رضي الله عنها أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بين أصحابي فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم اياي ثم يستن بها قوم من بعدهم يدخلون النار بسببها وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال مالك من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا قال سفيان بن عيينة ليس في الارض صاحب بدعة الا وهو يجد ذلة تغشاه لقوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين فهي لكل مفتر ومبتدع الى يوم القيامة قال الامام أبو حامد رحمه الله في الاحياء وروي عن ابراهيم النخعي أنه سئل عن القتال الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم فقال تلك دماء قد سلمت منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا وحكي في الاحياء أيضا عن عوف بن عبد الله أنه دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعظك بشيء فقال ماذا فقال اياك والكبر فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى ثم قرأ اهبطا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل قابيل أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده فسلمت عليه وجلست فبينما أنا جالس اذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وحكي عن

الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وانما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال عليه السلام أسوأ الناس سرقة من سرق من صلاته (فضيلة الجماعة) قال عليه السلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة وقال ابن عباس من سمع المنادي ولم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال عليه السلام من صلى أربعين يوما الصلاة في جماعة لا يفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار (فضيلة السجود) وقال عليه السلام ما تقرب العبد الى الله تعالى بشيء أفضل من السجود الخفي وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة قال أعني بكثرة السجود وقال أبو هريرة أقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك (فضيلة الخشوع) قال تعالى أقم الصلاة لذكري وقال عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأسف وندم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال عليه السلام اذا صليت صلاة

بعض الصالحين انه قال حججت الى بيت الله الحرام فوافيت فى الحرم رجلا ذكر لى انه لا يشرب الماء قال فسألته عن ذلك فقال أنا أخبرك بسبب ذلك أنا رجل من أهل الحلة من الطائفة المتشيعة نمت ليلة فرأيت كأن القيامة قد قامت والناس فى كرب شديد وشدة عطش فأصابنى عطش عظيم فأتيت حوض النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت عليه أبابكر وعمر وعثمان وعليا رضى الله عنهم وهم يسقون الناس فأتيت عليا رضى الله عنه لأدل عليه ومحبتى له وتقدمى اياه ليسقينى فأعرض بوجهه عنى فأتيت أبابكر فأعرض بوجهه عنى فأتيت عمر فأعرض بوجهه عنى فأتيت عثمان فأعرض بوجهه عنى رضى الله عنهم والنبي صلى الله عليه وسلم واقف فى المحشر يذود الناس فأتيته فقلت يارسول الله أصابنى عطش عظيم فأتيت عليا ليسقينى فأعرض عنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يسقيك وأنت تبغض أصحابى فقلت يارسول الله مالى من توبة قال نعم أسلم من جديد وتب حتى أسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبدا فأسلمت وتبت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فناولنى كأسا فشربته فاستيقظت وأنالم أجد عطشا وبقيت على ذلك ان شئت شربت وان شئت لا أشرب فعند ذلك مضيت الى أهل الحلة وتبرأت منهم الا من أجاب ورجع وأنا الى الآن ماشربت الماء منذ عشرين سنة ويشهد لصحة هذه الحكاية حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوضى أربعة أركان فأول ركن منها فى يد أبى بكر رضى الله عنه والركن الثانى فى يد عمر رضى الله عنه والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على رضى الله عنه فمن أحب أبابكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبابكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على وعن أبى قلابة قال كنت فى رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول ياويلاه النار فقمت اليه فاذا رجل مقطوع اليدين من المنكبين والرجلين من الحقوين أعمى منكب لوجهه فقلت ياعبد الله مالك قال كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت امرأته وأقبلت عليها فلطمتها فنظر الى عثمان فقال مالك سلب الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك نار جهنم فأخذتنى رعدة شديدة فخرجت هاربا من دعوته فلما صرت بموضع هذا البلاء أتانى آت فصنع بى ماترى فقد استجاب الله له فما بقى من دعائه الا النار قال أبو قلابة فهممت أن أطأه برجلى فقلت بعدا لك وسحقا وحكى أن رجلا مضى الى الحج فبلغ بغداد وكان يطلب من يودعه وديعة فرأى شيخا على دكان فدنا منه وعرض عليه تلك الوديعة فامتنع الرجل فحرص صاحب الوديعة وقال قل مايكون مثل هذا الرجل فقال الشيخ ان كان لابد أن أقبل وديعتك فبلغ منى رسالة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقل له لولا عندك هذان الرجلان بجنبك لزرتك كل سنة فقضى الحاج حتى حج ورجع الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يختلج فى صدره تلك الرسالة فنعس فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه مع أصحابه فقال بلغ رسالة الرجل قال فانتبهت من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضأت وصليت ركعتين ونمت فرأيت ثانيا وثالثا مثل الاول فقلت يارسول الله أنت أعلم بما قال ذلك الملعون قال نعم ولكن أد أمانته عنك قلت قال الرجل لولا هذان الرجلان بجنبك لزرتك كل سنة قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فغاب على ساعة ثم جاء ومعه الرجل البغدادى آخذا بريق قميصه فقال لى هل هو هذا قلت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى اضرب عنقه فسل على سيفه فضرب عنقه فقطر من دمه قطرة على قميصى ففزعت فانتبهت وجئت الى رحلى وكتبت التاريخ لذلك اليوم وتلك الساعة ثم أتيت بغداد وطلبت دار ذلك الشيخ الذى عنده الوديعة فجئت الى باب داره فرأيت رجلا فاستخبرت عنه فقال غاب فطلبناه فوجدناه فى خربة بغير رأس وذلك بتاريخ كذا وكذا وهو بالتاريخ الذى أثبته بالمدينة فأخبرته بالقصة فبلغ الخبر الى الخليفة فأمر مناديا ينادى ببغداد وفى سائر البلدان لاتسبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (وصية) عباد الله اذكروا نعمة الله عليكم اذ أرسل خير خلقه اليكم فعرفكم مصالح الامور ونصحكم نصحا تأمنون به من الغرور ولا تنسوا فضل الصحابة الابرار السادة الاخيار الذين فتحوا لكم البلاد وأوضحوا لكم سبل الرشاد

فصل صلاة مودع أى مودع لنفسه مودع لهواه سائر الى مولاه وقال عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا واعلم أن الصلاة مناجاة فكيف تمكن مع الغفلة وقال عليه السلام لا ينظر الله الى صلاة لم يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم عليه السلام اذا قام الى الصلاة سمع وجيب قلبه من ميلين

(فضيلة المسجد) قال عليه السلام من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة قال تعالى ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يختار المسجد فاشهدوا له بالايمان قال أنس من أسرج سراجا فى المسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوء

(فصل فى كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة) ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث والقلب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما البتة فانه عليه السلام نهى عن الصفن والصفد فى الصلاة والصفد

فأكثروا من الاستغفار لهم وأحسنوا الظن بهم وتوسلوا الى ربكم أن يجعلكم من حزبهم وقيدوا وبحكم الله ألسنتكم عن سبهم وطهروا قلوبكم من بغضهم والاستنقاص بهم فوالله ما يبغضهم الا ملحد ولا يستنقص بهم الا من عن تحقيق الايمان قد أبعد فيا مبغض الصديق من غير علم ولا استبصار أما سمعت قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار ويا مبغض الفاروق بجهله المبين أما سمعت قول رب العالمين فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ويا أيها الرافضي المجرم أما سمعت الاحاديث المروية في صحيح البخاري ومسلم في فضل أبي بكر وعمر أتقدر أن تنكرها يا من غلب عليه الافتراء والشر أما بلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم المطهر فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر كم في فضلهما من حديث رواه علي عن سيد البشر كحديث جئت أنا وأبو بكر وعمر أما بلغك ما رواه محمد بن الحنفية عن أبيه أن ما خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من الصحيح الذي لا طعن فيه كم من مفصح بفضلهما من الصحابة والتابعين أتستطيع أن تنكر ذلك يا مسكين كم من مكثر في مدحهما من فصحاء الشعراء هل عندك في ذلك شك أو مراء ويحك أتريد أنت وأصحابك الاغمار ابطال قول السادة الاخيار ومخالفة المصطفى المختار ومعارضة الملك الجبار في قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار يا من رفض الحق واتبع الهوى ودسائس الشيطان تيقظ من غفلتك وتب الى الرحمن وتذلل بين يدي الملك الديان وقل بقلب خال عن الغش والعدوان ولسان طاهر من اللغو والبهتان ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان

(كتاب فضل الاولياء وكراماتهم وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول في فضلهم)

قال الله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم قيل ان أولياء الله هم المؤمنون لقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة بخلقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي على دنياهم أي لا خوف عليهم في ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله اياهم في أولادهم وأخراهم لانه وليهم ومولاهم وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله قال الذين اذا رؤوا ذكر الله ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم لهم البشرى في الحياة الدنيا أي عند الموت بأن يرى مكانه في الجنة وفي الآخرة هي الجنة وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وروى البخاري رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أحب الي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه روي استعاذني واستعاذ بي بالنون والباء وآذنته بالحرب أعلمته بأني محارب له وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره أي لو حلف على وقوع شئ لأوقعه الله اكراما له باجابة سؤاله وقيل معنى القسم هنا الدعاء وأبره أجابه والله أعلم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدلاء أمتي أربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى بقرنين في الاصفاد والصفد هو رفع احدى الرجلين ويطرق رأسه ويغض بصره على مصلاه ويحضر النية ولا بأس بقراءة قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان وينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدي فرض الظهر لله ليميز بقوله أؤدي عن القضاء وبقوله الظهر عن العصر والفرض عن النفل ويجتهد في استدامة ذلك الى آخر التكبير ويحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة أذنيه وبرؤس أصابعه رؤس أذنيه فذلك جمع بين الاخبار الواردة ولا يتكلف في أصابعه ضما ولا تفريجا ويكبر مع حضور النية كما سبق ويرسل يديه مع التكبير ويضع اليمنى على اليسرى فوق السرة وتحت الصدر ويكون اليمنى كالمحمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول ساعد اليسرى ويقبض بالبنصر والخنصر على كوع اليسار ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقيب قوله الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم وجهت وجهي الى قوله وما أنا من المشركين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان

ان لله تعالى فى الارض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة واذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الامة وذكر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجعل مكان ابراهيم جبرائيل ومكان جبرائيل ميكائيل ومكان ميكائيل اسرافيل ومكان اسرافيل عزرائيل صلوات الله عليهم أجمعين قال الشيخ الامام عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانه من الاولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم وقال بعضهم لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه فى جملة الانبياء والملائكة والاولياء اذ لم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق والامر أعز وألطف وأشرف من قلبه عليه الصلاة والسلام فقلوب الملائكة والانبياء والاولياء بالاضافة الى قلبه كاضافة سائر الكواكب الى كمال نور الشمس وقال الشيخ العارف أبو الحسين النورى رحمه الله شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصرى رحمه الله ركضت أرواح الانبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا صلى الله عليه وسلم أرواح سائر الانبياء الى رياض الوصال وروى عن على رضى الله عنه انه قال البدلاء فى الشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والاوتاد بسائر البلدان والخضر عليه السلام سيد القوم وروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه انه قال ان لله عبادا يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلا على مثل قلب ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم أنهم لا يسبون شيأ ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد فى السقوف العليا ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وهذا بعض كلامه قال اليافعى رحمه الله وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله يقال أخلاق الابدال عشرة أشياء سلامة الصدور والسخاوة فى المال وصدق اللسان وتواضع النفس والصبر فى الشدة والبكاء فى الخلوة والنصيحة للخلق والرحمة للمؤمنين والتفكر فى الاشياء والعبرة بالاشياء وقال الحسن لولا الابدال لخسفت الارض بمن فيها ولولا الصالحون لفسدت الارض ولولا العلماء لصارت الناس مثل البهائم ولولا السلطان لاكل الناس بعضهم بعضا ولولا الحمقى لخربت الارض ولولا الريح لانتن ما بين السماء والارض وعن أبى عثمان المغربى رضى الله تعالى عنه انه قال العارف تضىء له أنوار العلم فيبصر بها عجائب الغيب وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لرجل أتحب أن تكون لله وليا قال نعم قال لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك وقال الشيخ أبو نصر السراج رضى الله عنه الناس فى الادب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح بالعهود وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر وحسن الادب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب وكان أحمد بن حنبل عند الشافعى رضى الله تعالى عنهما فجاء شيبان الراعى فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله ان أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض

الرحيم ويبتدئ بقراءة الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين وبعدها ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين ويقرأ فى الصبح بطوال المفصل وفى المغرب بقصاره وفى الباقى من الصلوات نحو والسماء والطارق ونحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفى الصبح فى السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية (الركوع) ثم يركع فيراعى فيه أمورا أن يكبر فى الركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع ويمد التكبير الى الانتهاء الى الركوع ويضع راحتيه على ركبتيه وأصابعه منشورة على طول الساق وينصب ركبتيه ويمد ظهره مستويا ويكون عنقه وظهره ورأسه كالصفحة الواحدة وان يجافى مرفقيه عن جنبيه بخلاف المرأة ويسبح ثلاثا والزيادة حسن للمنفرد ثم يرتفع الى القيام وينتصب مطمئنا قائلا سمع الله لمن حمده ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شىء بعد ولا يطول القيام الا فى صلاة الصبح للقنوت والسجود ثم يهوى الى السجود مكبرا مادا تكبيره الى الانتهاء الى السجود فيضع ركبتيه وجبهته ويضع كفيه

العلوم فقال له الشافعي لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ماتقول فيمن سها عن صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها فما الواجب عليه ياشيبان فقال شيبان يا أحمد هذا قلب غفل عن الله عز وجل فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه فغشي على أحمد وفي رواية أخرى فالواجب أن يؤدب باعادة الخمس فلما أفاق الامام أحمد قال له الامام الشافعي ألم أقل لك لا تحرك هذا وفي رواية أخرى انه سأله عن الزكاة أيضا في كم تجب فقال شيبان أما على مذهبكم تجب في الابل في كذا وكذا وفي البقر في كذا وكذا وفي الغنم في كذا وكذا وفي الفضة في كذا وكذا وفي الذهب في كذا وكذا وفي الزرع والثمار في كذا وكذا وأما على مذهبي فالكل له وكان فقيه من أكابر الفقهاء حلقته بجنب حلقة الشبلي في جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلي فسأل أصحاب أبي عمران يوما الشبلي عن مسئلة في الحيض وقصدوا أخجاله فذكر مقالات الناس في تلك المسئلة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلي وقال يا أبا بكر استفدت في هذه المسئلة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندي من جملة ماقلت ثلاثة أقاويل وقال بعضهم حضرت مجلس أبي العباس بن شريح فتكلم في الفروع والاصول بكلام حسن عجبت منه فلما رأى اعجابي قال أتدري من أين هذا هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد وقيل لابي القاسم الجنيد ممن استفدت هذه العلوم فقال من جلوسي بين يدي الله عز وجل ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأشار الى درجة في داره وقال رحمه الله لو علمت أن لله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا واخواننا لسعيت اليه ولقصدته وقال أيضا ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وروى أن الامام أحمد رحمه الله كان مع جلالة قدره يكثر التردد الى بعض الصوفية العارفين فقيل له أتتردد الى هذا وأنت أنت وفي رواية عند هذا الشيخ فقال عنده رأس الامر تقوى الله عز وجل أو قال معرفة الله عز وجل

(الباب الثاني في اثبات كرامات الاولياء)

قال الشيخ الامام الزاهد عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله تعالى ظهور الكرامات على الاولياء جائز عقلا واقع نقلا أما جوازه عقلا فانه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الانبياء هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الاصوليين والفقهاء والمحدثين وتصانيفهم ناطقة بذلك ثم القول الصحيح المحقق المختار عند جمهور المحققين من أهل السنة ان كل ماجاز للانبياء من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدي ولا يصح قول من يقول ان ذلك يؤدي الى الالتباس بين الكرامات والمعجزات لان المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها والكرامة يجب على الولي أن يخفيها ويسرها الا عند ضرورة أو اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية يقين بعض المريدين كما فعل بعضهم غرف عسلا من الجو ووضعه في مريد وآخر أرى غيره الكعبة من بلاد بعيدة وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة تطوف به قال اليافعي رحمه الله وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف به طوافا محققا حقيقة قال ورأيت بعض من شاهد ذلك من الثقات الاتقياء بل من السادات العلماء وماذهب اليه الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني رحمه الله من اثبات بعض الكرامات دون بعض فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور وأما وقوع ذلك نقلا فقد جاء في القرآن والاخبار والآثار بالاسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد فمن ذلك ما أخبر الله عن مريم رضوان الله عليها بقوله عز وجل كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وقوله سبحانه لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان في غير أوان الرطب كما جاء في التفسير وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب على يد الخضر مع موسى عليه السلام وكذلك قصة ذي القرنين وتمكين الله سبحانه له مالم يمكنه لغيره وكذلك قصة أصحاب الكهف والاعاجيب التي ظهرت عليهم رضوان الله عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك وكذلك قصة آصف بن برخيا رضي الله عنه مع سليمان صلى الله عليه وسلم في

مكثا وثنتين على الارض أولا وركبتيه ثم يديه ثم يضع أنفه مع جبهته مع تجافي مرفقيه عن جنبيه بخلاف المرأة ويفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك ويكون محوّيا ولا تكون المرأة محوّية ويضع يديه حذاء منكبيه ولا يفرج بين الاصابع ولا يفرش ذراعيه على الارض كما يفرش الكلب فانه منهي عنه ويقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا ولا بأس بالزيادة للمنفرد ويرفع من السجود مكبرا فيطمئن جالسا على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه ولا يتكلف ضم الاصابع ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني وعافني واعف عني ويأتي بالسجدة الثانية كما سبق ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه ويمد التكبير الى انتهاء القيام (التشهد) ثم يتشهد في الركعة الثانية وفي التشهد الاول يجلس على الرجل اليسرى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكون أصابعه اليمنى مقبوضة الا المسبحة فيشير بها عند قوله لا اله الا الله وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور ويجلس على وركه ويقول عند الفراغ السلام عليكم ورحمة الله

عرش بلقيس فى قوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء ومن ذلك فى الحديث المشهور فى الصحيحين حديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل فى المهد حين قال له ياغلام من أبوك قال فلان الراعى ومن ذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وهو حديث صحيح مذكور فى الصحيحين ومن ذلك ماجاء فى الصحيحين فى أبى بكر الصديق مع ضيفه الذى قال فيه وأيم الله ما أكلنا لقمة الاربى من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ومن ذلك مافى الصحيحين أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك فى أمتى أحد فانه عمر ومن ذلك ماصح عن عمر رضى الله عنه أنه قال ياسارية الجبل فى حال خطبته فى يوم الجمعة فبلغ صوته الى سارية فى ذلك الوقت فتحرز من العدو فى مكان من الجبل فى تلك الساعة فكان فى ذلك لعمر كرامتان احداهما ماكشف له عن حال سارية وأصحابه المسلمين وحال العدو والثانية بلوغ صوته الى سارية فى بلاد بعيدة ومن ذلك حديث خبيب المشهور وهو فى صحيح البخارى ومن ذلك حديث البخارى فى أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما الذى قال فيه خرجنا من عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله ومن ذلك ماجاء أن ابن عمر رضى الله عنهما قال للاسد الذى منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب فمشى الناس فقال ابن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خوف الله منه كل شئ ومن ذلك ماجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه فى غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الاعظم ومشى على الماء فان قيل مابال الصحابة رضى الله عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل مااشتهر عن الاولياء بعدهم فالجواب ماأجاب به أحمد بن حنبل رحمه الله لما قيل له ياأبا عبد الله ان الصحابة لم يروعنهم من الكرامات ماقد روى عن الاولياء والصالحين فكيف هذا فقال أولئك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة شئ يقوون به وغيرهم كان ايمانه ضعيفا لم يبلغوا ايمان أولئك فقووا باظهار الكرامات لهم وفى هذا المعنى قال بعض الشيوخ فى كرامات مريم كانت فى بدايتها يتعرف اليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوى ايمانها وكمل يقينها ردت الى السبب وقيل لها وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه وكل نبى ظهر كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته قال ثم هذه الكرامات قد تكون اجابة دعوة وقد تكون اظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمن عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخليصا من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الافعال الناقضة للعادة انتهى فان قيل تشتبه الكرامات بالسحر فالجواب ماأجاب به العلماء المحققون أن السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالاحكام الشرعية ومتابعة السنة وأما الاولياء فهم الذين بلغوا فى متابعة السنة واحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا فافترقا والناس فى الكرامات مختلفون فمنهم من ينكرها مطلقا وهؤلاء أهل مذهب معروف وعن التوفيق مصروف ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الاولياء الذين ليسوا فى زمانه كمعروف وهؤلاء كما قال الشاذلى والله ماهى الا اسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم أدركوا زمنه ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولا يصدق بأحد معين من أهل زمانه فهؤلاء محرومون أيضا لان من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد نسأل الله التوفيق ذكر هذا جميعه الامام عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى وعن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يابنية مامن الناس أحب الى غنى بعدى منك ولا أعز على فقرا منك وانى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جددتيها وحزتيها كان لك وانما هو اليوم مال

وبركاته ويلتفت يمينا بحيث يرى خده وكذلك يفعل شمالا وينوى الخروج من الصلاة وينوى السلام على من عن يمينه وعن يساره من الملائكة والمسلمين ولا يمد السلام (تمييز الفرائض والسنن) الفرض من جملة ماذكرناه اثنا عشر النية وقول الله أكبر والقيام والفاتحة والانحناء فى الركوع الى أن ينال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول

(فصل فى الشروط الباطنة من اعمال القلب) فمنها الخشوع قال تعالى أقم الصلاة لذكرى وقال عليه السلام كم قائم حظه من الصلاة التعب والنصب واعلم أن الصلاة انما هى ذكر وقراءة ومناجاة ومحاورة وذلك لايكون الا بحضور القلب وتمامه يحصل بالتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء وعلى الجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور فاذا سمعت الاذان ينبغى أن يستحضر القلب هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف

وارث وانما هما أخواك أو أختاك فاقسموه على كتاب الله قالت عائشة يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته انما
هي أسماء فمن الاخرى فقال ذو بطن بنت خارجة أراها جارية و بنت خارجة زوجته وكانت حاملا حين
توفي فولدت بعده أم كلثوم فزوجها طلحة بن عبيد الله وعن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه حين بعث جيشا
وأمر عليهم رجلا يدعى سارية قال فبينما عمر يخطب وهو على المنبر جعل يصيح ياسارية الجبل ياسارية
الجبل ياسارية الجبل فلما قدم رسول الجيش فسأله قال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا وان الصائح
ليصيح ياسارية الجبل فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى و روى أنه لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو
ابن العاص حين دخل بؤنه من أشهر العجم فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم
وما ذاك فقالوا اذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلون من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها
وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فيه فقال عمرو هذا لا يكون في الاسلام فان
الاسلام يهدم ما قبله وكتب الى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب اليه انك قد أصبت فان الاسلام يهدم ما قبله واني
قد بعثت اليك ببطاقة فألقها في النيل فلما وصلت البطاقة الى عمرو فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين عمر
الى نيل مصر أما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك
فنسأله أن يجريك فألقاها فيه فأجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر
الى اليوم وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله أتيت زمزم فاستقيت منها عسلا وأتيتها فاستقيت منها لبنا وأتيتها
فاستقيت منها ماء وعن سعد بن أبي عروبة قال غم على الناس هلال شهر رمضان قال فخرج الحسن البصري
وقال اللهم ان كانت ليلته فبينه قال فانجلى عنه الغيم حتى نظر اليه الناس وعن عامر بن عبد قيس أنه مر بقافلة
قد حبسهم أسد فقالوا له يا أبا عبد الله انا نخاف عليك من الاسد قال انما هو كلب من كلاب الله ان شاء الله أن
يسلطه سلطه وان شاء أن يكفه كفه فمشى اليه حتى أخذ أذنه فنحاه عن الطريق وجازت القافلة وقال اني
أستحي من ربي عز وجل أن يرى من قلبي أني أخاف غيره وعن ثابت البناني رحمه الله قال كنت مع مصعب
ابن الزبير في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا اله الا هو اليه المصير فاذا
رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمانية فقال اذا قلت يا غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر ذنبي واذا
قلت وقابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي واذا قلت شديد العقاب قل يا شديد العقاب لا تعاقبني فاذا
قلت ذي الطول فقل يا ذا الطول تطول على منك برحمتك فالتفت فلم أر أحدا فرجعت الى الباب فقلت هل
مر بكم رجل عليه مقطعات يمانية قالوا ما رأينا أحدا وكانوا يرون أنه الياس عليه السلام وقيل ان عتبة
الغلام دعا ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا دعا ربه أن يمن عليه بصوت حزين ودمع غزير وطعام من
غير تكلف فكان اذا قرأ بكى وأبكى فكانت دموعه جارية دهره وكان يأوي الى منزله فيصيب قوته ولا يدري
من أين يأتيه وقيل ان رابعة كانت تطبخ قدرا فاشتهت بصلا فجاء طير في منقاره بصلة فألقاها اليها وكان
أبو معاوية الاسود قد عمي وكان اذا أراد أن يقرأ نشر المصحف رجع بصره اليه فاذا أطبقه ذهب بصره وحكى
النووي رحمه الله في كتاب البستان أن امرأة أبي مسلم الخولاني قالت له ليس لنا دقيق قال هل عندك شئ
قالت درهم بعنا به غزلا قال ابغينه وهات الجراب فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام فوقف عليه
سائل فقال يا أبا مسلم تصدق علي فهرب منه وأتى حانوتا آخر فتبعه السائل فقال يا أبا مسلم تصدق علينا فأضجره
فأعطاه الدرهم ثم عمد الى الجراب فملأه من نجارة النجارين مع التراب ثم أقبل الى باب منزله فنقر الباب وهو
مرعوب من أهله فلما فتحت الباب رمى الجراب وذهب واذا فيه دقيق حواري فعجنت وخبزت فلما ذهب من
الليل الهوى جاء أبو مسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خوانا وأرغفة حوارى فقال من أين لكم هذا
قالت يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به فجعل يأكل ويبكي واسم أبي مسلم عبد الله بن ثوب وكان رحل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ولما ادعى الاسود بن

يوم العرض الاكبر فان
وجدت قلبك مملوأ بالفرح
والاستبشار مشغوفا
بالابتداء فسيكون في ذلك
النداء كذلك قال عليه
السلام أرحنا يا بلال اذ
كانت قرة عينه في الصلاة
والطهارة طهارة السر عما
سوى الله فبها تتم هذه
الصلاة فانك ان سترت العورة
بالثياب فالذي يستر
عورتك في الباطن عن الله
فتأدب بين يدي الله واعلم
أنه يطلع عليك وعلى سرك
فتواضع بظاهرك وباطنك
وانظر لوقفت بين يدي الملك
كيف تكون ولا نسبة بينه
تعالى وتقدس وبين الملوك
فالكل عبيده فاذا فعلت ذلك
فلا تكون كاذبا في قولك
وجهت وجهي وفي قولك
حنيفا مسلما وما أنا من
المشركين وقولك صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله
فاحذر أن يكون هذا كذبا
فيكون سبب هلاكك
وينبغي تذكر كبرياء الله
وعظمته عند ركوعك
وسجودك وتعلم ذلك
بصغارك والله برحمته أهلك
لمناجاته فلا أقل من التأدب
والحضور بقلبك بين
يديه قال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى مقبل على المصلي
مالم يلتفت فاحفظ ظاهرك
وباطنك عن الالتفات وقال
عليه السلام ان العبد ليصلي
ولا يكتب له من صلاته
لا نصفها ولا ثلثها ولا خمسها
ولا سدسها ولا عشرها
وانما يكتب للرجل من

قيس العنسى الكذاب النبوة باليمن بعث الى أبى مسلم الخولانى رضى الله عنه فلما جاءه قال أتشهد أنى رسول الله فقال ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأججت وألقى فيها أبا مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلى الى سارية فبصر به عمر رضى الله عنه فقام اليه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن قال ما فعل الذى حرقه الكذاب بالنار قال ذلك عبد الله بن ثوب قال نشدتك الله أنت هو قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكى ثم ذهب به حتى أجلسه ما بينه وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الرحمن قال النووى رحمه الله وقوله لا أسمع يحتمل وجهين أحدهما معناه لا أقبل هذا والثانى أنه على ظاهره وان الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل قال وهذا أظهر

(الباب الثالث)

قال القرطبى فى تفسيره اختلف الناس هل يجوز أن يعلم الولى أنه ولى أم لا على قولين أحدهما أنه لا يجوز وأن ما يظهر على يديه يجب أن يلاحظه بغير خوف المكر لانه لا يأمن أن يكون مكرا واستدراجا له وقد حكى عن السرى رحمه الله أنه كان يقول ان رجلا دخل بستانا فكلمه من رأس كل شجرة طير بلسان فصيح وقال السلام عليك يا ولى الله فلو لم يخف أن يكون ذلك مكرا كان ممكورا به ولانه لو علم أنه ولى لزال عنه الخوف وحصل له الامن ومن شرط الولى أن يستديم الخوف الى أن تنزل عليه الملائكة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا ولان الولى من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة ولا يدرى أحد ما يختم له به ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال بالخواتيم القول الثانى انه يجوز للولى أن يعلم أنه ولى ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم يجوز أن يعلم أنه ولى ولا خلاف أنه يجوز لغيره أن يعرفه أنه ولى لله فجاز له أن يعلم ذلك وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن حال العشرة من أصحابه أنهم من أهل الجنة ولم يكن فى ذلك زوال خوفهم بل كانوا أكثر تعظيما لله وأشد خوفا وهيبة واذا جاز للعشرة من أصحابه ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك غيرهم وكان الشبلى يقول أنا أمان هذا الجانب فلما مات ودفن عبر الديلم الدجلة فى ذلك اليوم واستولوا على بغداد ويقول الناس مصيبتان موت الشبلى وعبور الديلم ولا يقال انه يحتمل أن يكون ذلك استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز أن لا يعرف النبى أنه نبى وولى لله لجواز أن يكون ذلك استدراجا فلما لم يجز ذلك لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا لان فيه ابطال الكرامات وما روى من ظهور الكرامات على يد بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله فانسلخ منها فليس فى الآية أنه كان وليا ثم انسلخت عنه الولاية وما نقل انه أظهر على يده ما يجرى مجرى الكرامات هو أخبار آحاد لا توجب العلم والله أعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامات من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما تظهر من غير دعوى والمعجزة ما تظهر عند دعوى الانبياء فيطالبون بالبرهان ليظهر أثر ذلك

(الباب الرابع فى الخضر عليه السلام)

كنيته أبو العباس واسمه بليا بن ملكان وسبب تلقيبه بالخضر انه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفروة وجه الارض واختلف العلماء هل هو نبى أم ولى واختلفوا أيضا هل هو حى أم ميت وصحح أبو عمرو بن الصلاح والنووى رحمهما الله تعالى أنه حى قيل سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم ويصومان شهر رمضان ببيت المقدس وقيل أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهم السلام قيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر

صلاته ما عقل منها وقال بعضهم ان العبد يسجد السجدة عنده ان يقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله تعالى وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(فصل فى القدوة والامامة) قال عليه السلام الائمة ضمناء ولا ينبغى أن يتقدم على قوم يكرهونه وما دام يقدر المريد على اختيار الاذان لا يختار الامامة فانه أسلم والاصح ان الامامة أفضل لمن يستقل بأعبائها وكذلك داوم عليه السلام وينبغى أن يراعى أوقات الصلاة فيصلى فى أوائل الاوقات فأول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله ورضوان الله أولى من عفو الله وينبغى أن يكون له ثلاث سكتات هكذا نقل عنه صلى الله عليه وسلم أولها عند الاسرار بدعاء الاستفتاح وهى الاولى الثانية بعد قراءة الفاتحة وقبل افتتاح السورة وهى نصف الاولى والثالثة بعد الفراغ من السورة وقبل الهوى للركوع وهى أخفها ولا ينبغى أن يسابق المأموم الامام بل لا يهوى للركوع ما لم يستقر الامام فى الركوع وهكذا فى جميع الاركان وقيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة

موكل بالبحار و وروى أن موسى عليه السلام قال للخضر عليه السلام بماذا أطلعك الله تعالى على ما أطلعك
من الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله تعالى و وروى أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال
لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به قال وهب بن منبه وكان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل
ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فتعجبت منه الملائكة فاشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن
له فأتاه في صورة بني آدم فقال له من أنت فقال أنا ملك الموت استأذنت ربي ان أصحبك قال فلي اليك حاجة قال
ماهي قال تقبض روحي فأوحى الله اليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة ثم قال له
لي اليك حاجة أخرى قال وماهي قال ترفعني الى السماء لأنظر اليها والى الجنة والنار فأذن له في رفعه
فلما قرب من النار قال حاجة أخرى تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال وكما أريتني النار
فأرني الجنة فذهب به الى الجنة واستفتح ففتح له أبوابها فدخلها ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود الى مقرك
فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى
يقول كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وماهم منها بمخرجين
فلست أخرج فأوحى الله اليه أي ملك الموت باذني دخل وبأمري لا يخرج فهو حي هناك وأما الياس عليه
السلام فروى أنه كان قد بعث الى بني اسرائيل فرأى منهم أذى شديدا ورأى أنهم لا يزدادون الا طغيانا
فسأل ربه أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون أنظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فما جاءك
من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي أمر أقبل فرس من نار وقيل
لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فركب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقذف
اليه بكسائه من الجو الاعلى وكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل فكان ذلك آخر العهد به ورفع
الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا
والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الراوي لا أعلمه الا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء
الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله ما كان من
نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله قال ابن عباس رضي الله عنهما في الكلمات التي يقولهن
الخضر والياس عليهما السلام من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات أمنه الله من الغرق والحرق
والسرق قال الراوي وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب

(قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي ليسوا بأعجب آياتنا فان
ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب والكهف هو الغار في الجبل والرقيم لوح
كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم وكان من رصاص قال محمد بن اسحق بن يسار عظمت الخطايا في
أهل الانجيل وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وفيهم بقية على دين المسيح وكان فيهم ملك من الروم
يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فنزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس
فلما نزلها كبر على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فاتخذ دقيانوس أعوانا من الكفار يتتبعون أهل
الايمان فيجيئونه بهم فيخيرهم بين القتل وعبادة الاصنام فمنهم من رغب في الحياة ومنهم من أبى أن يعبد غير الله
فيقتل ويصلب على سور المدينة حتى عظمت الفتنة فرأى ذلك فتية من أشراف الروم فحزنوا حزنا شديدا
وقاموا واشتغلوا بعبادة الله عز وجل والتضرع اليه فبينما هم على ذلك وقد دخلوا في مصلى لهم جاءهم
الاعوان فوجدوهم سجدا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فأخبروا دقيانوس بشأنهم
فبعث اليهم فأتي بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم اختاروا اما أن تذبحوا

بصلاة واحدة بخمس
وعشرين صلاة وهم الذين
يكبرون ويركعون بعد
ركوع الامام وطائفة
بصلاة واحدة وهم الذين
يساوونه وطائفة بلا صلاة
وهم الذين يسبقون الامام
وقد اختلفوا في أن الامام
هل ينتظر في ركوعه لحوق
من دخل لينال فضل الجماعة
ولعل الاولى لا بأس به مع
الاخلاص اذا لم يظهر
تفاوت ظاهر ويقول في قنوت
صلاة الصبح اللهم اهدنا
والقوم يؤمنون الى قوله
انك تقضي ولا يقضى عليك
فاذا انتهى اليه فالقوم
يوافقونه سرا في القراءة
أو يقولون أشهد

(فصل في فضل الجمعة وآدابها وسننها وفرائضها)

قال النبي صلى الله عليه
وسلم من ترك الجمعة ثلاثا
من غير عذر طبع على قلبه
وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام
وراء ظهره وفي حديث
أنس عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال أتاني
جبرائيل وفي كفه مرآة
بيضاء وقال هذه الجمعة
يفرضها عليك ربك لتكون
لك عيدا ولامتك من بعدك
قلت فما لنا فيها قال لكم
فيها خير ساعة من دعا فيها
بخير قسم له أعطاه الله سبحانه
اياه أو ليس له قسم ذخر
له ما هو أعظم منه وهو سيد
الايام عندنا ونحن ندعوه
في الآخرة يوم المزيد قلت
ولم قال ان ربك عز وجل

لآلهتنا وأما أن أقتلكم فقال مكسلمينا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا أى جورا فقال أصحابه مثل قوله فلما قالوا ذلك قال لهم انى أراكم شبابا حديثة أسنانكم ولا أرى أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم حتى أخرجوا ثم ان الفتية عمد كل واحد الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما كان معهم وتبعهم كلب حتى أتوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس فلبثوا فيه يعبدون الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا وكان يبتاع لهم أرزاقهم سرا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا فلبثوا فى ذلك مدة ثم ان تمليخا جاءهم يوما وهو يبكى ومعه طعام قليل وأخبرهم أنهم قد ذكروا ففزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع وطعموا وذلك مع غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكرون بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه فى باب الكهف فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فأرسل الى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم فقالوا له أما نحن فلا نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فخلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فألقى الله عز وجل فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم أراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد وقال دعوهم يموتون فى الكهف جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد أصابه ما أصابهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين من بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم فى لوحين من رصاص وجعلاهما فى تابوت من نحاس وجعلاه فى البنيان وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ثم مات دقيانوس هو وقومه وقرون بعده كثيرا قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بندوسيس وبقى فى ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ودخل بيته وأغلق عليه بابه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا وجعل يتضرع الى الله ويقول رب قد رأيت اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الله عز وجل أراد ان يظهر أمر الفتية ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب العبده الصالح بندوسيس ويتم نعمته عليه فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف فيبنى حظيرة لغنمه ففعل وفتح باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب ثم ان الله عز وجل محيى الموتى أذن للفتية أن يجلسوا فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة يصلون كعادتهم لا يرى فى وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا فهم يرون ان ملكهم دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قال بعضهم لبعض لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما لانهم كانوا دخلوا الكهف عند طلوع الشمس واستيقظوا عند غروبها فلما رأوا بقية من الشمس قالوا أو بعض يوم فلما رأوا طول أظفارهم وشعورهم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة وتسمع ما يقال فينا وابتع لنا طعاما ووضع تمليخا ثيابه وأخذ الثياب كأخفاف الابل فانطلق فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر ولم يبال بها ثم أتى المدينة مستخفيا

اتخذوا دياقى الجنة أفيح من المسك الابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم واعلم أنها لا تنعقد الا باربعين ذكرا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا وينبغى أن لا تكون مسبوقة بأخرى الا فى بلدة كبيرة وتعذر اجتماع الناس فى جامع واحد فيجوز اثنان وثلاثة بقدر الحاجة والخطبتان فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفى الاولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية الصلاة على رسول الله والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة آية من القرآن وكذلك الثانية فرائضها أربعة الا أنه يجب فيها الدعاء بدل القرآن واستماع الخطبتين واجب من الاربعين وأما السنن فاذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام ولا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويستحب فيه الثياب البيض والطيب والغسل والبكور مستحب قال النبى صلى الله عليه وسلم من راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا

لايراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس قد هلك قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما أتى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لاهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهرا فيها فتعجب من ذلك ثم تحول الى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك وجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالتى كان يعرفها ورأى ناسا لم يكن رآهم قط فتعجب من ذلك وقال لعلى حالم ثم يرى انه ليس بنائم ثم دخل المدينة فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فتعجب من ذلك وقال فى نفسه والله ما أدرى ماهذا أما عشية أمس فليس على ظهر الارض انسان يذكر عيسى بن مريم الا قتل والغداة أسمع كل انسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرف ثم لقى فتى فقال له ما اسم هذه المدينة فقال أفسوس فقال فى نفسه لعل بى جنونا ثم دنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال بعنى بهذه طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضربها ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا فلما رآهم تمليخا يتشاورون فى أمره فزع فزعا شديدا وظن أنهم عرفوه وأنهم يريدون ان يذهبوا به الى الملك دقيانوس فقال لهم قد أخذتم ورقى فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لى به فقالوا له من أنت يافتى والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فأرناه اياه وشاركنا فيه نخفى عليك ماوجدت وان لم تفعل نأت بك الى السلطان فيقتلك فلما سمع قولهم جعل لا يدرى ما يقول لهم فلما رأوه لا يتكلم جعلوا كساءه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة حتى يسمع به من فيها وهو ساكت ثم انطلقوا به الى رئيسى المدينة اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر أسطيوس فنظرا الى الورق فتعجبا منه ثم قال أحدهما أين الكنز التى وجدت يافتى فقال ماوجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدرى ماشأنى وما أقول لكم فقيل له من أنت قال تمليخا وأنا من أهل هذه المدينة قالوا فمن أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا يعرف أباه فقال أحدهما أتظن انا نرسلك ونصدقك ان هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانى سآمر بك فتعذب عذابا شديدا حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدته فقال لهم تمليخا أنبئونى عن شئ حتى أسألكم منه فان فعلتم صدقتكم قالوا سل قال مافعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك منذ زمان طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا لحيران وما أحد يصدقنى من الناس بما أقول ولقد كنا فتية وان الملك أكرهنا على عبادة الاوثان فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشترى طعاما وأتجسس الاخبار فانطلقوا معى الى الكهف الذى فى جبل بنجلوس أريكم أصحابى فلما سمع أريوس مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا يرينا أصحابه فانطلقوا معه فلما سمع الفتية الاصوات وجلبة الخيل ظنوا أنهم رسل دقيانوس فبينماهم كذلك لم يروا الا أريوس وأصحابه وقفوا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل عليهم وأخبرهم وقص عليهم نبأه فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما باذن الله تعالى ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ثم دخل أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فدعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أسماء الفتية وأنهم هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله الذى أراهم آية البعث فيهم ثم دخلوا على الفتية فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية ثم أنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى الملك

آقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شئ تفصيل الساعات الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وينبغى أن لايتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم ويجلس بحيث لا يمر أحد بين يديه ويطلب الصف الاول فاذا فرغ من الصلاة فيذكر الله كثيرا ويجلس مراقب الساعة التى فى يوم الجمعة ويكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام أكثروا الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر يعنى يوم الجمعة وليلتها ويستحب الصدقة فى هذا اليوم خاصة ويستحب أن لايجلس اذا دخل المسجد حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن مائتى مرة قل هو الله أحد وان قدر على أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فلا يشتغل فيه بشئ من أشغال الدنيا فانها كفارة لما بين الجمعتين وروى أن من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه

الصالح بندوسيس أن اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها الله آية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فركب الملك وأهل المدينة حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية بندوسيس فرحوا به وخروا سجدا لله تعالى على وجوههم وقام بندوسيس واعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبندوسيس نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وحفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فأمر الملك ان يجعل كل واحد منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه فى المنام فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من التراب والى التراب نعود فاتركنا فى الكهف كما كنا على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وجعل الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما يؤتى كل سنة والله أعلم روى الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل أنا من القليل وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وساريونس وذونوانس وكفشيطينونس والكلب اسمه قطمير تمت بعون الله وحسن توفيقه

(قصة اسكندر ذى القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا قيل انه كان نبيا والاكثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا وسمى بذى القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وكان اسمه اسكندر انا مكنا له فى الارض قال على رضى الله عنه سخر له السحاب فحمله عليها ومد له فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وآتيناه من كل شئ يحتاج اليه الخلق سببا السبب ما يوصل الشئ الى الشئ وقال الحسن بلاغا الى حيث أراد فاتبع سببا أى سلك وسار طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حامية أى حارة وقرئ حمئة بالهمزة من غير مد أى ذات حمأة وهى الطينة السوداء قال القتيبى يجوز أن يكون معنى قوله فى عين حمئة أى عندها أو فى رأى العين ووجد عندها قوما قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من زعم انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه والاصح انه لم يكن نبيا والمراد منه الالهام اما ان تعذب يعنى اما أن تقتلهم ان لم يدخلوا فى الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا يعنى تعفو وتصفح قال أما من ظلم أى كفر فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه أى فى الآخرة فيعذبه عذابا نكرا أى منكرا يعنى النار وهى أنكر من القتل وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس أى موضع طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن وقتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك انهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقوله كذلك أى كما حكم فى القوم الذين هم عند مغرب الشمس حكم فى الذين هم عند مطلعها وقد أحطنا بما لديه أى بما عنده ومعه من الجند والآلات خبرا أى علما ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين أى الجبلين وجد من دونهما قوما أى امام السدين لا يكادون يفقهون قولا أى لا يفقهون كلام أحد قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج هم من أولاد يافث بن نوح وقيل ان آدم احتلم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج وقال قتادة هما اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة وهم الترك وسموا الترك لانهم تركوا خارجين وروى عن حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وهم ثلاثة أصناف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم عرضه وطوله

ويحرم بعد طلوع الفجر الا اذا كانت الرفقة تفوت

(فصل فى النوافل) ولا ينبغى أن يترك النوافل فهى جوابر للفرائض والفرض رأس المال والنوافل بمنزلة الربح ولا يترك الرواتب كما عرف ولا يترك صلاة الضحى وهى ركعتان أو أربعة أو زيادة ولا يترك التهجد واحياء ما بين العشاءين وركعتى الصبح فانهما خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتهما بطلوع الصبح الصادق وهو المستطير دون المستطيل

(فصل) فى صلاة العيدين وصلاة العيدين سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ويراعى فيه عدة أمور الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع فى صلاة العيد وتكبير يوم النحر ويفتتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر فى أكمل الاقوال ويكبر عقيب الصلاة المفروضة وقيل عقيب النوافل أيضا ويستحب الغسل والتزين عند الخروج ويستحب اخراج الصبيان والعجائز ويستحب أن يخرج من

سواء عشرون ومائة ذراع في السماء وهؤلاء لا يقوم بهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق و بحيرة طبريه وعن علي رضي الله عنه أنه قال منهم من هو طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول قوله عز وجل قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض قال الكلبي فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا شيأ يابسا الا احتملوه ولقوا منهم أذى شديدا وقتلا وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا أي جعلا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا أي حاجزا فلا يصلون الينا قال ما مكني فيه ربي خير من جعلكم فأعينوني بقوة أي أعينوني بأبدانكم وقوتكم أجعل بينكم وبينهم ردما أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطع الحديد فأتوا بها وبالحطب فجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين أي طرفي الجبلين قال انفخوا أي في النار حتى اذا جعله نارا أي صار الحديد نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا من أسفله لشدته وصلابته قال أي ذو القرنين هذا أي السد رحمة أي نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي قيل يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكاء أي مدكوكا مستويا مع وجه الارض وكان وعد ربي حقا وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فاستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فينبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيهلكون وان دواب الارض لتسمن وتسكر من لحومهم شكرا وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهرزور وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا وثلاثين سنة والله أعلم

(قصة حبيب النجار رحمه الله تعالى)

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية وهي أنطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام قال العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين الى مدينة أنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فلما سلما عليه قال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فأتاهما بابن له مريض منذ سنين فمسحاه فقام في الوقت باذن الله عز وجل صحيحا قال وهب بعث عيسى هذين الرجلين الى أنطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا ولما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينظرهما فدخل شمعون البلدة وتنكر وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني عنك أنك حبست رجلين حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك أن يدعوهما حتى يطلع الملك على ما عندهما فدعاهما فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون صفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا

طريق ويرجع من طريق ويستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس الا بعذر المطر ووقت الصلاة فيهما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر يوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها وليخرج الناس مكبرين واذا بلغ الامام المصلى لا يجلس ولا يتنفل ويقطع الناس التنفل وينادى منادا الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات ويقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرأ ق واقتربت الساعة والتكبيرات الزائدة في الثانية خمسة ويخطب بعد الصلاة خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها فاذا فرغ من الصلاة يستعجل بالتضحية وقد ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي وقال عليه الصلاة والسلام من

ما تمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا حدقتين فتعجب الملك وقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك الشرف فقال الملك ليس لي دونك سر ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وقال الملك للرسولين ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فأتاهما بميت قد مات منذ سبعة أيام وقد أنتن فجعلا يدعوان ربهما وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت باذن الله وقال اني قد مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في تسعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء ورأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك لما علم وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي لله كثيرا ويتضرع اليه حتى ظنوا أنه على ملتهم فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره في الحال ودعاه فآمن الملك وآمن قوم وكفر آخرون وقال ابن اسحق ووهب بل الملك لم يؤمن ولم يصدقهم فاجتمع هو وقومه على قتل الرسل وبلغ ذلك حبيبا فجاء يسعى اليهم ويذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين قال وهب اسمهما يحنا وبولس فكذبوهما فعززنا فقوينا بثالث هو شمعون وانما أضاف الله الارسال اليه لان عيسى عليه السلام انما بعثهم بأمره فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم ان ذكرتم وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره ان ذكرتم تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان مؤمنا ذا صداقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصف فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين قال قتادة كان حبيب النجار في غار يتعبد به فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه وقال لما انتهى الى الرسل أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فأقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فلما قال ذلك قالوا أنت مخالف لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكان عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق أأتخذ من دونه آلهة استفهام بمعنى الانكار أي لا أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود رضي الله عنه وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقطعوه وقال الحسن خرقوه خرقا في حلقه فعلقوه بسور المدينة وقبره بأنطاكية فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال فلما أفضى الى الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين أي تمنى أن يعلم قومه ان الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل قيل ما ترك نصح قومه حيا ولا ميتا فلما قتلوه غضب الله وعجل لهم النقمة فأمر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده أي من بعد قتله من جند من السماء يعني الملائكة وما كنا منزلين أي ما كنا نفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان أيسر مما يظنون ثم بين عقوبتهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون أخذ جبريل عليه السلام بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون

(كتاب الطهارة وفيه ستة أبواب)

رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيأ

(فصل) في صلاة الكسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلاة فاذا خسف الشمس والقمر نودي الصلاة جامعة ويصلي الامام في المسجد ركعتين فيركع في كل ركعة ركعتين أوائلهما أطول من أواخرهما ويجهر ويستحب أن يمد الصلاة الى انكشافهما

(فصل في صلاة الاستسقاء) فيأمر الناس بصيام ثلاثة أيام وما استطاعوا من الصدقة والتوبة والخروج من المظالم ثم يخرج بهم اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف صلاة العيد ويصلي بهم ركعتين مثل صلاة العيد سواء ثم يخطب خطبتين وينبغي في الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الحالة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على اليسار وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الحالة وفي هذه الساعة سرا ثم

(الباب الاول فى فضل الوضوء)

قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عطاء رحمه الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء من الاحداث والنجاسات وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الطهور شطر الايمان قيل المراد من الايمان الصلاة كما فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس وانما جعل الطهارة نصف الصلاة لان الصلاة لا تصح الا بالشرائط والاركان وأقوى الشرائط الطهارة وجعلت الطهارة كأنها الشرط كله وقيل يحتمل أنه جعلها نصف الايمان على وجه الاتساع وذلك لان الايمان هو الداعى الى الصلاة والحامل عليها والطهور هو السبيل اليها ولان الايمان طهارة عن الشرك والطهور طهارة عن الاحداث فهما طهارتان احداهما تختص بالباطن والاخرى بالظاهر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط رواه مسلم الاسباغ الاتمام والمكاره الشدائد وهو البرد الشديد ومراده ايصال الماء الى موضع الفرائض والسنن من غير نقصان عند شدة البرد وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا دخل الجنة وفى الصحيحين عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرات ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه قال النووى رحمه الله تعالى انما قال صلى الله عليه وسلم نحو وضوئى ولم يقل مثل وضوئى لان حقيقة مماثلته صلى الله عليه وسلم لا يقدر عليها غيره والمراد بالغفران الصغائر دون الكبائر وفيه استحباب صلاة ركعتين فأكثر عقيب كل وضوء وهو سنة مؤكدة قال جماعة من أصحابنا وتفعل هذه الصلاة فى أوقات النهى وغيرها لان لها سببا واستدلوا فيه بحديث بلال المخرج فى صحيح البخارى انه كان متى توضأ صلى وقال انه أرجى عمل له انتهى كلام النووى وخالف فى الاحياء فى هذه وقال الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سببه قال النووى رحمه الله ولو صلى فريضة أو نافلة مقصودة حصلت هذه الفضيلة كما تحصل تحية المسجد بذلك قال وأما قوله لا يحدث فيهما نفسه المراد به لا يحدث بشئ من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة ولو عرض له حديث فأعرض عنه بمجرد عروضه عفى عن ذلك وحصلت له فائدة الفضيلة ان شاء الله تعالى لان هذا ليس من فعله وقد عفى لهذه الامة عن الخواطر التى تعرض ولا تستقر وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه اناء من ماء فقال لى يا أنس ادن منى أعلمك مقادير الوضوء فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أن غسل يديه قال بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله فلما استنجى قال اللهم حصن لى فرجى ويسر لى أمرى فلما أن تمضمض واستنشق قال اللهم لقنى حجتى ولا تحرمنى رائحة الجنة فلما أن غسل وجهه قال اللهم بيض وجهى يوم تبيض الوجوه فلما أن غسل ذراعيه قال اللهم اعطنى كتابى بيمينى فلما أن مسح يده على رأسه قال اللهم غشنا برحمتك وجنبنا عذابك فلما أن غسل قدميه قال اللهم ثبت قدمى يوم تزل الاقدام ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا ما من عبد قالها عند وضوئه لم يقطر من خلل أصابعه قطرة الا خلق الله منها ملكا يسبح الله تعالى

يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها اى نزعوا الثياب ويقول اللهم كما أمرتنا بدعائك ووعدتنا باجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك فى سقيانا وسعة رزقنا برحمتك يا أرحم الراحمين

(الباب الخامس فى أسرار الزكاة)

قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله الآية والمراد به منع الزكاة والزكاة احدى مبانى الاسلام واحدى أركانه الخمس وقال أبوذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال عليه السلام الاكثرون هم الاخسرون ورب الكعبة قلت من هم قال عليه السلام الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما انفدت أخراها عادت أولاها حتى يقضى بين الناس وهذا الحديث فى الصحيحين مخرج والله أعلم

بسبعين لسانا يكون ثواب ذلك التسبيح له الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

(الباب الثاني في آداب الوضوء الباطنة)

اعلم أنك اذا أردت أن تتوضأ فانك تريد زيارة ربك عز وجل فينبغي لك أن تتوب من جميع ذنوبك لان الله تعالى جعل الغسل بالماء علامة للغسل من الذنوب فابدأ بتسمية الله تعالى فاذا تمضمضت وطهرت فمك بالماء فطهر لسانك من الكذب والغيبة والنميمة فان لسانك انما خلق لذكر الله تعالى وتلاوة كتابه ولترشد به خلق الله الى طريقه وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله فيه فان جوارحك نعمة من الله تعالى عليك والاستعانة بنعم الله على معصيته غاية الكفران وفي الحديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوي بها في جهنم سبعين خريفا واذا استنشقت بالماء وأزلت ما في منخريك من الاذى فطهرهما من أن تشم بهما محرما كطيب مغصوب وطيب النساء الاجنبيات الحسان فانه حرام كما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة واذا طهرت وجهك بالماء فطهر نظرك من ثلاث أن تنظر به الى محرم أو الى مسلم بعين الاحتقار أو الى عيب مسلم فانما خلقت العينان لتهتدي بهما في الظلمات وتستعين بهما في الحاجات وتنظر بهما الى عجائب ملكوت الارض والسموات وتعتبر بما فيهما من الآيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة الى يوم يلقاه واذا طهرت يديك بالماء فطهرهما من أن تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما مالا حراما أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظه عما يجب حفظ اللسان منه واذا مسحت رأسك بالماء فاعلم أنك انما تفعل ذلك امتثالا لامر الله تعالى فان العبادات كلها لها معان فان الشرع لا يأمر بعبث وقد يفهمه المكلف وقد لا يفهمه فالحكمة في الصلاة الخضوع واظهار الافتقار الى الله تعالى وفي الصوم كسر النفس وفي الزكاة مواساة المحتاج وفي الحج اقبال العبد أشعث أغبر من مسافة بعيدة الى بيت الله كاقبال العبد الى مولاه ذليلا ومما لا يفهم معناه السعي والرمي ومسح الرأس فكلف العبد بهما ليتم انقياده اذ لا حظ للنفس في هذا النوع ولا أنس للعقل به فلا يحمل عليه الا مجرد الامتثال واذا مسحت أذنيك بالماء فطهرهما من الاصغاء الى بدعة أو غيبة أو خوض في باطل فانهما لم يخلقا الا لتسمع بهما كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه واذا طهرت رجليك فطهرهما من المشي الى حرام والسعي بهما الى أبواب الظلمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة الا يسئل عنها ما أراد بها وقال العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا وقال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا قيل معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده قال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم من أحد الا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن لك رقيبا على عينيك وأنت تنظر بهما الى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا على سائر الاعضاء وعن شكل بن حميد رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعوذا أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل اللهم أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني

(الباب الثالث في بيان المواضع التي يستحب بها الوضوء)

روى أحمد باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا أن أشق على أمتي لامرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ على طهر كتب الله له به

(فصل وأسباب وجوب الزكاة باعتبار متعلقاتها ستة) زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن المعشرات وزكاة الفطر (الاول زكاة النعم) ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ فتجب في مال الصبي والمجنون (وأما المال) فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال فالاول أن يكون نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم وأما المتولد من الشاة والظباء والخيل والحمير فلا زكاة فيها وينبغي أن يكون نصابا كاملا أما الابل فلا شئ فيها حتى تبلغ خمسا وفيها شاة جذعة من الضأن وهي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم تكن في ماله فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين

عشر حسنات وروى أحمد عن المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه أنه سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه وقال انه لم يمنعني أن أرد عليك الا اني كرهت أن أذكر الله الا على طهارة وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن الحديث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة وروى مسلم عنها أنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان جنبا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وروى مسلم أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ وروى مسلم أيضا عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من لحوم الغنم قال ان شئت فتوضأ وان شئت فلا تتوضأ قال انتوضأ من لحوم الابل قال نعم قال الامام أحمد رحمه الله يجب الوضوء من أكل لحوم الابل وهو قول للشافعي في القديم وهو عند الاكثرين منسوخ أو محمول على غسل اليد والفم لان لحم الابل له زهومة ليست لغيره من اللحم لكن يستحب الوضوء منه وفي كل موضع أوجب فيه بعض العلماء الوضوء وروى أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ أما الغسل فلانه قد يلحقه رشاش من غسالة الميت وأما الوضوء فلاحتمال خروج ريح وهو لا يشعر به فيتوضأ احتياطا وقيل معنى فليتوضأ فليكن على وضوء عند حمله ليتهيأ له الصلاة عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وحكي عن بعض الصالحين انه توضأ في الليلة التي مات فيها ثمانين مرة حرصا على أن يموت وهو متوضئ

(الباب الرابع في ذم الوسواس وغير ذلك من المسائل النافعة)

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء فاراه ثلاثا ثلاثا وقال هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وروى ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال له لا تسرف فقال يارسول الله أفي الماء اسراف قال نعم وان كنت على نهر جار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء رواه أبو داود وقال زين العابدين لابنه يوما يابني اتخذ لي ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة فاني رأيت الذباب يسقط على الشئ ثم يقع على الثوب ثم انتبه فقال وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاثوب واحد فتركه قال الشيخ موفق الدين بن قدامة رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة لادخرها الله لرسوله وأصحابه وهم خير الخلق وأفضلهم ولو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوسين لمقتهم ولو أدركهم عمر رضي الله عنه لضربهم وأدبهم ولو أدركهم أحد من الصحابة لبدعهم وقيل كان بعض الصوفية يتوسوس في وضوئه وكان يكثر صب الماء فقال كنت ليلة من الليالي أجدد الوضوء لصلاة العتمة وكنت أصب الماء على نفسي حتى مضى شطر الليل فلم تطب نفسي ولم يذهب الوسواس فبكيت وقلت يارب العفو فسمعت هاتفا يقول يافلان العفو في العلم يعني في استعمال العلم قال الغزالي رحمه الله لا ينبغي أن يطيل القعود في حاجته وروى عن لقمان الحكيم انه قال لولده لا تطل القعود في حاجتك فان ذلك يتولد منه الباسور وقال الغزالي رحمه الله لا يستحب امساك البول بعد ما أخذه فان ذلك يضر بالمثانة وقيل لطبيب ان ابنك قد أخذه البول في موضع كذا فنزل عن دابته

فلها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة (وأما البقر) فلا شئ فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي طعن في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي طعنت في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع والله أعلم (وأما الغنم) فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضان أو ثنية من المعز ثم لا شئ فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصيب وشرط الخلطة أن يكونا في جميع الاحوال معا وخلطة الجوار كالشيوع (أما المعشرات) فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من (وأما زكاة النقدين) فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم فنصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة

فى ذلك الموضع ولم يصبر الى منزله قال بئس ما صنع حيث نزل عن دابته فهلا فعل قبل نزوله عن دابته ويقال ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا استد مجراه قال الترمذى الحكيم سمى الخلاء باسم شيطان موكل بذلك الموضع اسمه خلاء وأورد فيه حديثا مرفوعا من رواية بريدة وقال اذا أتيت الخلاء فاعلم أنك تقصد الشيطان فاحذر كيده وأقل من اتيانه بقلة الطعام وكن وجلا مستحيا من خالقك مستحقرا لنفسك فقد قال فضيل بن عياض انى لامقت نفسى من كثرة ترددى الى الخلاء وعظ نفسك حياء من ربك وامش متواضعا متفكرا فى نعم الله عليك حيث أطعمك وسقاك وأخرجه عنك حين آذاك وقف على باب الخلاء وقل اللهم اجعل دخولى عبرة وأمط الاذى عنى رحمة ترجينى بها فعن أنس ان الشيطان يتباعد اذ ذاك

(فصل فى مسائل الاولى) سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله عن تعليق الحرز والتى فيها القرآن على الخيل مع علمه بانها تمرغ فى النجاسة فأجاب هذا بدعة وتعريض لكتاب الله تعالى للاهانة بما يتعلق به من النجاسة ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم يصنعون شيأ من ذلك الثانية لو وجد انسان اسما معظما فى ورق ملقى فى الطريق فعليه رفعها وهل الاولى تفرقة حروفه أو غسله أو جعله فى حائط قال الشيخ عز الدين الاولى غسله لان المجعول فى الجدار معرض لان يسقط فيستهان الثالثة حكى عن بشر الحافى رحمه الله أنه رأى ورقة فيها اسم الله تعالى فأخذها فطيبها فرآى الله تعالى فى النوم وقال طيبت اسمى لأطيبن اسمك وذكر الغزالى فى الاحياء انه وقع من عبد الله بن مروان رحمه الله فلس فى بئر قاذورة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له فى ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى الرابعة قال القفال الشاشى فى محاسن الشريعة اذا تختم فى يساره وعليه ذكر الله تعالى أو اسم الرسول صلى الله عليه وسلم حوّل فى الاستنجاء تنزيها له عن تنجيسه فيكون استخفافا قال الشيخ جمال الدين الاسنوى وفى كلامه اشعار بتحريمه قال وهو ظاهر اذا أفضى ذلك الى تنجيسه الخامسة قال أبو الليث رحمه الله يكره الكلام فى خمسة مواضع خلف الجنازة وعند قراءة القرآن وعند الخطبة وفى الخلاء وعند الجماع

(الباب الخامس فى السواك وسنن الفطرة وغير ذلك وفيه ثمانية فصول)

(الفصل الاول فى السواك) روى أحمد والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وفى رواية للنسائى عند كل وضوء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بلا سواك وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته بدأ بالسواك وعن حذيفة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك وقال ابن مسعود رضى الله عنه كنت أجتنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكا من أراك وذكر المحاملى رحمه الله للسواك ثلاثة عشر فائدة يطهر الفم ويرضى الرب ويبيض الاسنان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويصفى اللون ويجرى اللسان ويذكى الفطنة ويقطع الرطوبة ويحد البصر ويبطئ الشيب ويسوى الظهر ويضاعف الاجر وزاد شيخنا العلامة سراج الدين البلقينى رحمه الله فى كتابه التدريب أنه يسهل النزع ويذكر الشهادة عند الموت

(الفصل الثانى فى سنن الفطرة) فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الابط وقص الشارب وتقليم الاظفار قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم الختان واجب عند الشافعى وكثير من العلماء وسنة عند مالك وأكثر العلماء ولو مات انسان غير مختون ففيه ثلاثة أوجه الصحيح أنه لا يختن صغيرا كان أو كبيرا والثانى يختن والثالث يختن الكبير دون الصغير وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم عليه السلام اختتن وعمره ثمانون سنة بالقدوم مشددا أو مخففا على اختلاف فيه قال عبد الرزاق هو اسم للقرية وقال غيره هو اسم

فقيها ربع العشر وما زاد فى الذهب والفضة ولو دانقا فحسابه وتجب الزكاة فى التبر والحلى المحظور ولا زكاة فى شئ من المعادن الا فى الذهب والفضة ففيها بعد التحضير والتحصيل وبعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين وهل يعتبر النصاب والحول قولان وفى قول يجب الخمس فعلى هذا لا يتعين الحول وفى النصاب قولان (أما صدقة الفطر) فهى واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته او من افضل منه وقسمتها قسمة زكاة الاموال قال النبى صلى الله عليه وسلم أدوا زكاة الفطرة عمن تمونون

(فصل فى أداء الزكاة وشرائطه) فأول الشرائط النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفطر ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى ونية السلطان تقوم مقام المالك الممتنع ولا ينبغى أن يؤخر زكاة الفطر عن يوم الفطر ويدخل وقتها بغروب الشمس آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم تسقط عنه بتلف ماله

للآلة قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله وقد حكى التشديد والتخفيف في المكان والآلة وذكر الثعلبي رحمه الله تعالى أن ابراهيم عليه السلام وقع بينه وبين العمالقة قتال فقتل من الفريقين فلم يعرف ابراهيم أصحابه حتى يدفنهم فجعل ابراهيم الختان علامة أهل الاسلام وذكر صاحب التنقيب على المهذب أن اسمعيل بن هاجر عليه السلام ضرب اسحق بن سارة وكانت هاجر جارية لسارة ثم وهبتها لابراهيم فولدت اسمعيل فتألمت سارة بضرب ولدها فأخرجت هاجر من عندها وحلفت لتقطعن منها بضعة ثم فكرت في أي بضعة تقطع ولا تؤذيها فقطعت بظرها فمن ذلك اليوم اختتن النساء وأول من اختتن من النساء هاجر والختان واجب عند الشافعي وكثير من العلماء على الرجال والنساء وسنة عند مالك وأكثر أهل العلم والسنة في ختان الذكور اظهاره وفي ختان النساء اخفاؤه وذكر ابن الجوزي أن الذين خلقوا مختونين سبعة عشر آدم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وشيث وادريس ونوح وسام وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا ويحيي وعيسى وحنظلة نبي أصحاب الرس ذكره في كتابه المسمى بالمنتخب في النوب قال النووي رحمه الله المختار في وقت حلق العانة وقص الشارب ونتف الابط وقلم الظفر أنه يضبط بالحاجة وطوله فاذا طال حلق أما حديث أنس وقت لنا في قص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظفار وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة فمعناه لا نترك تركا نتجاوز به أربعين لا انهم وقت لهم الترك أربعين والله أعلم وقال النووي أيضا يستحب أن يبدأ في قلم الاظفار باليدين قبل الرجلين فيبدأ بمسبحة يده اليمنى ثم بالوسطى ثم بالبنصر ثم الخنصر ثم الابهام ثم يعود الى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها الى آخرها ثم يعود الى رجله اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر اليسرى والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ من شاربه فليس منا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفوا الشوارب واعفوا اللحى وفي رواية وأوفوا اللحى قال النووي رحمه الله أما معنى أحفوا الشوارب أي احفوا ما طال على الشفتين وأما اعفاء اللحية فمعناه توفيرها وهو بمعنى أوفوا اللحى وكان من عادة الفرس قص اللحى فنهى الشرع عن ذلك قال القاضي عياض رحمه الله تعالى يكره حلق اللحية وقصها وتحريقها وأما الاخذ من طولها وعرضها فحسن وتكره الشهرة في تعظيمها كما يكره في قصها وجزها قال وقد اختلف السلف هل لذلك حد فمنهم من لم يحد شيأ الا أنه لا يتركها لحد الشهرة ويأخذ منها وكره مالك طولها جدا ومنهم من حددها بما زاد على القبضة فيزال ومنهم من كره الاخذ منها الا في حج أو عمرة وأما الشارب فذهب كثير من السلف الى استئصاله وحلقه لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم أحفوا وهو قول الكوفيين وذهب كثير منهم الى منع ذلك وبه قال مالك وكان يرى حلقه مثلة ويأمر بأدب فاعله وكان يكره أن يأخذ من أعلاه وذهب هؤلاء الى أن الاحفاء والجز والقص بمعنى واحد وهو الاخذ منه حتى يبدو طرف الشفة وذهب بعض العلماء الى التخيير بين الامرين هذا آخر كلام القاضي قال النووي رحمه الله والمختار ترك اللحية على حالها وأن لا يتعرض لها بتقصير شئ أصلا والمختار في الشارب ترك الاستئصال والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة والله أعلم قال في الاحياء لا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج دما أو يبين من نفسه جزأ وهو جنب اذ ترد اليه سائر أجزائه في الآخرة فتعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالب بجنابتها وروى خالد بن معدان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تنور قبل أن يغتسل جاءته كل شعرة فتقول يارب سله لم ضيعني ولم يغسلني

(الفصل الثالث في النهي عن نتف اللحية) روى أحمد وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كتب الله له بها حسنة ورفعه بها درجة وحط عنه بها خطيئة قال الغزالي رحمه الله رد عمر رضي الله عنه شهادة من كان ينتف لحيته قال الغزالي وقد قيل ان لله ملائكة يقسمون والذي زين الرجال باللحى وقيل في غريب التأويل في معنى قوله تعالى يزيد في

والفكر بمصادفة المستحق فان لم يصادف وتلف ماله سقطا و ينبغي أن يقسم ماله بين الاصناف الموجودين في بلده ويستوعبهم وقد عدم من الاصناف الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فما صادف من الاصناف في بلده قسم مال الزكاة بعددهم فكلما حضر واحد من الاصناف صرفه الى ثلاثة أنفار منهم فصاعدا ولا تجب التسوية بين آحاد الصنف الواحد واذا قدر على اعطاء الزكاة لمن تحلى بخصال الخير لقبض الزكاة فالاولى أن يفعل ذلك وذلك أن يكون وورعا عالما مستور الحال وان يكون من أقاربه فكلما وجد فيه هذه الخصال كان أقرب الى القبول والله أعلم

(فصل في القابض للزكاة)

ولا يستحق الا مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي ويجوز الصرف للصبي والمجنون بشرط أن يقبض عنهما الولي وبيان الاصناف الثمانية الاول الفقير وهو من ليس له مال ولا قدرة على الكسب الثاني المسكين وهو الذي لا يفي دخله بخرجه الثالث السعاة وهم الذين يجمعون مال الزكاة

الخالق ما يشاء انما اللحية وقال أصحاب الاحنف بن قيس وددنا أن نشترى للاحنف لحية بمائة ألف وقال شريح القاضى وددت أن لى لحية بعشرة آلاف

(الفصل الرابع فى خضاب اللحية) فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال جىء بأبى قحافة يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن رأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبوا به الى بعض نسائه فلتغيره بشىء وجنبوه السواد قال النووى رحمه الله الثغامة بثاء مثلثة مفتوحة ثم غين معجمة مخففة قال أبو عبيد هو نبت أبيض الزهر والثمر شبه بياض الشيب به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة صححه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم قال الغزالى رحمه الله والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر وقال الغزالى أيضا تزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب بالسواد فذهب خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك وروى أن ابراهيم عليه السلام أول من رأى الشيب فقال يارب ماهذا قال الله تعالى وقار يا ابراهيم فقال رب زدنى وقارا قال الشيخ محيى الدين فى الروضة خضاب الشعر الشائب بحمرة أو صفرة سنة وبالسواد حرام وقيل مكروه وأما خضاب اليدين والرجلين فمستحب فى حق النساء وحرام فى حق الرجال الا لعذر

(الفصل الخامس فى النهى عن القزع) فى الصحيحين عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع فقيل لنافع ما القزع قال أن يحلق بعض رأس الصبى ويترك بعضه

(الفصل السادس فى وصل الشعر) فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى قال فى الروضة وصل المرأة شعرها بشعر نجس أو بشعر آدمى حرام قطعا لانه يحرم الانتفاع بشىء منه لكرامته بل يدفن شعره وغيره وسواء فى هذا المزوجة وغيرها وأما الشعر الطاهر من غير الآدمى فان لم تكن ذات زوج ولا سيد حرم الوصل به على الصحيح وعلى الثانى يكره وان كانت ذات زوج أو سيد فثلاثة أوجه أصحهما ان وصلت باذنه جاز والا حرم والثانى يحرم مطلقا والثالث لا يحرم ولا يكره وأما الوشم فحرام مطلقا والوشر وهو تحديد طرف الاسنان وترقيقها كالوصل بشعر طاهر

(الفصل السابع فى الاكتحال) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكتحل قبل أن ينام بالاثمد ثلاثا فى كل عين وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اكتحل جعل فى العين اليمنى ثلاثا وفى العين اليسرى مرودين وقد اختلفوا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر فقيل يكون فى كل عين وترا لحديث ابن عباس وهذا هو الصحيح وقيل يكون فى عين وترا وفى عين شفعا ليكون المجموع وترا لحديث ابن عمر

(الفصل الثامن فى التطيب) روى النسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفى رواية من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وروى مسلم أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أطيب الطيب المسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية وقال أنس رضى الله عنه كان أحب الرياحين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية رواهما البيهقى والفاغية نور الحناء

الرابع وهم المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذى أسلم وهو مطاع فى قومه وفى اعطائه ترغيب لقومه فى الاسلام الخامس المكاتب ويجوز دفع سهمه اليه والى سيده والسيد لا يدفع زكاته الى مكاتب نفسه السادس الغارمون وهو من عليه قرض استقرضه لمباح وهو فقير لا يملك ما يؤدى به الدين فان استقرضه لمعصية لا يعطى مالم يتب وان كان غنيا ولكن استقرضه لمصلحة أو اطفاء فتنة جاز أن يعطى السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا أغنياء الثامن ابن السبيل وهو المسافر الذى ليس معه مال حاضر يصرفه الى مأربه لسفره هذا اذا كان السفر مباحا ويعتمد على قوله فى دعوى الفقر والمسكنة والسفر والغزو ويسترد من الغازى والمسافر اذا لم يف بما وعد وما وراءه من الاصناف لا بد فيها من البينة والله أعلم

(فصل فى صدقة التطوع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه السلام ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على ذريته وقال عليه السلام الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وسئل صلى الله عليه وسلم

(الباب السادس في الحمام وفيه أربعة فصول)

(الفصل الاول فيما ورد فيه من الاخبار والآثار) روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من ذكور أمتي فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر من اناث أمتي فلا تدخل الحمام وروى أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلنها الرجال الا بالازر وامنعوا النساء الامريضة أو نفساء وفيه دليل على منع دخول النساء الا لضرورة وبه قال ابن أبي هريرة واقتصر الرافعي على ذكره في السير وعليه جرى الغزالي في الاحياء وغيره فقال يحرم عليها الا لنفاس أو مرض وقال النووي في الروضة قلت الاصح الاشهر أنه لا يحرم عليهن لكن يكره ان لم يكن عذر وبه قطع أبو بكر السمعاني وقد أوضحته في شرح المهذب انتهى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم البيت الحمام يدخله المسلم اذا دخله سأل الله عز وجل الجنة واستعاذه من النار وقال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار يروى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الانصاري وقيل بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء وقال ابن عمر رضي الله عنه الحمام من النعيم الذي أحدثوه قال ابن الجوزي رحمه الله أول من دخل الحمام وصنعت له النورة والصابون سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام

(الفصل الثاني في واجبات دخول الحمام وسننه) قال النووي رحمه الله في شرح المهذب قال الغزالي في الاحياء ما مختصره انه لا بأس بدخوله وعلى داخله واجبات وسنن فيجب عليه في عورته شيآن سترها عن نظر غيره ومسه فلا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده قال وواجبان في عورة غيره أن يغض بصره عنها وأن ينهاه عن كشفها الان النهي عن المنكر واجب ولا يسقط الانكار الا بخوف ضرب أو شتم أو نحوه لا لظنه أنه لا يفيد والحزم في هذا الزمان ترك دخوله اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لاسيما فوق العانة وتحت السرة ولهذا استحب اخلاء الحمام قال والسنن عشر نية التنظيف المحبوب لا عبثا ولا لغرض الدنيا وأن يعطي الحامي الاجرة قبل دخوله وأن يقدم يساره عند دخوله قائلا ما يقوله داخل الخلاء وأن يتحرى وقت الخلوة أو يتكلف اخلاءه وأن لا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فهو المأذون فيه وأن يذكر بحره حر النار وأن لا يكثر الكلام ويكره دخوله بين العشاءين وقريبا من الغروب وأن يشكر الله تعالى اذا فرغ على نعمة النظافة ويكره من جهة الطب صب الماء البارد على رأسه عند الخروج منه وشربه ولا بأس بقوله لغيره عافاك الله قال الغزالي واذا دخلت المرأة لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ قال ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا يسلم اذا دخل هذا آخر ما نقله النووي عن الاحياء ونقل النووي عن أبي بكر السمعاني رحمه الله أن من آداب داخله أن يستغفر الله تعالى عند خروجه ويصلي ركعتين فقد كانوا يقولون يوم الحمام يوم اثم

(الفصل الثالث في فوائد طبية) قال الغزالي رحمه الله في الاحياء الحناء بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة في كل شهر تطفئ المرة وتنقي اللون وتزيد في الجماع قال وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء قال وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء قال وغسل القدمين بعد الخروج من الحمام بماء بارد أمان من النقرس قال الشافعي رحمه الله عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد أن يخرج كيف لا يموت قال بعض الاطباء من دخل الحمام وهو ممتلئ فأصابه الفالج فلا يلومن الا نفسه وقال جالينوس لاصحابه اجتنبوا الثلاث وعليكم بأربع ولا حاجة بكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلو والحمام وقيل أربعة تقوي الجسم لبس الثوب الناعم ودخول الحمام المعتدل وأكل الطعام الحلو والدسم وشم الروائح الطيبة وأربعة تهدم البدن الهم والحزن والجوع والسهر

أي الصدقة أفضل فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولا بأس بالاخفاء والاظهار على حسب ما شاء وكان ابراهيم الخواص والجنيد رضي الله عنهما يرون ان أخذ الصدقة أفضل من أخذ الزكاة لان فيها مزاحمة الفقراء ولان لها شرائط كثيرة وربما لا يكون بعضها موجودا في الآخذ وذهب بعضهم الى ان أخذ الزكاة أولى فان فيه اعانة على أداء الواجب وفيه أيضا كسر للنفس ومذلة والامر في ذلك على الجملة متقارب فافهم تغنم والله أعلم

(الباب السادس في أسرار الصيام) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصيام لي وأنا أجزي به وقال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وكذلك قال عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فالصوم

*(الفصل

(الفصل الرابع في ستر العورة) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجك أو ما ملكت يمينك قلت فاذا كان القوم بعضهم في بعض قال ان استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها قلت فاذا كان أحدنا خاليا قال فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيي منه رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وروى أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على معمر وفخذاه مكشوفتان فقال يامعمر غط فخذيك فان الفخذين عورة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي ستير يحب الحياء والتستر فاذا اغتسل أحدكم فليستتر وروى ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه وقال الحسن رحمه الله لا يصلح دخول الحمام الا بازارين ازار للعورة وازار للعينين يعني يغض بصره عن عورات الناس وقال علي رضي الله عنه لعن الله الناظر والمنظور اليه وقال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة

(كتاب الصلاة وفيه أحد عشر بابا)

(الباب الاول في الاذان وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول في فضله) قال الله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية قالت عائشة رضي الله عنها أرى هذه في المؤذنين وروى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس شهد له يوم القيامة المدى الغاية وانما قال مدى صوته ولم يقل صوته لان غاية الصوت تكون أخفى فاذا شهد له من وصل اليه همس صوته لبعده فأولى أن يشهد له من قرب منه وروى أبو داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة واختلفوا في معناه فقيل أكثر رجاء لان الراجي الى الشئ يمد عنقه اليه وقيل لا يلجمهم العرق فان العرق يأخذ الناس بقدر أعمالهم وروي اعنافا بالكسر أي هم أكثر اسراعا الى الجنة مأخوذ من العنق بالفتح وهو ضرب من السير وروى الحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله عز وجل

(الفصل الثاني في اجابة المؤذن) في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن قال النووي رحمه الله يستحب اجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه من متطهر ومحدث وجنب وحائض وغيرهم الا أن يكون في خلاء أو جماع أهله ونحوهما وكذلك اذا كان في صلاة فريضة كانت أو نافلة فاذا سلم أتى بمثله ولو فعله في الصلاة كره في أظهر القولين لانه اعراض عن الصلاة لكن لا تبطل صلاته الا اذا قال حي على الصلاة أو حي على الفلاح أو الصلاة خير من النوم فتبطل صلاته ان كان عالما بتحريمه لانه كلام آدمي وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا اله الا الله قال أشهد أن لا اله الا الله ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا اله الا الله قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة قال القاضي عياض رحمه الله اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر الى آخره ثم قال في آخره من قلبه دخل الجنة انما كان كذلك لان ذلك توحيد وثناء على الله عز وجل وانقياد لطاعته وتفويض اليه بقوله لا حول ولا قوة الا بالله فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الايمان وكمال الاسلام واستحق الجنة بفضل الله تعالى وهذا معنى قوله في الرواية الاخرى رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا قال واعلم أن الاذان كلمة جامعة لعقيدة الايمان مشتملة على نوعيه من العقليات والسمعيات فأوله اثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن اضدادها وذلك بقوله الله أكبر وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه ثم صرح باثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة

يعين على كسر الشهوات وسيأتي في باب كسر الشهوتين

(فصل) اعلم أنه يثبت هلال شهر رمضان بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين وسواء قضى القاضي به أو لم يقض فكل يعمل بغلبة ظنه ويجب التبييت وهو أن ينوي بالليل ويجب أن ينوي فريضة صوم شهر رمضان ولو نوى ليلة الشك أن أصوم ان كان من رمضان لم يجز والصوم هو الامساك عن ايصال شئ الى الجوف فيفسد بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال ميل في الاحليل والاذن الا ان يقطر فيه ما يبلغ الى المثانة وما يكون من غير قصد كغبار الطريق وسبق ذبابة الى جوفه وفي المضمضة والاستنشاق لا يفطر ما لم يبالغ وان أكل في طرف النهار على ظن انه ليل فتبين أنه نهار فسد صومه فان أكل أو شرب أو جامع ناسيا لم يفطر والاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القئ لم يفسد صومه وان اقتلع نخامة من صدره أو حلقه لا يفسد صومه رخصة لعموم البلوى ولا تجب الكفارة الا بالجماع ولا تجب بالاستمناء والاكل والشرب والكفارة عتق رقبة فان لم يجد فصوم شهرين فان عجز فاطعام

فى حقه سبحانه وتعالى وهذه عمدة التوحيد والايمان المقدمة على كل وظائف الدين ثم صرح باثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لانها من باب الافعال الجائزة الوقوع فتلك المقدمات من باب الواجبات وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز فى حقه سبحانه وتعالى ثم دعا الى ما دعاهم اليه من العبادات فدعاهم الى الصلاة وعقبها بعد اثبات النبوة لان معرفة وجوبها من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل ثم دعا الى الفلاح وهو الفوز والبقاء فى النعيم المقيم وفيه اشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهى آخر تراجم عقائد الاسلام ثم كرر ذلك باقامة الصلاة للاعلام بالشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الايمان وتكراره ذكره عند الشروع فى العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلى فيها على بينة من أمره وبصيرة من ايمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه هذا آخر كلام القاضى رحمه الله قال الهروى قال أبو الهيثم الحول الحركة أى لا حول ولا استطاعة الا بمشيئة الله تعالى وقيل لا حول فى دفع شر ولا قوة فى تحصيل خير الا بالله وقيل لا حول عن معصية الله الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا بمعونته وحكى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله تعالى وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة وروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة المراد بالدعوة التامة دعوة الاذان سميت بذلك لكمالها وعظم موقعها والصلاة القائمة أى التى ستقوم أى تقام وتفعل بصفاتها والوسيلة منزلة فى الجنة وقيل انها الشفاعة وقيل القرب من الله تعالى والمقام المراد به مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون وسؤال هذا المقام مع أنه موعود به انما هو اظهار لشرفه صلى الله عليه وسلم وكمال منزلته وعظيم حقه ورفيع ذكره ومعنى حلت غشيته ونالته وله بمعنى عليه كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان وقيل معناه وجبت له وقال صلى الله عليه وسلم ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا وروى وتحت المطر وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث

(الفصل الثالث فى مؤذنى النبى صلى الله عليه وسلم) قال ابن القيم رحمه الله فى كتاب الهدى مؤذنو النبى صلى الله عليه وسلم أربعة اثنان بالمدينة بلال وابن أم مكتوم وبقباء سعد القرظى وبمكة أبو محذورة فكان أبو محذورة منهم يرجع الاذان ويثنى الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فأخذ الشافعى وأهل مكة باذان أبى محذورة واقامة بلال وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق باذان بلال واقامة أبى محذورة وأخذ أحمد وأهل الحديث باذان بلال واقامته وخالفهم مالك فى موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة فانه لا يكررهما وروى الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سمحا سهلا والا فلا تؤذن

(الباب الثانى فى الحث على المحافظة على الصلاة وبيان فضلها)

قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون قوله تعالى واستعينوا أى على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة وأراد بالصبر حبس النفس عن المعاصى وقيل أراد الصبر على أداء الفرائض وقال مجاهد الصبر هو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر وذلك لان الصوم يزهده فى الدنيا والصلاة ترغبه فى الآخرة وقيل الواو بمعنى على أى واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقال وانها ولم

(فصل) اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى كل صوم بما عنه الصوم قال صلى الله عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الكذب والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة فحفظ الجوارح عن المعاصى لا بد منه فى صوم الخواص

(فصل) وينبغى أن لا يستكثر من الطعام الحلال فما ملئ وعاء أبغض الى الله تعالى من المعدة وينبغى أن يكون قلبه مضطربا بين الرجاء والخوف أقبل صيامه أم كان نصيبه منه الجوع والنصب قيل رب امرئ كان نصيبه من صومه الجوع والنصب اذ المقصود من الصوم الكف عن الشهوات وليس ذلك مقصورا على الامتناع من تناول الطعام والشراب فلعله أقدم على نظر أو غيبة أو نميمة أو كذب فكل ذلك مفطرات للصوم

يقل وانه ما لانه رد الكناية الى كل واحد منهما أى وان كل خصلة منهما كما قال كلتا الجنتين آتت أكلها أى كل
واحد منهما لكبيرة ثقيلة الا على الخاشعين يعني المؤمنين وقيل الخائفين الذين يظنون يستيقنون والظن
من الاضداد يكون شكا ويقينا كالرجاء يكون أمنا وخوفا أنهم ملاقو ربهم معاينو ربهم في الآخرة وهو رؤية
الله تعالى وقيل المراد من اللقاء الصيرورة اليه وانهم اليه راجعون فيجزيهم بأعمالهم وقال الله تعالى
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى أى واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها
واتمام أركانها وخص الوسطى بالذكر دلالة على فضلها والوسطى تأنيث الاوسط ووسط الشئ خيره وأعدله
واختلف العلماء من الصحابة وغيرهم في الصلاة الوسطى فقيل هي صلاة الفجر واليه ذهب مالك والشافعي
لان الله تعالى قال وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت
ولان الله تعالى خصها بآية أخرى من بين الصلوات فقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا
يعني يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار ولانها بين صلاتي
جمع وهي لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وقيل انها صلاة الظهر لانها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في
الطول وروى زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن
يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وذهب الاكثرون الى انها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو يونس مولى
عائشة أمرتني عائشة ان أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى فلما بلغتها آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين
قالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حفصة مثل ذلك وسئل علي رضي الله عنه عن الصلاة
الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق شغلونا عن
الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا ولانها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وقد خصها
النبي صلى الله عليه وسلم بالتغليظ ففي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك صلاة العصر
فقد حبط عمله وقيل هي صلاة المغرب لانها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها قال أبو محمد رحمه الله في معالم
التنزيل ولم ينقل عن أحد من السلف أنها صلاة العشاء قال وذكره بعض المتأخرين لانها بين صلاتين
لا تقصران وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة
على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في
الاسماء ليحافظوا على جميعها قوله تعالى وقوموا لله قانتين أى مطيعين والقنوت الطاعة قال الله تعالى أمة
قانتا أى مطيعا وقيل هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة قال زيد بن أرقم رضي الله عنه كنا نتكلم
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين
فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقيل معنى قانتين خاشعين وقيل القنوت طول القيام روى جابر رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل له أى الصلاة أفضل قال طول القنوت وقيل قانتين أى داعين
لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا الحديث
وقيل معناه مصلين لقوله تعالى أمن هو قانت أى مصل وقال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من
الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين قيل الطرف الاول صلاة الفجر والطرف
الثاني الظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات
الخطيئات ذلك الذي ذكرنا وقيل القرآن ذكرى عظة للذاكرين أى المتعظين في الصحيحين عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى أقم
الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا قال لجميع

(فصل) في التطوع بالصيام اعلم أن استحباب الصوم يتأكد بالايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل أسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من صوم شعبان حتى يظن انه رمضان وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وقال عليه الصلاة والسلام صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين يوما من شهر حرام ومن صام الخميس والجمعة والسبت من الاشهر الحرم كتب الله له عبادة سبعمائة عام والاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأما ما يتكرر في الشهر فأول الشهر وأوسطه وهو من الايام البيض وآخره والايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وأما ما يتكرر في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة وصوم الدهر شامل للكل ولكن اختلفوا في كراهيته

أمتي كلهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قال الله تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الفحشاء ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن اسلامه وقال ابن عون رحمه الله معنى الآية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر مادام فيها وقيل أراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك وأراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر وعن جابر رضي الله عنه قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وقال صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون رواه البخاري ومسلم قوله عليه الصلاة والسلام يتعاقبون أي تأتي طائفة بعد طائفة ومنه تعقيب الجيوش وهو أن يذهب الى الثغر قوم ويجيء آخرون وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وكرمه لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عباداتهم واجتماعهم على طاعة ربهم فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوا من الخير وقوله فيسألهم قال النووي هذا السؤال على ظاهره وهو تعبد منه للملائكة كما أمرهم بكتب الاعمال وهو أعلم بالجميع قال القاضي عياض الاظهر وهو قول الاكثرين أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل رواه مسلم قال العلماء المراد بالصلاة الفاتحة سميت بذلك لانها لا تصح الصلاة الا بها كقوله عليه السلام الحج عرفة قالوا والمراد بقسمتها من جهة المعنى لان نصفها الاول تحميد الله تعالى وتمجيده وثناء عليه وتفويض اليه والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار وقوله حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني انما قاله لان التحميد الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال ويقال أثنى عليه في ذلك كله ولهذا جاء جوابا للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على صفاته الذاتية والفعلية والله أعلم وقال صلى الله عليه وسلم ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيأ أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه منها لما تعبد بها ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال علي كرم الله وجهه اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم تلا فما بكت عليهم السماء والارض قال ابن عباس تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض

وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود ولعل الاشارة اليه بقوله صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت وقد روي انه عليه السلام ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان

(الباب الرابع في اسرار الحج وما فيه)

وقد أنزل الله تعالى في الحج اليوم أكملت لكم دينكم الآية وقال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا

(فصل) في فضيلة الحج وفضيلة مكة والمدينة وبيت المقدس وشد الرحال الى المشاهد قال الله تعالى وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وقال عليه الصلاة والسلام ما رؤي الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات كان له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة قال بعض السلف اذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة غفر لاهل عرفة كلهم وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزلت

الاشهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت قال أنس رضي الله عنه مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل من منتهاها الى سبع أرضين ومامن عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال مامن منزل ينزله قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم وقال ابن القيم رحمه الله في الهدى قيل أربعة تجلب الرزق قيام الليل وكثرة الاستغفار بالاسحار وتعاهد الصدقة والذكر أول النهار وآخره وأربعة تمنع الرزق نوم الصبحة وقلة الصلاة والكسل والخيانة

(فصل في فضل السجود) قال الله تعالى واسجدوا واقترب أي اقترب اليه بالطاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد أي أقرب مايكون من رحمة ربه وفضله وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أدع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة قال اعني بكثرة السجود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يسجد لله عز وجل سجدة الا رفعه الله تعالى بها درجة وحط عنه بها خطيئة وقال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود قيل هو مايلتصق بوجوههم من الارض عند السجود ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان لا يسجد الا على التراب وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر قال الغزالي رحمه الله وهذا هو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد قال النووي رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء دليل لمن يقول ان السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة قال وفي هذه المسئلة ثلاثة مذاهب أحدها أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل حكاه الترمذي والبغوي عن جماعة وممن قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر والثاني مذهب الشافعي وجماعة أن تطويل القيام أفضل لحديث جابر في مسلم أفضل الصلاة طول القنوت والقنوت القيام ولان ذكر القيام القراءة وذكر السجود التسبيح والقراءة أفضل ولان المنقول عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود الثالث أنهما سواء وتوقف أحمد في المسئلة وقال اسحق أما في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل وأما بالليل فطول القيام الا أن يكون للرجل جزء بالليل فتكثير الركوع والسجود أفضل لانه يقرأ جزأه ويربح كثرة الركوع والسجود قال الترمذي انما قال اسحق هذا لانهم وصفوا صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل بطول القيام ولم يوصف من تطويله بالنهار ماوصف بالليل والله أعلم

(الباب الثالث فيما جاء من التشديد على تارك الصلاة)

قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الآية وقوله فخلف من بعدهم أي من بعد النبيين المذكورين قبل خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالسكون الطالح قال السدي أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة هم في هذه الامة أضاعوا الصلاة تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغيب الشمس واتبعوا الشهوات أي المعاصي كشرب الخمر أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله فسوف يلقون غيا قال وهب الغي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو واد في جهنم وان أودية جهنم تستعيذ بالله من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على

عليه هذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم قال أهل الكتاب لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت في يوم عيدين اثنين في يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال عليه الصلاة والسلام يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروى أن ابن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني أكافئك بها يوم القيامة وآخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب

(فضيلة البيت ومكة) قال عليه السلام ان الله قد وعد البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس الى الموقف وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها يوم القيامة حتى تدخل الجنة فيدخلون وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وقبله عمر رضي الله عنه وقال اني

السموات والارض والجبال على انهم ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم ويروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال ائتمن الله خلقه على أربع على الصلاة والزكاة والصيام والغسل وهن السرائر التي يختبرها الله
يوم القيامة وقال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذه الآية فقال اضاعة الوقت وقال قتادة سها عنها لا يبالي صلى أولم يصل وقال مجاهد غافلون عنها
يتهاونون بها وقال الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لا يندم عليها وقال أبو العالية لا يصلونها
لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها وقال الله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده
ورسوله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام
وحسابهم على الله رواه البخاري ومسلم قوله الا بحق الاسلام أي كأن قتل مسلما عمدا عدوانا فاقتله قصاصا
أو زنى محصن فارجم حدا ونحو ذلك وقوله وحسابهم على الله أي أنا أراعي أفعالهم الظاهرة فلا أدع
أحدا أن يترك فرضا من فرائض الله تعالى وأن يظلم أحدا فأما ما يخفون في بواطنهم و يسرون في ضمائرهم
من النيات والعقائد فليس لي اليه سبيل والله تعالى يتولى حسابهم فيثيب المخلص و يعاقب المنافق و يجزي
المصر بفسقه أو يعفو عنه وقال صلى الله عليه وسلم ان بين الرجل و بين الشرك والكفر ترك الصلاة رواه
مسلم وقال صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه الترمذي وقال حسن
صحيح وقال أبو هريرة رضي الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الاعمال شيأ
تركه كفر الا الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الصلاة كانت له نورا و برهانا ونجاة يوم القيامة
ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن
خلف رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد
أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة
لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد رواه الطبراني وقال
ابن حزم رحمه الله لا ذنب بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها وقتل مؤمن بغير حق وقال
الغزالي رحمه الله لو زعم زاعم أنه بلغ بينه و بين الله حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال
السلطان كما زعمه بعض المتصوفة فلا شك في وجوب قتله وان كان في خلوده في النار نظر وقتل مثله أفضل من
قتل مائة كافر لان ضرره أكثر وأجمع المسلمون على تكفير من جحد وجوب الصلاة وأما من تركها تكاسلا فقال
النووي رحمه الله اختلفوا فيه فذهب مالك والشافعي والجماهير من السلف والخلف الى أنه لا يكفر بل يفسق
و يستتاب فان تاب والا قتل حدا وذهب جماعة من السلف الى أنه يكفر وهو مروي عن علي وهو احدى
الروايتين عن أحمد وبه قال عبد الله بن المبارك واسحق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي وذهب أبو
حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني الى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر و يحبس حتى يصلي ونقل الشيخ شهاب
الدين الاذرعي رحمه الله عن فتاوى جمال الدين بن البرزي أنه يجب على الرجل أمر زوجته بالصلاة في أوقاتها
وضربها عليها وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله يجب على الرجل أن يأمر زوجته بالصلاة وقد قال الله
تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال فان أصرت
على تركها فعليه أن يطلقها (حكاية) قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله حكي أن رجلا دفن أخته ثم ذكر
أنه نسي كيسا له في قبرها فأتى القبر فنبشه فوجد الكيس ثم رفع بعض ما على اللحد فرأى القبر يشتعل نارا
فسأل أمه عن عمل أخته فقالت كانت تؤخر الصلاة ولا تصلي بطهارة كاملة وتأتي أبواب الجيران لتسمع حديثهم
لتمشي بالنميمة

(الباب الرابع في فضل تعجيل الصلاة أول الوقت)

قال الله تعالى فاستبقوا الخيرات أي سارعوا الى الطاعات قال القرطبي في تفسيره وهذا يدل على أن تقديم

أعلم أنك حجر لا تضر ولا
تنفع ولولا أني رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبلك
ما قبلتك ثم بكى فالتفت
فرأى عليا وراءه فقال يا أبا
الحسن ههنا تسكب العبرات
فقال علي يا أمير المؤمنين بل
هو يضر و ينفع قال وكيف
قال ان الله تعالى لما أخذ
الميثاق على الذرية كتب
عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر
فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء
و يشهد على الكفار بالجحود
قيل فذلك هو معنى قول
الناس عند الاستلام اللهم
ايمانا بك وتصديقا بكتابك
ووفاء بعهدك وروي عن
الحسن البصري ان صوم
يوم في مكة بمائة ألف
وصدقة درهم بمائة ألف
وكذا كل حسنة بمائة ألف.
وقال صلى الله عليه وسلم أنا
أول من تنشق عنه الارض
ثم آتي أهل البقيع
فيحشرون معي ثم آتي أهل
مكة فأحشرهم بين الحرمين
و يقال لا تغرب الشمس
من يوم الا و يطوف بهذا
البيت رجل من الابدال ولا
يطلع الفجر من ليلة الا طاف
به واحد من الاوتاد واذا
انقطع ذلك كان سبب رفعه
من الارض فيصبح الناس
فيرون قد رفعت الكعبة
لا يرى لها أثر وهذا اذا أتى
عليها سبع سنين لم يحجها
أحد ثم يرفع القرآن من
المصاحف فيصبح الناس فاذا
الورق أبيض يلوح ليس فيه
حرف ثم ينسخ القرآن من

الواجبات أفضل من تأخيرها وذلك لا خلاف فيه فى العبادات كلها الا فى الصلاة فى أول الوقت فان أبا حنيفة يرى أن الاولى تأخيرها وعموم الآية دليل عليه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال الصلاة لاول وقتها وعن على رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا على ثلاث لا تؤخرها الصلاة اذا أتت والجنازة اذا حضرت والأيم اذا وجدت لها كفؤا وقال صلى الله عليه وسلم الوقت الاول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله وقيل فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات السابق الذى تهيأ للصلاة قبل دخول وقتها والمقتصد الذى تهيأ للصلاة بعد دخول وقتها والظالم الذى ينتظر الاقامة قال الاوزاعى رحمه الله فى قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أراد المصلين فى أول الوقت والمؤخرين الى آخره قال الغزالى رحمه الله فى احياء علوم الدين ومما يستدل به على فضيلة أول الوقت أن النبي صلى الله عليه وسلم تأخر يوما عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر لسبب الطهارة فلم ينتظروه وقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال عليه السلام أحسنتم هكذا فافعلوا وتأخر يوما صلى الله عليه وسلم عن صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى الصلاة فقام الى جانبه واختلفوا بماذا تحصل فضيلة أول الوقت على أوجه أصحها انه تحصل بأن يشتغل بأسباب الصلاة كالطهارة والاذان كما دخل الوقت لانه حينئذ لا يعد متوانيا وقيل يبقى الى نصف وقت الاختيار وقيل يشترط تقديم ما يمكن تقديمه على الوقت كالطهارة ونحوها وعلى الاول لا يضر شغل خفيف كأكل لقم وكلام يسير ولا يكلف العجلة على خلاف العادة ويستثنى من استحباب التعجيل مسائل منها الابراد بالظهر فى شدة الحر والاصح اختصاصه ببلد حار وجماعة مسجد يقصدونه من بعد ومنها العشاء فى قول والمسافر فانه يستحب له ان كان مسافرا فى وقت الاولى أن يؤخرها الى وقت الثانية والواقف بعرفة فانه يستحب له تأخير المغرب ليجمعها مع العشاء بمزدلفة والمقيم بمنى للرمى يستحب له تأخير الظهر عنه ومن يدافع الحدث أو بحضرة طعام يتوق اليه والمنفرد اذا تحقق الجماعة أو رجاها والمتيمم اذا تيقن وجود الماء فى آخر الوقت وكذا المريض الذى لا يقدر على القيام أول الوقت ويعلم قدرته فى آخره وما لو ظن دخول الوقت بالاجتهاد فالافضل التأخير وما اذا كان يدافع النعاس أول الوقت قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله فى شرح التنبيه نصب هذه الاوقات أسبابا للصلوات تعبد غير معقول المعنى عند جمهور العلماء وقال الحكيم الترمذى فى كتاب العلل والمقادير هو معقول المعنى فعلة نصب الفجر أن الشمس آية عظيمة والفجر مبدؤها فاذا ظهرت فحقيق بالعباد أن ينهضوا الى طاعة مولاهم فان السكون تلاعب بالآية ألا ترى أن الشمس اذا انكسفت تعين النهوض الى العبادة تعظيما للآية لان الانكساف تخويف بزوال النعمة وظهورها بعد ذلك نعمة عظيمة وقبيح بالعبد أن تظهر آية من آيات الله تعالى وهو مستقر لا يرتاع لها بل يقوم معتذرا مما جنت يداه ثم مد له فى ذلك الى طلوع الشمس وعلة الظهر زوال الشمس وهو سجودها لله فانها ما دامت مرتفعة فهى فى علو فاذا زالت مالت للسجود وهو منها بمنزلة الركوع فاذا بلغت متوسط الانحطاط فهو انحدارها للسجود ولذلك سميت العصر عصرا لانها فى صورة انعصارها للانحطاط كما سميت الظهر ظهرا لظهورها على ظهر القبة والعشاء عشاء لعشو الابصار بالظلام والفجر لانفجار الصبح وعلة وقت المغرب ظهور سلطان الليل وهو آية عظيمة طبقت الافق وآب كل شئ الى مأواه وهو رحمة عظيمة لما فيه من ميل النفوس الى السكون فيشكر الله عليها وآخر هذه الآية ظلمة الليل ونعمة السكون فهذه معان مناسبة وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله هذه الاحوال الخمسة تشبه أحوال الانسان فى مدة عمره فان أول ظهور آية الشمس تشبه ولادة الصبى من حيث الظهور ثم تزداد قوة وتزداد تصاعدا واستقلالا وكمالا الى أن تقرب من وسط السماء وهى فى هذه الحالة تشبه الآدمى فى زمن النشو والنماء

القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغانى والاخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب ويتوقع ولادتها (فضيلة المقام بمكة وكراهيته) كرهه بعضهم خوفا من السآمة وكذلك قال الامام عمر رضى الله عنه خشية أن يأنس الناس بهذا البيت وكان يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم وقيل أيضا لتهيج الشوق لينبعث عند المفارقة داعية العود وقال تعالى مثابة للناس وأمنا وقيل للخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها وذلك محظور ويدل على فضيلة المقام لمن يقدر على الوفاء بحقها انه عليه الصلاة والسلام لما عاد الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله الى ولولا انى أخرجت منك ما خرجت منك (فضيلة المدينة) ما بعد مكة بقعة أفضل من المدينة قال عليه الصلاة والسلام صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وبعد المدينة الارض المقدسة قال صلى الله عليه وسلم الصلاة فيها بخمسمائة صلاة وروى ابن عباس رضى الله عنه

فاذا قربت من وسطها بقيت أزمانا على حالة واحدة لا يشاهد فيها ارتفاعا ولا انخفاضا وهى فى هذه الحالة تشبه حالة الانسان فى زمن الشباب الذى لا يظهر فيه زيادة ولا نقص ثم تنتقل الى الجانب الغربى وتأخذ فى الانحطاط قليلا قليلا لكن لا يظهر نقصان نورها وقوتها وحرارتها وهذه الحالة تشبه حالة الكهولة من الانسان وآخر هذا الوقت هو أول وقت العصر وتأخذ الشمس فى النقصان الظاهر والانحطاط البين الى الغروب وهذه الحالة تشبه حالة الانسان فى الشيخوخة فاذا غربت أشبه حالها حال الانسان عند موته ويبقى آثارها فى الافق ثم بعد ذلك يزول أثرها وهو الشفق وهى تشبه حالة الانسان بعد موته فان ذكره يبقى قليلا بعد موته ثم ينسى أى فكانت الصلاة فى هذه الاوقات تذكيرا لهذه الاحوال

(فصل) فى الصحيحين عن أبى برزة الاسلمى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها المعنى فى كراهة النوم قبل العشاء مخافة استمراره الى خروج الوقت وأما كراهة الحديث بعدها فذكر الشيخ جمال الدين الاسنوى رحمه الله له ثلاث معان أحدها أن نومه يتأخر فيخاف مع ذلك أن تفوته الصبح عن وقتها أو عن أوله الثانى لوقوع الصلاة التى هى افضل الاعمال خاتمة عمله ورب مامات فى نومه الثالث لان الله تعالى جعل الليل سكنا وهذا يخرجه عن ذلك وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى الصلاة فلم يمر بنائم الا أيقظه قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى شرح المهذب يستحب ايقاظ النائم للصلاة ولا سيما ان ضاق وقتها لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى قال فى تسهيل المقاصد لزوار المساجد ايقاظ النائم مستحب فى ثلاث عشرة صورة الاولى هذه الثانية اذا نام أمام المصلين لانه يشوش عليهم الثالثة اذا نام فى الصف الاول أو محراب المسجد فانه يوقظ عند اقامة الصلاة لان اقامتها فى هذه المواضع مطلوبة وان كان صلى ثم نام وهو مقصر حيث لم ينم فى أخريات المسجد الرابعة اذا كان نائما على سطح لا حظير له لورود النهى عنه قال صلى الله عليه وسلم من بات على ظهر بيت ليس له حجار فقد برئت منه الذمة رواه أبو داود قال المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب هكذا وقع فى روايتنا حجار بالراء بعد الالف وفى بعض النسخ حجاب بالباء الموحدة وهو بمعناه الخامسة اذا نام وبعضه فى الظل وبعضه فى الشمس لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان ينام الرجل وبعضه فى الظل وبعضه فى الشمس السادسة اذا نام بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصبحة تذهب الرزق وعن بعضهم وأظنه عمر بن عبد العزيز أنه رأى ابنا له فى هذا الوقت نائما فأيقظه وقال الارزاق تقسم وأنت نائم السابعة اذا نام قبل صلاة العشاء فانه يكره النوم قبلها الثامنة اذا نام بعد العصر التاسعة اذا نام خاليا فى البيت وحده فانه يكره له ذلك كما ذكره الحليمى فى شعب الايمان العاشرة اذا نامت المرأة مستلقية ووجهها الى السماء فانه يكره كما ذكره الحليمى فى المنهاج واستدل بان عمر بن عبد العزيز رأى ابنته كذلك فنهاها الحادية عشر اذا رأى شخصا نائما على وجهه فانه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا كذلك فقال هذه ضجعة يبغضها الله ورسوله الثانية عشر يستحب أن يوقظ غيره لصلاة الليل لانه صلى الله عليه وسلم أيقظ عليا وفاطمة وفى أبى داود أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله رجلا قام من الليل وأيقظ أهله فان أبت رش فى وجهها الماء الثالثة عشر يستحب ايقاظ النائم ليتسحر لقوله صلى الله عليه وسلم ان بلالا ينادى بليل ليوقظ نائمكم

(الباب الخامس فى الحث على الخشوع فى الصلاة)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوأها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصلى الصلاة ولعله لا يكون له منها الا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها أو سدسها حتى أتى على الصلاة رواه ابن حبان فى صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحدثه ويحدثنا فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع

قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بألف صلاة والصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة

(فصل) فى شروط وجوب الحج وصحته وأركانه وواجباته ومحظوراته أما الشرائط المصححة له فهو الوقت والاسلام فيصح حج الصبى المميز ويحرم بنفسه ويحرم الولى عنه اذا لم يكن مميزا ويفعل به ما يفعل بنفسه ووقت الاحرام هو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ومن أحرم بالحج فى غير هذا الوقت فهى عمرة اذ جميع السنة وقت العمرة وشروط وقوعه عن حجة الاسلام خمسة الحرية والاسلام والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبى والعبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بالمزدلفة فعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر يوم النحر أجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض حج الاسلام الا الوقت وأما الشرط فى وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فبراءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل فهذا الترتيب مستحق

قلب هذا لخشعت جوارحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مضيئة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلاها لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال علي رضي الله عنه يا رسول الله ما أفضل الصلاة قال ما حضرت فيها القلوب وذرفت فيها العيون وخلصت فيها النيات وفاضت فيها العبرات وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وروى أن عمر رضي الله عنه قال يوما على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل صلاته لله تعالى قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حان وقت الصلاة أسبغت الوضوء ثم أتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم الى صلاتي فأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأجلس على الورك اليسرى وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا قال الغزالي رحمه الله وكان عامر بن عبد قيس من خاشعي المصلين وكان اذا دخل في الصلاة ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيأ مما نجد من أمور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في أحب الى من أن أجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وتآكل طرف بعضهم فاحتاج الى قطعه فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يشعر بما يجري عليه فقطعت وهو في الصلاة وقيل لخلف ابن أيوب رحمه الله ألا يؤذيك الذباب في الصلاة فتطرده فقال لا أعود نفسي شيأ يفسد علي صلاتي قيل فكيف تصبر على ذلك فقال بلغني أن الفساق يصبرون على سياط السلطان ليقال فلان صبور وأنا قائم بين يدي الله تعالى أفأتحرك لذبابة وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا قال لا في الصلاة ولا في غيرها وقيل لآخر هل تذكر في الصلاة شيأ قال وهل شيء أحب الي من الصلاة فأذكره في الصلاة قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في أماليه ينبغي للمصلي أن يشتغل بما هو فيه فاذا قرأ آية وعيد حزن وخاف من عذاب الآخرة أو آية وعد رجا رحمة ربه عز وجل أو آية فيها تعظيم لله عز وجل عظمه وأعرض عن الخوف والرجاء ثم على هذا يكون في سائر أركان الصلاة يقوم في كل ركن بما هو فيه دون ما سواه وقد قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله ان الشيطان ليشغلني عن القراءة بذكر الجنة والنار

(الباب السادس فيما يكره في الصلاة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار رواه البخاري ومسلم وروى الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما يؤمن أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس كلب قال الغزالي رحمه الله قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله عز وجل مقبلا على العبد ما كان في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت أعرض عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلاة أحسبه قال

ولا يصح الا بذلك على الراجح خلافه وشرط لزوم الحج الحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ويتحلل بعمل عمرة أو حج وأما الاستطاعة فنوعان أحدهما المباشرة وذلك الصحة وأمن الطريق والخصب فيها وأن لا يكون بحرا خطرا وأن يملك نفقة ذهابه وايابه الى وطنه ونفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة بعد أداء الديون وان يقدر على كراء الراحلة النوع الثاني استطاعته المعضوب بماله وهو ان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه والابن اذا عرض الطاعة على الاب صار به مستطيعا ويجوز التأخير بعد الاستطاعة ولكن بشرط سلامة العاقبة والا لقي الله تعالى عاصيا والاركان التي لا يصح الحج بدونها خمسة الاحرام والطواف والسعي وبعده الوقوف بعرفة والحلق على قول وأركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام في الميقات وعلى تاركه شاة والرمي ففيه الدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين وفي الثاني فيها دم

فانما هو بين يدى الرحمن تبارك وتعالى فاذا التفت يقول الله تبارك وتعالى الى من تلتفت الى خير منى أقبل
يا ابن آدم الى فأنا خير ممن تلتفت اليه رواه البزار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون
أبصارهم الى السماء فى صلاتهم فاشتد قوله فى ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو
رافع رضى الله عنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى الرجل ورأسه معقوص وعن أبى هريرة رضى
الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان رواه مسلم قال النووى رحمه الله كراهة الصلاة بحضرة طعام
يتوق اليه أو وهو يدافعه الاخبثان عند جمهور أصحابنا وغيرهم اذا صلى كذلك وفى الوقت سعة فان ضاق
بحيث لو أكل أو تطهر خرج الوقت صلى على حاله وحكى المتولى وجها انه لا يصلى بل يأكل ويتوضأ وان
خرج الوقت واذا صلى على حاله وفى الوقت سعة كره وصلاته صحيحة ونقل القاضى عياض عن أهل الظاهر
أنها باطلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان أحدكم فى الصلاة فانه يناجى ربه عز وجل فلا يبزقن بين
يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه رواه البخارى ومسلم قال القاضى عياض رحمه الله النهى
عن البصاق عن يمينه هو مع امكان غير اليمين فان تعذر بان يكون عن يساره رجل فله البصاق عن يمينه لكن
الافضل تنزيه اليمين عن ذلك ما أمكن وعن بلال رضى الله عنه أنه أبصر رجلا لا يتم الركوع ولا السجود فقال
لو مات هذا لمات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى عبد
لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته
قيل وكيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه نهى أن يصلى الرجل مختصرا رواه البخارى ومسلم وفى رواية لابن حبان الاختصار فى الصلاة
راحة أهل النار وحكى فى شرح المهذب فى معنى الاختصار فى الصلاة أربعة أقوال أحدها أن يضع يده على
خاصرته وهو الاصح وفى حكمة النهى عنه أقوال قيل انه فعل المتكبرين وقيل فعل الكفار وقيل فعل
الشيطان وحكى فى شرح مسلم أن ابليس هبط من الجنة كذلك القول الثانى أن يتوكأ على عصا الثالث
أن يختصر السورة فيقرأ آخرها الرابع أن يختصر صلاته فلا يتم حدودها وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى فى سبع مواطن فى المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفى
الحمام وفى معاطن الابل وفوق ظهر بيت الله رواه الترمذى تكره الصلاة فى هذه المواضع وحكى ابن هبيرة
عن أحمد فى الصلاة فيها ثلاث روايات قال أشهرها البطلان والثانية الصحة مع الكراهة الثالثة ان كان عالما
بالنهى أعاد والا فلا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الصفن والصفد فى الصلاة قال الغزالى
رحمه الله والصفد هو اقران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين
ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد وفى الخبر سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة
والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشئ قال الغزالى وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف
أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وان يصلى بطريق من يمر بين يديه وقال
الغزالى رحمه الله حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة فى الصلاة ان ينكر عليه فان صدر ذلك منه
عن جهل رفق به وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد والوقوف خارج الصف والانكار على
من رفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل
حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسىء صلاته ولم ينهه فهو شريكه فى وزرها وقال
بلال بن سعد الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا ظهرت ولم تغير أضرت بالعامة وكان بلال يسوى
الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسوى صفوفنا كأنما يسوى بها القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه ثم خرج يوما فقام حتى كاد أن يكبر

فرأى

على سبيل الاستحباب وأما
وجوه أداء الحج والعمرة
فثلاثة الاول الافراد وهو
الافضل وذلك أن يقدم الحج
وحده فاذا فرغ خرج الى
الحل وأحرم واعتمر وأفضل
الحل الاحرام بالعمرة من
الجعرانة ثم التنعيم ثم
الحديبية وليس على المفرد
دم الا أن يتطوع الثانى
القران وهو أن يجمع
فيقول لبيك بحج وعمرة فيصير
محرما ويكفيه أعمال الحج
وتندرج العمرة تحت الحج
كما يندرج الوضوء تحت
الغسل الا أنه اذا طاف
وسعى قبل الوقوف فسعيه
محسوب من النسكين وأما
طوافه فغير محسوب لان
شرط طواف الفرض فى
الحج أن يقع بعد الوقوف
وعلى القارن دم شاة الا أن
يكون مكيا فلا شئ
عليه لانه لم يترك الميقات اذ
ميقاته مكة الثالث التمتع
وهو أن يجاوز الميقات
بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع
بالمحظورات الى وقت الحج
ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا
الا بخمس شرائط أحدها
أن لا يكون من حاضرى
المسجد الحرام وحاضره من
كان منه على مسافة لا يقصر
فيها الصلاة الثانى أن يقدم
العمرة على الحج الثالث
أن تكون عمرته فى أشهر
الحج الرابع أن لا يرجع الى
ميقات الحج ولا الى مثل
مسافته لاحرام الحج الخامس
أن تكون حجته وعمرته

فرأى رجلا باديا صدره من الصف فقال عباد الله لتسوّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم

(الباب السابع في أحكام المساجد وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول في فضل المساجد) قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع قال الحسن تعظم يعني لا يذكر فيها الخنا من القول ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه أي يصلي له فيها بالغدوّ بالغداة والآصال أراد بالغداة والعشي * قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله عن حضور المساجد لاقامة الصلاة وأراد بقوله واقام الصلاة أداءها في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة وأعاد ذكر اقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لانه أراد باقام الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقوله تعالى وايتاء الزكاة أي المفروضة وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها وقيل هي الاعمال الصالحة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب في الجوف فترفع الى الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج وتقلب البصر شخوصه من هول الامر وشدته ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن أي بأحسن ما عملوا يريد يجزيهم باحسانهم وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها ويزيدهم من فضله ما لم يستحقوه بأعمالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة قال النووي رحمه الله يحتمل قوله مثله أمرين أحدهما أن يكون معناه بنى الله له مثله في مسمى البيت وأما صفته في السعة وغيرها فمعلوم فضلها وانها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الثاني معناه أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا اختصى وان خصاء أمتي الصيام فقال ائذن لنا في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله فقال في الترهب فقال ان ترهب أمتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المساجد سوق من أسواق الآخرة من دخلها كان ضيف الله وجزاؤه المغفرة وتحيته الكرامة عليكم بالارتاع قالوا يا رسول الله وما الارتاع قال الدعاء والرغبة الى الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان بيوتي في أرضي المساجد وان زوّاري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث أو يخرج من المسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم مضى الى بيت من بيوت الله تعالى كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقيل في قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم أي خطاهم الى المسجد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله ونكتب ما قدموا وآثارهم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذي يصليها ثم ينام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن

من شخص واحد فهذه الاوصاف يصير متمتعا ويلزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى أهله فهي عشرة ان شاء تباعا أو متفرقا والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران وأما محظورات الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبا فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا يغطي رأسه فان احرامه في رأسه وللمرأة أن تلبس المخيط غير أن لا تستر وجهها بما يماسها فان احرامها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية وهي دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع وهي القبلة والملامسة التي تنقض التطهير مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس

الوضوء ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ
(الفصل الثاني في آداب داخل المسجد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني أسألك من فضلك رواه النسائي وغيره وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم صل على محمد واذا خرج قال بسم الله اللهم صل على محمد قال الغزالي رحمه الله لا يضع المصلي نعليه عن يمينه ولا عن يساره فيضيق الموضع و يقطع الصف بل يضعها بين يديه ولا يتركهما وراء ظهره فيكون قلبه ملتفتا اليها و روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين يديه وقال أبو هريرة رضي الله عنه لغيره اجعلها بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين قال النووي رحمه الله تحية المسجد سنة بالاجماع وحكى القاضي عياض رحمه الله عن داود وأصحابه وجوبها وهي مستحبة كل وقت وكرهها أبو حنيفة والاوزاعي والليث في وقت النهي قال في الاحياء ولو دخل المسجد ولم يكن على وضوء فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال النووي ولا بأس به وقال يستحب أيضا اذا كان له شغل يشغله عن الصلاة وزاد ابن الرفعة ولا حول ولا قوة الا بالله فاذا جلس استحب له أن ينوي الاعتكاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة وفواق الناقة ما بين الحلبتين سمي فواقا لان اللبن ينزل من فوق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين رواه البيهقي ويستحب له أن يشتغل بالذكر وتلاوة القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قيل وما الرتع يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم ويكره الخروج من المسجد بعد الاذان لما روى أبو الشعثاء قال كنا قعودا مع أبي هريرة في المسجد فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد فقال أبو هريرة أما هذا فقد عصى أبا القاسم

(الفصل الثالث فيما يكره في المسجد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم رواه مسلم وفي رواية الطبراني الفجل أيضا قال ابن المنذر في الاقناع يحرم عليها الحضور والحالة هذه وجزم النووي في الروضة بان ذلك مكروه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المسجد وعن البيع والشراء فيه وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة في المسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم من يبيع و يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك حسنه الترمذي ففي كراهة البيع والشراء في المسجد قولان أصحهما يكره بل قال صاحب العدة انه مما فيه من الصغائر وقال أحمد لا يصح البيع قال الغزالي في الاحياء لو اتخذ المسجد حانوتا على الدوام حرم ذلك ومنع منه ونقل مالك عن عطاء بن يسار أنه كان اذا رأى رجلا يبيع و يشتري في المسجد يقول له عليك بسوق الدنيا فان هذا سوق الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومن سل سيوفكم ومن اقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وأجمروها في الجمع واجعلوا على أبوابها المطاهر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وفي الخبر ان الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فحقه أن لا يقول

الا

قتل صيد البر أيضا ما يؤكل أو ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة والله أعلم

(فصل) في ترتيب الاعمال الظاهرة من أول السفر الى الرجوع الى الوطن وهي عشر جمل (الاولى) في السير من أول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية التوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد نفقة من يومه الى الرجوع ورد الودائع وأن يكون ما يستصحبه حلالا الثانية التماس رفيق صالح ينتفع بدينه الثالثة أن يصلي قبل الخروج ركعتين يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فاذا فرغ رفع يديه وقال اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة وبلية الرابعة اذا وصل الى باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي الخامسة في الركوب فاذا ركب الدابة قال بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله حسبي الله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادسة النزول والسنة ان لا ينزل حتى

الأشياء وعن خلف بن أيوب أنه كان في المسجد فأتاه غلامه فسأله عن شيء فقام وخرج من المسجد ثم أجابه فقيل له في ذلك فقال ماتكلمت في المسجد منذ كذا وكذا سنة بكلام الدنيا فكرهت أن أتكلم اليوم فيه وعن عثمان رضي الله عنه انه رأى خياطا في ناحية المسجد فأمر باخراجه فقيل يا أمير المؤمنين انه يكنس المسجد و يغلق الابواب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جنبوا صناعكم من مساجدكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها رواه البخاري ومسلم قال النووي والمراد بدفنها اذا كان المسجد ترابا أو رملا ونحوه فيواريها تحت ترابه قال الروياني في البحر وقيل المراد بدفنها اخراجها من المسجد أما اذا كان المسجد مبلطا أو مجصصا فدلكها عليه بمداسه أو بغيره كما يفعله كثير من الجاهلين فليس ذلك بدفن بل زيادة في الخطيئة وتكثير للقذر في المسجد وعلى من فعل ذلك أن يمسحه بعد ذلك بثوبه أو بيده أو غيره أو يغسله وروى أن رجلا أم قوما فبصق في القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فقال صلى الله عليه وسلم حين فرغ لا يصلي لكم فأراد بعد ذلك أن يصلي فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى نخامة في قبلة المسجد فحكها ثم أقبل على الناس مغضبا فقال أيسر أحدكم أن يبصق في وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسجد بيت كل تقي ومن ابتلع ريقه في المسجد تعظيما لله أعقبه الله من ذلك صحة في جسمه وعافية في بدنه وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ازدرد ريقه في المسجد تعظيما لحق المسجد جعل الله ذلك صحة في جسمه وكتب له حسنة ومحى عنه سيئته وقال لفاعله أي الذي يبصق في المسجد انك آذيت الله ورسوله وعزله عن ولاية الامامة وغضب حين رأى ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يغضب الا اذا انتهكت حرمات الله تعالى وصحح النووي في التحقيق تحريم البصاق في المسجد قال سواء فيه داخله وخارجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه مر بمسجد مزخرف فقال لعن الله من زخرفه أو قال لعن الله من فعل هذا المساكين أحوج من الاساطين وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام يكره كراهة شديدة تعليق العمر في المسجد اذا كانت بحيث يراها المصلي وتهوش عليه فان كانت بحيث لاتهوش فلا بأس وقال بعض العلماء ينبغي الاحتراز عن الصلاة في المواضع المنقوشة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى في الخميصة التي لها أعلام نزعها وقال انها ألهتني آنفا عن صلاتي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون الغرباء في الدنيا أربعة قرآن في جوف ظالم ومسجد بين قوم لا يصلون فيه ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح بين قوم سوء

(الفصل الرابع في الحث على تنظيف المساجد وتطييبها وتنويرها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا المساجد في المحال ونظفوها وطيبوها وقال الحسن رحمه الله مهور الحور العين كنس المساجد وعمارتها وقال أنس رضي الله عنه من أسرج سراجا في مسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوءه قال في الروضة ومما يحتاج اليه اذا نذر زيتا أو شمعا أو نحوه ليسرج في مسجد أو غيره ان كان بحيث قد ينتفع به ولو على ندور مصل هناك أو نائم أو غيرهما صح ولزم وان كان يغلق ولا يتمكن أحد من الدخول والانتفاع به لم يصح ولو وقف شيأ ليشترى من غلته زيت أو غيره ليسرج في مسجد أو غيره فحكمه في الصحة ماذكرناه في النذر

(الفصل الخامس في حضور النساء المساجد وفضل صلاتهن في بيوتهن) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن

يمحى النهار و يكون سيره في الليل قال عليه الصلاة والسلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار السابعة أن يحذر المشي وحده خيفة الاغتيال الثامنة أن يقول مهما علا نشزا من الارض بعد أن يكبر ثلاثا اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت (الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة) وهي خمسة الاول الاغتسال وينوي به غسل الاحرام ويتم ذلك بتقليم الاظفار وقص الشارب ومايلحق به الثاني أن يفارق الثياب المخيطة كما سبق ولا يتطيب ولا بأس ببقاء جرم الطيب وريحه كما تقدم الثالث أن ينوي الاحرام عند حركته أو حركة دابته منبعثا ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبة اليك لبيك بحجة حقا حقا تعبدا ورقا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد

النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن رواه الحاكم وأبو داود وقال صحيح على شرط الشيخين وفي رواية لابي داود وابن حبان لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات قال النووي رحمه الله في شرح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تمنع المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الاحاديث وهو أن لا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال ولا شابة ونحوها ممن يفتتن بها وأن لا يكون بالطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها وهذا النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه اذا كانت المرأة ذات زوج أو سيد ووجدت الشروط المذكورة فان لم يكن لها زوج ولا سيد حرم المنع اذا وجدت الشروط وروى أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير مساجد النساء قعر بيوتهن وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة عورة وانها اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان وانها لا تكون أقرب الى الله منها في قعر بيتها رواه الطبراني في الاوسط ورجاله رجال الصحيح وعن ابي عمرو الشيباني انه رأى عبد الله يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول اخرجن الى بيوتكن خير لكن رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدثت النساء لمنعهن من المسجد كما منعت بنو اسرائيل نساءها قولها لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدثت النساء لمنعهن من المسجد تعني من الزينة والطيب وحسن الثياب ونحوها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة اصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة رواه مسلم وعن زينب الثقفية امرأة ابن مسعود رضي الله عنها قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهدت احداكن المسجد فلا تمس طيبا رواه مسلم وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد اذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فان بني اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المساجد رواه ابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت الى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل رواه ابن خزيمة ويستحب للمرأة اذا مشت الى المسجد أن تمشي بجانب الطريق حتى لا تختلط بالرجال لما روى ابو أسيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي في طريق وأمامه امرأة فقال لها تنحي من الطريق فقالت الطريق واسع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جبارة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمشي الرجل بين المرأتين أخرجهما أبو داود

(الباب الثامن في صلاة الجماعة وفيه ثلاثة فصول)

(الاول في فضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك انه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة لفظ البخاري في الجمع بين هذين الحديثين أوجه أحدها انه لا منافاة بينهما فذكر القليل لا ينفي الكثير ومفهوم العدد باطل عند جمهور الاصوليين

وسلم الرابع اذا استقت احرامه يستحب أن يقول اللهم اني أريد الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني الخامس يستحب ترديد التلبية في دوام الاحرام (الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة) الاول الاغتسال بذي طوى لدخول مكة والاغسال المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع فتعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول الى أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي وبشري على النار وأمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك يارب العالمين الثالث أن يدخل مكة من جانب الابطح وهي من ثنية كدا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها ويخرج من ثنية كدا بضم الكاف فالاولى هي العليا والثانية هي السفلى الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم وعندما يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا

الثانى أن يكون أخبر أولا بالقليل ثم أعلمه الله بزيادة الفضل فأخبر بها الثالث انه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة فيكون لبعضهم خمس وعشرون ولبعضهم سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ومحافظته على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلهم وشرف البقعة ونحو ذلك الرابع أن الاختلاف بحسب قرب المسجد وبعده الخامس أن الاولى للصلاة الجهرية والثانية للسرية لانها تنقص عن الجهرية بسماع قراءة الامام والتأمين لتأمينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ثلاثة فى قرية ولا بدو ولا تقام فيهم الصلاة الا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية رواه أبو داود والنسائى والحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار لفظ مسلم ذهب عطاء والاوزاعى وأحمد وأبو ثور وابن المنذر وابن خزيمة وداود الى أن الجماعة فرض عين واحتجوا بهذا الحديث وعن عمرو بن أم مكتوم أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله انى رجل ضرير البصر شاسع الدار ولى قائد لا يلاومنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى قال هل تسمع النداء قال نعم قال لا أجد لك رخصة رواه أبو داود قال البيهقى وغيره معناه لا أجد لك رخصة تحصل لك فضيلة الجماعة من غير حضورها وقال صلى الله عليه وسلم ان صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو أحب الى الله عز وجل رواه أبو داود وغيره وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الاولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق رواه الترمذى وانما تحصل هذه الفضيلة بأن يشتغل بالتحرم بالصلاة عقب تحريم امامه من غير وسوسة ظاهرة فلو خاف فوت وقت تكبيرة الاحرام قال أبو اسحق يستحب أن يسرع ليدركها والصحيح أنه لا يسرع بل يمشى بسكينة ولو خاف فوت أصل الجماعة بأن يسلم الامام أسرع قطعا قاله الغزالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله رواه مسلم وذكروا للجماعة فوائد منها أمن المصلى من السهو عن بعض أركان الصلاة ومافى الجماعة من اظهار شعار الدين ومافيها من كثرة العمل وانتظار الصلاة اليها والاجتماع على جماعة المسلمين وتفقد أحوالهم وافشاء السلام بينهم وسؤال بعضهم عن بعض وتشبيه صلاتهم بالجمعة التى هى أكمل الصلوات وايقاع الصلاة فى أول الوقت غالبا وغيظ الكفار اذا شاهدوا اجتماع المسلمين ومن فوائدها ماقاله النيسابورى انه ما اجتمع أربعون رجلا الا كان فيهم عبد صالح لله تعالى فببركته ترحم البقية ويستجاب لهم ومنها ان الانسان اذا دعا لنفسه وحده واستجيب له دخله العجب بخلافه اذا دعا والقوم يؤمنون فانه يجوز انه انما استجيب له بدعائهم ومنها ادراك فضيلة تكبيرة الاحرام مع الامام ومنها ماذكر بعضهم ان المياه المتفرقة اذا كانت دون قلتين تحتمل النجاسة واذا اجتمعت دفعت النجاسة وكذلك الجماعة تدفع عنها دنس الذنوب باجتماعها بخلاف المنفرد ومنها ان الشيطان لا يقوى على الجماعة بخلاف المنفرد وانما يأخذ الذئب من الغنم القاصية ومنها ان أتى المسجد والجماعة يكتب له أجر ذهابه ورجوعه الى منزله كما قال صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب حين قال لى ألا تتخذ دابة تحملك فى الظلماء وتقيك حر الرمضاء فقال انى أحب أن يكتب لى أجر ممشاى الى المسجد وأجر رجوعى قال ان الله قد أعطاك ذلك كله قال القفال الشاشى فى محاسن الشريعة الحكمة فى طلب صلاة الجماعة أن الاجتماع فى الصلاة مشتمل على مطلوبات كافشاء السلام بين الحاضرين والتودد لهم ومعرفة أحوالهم فيقومون بعيادة المرضى ومنها زيادة العمل عند مشاهدة أرباب الجد فطلب الشارع اجتماع أهل الخطط والمحال فى مساجدهم فى كل يوم وليلة خمس مرات واجتماع أهل البلد فى الجمعة مرة واحدة فى المسجد الجامع وأهل الرساتيق والسواد مع أهل البلد فى السنة مرتين وذلك فى العيدين واجتماع أهل الامصار والاقاليم فى السنة مرة واحدة فى موقف عرفة

بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخله من باب بنى شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك أسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك ورحمتك السادس أن يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم أمانتى أديتها وميثاقى تعاهدته اشهد لى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل فيقف فى مقابلته ويقول ماسبق ثم لا يعرج على شىء دون طواف القدوم الا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف (الجملة الرابعة فى الطواف) فاذا

(الفصل الثانى فى فضل الامامة وذكر ما على الامام من الوظائف) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كثبان المسك أراه قال يوم القيامة عبد أدى حق الله وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادى بالصلاة فى كل يوم وليلة رواه الترمذى وقد استدلت الصحابة رضى الله عنهم على تقديم أبى بكر رضى الله عنه بالخلافة بتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه للامامة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا للدنيا من رضيه لديننا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تجاوز صلاتهم تراقيهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم له كارهون قال فى التنبيه ويكره بان يؤم الرجل قوما وأكثرهم له كارهون قال النووى رحمه الله فى زوائد الروضة فان كرهه الاقل أو النصف لم تكره امامته قال ابن الرفعة فى تعليق ما يدل على الكراهة مطلقا قال النووى والمراد أن يكرهوه لمعنى مذموم فى الشرع أى مثل أئمة الظلمة ومن تغلب على الامامة وهو غير مستحق لها كما قال صاحب التهذيب فان لم يكن كذلك فالعيب عليهم ولا كراهة قال الغزالى رحمه الله فان اختلف القوم كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى قال وكما ينهى عن تقدمه لكراهيتهم فكذلك ينهى عنه ان كان وراءه من هو أفقه وأقرأ منه الا اذا امتنع من هو أولى به فله التقدم وقال صلى الله عليه وسلم ان سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم فانهم وفدكم فيما بينكم وبين الله وقال صلى الله عليه وسلم من أم قوما فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسؤل لما ضمن فان أحسن كان له من الاجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجرهم شيأ وما كان من نقص فهو عليه رواه الطبرانى وقال صلى الله عليه وسلم يصلون لكم فان أصابوا فلكم وان أخطؤا فلكم وعليهم رواه البخارى وقال الحسن رحمه الله لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعى رحمه الله مثل الذى يؤم الناس بغير علم كمثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يعرف زيادته من نقصانه وقال ابن هبيرة فى الافصاح أشهر الروايه عن أحمد أنه لا تصح امامة الفاسق قال صلى الله عليه وسلم اذا أم أحدكم الناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض والكبير والصغير وذا الحاجة واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ماشاء قال صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم حسنه الترمذى وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأدخل فى الصلاة أريد اطالتها فأسمع بكاء الصبى فأخفف من شدة وجد أمه به قال الخطابى هذا الحديث يدل على أن الامام اذا أحس برجل يريد الصلاة معه وهو راكع جاز له أن ينتظره وهو راكع ليدرك الركعة لانه اذا جاز له أن يحذف من طول صلاته لحاجة انسان فى بعض أمور الدنيا جاز له أن يزيد فيها العبادة الله سبحانه

(الفصل الثالث فيما على المأمومين من الوظائف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا رواه البخارى ومسلم قال ابن الملقن رحمه الله فى شرح المنهاج لو خاف فوت تكبيرة الاحرام قال أبو اسحق يستحب أن يسرع ليدركها والصحيح انه لا يسرع بل يمشى بسكينة ووقار كما لو لم يخف فوتها ولو خاف فوت أصل الجماعة بأن يسلم الامام أسرع قطعا قال العورانى وفى الصحيحين عن ابن عباس قال كنت عند خالتى ميمونة نائما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل فقمت عن يساره فأخذ برأسى وأقامنى عن يمينه فيه فوائد الاولى أنه يدل على جواز الجماعة فى النافلة الثانية المأموم الواحد يقوم عن يمين الامام الثالثة أن العمل القليل لا يبطل الصلاة الرابعة أنه يدل على أن المأموم لا يتقدم على الامام لان النبى صلى الله عليه وسلم أدار ابن عباس من ورائه وهو أشق من ادارته عن يمينه ومع ذلك عدل اليه فدل ذلك على أنه لا يجوز الخامسة أنه دل على أنه يجوز الاقتداء بمن لم ينو الامامة لان النبى صلى الله عليه وسلم شرع فى الصلاة منفردا وذكره البغوى وعن أبى بكرة رضى الله عنه انه انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكع فركع قبل أن يصل الى الصف

فذكر

ثم اذا أراد أن يطوف أى طواف كان فعليه ستة أمور منها أن يراعى شروط الصلاة فى الطواف فان الطواف صلاة الا أنه أبيح فيه الكلام وليضطبع فى ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفه على منكبه الايسر ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التى سنوردها الثانى اذا فرغ الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف فى البيت ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف الثالث أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر الأسود وينتهى الى باب البيت يقول اللهم هذا البيت بيتك كما سبق الرابع أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الاربعة الاخيرة على السكينة واستلام الحجر

فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال زادك الله حرصا ولا تعد رواه البخاري قيل معناه لا تعد الى الاحرام خارج الصف وقيل الى التأخر عن الصلاة الى هذا الوقت وقيل الى اتيان الصلاة مسرعا وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم أولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلاثا واياكم وهيشات الاسواق رواه مسلم الاحلام جمع حلم بكسر الحاء وهو الرفق في الامر والتأني فيه والنهى جمع نهية بضم النون وهي العقل لانه ينهى عن القبيح وهيشات الاسواق جمع هيشة وهي الفتنة والاضطراب يعني احذروا من أن تقفوا مختلطين بحيث لا يتميز العالم من الجاهل والرجال من الصبيان ولا الذكور من الاناث وانما أمر صلى الله عليه وسلم أن يليه أولو الاحلام ليعقلوا عنه صلاته ولانه اذا احتاج الى الاستخلاف كانوا اقرب بيامنه ليستخلفهم في صلاته وان أصابه سهو في صلاته فينبهوه قال الدارمي في استذكاره انما يقدم الرجال على الصبيان اذا كان الرجال أفضل أو تساويا فان كان الصبيان أفضل قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه لاستهموا رواه البخاري ومسلم قال صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها رواه مسلم قال النووي رحمه الله أما صفوف الرجال فخيرها أولها أبدا وشرها آخرها أبدا وأما صفوف النساء فالمراد صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال وأما اذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابا وأبعدها من مطلوب الشرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله قيل معناه يمسخها ويحولها عن صورها كقوله يجعل الله صورته صورة حمار وقيل يغير صفتها قال والاظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال تغير وجه فلان علي أي ظهر من وجهه كراهته لي وتغير قلبه علي لان مخالفتهم مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر هو سبب لاختلاف البواطن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر رواه أبوداود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف رواه أبوداود أيضا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وقال صلى الله عليه وسلم خياركم ألينكم مناكب في الصلاة وما من خطوة أعظم أجرا من خطوة مشاها رجل الى فرجة في الصف فسدها رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم من سد فرجة في الصف غفر له رواه البزار باسناد حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد واذا صلى قائما فصلوا قياما واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون رواه البخاري ومسلم قال النووي معنى قوله انما جعل الامام ليؤتم به عند الشافعي في الافعال الظاهرة والا فيجوز أن يصلي الظهر خلف العصر وعكسه والفرض خلف النفل وعكسه وقال مالك وأبو حنيفة لا يجوز ذلك فالوا معنى الحديث ليؤتم به في الافعال والنيات وقالت طائفة بظاهر هذا الحديث وممن قال به أحمد والاوزاعي وقال مالك في رواية لا تجوز صلاة القادر على القيام خلف القاعد لا قائما ولا قاعدا وقال أبو حنيفة والشافعي وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام أن يصلي خلف القاعد الا قائما واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مرض وفاته بعد هذا قاعدا وأبو بكر والناس خلفه قياما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري قال النووي رحمه الله معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم قال فهذا هو الصحيح والصواب وحكى القاضي عياض قولا أن معناه وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم فوافق قوله قول أهل السماء وأجاب الاولون عنه بأنه اذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم

والركن اليماني مستحبة في كل شوط الخامس اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت ويتعلق بأستار الكعبة وليضع عليه خده الايمن ويبسط ذراعيه وكفيه عليه ويقول اللهم يارب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار وأعذني من الشيطان الرجيم وأعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك وليحمد الله كثيرا وليصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل السادس اذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الاولى قل ياأيها الكافرون وفي الثانية سورة الاخلاص وهما ركعتا الطواف وقال الزهري مضت السنة أن يصلي لكل سبع ركعتين (الجملة الخامسة) في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا فاذا انتهى الى الصفا وهو جبل فيستحب أن يرقى فيه درجا في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من أصل الجبل كاف ولكن بعض

حتى ينتهي الى السماء ❋(الباب التاسع في صلاة الجمعة وفيه أربعة فصول)❋

❋(الفصل الاول)❋ في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الى آخر السورة
قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة كقوله أروني ماذا خلقوا من الارض وأراد بهذا
النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لما روى البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال كان
النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان
عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذن غير واحد واختلفوا
في سبب تسمية يوم الجمعة بذلك فقيل لان الله جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء
فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الناس فيه للصلاة قال ابن سيرين جمع أهل المدينة قبل قدومه عليه
الصلاة والسلام الى المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه في كل أسبوع وللنصارى يوم
فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي له فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه
يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم أنزل الله عز وجل في
ذلك بعد قوله فاسعوا أي فامضوا واعملوا قال الحسن رحمه الله أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا
أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية الى ذكر الله أي الى الصلاة وقيل الى موعظة
الامام وذروا البيع يعني البيع والشراء لان اسم البيع والشراء يتناولهما ذلكم الذي ذكرت من حضور
الجمعة خير لكم من المبايعة ان كنتم تعلمون مصالح أنفسكم قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة أي فرغ منها
فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا أمر اباحة قال
ابن عباس ان شئت فاقعد وان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر وقال أنس رضي الله عنه أما انه ليس
لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله قال الغزالي رحمه الله وقد سمى الله
تعالى العلم فضلا قال سبحانه وتعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا
داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم وتعليمه في هذا اليوم من أفضل القربات قوله تعالى واذا رأوا تجارة أو
لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قالوا أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة
زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا
اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا قيل وكانت العير اذا
قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو في الآية وقوله انفضوا اليها رد الكناية الى
التجارة لانها أهم قل ما عند الله من الثواب على الصلاة خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين لانه موجد
الارزاق فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف بباب المسجد فقال
اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت لما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين

❋(الفصل الثاني في فضل يوم الجمعة)❋ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم
الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة رواه مسلم وعن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو
قائم يصلي يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها رواه البخاري ومسلم وفي مسلم عن أبي موسى
الاشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين أن يجلس الامام الى أن
تقضى الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر
وفي الخبر ان لله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار

❋(الفصل الثالث في التغليظ على تارك صلاة الجمعة)❋ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن

تلك الدرج مستعد فينبغي
أن لا يخلفها وراء ظهره فلا
يكون شيء مما السعي وان ابتدأ
من ههنا سعى بينه وبين المروة
سبع مرات فاذا انتهى الى
المروة صعدها وأقبل بوجهه
على الصفا فقد حصل السعي
مرة فاذا عاد الى الصفا حصل
مرتان يفعل ذلك سبعا فاذا
فعل ذلك فقد فرغ من
طواف القدوم والسعي
وهما سنتان والطهارة
مستحبة للسعي بخلاف
الطواف فانه واجبة فاذا
سعى فينبغي أن لا يعيد السعي
بعد الوقوف ويكتفي بهذا
ركنا فانه ليس من شرط السعي
أن يتأخر عن الوقوف
وانما ذلك شرط في طواف
الركن نعم من شرطه أن يقع
بعد الطواف أي طواف
كان (الجملة السادسة) في
الوقوف وما قبله الحاج
اذا انتهى يوم عرفة الى
عرفات فلا يتعرض لطواف
القدوم ودخول مكة قبل
الوقوف واذا وصل قبل
ذلك بأيام وطاف طواف
القدوم فيمكث محرما الى
اليوم السابع من ذي الحجة
فيخطب الامام بمكة خطبة
بعد الظهر عند الكعبة
ويأمر الناس بالاستعداد
للخروج الى منى يوم التروية
والمبيت بها وبالغدو منها الى
عرفات لاقامة فرض الوقوف
بعد زوال الشمس اذ وقت
الوقوف من الزوال الى
طلوع الفجر الصادق من
يوم النحر فينبغي أن يخرج

ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه حسنه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فنصف دينار وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة ولا الجماعة فقال هذا في النار رواه الترمذي وروى البيهقي في كتاب فضائل
الاوقات عن الاوزاعي قال كان عندنا رجل يسافر يوم الجمعة يصطاد ولا ينتظر الجمعة فخرج يوما فخسف ببغلته
فلم يبق منها الا اذنها وروى عن مجاهد أن قوما سافروا يوم الجمعة حين زوال الشمس فاضطرم عليهم
خباؤهم من غير أن يروا نارا

(الفصل الرابع في آداب يوم الجمعة وصلاتها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم الجمعة
فليغتسل رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع
من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا
تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل
يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة
ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن
راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر رواه
البخاري ومسلم قال النووي قوله غسل الجنابة أي غسلا كغسل الجنابة قال ابن القيم في الهدى لما كان يوم
الجمعة في الاسبوع كالعيد في العام وكان العيد يشتمل على صلاة وقربان وكان يوم الجمعة يوم صلاة جعل الله
سبحانه وتعالى التعجيل فيه الى المسجد بدلا عن القربان وقائما مقامه فيجتمع للرائح فيه الى المسجد الصلاة
والقربان قال الغزالي رحمه الله في الاحياء الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة
الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال
حق الصلاة ولا فضل فيه قال الغزالي وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بايديهم
صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وفي الاثر أن الملائكة يتفقدون العبد
اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان
كان أخره فقر فأغنه أو مرض فاشفه أو شغل ففرغه لعبادتك أو لهو فأقبل بقلبه الى طاعتك قال
الغزالي وكان في القرن الاول ترى الطرقات سحرا وبعد الفجر مملوءة من الناس يمشون في السرج
ويزدحمون فيها الى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك وأول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى
الجامع يوم الجمعة وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت
ويوم الاحد وطلاب الدنيا يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب ربح الآخرة
فقد قيل ان الناس يوم القيامة يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة دخل
ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الى الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يعاتب نفسه
ويقول لها رابع أربعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقلم أظفاره ويقص
شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج الى الصلاة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة
ولبس من أحسن ثيابه ومس من طيب ان كان عنده ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس ثم صلى ما كتب الله له
ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التي قبلها ويقول أبو هريرة
وزيادة ثلاثة أيام ان الحسنة بعشر أمثالها رواه أبو داود وعن عبد الله بن بسر بالسين المهملة رضي الله
عنه قال جاء رجل يتخطى رقاب الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اجلس فقد آذيت وآنيت أي تأخرت
وأبطأت قال الغزالي رحمه الله وود أن من يتخطى الرقاب يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس قال ومهما

الى منى ملبيا ويستحب له
المشي من مكة في المناسك
الى انقضاء الحج ان قدر عليه
والمشي من مسجد ابراهيم
الى الموقف أفضل وآكد
فاذا انتهى الى منى قال اللهم
هذه منى فامنن علي بما مننت
به على أوليائك وأهل
طاعتك وليمكث هذه الليلة
بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق
به نسك فاذا أصبح يوم عرفة
صلى الصبح فاذا طلعت
الشمس على ثبير سار الى
عرفات ويقول اللهم اجعلها
خير غدوة غدوتها وأقربها
من رضوانك وأبعدها من
سخطك اللهم اليك غدوت
واياك اعتمدت ووجهك
أردت فاجعلني ممن يباهي
به يوم القيامة فاذا أتى
عرفات فليضرب خباءه بنمرة
قريبا من المسجد فثم ضرب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبته ونمرة هي بطن
عرفة دون الموقف ودون
عرفة وليغتسل للوقوف
فاذا زالت الشمس خطب
الامام خطبة وجيزة وقعد
وأخذ المؤذن والامام في
الخطبة الثانية ووصل الاقامة
بالاذان وفرغ الامام
مع اتمام اقامة المؤذن ثم يجمع
بين الظهر والعصر باذان
واقامتين وقصر الصلاة
وراح الى الموقف بعرفة ولا
يقف في وادي عرنة وأما
مسجد ابراهيم فصدره في
الوادي وأخرياته من عرفة
فمن وقف في صدر المسجد لم
يحصل له الوقوف بعرفة



ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه حسنه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فنصف دينار وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار و يقوم الليل ولا يشهد الجمعة ولا الجماعة فقال هذا في النار رواه الترمذي وروى البيهقي في كتاب فضائل الاوقات عن الاوزاعي قال كان عندنا رجل يسافر يوم الجمعة يصطادو لا ينتظر الجمعة فخرج يوما فخسف ببغلته فلم يبق منها الا اذنها ويروى عن مجاهد أن قوما سافروا يوم الجمعة حين زوال الشمس فاضطرم عليهم خباؤهم من غير أن يروا نارا

(الفصل الرابع في آداب يوم الجمعة وصلاتها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة و يتطهر ما استطاع من طهر و يدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه و بين الجمعة الاخرى رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر رواه البخاري ومسلم قال النووي قوله غسل الجنابة أي غسلا كغسل الجنابة قال ابن القيم في الهدى لما كان يوم الجمعة في الاسبوع كالعيد في العام وكان العيد يشتمل على صلاة وقربان وكان يوم الجمعة يوم صلاة جعل الله سبحانه وتعالى التعجيل فيه الى المسجد بدلا عن القربان وقائما مقامه فيجتمع للرائح فيه الى المسجد الصلاة والقربان قال الغزالي رحمه الله في الاحياء الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه قال الغزالي وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وفي الاثر أن الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فاغنه أو مرض فاشفه أو شغل ففرغه لعبادتك أو أخره لهو فأقبل بقلبه الى طاعتك قال الغزالي وكان في القرن الاول ترى الطرقات سحرا و بعد الفجر مملوءة من الناس يمشون في السرج و يزدحمون فيها الى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك وأول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع يوم الجمعة وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت و يوم الاحد وطلاب الدنيا يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب ربح الآخرة فقد قيل ان الناس يوم القيامة يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة دخل ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الى الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يعاتب نفسه ويقول لها رابع أربعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقلم أظفاره و يقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج الى الصلاة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة ولبس من أحسن ثيابه ومس من طيب ان كان عنده ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس ثم صلى ما كتب الله ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها و بين جمعته التي قبلها ويقول أبو هريرة وزيادة ثلاثة أيام ان الحسنة بعشر أمثالها رواه أبو داود وعن عبد الله بن بسر بالسين المهملة رضي الله عنه قال جاء رجل يتخطى رقاب الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اجلس فقد آذيت وآنيت أي تأخرت وأبطأت قال الغزالي رحمه الله وود أن من تخطى الرقاب يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس قال ومهما

الى منى ملبيا ويستحب المشي من مكة في المناسك الى انقضاء الحج ان قدر عليه والمشي من مسجد ابراهيم الى الموقف أفضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن يباهى به يوم القيامة فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي ببطن عرفة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع اتمام اقامة المؤذن ثم يجمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف بعرفة ولا يقف في وادي عرنة وأما مسجد ابراهيم فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة

كان الصف الاول متروكا خاليا فيه مواضع فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن رحمه الله تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على باب الجامع يوم الجمعة فانهم لا حرمة لهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقام الرجل من مجلسه و يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا رواه البخاري ومسلم ولمسلم كان ابن عمر اذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس أحدكم فى مجلسه يوم الجمعة فليتحول الى غيره صححه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مجلسه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث وأحدكم فى صلاة مادامت الصلاة تحبسه رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين رواه الحاكم فى المستدرك قال ابن الملقن رحمه الله والمعنى فى قراءتها يوم الجمعة أن فى سورة الكهف ذكر أهوال يوم القيامة والجمعة مشبهة بالقيامة لما فيها من اجتماع الخلق وقيام الخطيب ولان القيامة تقوم يوم الجمعة قال صاحب الذخائر قيل المستحب أن يقرأها قبل طلوع الشمس وقبل العصر وظاهر الحديث لا يقتضى التخصيص بوقت اه وفى الشامل الصغير أن الاولى قراءتها عند الرواح الى الجامع قال ابن الملقن وهو غريب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا سورة هود يوم الجمعة رواه الدارمى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر الله له رواه الترمذى وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة و يوم الجمعة بنى الله له بها بيتا فى الجنة وفى تفسير الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس و روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة يس فى ليلة الجمعة غفر له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على فقالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى يقول بليت قال ان الله حرم على الارض أجساد الانبياء رواه أبو داود والنسائى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة على ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا رواه البيهقى و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال صبيحة الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وروى المنذرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ اذا سلم الامام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الاجر بعدد من آمن بالله و رسوله قال الغزالى يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وذكر البيهقى فى فضائل الاوقات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكم فى كل جمعة حجة وعمرة فالحجة التهجير للجمعة والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من عملهن فى يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة وأعتق رقبة رواه ابن حبان فى صحيحه *(حكاية)* ذكر أن رجلا أكارا من بعض القرى وكان يحضر الجمعات بالمدينة فيصلى و ينصرف لا يحضرها الا للصلاة فاتفق له يوم الجمعة أن بقرته ضاعت ومزرعته كانت عطشانة وكان له حنطة فى الرحى ولم يكن فى البيت طحين يخبزون الخبز فقال لامرأته ياهذه ان خرجت فى طلب البقرة يفوتنى سقى الماء والطحن جميعا وان خرجت الى الرحى يفوتنى طلب البقرة وسقى الماء وان خرجت الى سقى الماء يفوتنى هذان وان اشتغلت بهذه الاشغال تفوتنى الجمعة فالاولى أن أبدأ بالجمعة وأؤدى الفرض فان الله تعالى يكفينى هذه الاشغال فلما قضى صلاته ورجع الى بيته جعل الطريق على مزرعته واذا فيها ماء قدر الكفاية فلما بلغ باب داره رأى بقرته على باب الدار فلما دخل الدار

فاذا

ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخر كبار والاولى أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبل القبلة وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة وينبغى أن لا ينفصل عن طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع بين الليل والنهار فى عرفة وان أمكنه الوقوف ساعة من اليوم الثامن عند امكان الغلط فى الهلال فهو الحزم ومن فاته الوقوف ساعة حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل من احرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضى وليكن أهم أشغاله فى هذا اليوم الدعاء فانه ترجى الاجابة فى هذا الجمع وهذا اليوم وهذه البقعة وأولى الدعاء المأثور فى يوم عرفة أن يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى (الجملة السابعة) فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قصر الهاباذان

فاذا بالمرأة تخبر فسألها فقالت كان جارنا فلان خرج الى الرحى والطحان قد طحن الحنطة فلما أراد أن ينصرف الى بيته بطحينه عدل طحيننا بطحينه على الحمار ورده الينا وأما الماء فكان جيراننا فى المزرعة يسقون أرضهم فخرج الماء من مجرى بوع وجرى الى مزرعتنا فسقى فقال لها يا هذه اعقلى عن الله أمره فان الله تعالى انما كفانا هذه المؤن لانى قدمت أمره على أمور الدنيا وكان هذا ببركة صلاة الجمعة

(الباب العاشر فى النوافل من الصلاة وهى كثيرة مشهورة)

لكن نذكر هنا صلاة قد تخفى على بعض الناس عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كالسورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال ويسمى حاجته رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب يا عماه ألا أعلمك ألا أمنحك ألا أفعل لك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر لك ذنبك أوله وآخره وخطؤه وعمده صغيره وكبيره وسره وعلانيته أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة قلت وأنت قائم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا قبل أن تقوم فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة فان لم تفعل ففى كل شهر فان لم تفعل ففى كل سنة فان لم تفعل ففى عمرك مرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له حاجة الى الله أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات ولم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وروى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى قبل العيد شيأ فاذا رجع الى منزله صلى ركعتين وقال أنس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزل منزلا الا ودعه بركعتين رواه الحاكم فى المستدرك وقال صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم امرأة وكانت ليلة البناء فليصل ركعتين وليأمرها فلتصل خلفه فان الله جاعل فى البيت خيرا رواه البزار ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قام ليلتى العيدين لله محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه على بن أبى طالب فقال بأبى أنت وأمى تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت فى صدرك قال أجل يا رسول الله فعلمنى قال اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخى يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة

وفاستين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ومن خرج منها فى النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واجب واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا بأس ان يستظهر بزيادة وليكن الحصى صغيرا ثم ليغلس لصلاة الصبح وليأخذ فى السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار (ويقول) اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح سيدنا محمد عنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر يستحب أن يحرك دابته به حتى يقطع عرض الوادى فان كان راجلا أسرع فى المشى ثم اذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فينتهى الى منى سائرا ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيجاوز الاول والثانى فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى

وان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء عليه وصل على محمد وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان ثم قل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وأن تفرج به عن قلبي وأن تشرح به صدري وأن تغسل به بدني فانه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب باذن الله والذي بعثني بالحق نبيا ما أخطأ مؤمنا قط قال ابن عباس فو الله ما لبث علي الا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله اني كنت فيما خلا لا آخذ الا أربع آيات ونحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تفلت وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فاذا قرأتهن على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن

(الباب الحادي عشر في قيام الليل)

قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا رواه البخاري ومسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال أذنه رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله القافية آخر الرأس وقافية كل شيء آخره ومنه قافية الشعر قال واختلف العلماء في هذا العقد فقيل هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للانسان ومنعه من القيام قال الله تعالى ومن شر النفاثات في العقد فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر وقيل يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد وقيل هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلا طويلا فتأخر عن القيام وقيل هو مجاز عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل وقوله فأصبح نشيطا طيب النفس معناه لسروره بما وفقه الله الكريم من الطاعة ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه وتصرفه في كل أموره مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه وقوله والا أصبح خبيث النفس كسلان معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واماتته واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه فظاهر الحديث ان من لم يجمع بين الامور الثلاثة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة

يعين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل فيرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر الرمح قبل الذبح فيستقبل القبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات وافعا يده ويكبر ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا السنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلاة من ظهر يوم النحر الى عقيب العصر آخر أيام التشريق ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابراهيم عليه السلام والتضحية بالبدنة أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة أفضل من مشاركة سبعة في البدنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء أفضل من الصفراء والسوداء وليأكل منها ان كان هدي تطوع ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم

صلاة الليل رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم أحب الصلاة الى الله صلاة داود وأحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة رواه مسلم قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح فى وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت فى وجهه الماء رواه أبو داود باسناد صحيح وقيل يارسول الله أى الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وقال الحسن رحمه الله ما نعمل عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال الفضيل رحمه الله اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله تعالى عنه ليالى كثيرة ولم يكن ينام من الليل الا يسيرا وكان أبو حنيفة رحمه الله يقوم نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيى الليل كله فقال انى أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله

(كتاب الصدقة وفيه خمسة أبواب)

(الباب الاول فى فضلها)

قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا أى تجدوا ثوابه فى الآخرة أفضل مما أعطيتم وأعظم أجرا من الذى أخرتم ولم تقدموه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يارسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل رواه مسلم قال النووى رحمه الله قيل معناه انه يبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة وقيل انه وان نقصت صورته كان فى الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة الى أضعاف كثيرة وقوله صلى الله عليه وسلم وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا قيل هو على ظاهره وان من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب وزاد عزه واكرامه وقيل المراد أجره فى الآخرة وعزه هنالك وقوله وما تواضع أحد لله الا رفعه الله قيل يرفعه فى الدنيا ويثبت له بتواضعه فى القلوب منزلة يرفعه الله عند الناس ويجل مكانه وقيل المراد ثوابه فى الآخرة ورفعه فيها بتواضعه فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها الا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوه رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله الفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال أيضا بكسر الفاء واسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر وقال صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع أو لم يفعل قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فيأمر بالخير قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وان

أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها كل سيئة وارفع لى بها عندك درجة والمرأة تقص الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على الرأس ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما ذكرناه وهذا الطواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له التأخير ولكن يبقى مقيدا بالاحرام فلا يحل له النساء الا بعد هذا الطواف فاذا طاف تم التحلل وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وأسباب التحلل ثلاثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن وفى الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقب الزوال وكلها أفراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس فى غد يقرون فى منى ولا ينفرون فاذا أصبح

من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك فى اناء أخيك وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله ما الشئ الذى لا يحل منعه قال الماء والملح والنار قالت قلت يا رسول الله هذا الماء قد عرفناه فما بال الملح والنار فقال يا حميراء من أعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار ومن أعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ما طيبت تلك الملح فمن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن سقى شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها رواه ابن ماجه وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا فمن أطعم فى الدنيا أطعمه الله ومن سقى سقاه الله ومن كسا كساه الله وقال الحسن البصرى لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال أترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله قد رضى فى ثمن الحور العين بالفلس واللقمة (حكى) أن رجلا من أهل البصرة كانت له ماشية عظيمة وكان قليل الصدقة فتصدق ذات يوم بسخلة فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن ماشيته قد أقبلت عليه تنطحه والسخلة تحامى عنه فانتبه مرعوبا فكان بعد ذلك يجزل العطية ويبذل الصدقة وكان بعض الصالحين اذا دخلت الفواكه الى السوق يشترى منها ويحملها الى مكاتب الصبيان ويقول للمعلم هل عندك فقير أو يتيم فيقول هذا وهذا فيشار اليه فأطعمه من تلك الفواكه فلما مات الرجل رؤى فى المنام وهو فى بستان كثير الفواكه وهو يأكل منها ما أحب فقيل له ما هذا قال أطعمنا فأطعمنا (وحكى) أن سائلا سأل الحسن البصرى رحمه الله فنهض ونزع بعض ثيابه فدفعه الى السائل فقيل له لو صبرت حتى تأتى منزلك لكان أحسن فقال اعلم أنه جاء الى منزلنا هذا سائل فشكا الجوع فغفلنا عنه فانصرف وتركناه فى المسجد فأصبح ميتا فكفناه ودفناه فلما كان من الغد وجدنا الكفن مطروحا فى المحراب وعليه مكتوب خذوا كفنكم هذا فان الله لم يقبله قال الحسن فآليت على نفسى أن لا أؤخر عطاء سائل ولا أرده خائبا أبدا قال بعض السادة جلس رجل من المسرفين فى مجلس شرابه فدفع الى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى له ريحانا للمجلس فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير بين يديه فوقف بين الناس فسمعته يقول كتبت لهذا الفقير أربعة دراهم فمن دفعها اليه دعوت له أربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذى تريد أن أدعو لك به فقال لى سيد أريد أن أتخلص منه فدعا له بذلك ثم قال وما تريد أن أدعو لك ثانية فقال له أحب أن تخلف على هذه الدراهم فدعا له فقال فما الدعوة الثالثة قال أحب أن يتوب الله على سيدى فدعا له بذلك وسأله عن الرابعة فقال أحب أن يغفر الله لى ولسيدى ولك ولجميع المسلمين والحاضرين فدعا له منصور بذلك ورجع الغلام فقال له سيده أبطأت على وأين الحاجة التى أنفذتك فيها فقص عليه القصة فقال له أخبرنى بالذى دعا لك به فقال سألت لنفسى العتق فقال أنت حر لوجه الله فما الثانية فقال سألته أن تخلف على الدراهم التى دفعت اليه فقال له لك من مالى أربعمائة درهم فما الثالثة قال سألته أن يتوب الله عليك فقال انى أشهد الله تعالى على أنى تائب من جميع معاصيه فما الرابعة قال سألت أن يغفر الله تعالى لى ولك ولاهل مجلسه ولجميع المسلمين فقال له هذا الله تعالى فلا قدرة لى عليه فلما كان بالليل هتف به هاتف فى منامه فقال له يقول لك المولى جاءت قدرته فعلت ما كان لك قدرة عليه وأنت عبدى وذلك بعونتى أترانى أفعل ما يكون الى وأنا المولى الكريم ولا راد لمشيئتى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولجميع من كان فى مجلسه

(الباب الثانى فى الحث على أداء الزكاة)

قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه

وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الاولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ويرمى اليها سبع حصيات فاذا أنفدها انحرف قليلا عن متن الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلله وكبره ودعا مع الخشوع قدر قراءة سورة البقرة ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمى سبعا ولا يعرج على شغل ثم يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من التشريق رمى احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان كان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شئ عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى احدى وعشرين حصاة كما سبق وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم ويتصدق باللحم وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (الجملة الثامنة) فى صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع وهو أن

عليه وسلم يقول بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى رواهما البخارى ومسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال انك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخارى ومسلم وقد احتج به على وجوب صرف الزكاة فى بلدها واشتراط اسلام الفقير وأنها تجب فى مال الطفل الغنى عملا بعمومه وفى الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قاتل مانعى الزكاة وقال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن شئ عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شئ يعنى فى الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر رواه البخارى

(الباب الثالث فى التشديد على تارك الزكاة)

قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال ابن عمر كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وان لم يكن مدفونا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا يدع لولده شيأ فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من أموالكم وسئل ابن عمر عن هذه الآية فقال كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال وقال ابن عمر ما أبالى لو كان لى مثل أحد ذهبا أعلم عدده أزكيه وأعمل بطاعة الله عز وجل قوله تعالى يوم يحمى عليها أى تدخل النار فيوقد عليها يعنى الكنوز فتكوى فيحرق بها جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم ودينار فى موضع على حدته وسئل أبو بكر الوراق رحمه الله لم خصت الجباه والجنوب والظهور بالكى قال لان الغنى صاحب الكنز اذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه كشحه وقال

يغتسل ويلبس ثياب الاحرام ويحرم بالعمرة وينوى ويلبى ويقصد مسجد عائشة ويصلى ركعتين ثم يعود الى مكة ملبيا حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته (الجملة التاسعة) فى طواف الوداع وهو أن ينجز أشغاله ويشد رحاله ويشتغل للوداع فيطوف سبعا من غير رمل واضطباع فاذا فرغ صلى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويلتمس الرضا والمغفرة (الجملة العاشرة) فى زيارة المدينة وآدابها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى وقال عليه الصلاة والسلام من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى وقال صلى الله عليه وسلم من جاءنى زائرا لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا فى طريقه فاذا وقع بصره على حيطان المدينة أو أشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعل لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من

القرطبي في التذكرة قالت الصوفية لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ولما طووا كشحا عن الفقير اذا جالسهم كوى بهم جنوبهم ولما أسندوا ظهورهم الى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كوى ظهورهم قوله هذا ما كنزتم أي يقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون أي تمنعون حقوق الله في أموالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله رواه البخاري الزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها الا أتي بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يؤدي حق الله من ماله وفقير فخور وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت الفاحشة فيهم الا فشا فيهم الطاعون ولا طففوا الكيل الا منع منهم النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم تظهر الفاحشة في قوم الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولا نقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله الا سلط عليهم عدوهم فأخذ بعضهم ما كان في أيديهم واذا لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم رواه ابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي افترضت لنا عليهم فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأبعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أمرنا باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له وروى الاصبهاني عن علي رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له

(الباب الرابع في فوائد الصدقة وهي كثيرة لا تحصى)

ونقتصر منها على عشر فوائد (الفائدة الاولى) انها تطهر المال قال صلى الله عليه وسلم يا معشر التجار ان البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة (الثانية) أنها تطهر صاحبها من الذنوب قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (الثالثة) أنها ترفع البلاء والامراض قال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم داووا امراضاكم بالصدقة وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر من الله ما دام عليه منه خيط أو سلك رواه الحاكم وذكر ابن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل وامرأته يتعشيان وقد رفعت المرأة اللقمة الى فيها فاذا سائل على الباب فآثرته بها فلما أصبح غدا زوجها الى زرعه فلما كان وقت غدائه حملت اليه طعاما وولدها على يدها فمرت ببقل أخضر فقالت لو أخذت من هذا البقل مع هذا الطعام لكان أمثل فألقت ولدها وأقبلت تحش من البقل فوثب ذئب فاحتمله فاستقبلت القبلة وقالت اللهم ان كنت تعلم اني رفعت اللقمة وأنا أشتهيها فهتف بي سائل على الباب فآثرته بها على نفسي من أجلك ورغبة فيما لديك وقد وقفت ببابك فأعد على ولدي فكر الذئب راجعا حتى اذا كان قريبا منها ألقى اليها ولدها وقال هذه اللقمة بتلك اللقمة (الرابعة) أن فيها ادخال السرور على المساكين وأفضل الاعمال ادخال السرور على المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم موجبات المغفرة ادخال السرور على أخيك المسلم واشباع جوعه وتنفيس كربه (الخامسة) ان المال

بالحر ثم ليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فاذا دخلها فليدخل اليها متواضعا معظما لها وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد فيدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربع أذرع من السارية ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة والاحترام أن يمس الجدار ولا أن يقبله ثم يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا شفيع السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طه السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك

يبارك فيه ويكثر بشبها قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن يوم يصبح فيه العباد الاوملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وقال صلى الله عليه وسلم ماأحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته (السادسة) أنها تحصن المال قال صلى الله عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء (وحكى) أن بعض التجار كان يخرج زكاة ماله تاما وافيا ويضعها في موضعها وكان قد بعث مع غلام له بضاعة نفيسة الى موضع فقطعت تلك القافلة التي كانت بضاعته فيها فوقع الخبر بان القافلة قد قطعت فاغتم التجار كلهم وكان هو يقول مالى سالم بحمد الله تعالى فقيل له مايدريك قال أنا أتحقق ذلك فلما قدمت القافلة اذا غلامه قد أتى ببضاعته فقال له كيف سلمت بضاعتنا فقال له ان البعير كان قد تفلت فذهبت خلفه فأخذت القافلة وسلمت بضاعتنا فسئل التاجر عن ذلك قال أنا صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمدت على قوله حصنوا أموالكم بالزكاة وقد أديت زكاة هذا المال منذ ملكته فعلمت أنه لايضيع (وحكى) عن بعض الشيوخ الكبار أنه دخل على بعض التجار بثغر الاسكندرية فرحب به التاجر وخرج به فرأى الشيخ في ايوان التاجر بساطين مثمنين مستعملين من بلاد الروم على قدر الايوان فطلبهما من التاجر فصعب عليه ذلك وقال له ياسيدى أنا أعطيك ثمنهما فقال ما أطلب الا اياهما فقال التاجر ان كان لابد فخذ أحدهما فأخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به وكان للتاجر ابنان مسافران في بلاد الهند كل واحد منهما في مركب فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع ما كان فيه ووصل الابن الآخر الى عدن سالما فبعد مدة وصل الى قريب الاسكندرية فخرج أبوه الى ظاهر البلد فرأى البساط الذى أخذه الشيخ منه بعينه على بعض الجمال فسأل ابنه عن ذلك ومن أين هو له فقال له ياأبت لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة فقال له أبوه أخبرني بذلك يابنى فقال سافرت أنا وأخى في ريح طيبة من بلاد الهند كل منا في مركبه فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح واشتد علينا الامر وانفتح المركبان واشتغل أهل كل مركب بمركبه وأسلم كل منا أمره الى الله تعالى واذا بشيخ قد ظهر لنا وفي يده هذا البساط فسد به مركبنا وسرنا بالسلامة والمركب مسدود بهذا البساط الى أن وصلنا الى بعض المراسى فنجينا مما كنا فيه فقال التاجر لابنه أتعرف الشيخ اذا رأيته قال نعم فذهب به اليه فلما رآه قال هو والله ياأبت فقال التاجر للشيخ لم لا عرفتني بحقيقة الامر ياسيدى حتى أعطيتك البساطين كلاهما أستغفر الله العظيم وأتوب اليه فقال الشيخ هكذا أراد الله عز وجل (السابعة) أنها تظل صاحبها يوم القيامة من شدة الحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (الثامنة) أن فيها رضا الله تعالى قال الله تعالى وأنفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب (التاسعة) أنها تغيظ الشيطان روى الحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مايخرج رجل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا وقال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقال سفيان ليس للشيطان سلاح على العبد أشد من خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه تعالى ظن السوء (العاشرة) أن فيها الاقتداء بالانبياء والصالحين ففي الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم حملت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فمارد سائلا حتى فرغ منها وكان صلى الله عليه وسلم لايكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره بيده وكان يناول المسكين بيده وعن عمر رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبابكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأبقيت لاهلك فقلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل ماعنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

يارسول الله السلام عليك يارسول رب العالمين السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك ياخاتم النبيين السلام عليك ياقائد الخير يافاتح البر السلام عليك يانبي الرحمة السلام عليك ياسيد الامة السلام عليك ياقائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته صلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون وصلى الله عليك في الاولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وانك عبده ورسوله وصفيه وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين وكرم

ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسابقك الى شئ أبدا قال واشترى عثمان رضى الله عنه بئر رومة بعشرين ألفا وسبلها للمسلمين وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الآية نزلت فى على رضى الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال السدى رضى الله عنه فى قوله تعالى والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكات وهم راكعون أراد به عليا رضى الله عنه مر به سائل وهو راكع فى المسجد فأعطاه خاتمه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انها نزلت فى على رضى الله عنه وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيأ ليأكلوه فلما تم انضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا اليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم أتى يتيم يسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الباقى فلما تم انضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا يومهم ذلك وقال عروة بن الزبير رضى الله عنه تصدقت عائشة رضى الله عنها يوما بخمسين ألفا وان درعها المرقع وروى أن مسكينا سألها وهى صائمة وليس عندها فى بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها أعطيها اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت أعطيها اياه ففعلت فلما أمست أهدى لها شاة وكفنها أى ما يسترها من طعام وغيره فدعتها عائشة وقالت لها كلى هذا خير من قرصك وروى أن يوسف عليه السلام لما جعل على خزائن الارض جعل أهل مصر يبتاعون منه الطعام فباعهم أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له فقال الناس ما رأينا ملكا أجل ولا أعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى قال الملك الرأى الرأى لك ونحن لك تبع قال فانى أشهد الله وأشهدك انى أعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم وروى أن يوسف كان لا يشبع من طعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع وأمر يوسف طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذيق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وروى انه قيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك قال أذهب بصرى بكائى على يوسف وقوس ظهرى حزنى على أخيه فأوحى الله اليه أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله فأوحى الله اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لأحييتهما لك وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيأ وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وروى أنه كان بعد ذلك ينادى كل يوم من أراد الغداء فليأت يعقوب واذا أفطر أمر من ينادى من أراد أن يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين فقال وهب بن منبه أوحى الله الى يعقوب أتدرى مما عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وروى أن سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى أمه وهو يخور

(الباب الخامس فى آداب معطى الصدقة وقابضها وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى آداب المعطى) الأدب الاول قال الغزالى رحمه الله ينبغى أن يفهم المراد من الزكاة وهو ثلاثة أشياء ابتلاء مدعى محبة الله تعالى باخراج محبوبه والتنزه عن صفة البخل المهلك وشكر نعمة المال الثانى اخفاؤها لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات أى تظهروها فنعما هى أى فنعم الخصلة هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال الواحدى رحمه الله جمهور المفسرين على أن المراد بالصدقات فى هذه

الآية

بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنهما ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق * ويقول السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا القائمين فى أمته بعده بامور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرين على دينه خيرا ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا فتب علينا اللهم وشفع نبيك هذا فينا وارحمنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر

الآية التطوع لا الفرض لان الفرض اظهاره أفضل من كتمانه والتطوع كتمانه أفضل وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه قال ابن الملقن رحمه الله الافضل في الزكاة اظهارها لئلا يساء الظن به في ترك الواجب وهي كالصلاة في أن الاولى اظهار فرضها واخفاء نفلها كذا أطلقه القاضي وغيره وعن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا قال الماوردي هذا في الاموال الظاهرة فأما الباطنة فالاولى اخفاء اخراج زكاتها للآية واختار الغزالي في الاحياء انه اذا أظهر صدقة التطوع لا بقصد الرياء والسمعة لكن ليقتدى به وهو ممن يقتدى به فاظهارها أفضل الثالث أن لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قيل المن أن يمن عليه بعطائه فيقول له أعطيتك كذا أو يعد نعمه عليه فيكدرها والاذى هو أن يعيره فيقول الى كم تسأل تؤذيني وقيل من الاذى أن يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه فطر الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وقال تعالى وأما السائل فلا تنهر قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره ولا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما أن ترده ردا لينا قال قتادة رد السائل برحمة ولين قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة واعلم أن الانسان لو حقق النظر لرأى حاجته الى الصدقة أشد من حاجة الفقير اليها فان ثوابها يأتيه أحوج ما يكون اليه قال أنس رضي الله عنه يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة ويقول بعضهم أنا الذي وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخل الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون من الصعلوك قيل الرجل الذي لا مال له قال ان الصعلوك كل الصعلوك الذي له المال لم يقدم منه شيأ الرابع أن يستصغر العطية فان المستعظم للفعل معجب به وقد قيل لا يتم المعروف الا بثلاثة تصغيره وتعجيله وستره الخامس أن ينتقي من ماله أحله وأجوده وأحبه اليه أما الحل فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قوله من طيبات أي من خيار وقال ابن مسعود ومجاهد من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وأما الاجود فقد قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه المعنى ولا تقصدوا الردىء فتنفقوا منه في سبيل الله ولستم بآخذيه يعني الخبيث الا أن تغمضوا فيه الاغماض غض البصر وأراد هنا التجوز والمساهلة وقيل لو أهدى ذلك اليكم لما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم قال حاتم الاصم رحمه الله أراكم تفسدون الطيب وتطيبون الفاسد تأكلون من الطعام ألذه وتلبسون من الثياب أرقها ومرجع ذلك الى الكنيف والبلاء وتتصدقون بالخسيس وبذلك نجاتكم وذخائركم اى عند ربكم وعن عائشة رضي الله عنها انهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بقي منها قالت ما بقي الا كتفها قال بقي كلها غير كتفها رواه الترمذي وقال حديث صحيح ومعناه تصدقوا بها الا كتفها فقال بقيت لنا في الآخرة الا كتفها وأما أحبه اليه فقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا اشتد حبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل وروى انه نزل الجحفة وهو شاك فقال اني لأشتهي حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا فأخذته امرأته فصنعته ثم قربته اليه فأتى مسكين فقال ابن عمر خذه فقال له أهله سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه فقال ان عبد الله يحبه وروى أن سائلا وقف بباب الربيع بن خثيم فقال أطعموه سكرا فقالوا نطعمه خبزا أنفع له فقال ويحكم أطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر السادس أن يطلب لصدقته من تزكو به كالصدقة على الاتقياء فانه يردّ بها هممهم الى الله تعالى وأهل العلم فان في اعطاء العالم اعانة على العلم ونشر الدين وروى أن ابن المبارك كان يخص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال

المجاهدين والمهاجرين والانصار ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك برحمتك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء لقوله عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى ويستحب أن يخرج يوم الخميس فيزور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج للزيارة ويعود الى المسجد لصلاة الظهر حتى لا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج في كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر الحسن بن علي رضي الله عنه ويزور قبر عثمان ويزور قبر علي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل) وينبغي أن لا يتجر ليكون قصده العبادة وحدها ومهما أمكنه أن

اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على
التعليم فتفرغهم للعلم أفضل ومن ذلك أن يكون صائنا الفقر ساترا الحاجة كاتما الشكوى كما قال تعالى
يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ومن ذلك أن يكون ذا عائلة أو محبوسا بالمرض أو دين فهذا من الحصر من
والصدقة عليه اطلاق لحصره ومن ذلك أن يكون من الاقارب وذوي الارحام أو الجيران قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة رواه الترمذي والنسائي وابن
ماجه وعن عائشة رضي الله عنها قالت يارسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي فقال الى أقربهما منك
بابا رواه البخاري واعلم أن تعجيل الصدقة في الصحة ثم في الحياة أفضل من الوصية بها وفي الصحيحين عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح
شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يتصدق المرء في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند
موته بمائة رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يعتق عند موته
كمثل الذي يهدي اذا شبع رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

(الفصل الثاني في آداب القابض) منها أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه عن النعمان بن بشير
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صنع اليه معروف فليجز به فان لم يجد ما يجزي
به فليثن عليه فانه اذا أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى
تروا أنكم قد كافأتموه ومنها أن لا يلح في السؤال وان لا يسأل الا اذا كان محتاجا قال ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله عز وجل لا يسألون الناس الحافا يقول اذا كان عنده غداء لم يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء
لم يسأل غداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن
المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس رواه البخاري ومسلم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم قالوا يارسول الله وما يغنيه
قال ما يغديه أو يعشيه رواه أحمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة
خدوشا أو كدوشا في وجهه قالوا يارسول الله وما غناه قال خمسون درهما أو حسابها من الذهب رواه أحمد
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الغني الحليم المتعفف
ويبغض البذي الفاجر السائل الملح رواه البزار قال الغزالي في الاحياء سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش
الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة
ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال له لا تعد قال الغزالي رحمه الله انما فعل عمر ذلك لانه رآه
مستغنيا عن السؤال وان من أعطاه شيأ انما أعطاه على اعتقاده انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه
وعسر تمييزه ورده الى أصحابه اذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وعلف
ابل الصدقة من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهاره الحاجة كاذبا كأخذ العلوي بقوله انه علوي وهو كاذب
لانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي والصالح يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما
أعطاه وما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد الى مالكه قال النووي رحمه

موسع النفقة على غيره فعل
و يكون توجهه الى الحج
توجها الى الله تعالى فلا
ينساه في كل حال ويتبرأ من
الحول والقوة فافهم تغنم
والله أعلم

(الباب الثامن في تلاوة القرآن)

قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ القرآن ثم رأى
أن أحدا أوتي أفضل مما
أوتي فقد استصغر ما عظمه
الله تعالى وقال عليه السلام
ما من شفيع أفضل منزلة
عند الله يوم القيامة من
القرآن لا نبي ولا ملك ولا
غيرهما وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل
قرأ طه ويس قبل أن يخلق
الخلق بألفي عام ولما سمعت
الملائكة القرآن قالت
طوبى لامة ينزل عليهم هذا
وطوبى لاجواف تحمل هذا
وطوبى لألسنة تنطق بهذا

(فصل في ذم تلاوة الغافلين)

قال أنس بن مالك رب تال
للقرآن والقرآن يلعنه وقال
أبو سليمان الداراني الزبانية
أسرع الى حملة القرآن الذين
يعصون الله تعالى منهم الى
عبدة الاوثان حين عصوا
الله بعد القرآن وقد ورد
في التوراة يا عبدي أما
تستحي مني يأتيك كتاب
من بعض اخوانك وأنت
في الطريق تمشي فتعدل
عن الطريق فتقعد لاجله
وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا
حتى لا يفوتك منه شيء وهذا

الله في شرح مسلم اختلف أصحابنا في مسئلة القادر على الكسب على وجهين أصحهما أنها حرام لظاهر الأحاديث والثاني حلال مع الكراهة بثلاث شروط أن لا يذل نفسه ولا يلح في السؤال ولا يؤذي المسؤل فان فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق وقال صاحب الانوار يكره السؤال في المسجد فان كان فيه تشويش على المصلين حرم وكذا لو مشى أمام الصفوف أو تخطاهم

(كتاب الصيام)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اختلف المفسرون في قوله كما كتب على الذين من قبلكم قال سعيد بن جبير رحمه الله كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم أراد أن صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم و يضرهم في معاشهم فاجتمع رأى علمائهم و رؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل لله عليه ان برئ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما وقال مجاهد أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان و يقال من رمضان وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوما و بعدها يوما ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا الى خمسين يوما واختلفوا في قوله تعالى أياما معدودات قيل كان صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من ربيع الى شهر رمضان سبعة أشهر ثم نسخ بصوم رمضان وقيل المراد بالايام شهر رمضان وهي غير منسوخة وفي الكتاب خمسة أبواب

(الباب الاول في فضل شهر رمضان وصيامه)

قال الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين روى هذه الاحاديث البخاري ومسلم (سؤال) ان قيل قد نرى الشر والمعاصي تقع في رمضان كثيرا فجوابه من وجوه ذكرها ابن الملقن في شرح البخاري أحدها أنها تغل عن الصائمين في الصوم الذي حوفظ على شروطه بخلاف غيره ثانيها أن الشر واقع من غيرهم كالنفس الخبيثة والعادات الركيكة والشياطين الانسية ثالثها انه اخبار عن غالب الشياطين والمردة منهم وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد والمقصود تقليل الشر وهو موجود في شهر رمضان وقد يقال الحاصل من تلك الحركة أعني حركة المغلول وان قلت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان يغفر الله في أول ليلة لكل أهل هذه القبلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار فاذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر الى آخره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في رمضان يغفر له وسائل الله فيه لا يخيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي أما واحدة فانه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا وأما الثانية فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب

كتابي أنزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقص عليك بعض اخوانك حديثا فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان كلمك متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض عني بقلبك أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(فصل) و ينبغي أن يكون على وضوء وعلى هيئة الادب قائما أو جالسا وأفضله ما يقرأ في الصلاة قائما وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفهمه وكرهوا أن يختم كل ليلة واعل الختم في كل أسبوع قريب والترتيل مستحب في تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا و ينبغي أن يراعي حق آية السجدة فيسجد سواء سمعه من غيره أو قرأه هو بنفسه اذا كان على وضوء وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة

(فصل) ينبغي أن تكون قراءته بتعظيم وتدبر فان

فيغفر لكل نفس الا انسانا في قلبه شحناء أو مشركا بالله تعالى وروى أبو القاسم الاصبهاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلتي العيدين محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب رواه ابن ماجه

(الباب الخامس في صوم التطوع)

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس حسنه الترمذي وصححه ابن حبان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب وعن أبي قتادة رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية رواه مسلم قال امام الحرمين رحمه الله والتكفير للصغائر دون الكبائر وقال في الذخائر وهذا يحتاج الى دليل وفضل الله واسع قال الماوردي للتكفير تأويلان أحدهما الغفران والثاني العصمة حتى لا يعصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال انا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه رواه البخاري ومسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع رواه مسلم وفي رواية له فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبيهقي صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله رواه مسلم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره رواه النسائي والترمذي وقال حسن وفي رواية للنسائي وصححها ابن حبان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره قال الشيخ جمال الدين الاسنوي رحمه الله والمعنى في استحباب صيامها ان الحسنة بعشرة فصيامها كصيام الدهر وقدمت هذه على غيرها لانه لا يتأتى غالبا تعميم اليوم بشئ من العبادة مع اشتغاله بمصالحه الا بالصوم فلما عم النور ليالي هذه الايام ناسب تعميم أيامها بالعبادة وروى الثعلبي في تفسيره عن علي رضي الله عنه انه قال لما أهبط آدم من الجنة الى الارض أحرقته الشمس فاسود جسده فأتاه جبريل فقال يا آدم أتحب أن يبيض جسدك فقال نعم قال صم من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده وصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله فسميت بالايام البيض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كانت كصيام الدهر رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان فانه كان يصوم شعبان كله وفي رواية كان يصوم شعبان الا قليلا رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام يعني أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أحب الى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر

(كتاب الحج وفيه خمسة أبواب)

يا رسول الله تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي قال عليه السلام أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قال قلت وماذا يا رسول الله قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط وقال صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يقولها الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه عمر رضي الله عنه واعلم ان النافع من جملة الاذكار ما حضر فيه القلب وما عداه فهو قليل الجدوى فان المقصود الانس بالله وذلك بالمداومة على الذكر مع حضور القلب وبذلك تؤمن سوء الخاتمة والله أعلم (فصل) في اداب الدعاء فليترصد الاوقات الشريفة

*(الباب

(الباب الاول فی فضله و بیان تأکد وجوبه)

قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال رجل يارسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وقوله ومن كفر قال ابن عباس والحسن وعطاء بجحد فرض الحج وقال مجاهد من كفر بالله واليوم الآخر قال السدي هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به وقد روى أبو أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه رواه مسلم وعنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل قال ايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه رواه البخاري ومسلم قال النووي الظاهر انه يحصل له ذلك من حين يحرم بالحج الى أن يفرغ منه لا من حين يخرج من بلده والرفث الجماع على الصحيح المشهور والفسق المعصية قال العلماء هذا مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى دون المتعلقة بحقوق العباد وتوهم بعض الناس ان حقوق الله تسقط به قال ابن الملقن رحمه الله وهذا غلط فمن كان عليه صلاة أو صيام أو كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه به لكن ان أخرها عن وقتها المعين لها سقط بالحج اثم العصيان بالتأخير لا هي فلو أخرها بعده تجدد اثم آخر والحج المبرور كالتوبة يسقط اثم المخالفة لا الحقوق وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحاج حين يخرج من بيته ان راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة فاذا وقف بعرفة فان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا أشهدكم اني قد غفرت لهم ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ورمل عالج واذا رمى الجمار لا يدري أحد ماله حتى يتوفاه يوم القيامة واذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة فاذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه رواه ابن حبان في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فيمن دعا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم الناس من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل أن يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف فيما سواه ذكر هذه الثلاثة المنذري في جزئه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر الى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازي الى يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات فيه لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه وروى

ويكون على الوضوء مستقبل القبلة ويكون بخفض الصوت والتضرع موقنا بالاجابة ملحا فيه ويفتح الدعاء بذكر الله تعالى وبالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ويرد المظالم قبل اقباله على الدعاء (فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم) روى أنه عليه الصلاة والسلام جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال صلى الله عليه وسلم انه جاءني أخي جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك مرة الا صليت عليه عشرا وقال من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عند ذلك أو يكثر وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب (فضيلة الاستغفار) قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال الله تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم والليلة سبعين مرة وقال عليه الصلاة والسلام ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال عليه الصلاة والسلام من عمل ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له

أن الله عزوجل قال لابراهيم أذن فى الناس بالحج فقال رب أين يبلغ ندائى فقال الله له عليك النداء وعلى الابلاغ فصعد ابراهيم على المقام وقال عباد الله أجيبوا داعى الله فأجابه من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء لبيك داعى ربنا لبيك فيقال انه لا يحج الامن أجاب دعوة ابراهيم عليه السلام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا قال القاضى حسين الحج من الشرائع القديمة روى أن آدم عليه السلام لما حج قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون قبلك بهذا البيت سبعة آلاف سنة وفى شرح التجيزات أول من حج آدم عليه السلام وانه حج أربعين سنة من الهند ماشيا وقيل ما من نبى الا وقد حجه وروى مرفوعا ما هلكت أمة نبى الا انتقل الى الكعبة وعبد الله تعالى فيها حتى مات قال القاضى حسين هو أفضل العبادات لانه يشتمل على المال والبدن ودعينا اليه فى الاصلاب كالايمان سواء فان الله تعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره مثل الذر ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ثم الايمان أفضل العبادات اذ تتم الكل به فكذا الحج الذى هو قرينه

(الباب الثانى فى فضل يوم عرفة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر ولا ادحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عز وجل عن الذنوب العظام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة فان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاجين من كل فج عميق أشهدكم انى قد غفرت لهم فتقول الملائكة يا رب فلان كان يرهق وفلان وفلانة قال يقول الله عزوجل قد غفرت لهم وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم فى الدنيا فيه حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم

(الباب الثالث فى فضل المساجد الثلاثة وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى فضل مسجد مكة) قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا اختلف المفسرون فى قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه الله قبل الارض بألفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته هذا قول ابن عمرو ومجاهد وقتادة والسدى وقال بعضهم هو أول بيت بنى فى الارض روى عن على بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض أن يبنوا فى الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوا وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور روى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أراد به انه أول بيت بناه آدم فى الارض وقيل هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يعبد الله فيه يحج الناس اليه وقيل أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والكلبى معناه انه أول مسجد ومتعبد وضع للناس عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه رواه البخارى ومسلم قال ابن القيم فى كتاب الهدى وقد استشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد فقال معلوم أن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذى بنى المسجد الاقصى وبينه وبين ابراهيم عليه السلام أكثر من ألف عام قال ابن القيم وهذا من جهل هذا القائل فان سليمان انما كان

وان لم يستغفر وقال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل يا عبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على ان أغفر له غفرت له ولا أبالى وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل وقال فضيل ابن عياض استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين

(فصل) ويستحب أن يفتتح الدعاء بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان الرجيم وشركه وقل اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى واعلم ان الدعوات كثيرة فاشتغل منها بما رأيت نفسك فيها حضرة والسلام على من اتبع الهدى

(الباب العشر فى الاوراد)

اعلم ان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده

له من الله عهد الاقصى تجديده لا تأسيســه والذى أسسه هو يعقوب بن اسحق عليهما السلام بعد بناء ابراهيم الكعبة بهــذا المقدار قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين بنى البيت وكان أثر قدميــه فيــه ثم زال من كثرة المسح بالايدى ومنها الحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها ومن الآيات أن الطير لا تعلوه فى الطيران وان الجارحة اذا قصدت صيدا فدخل الحرم كفت عنه قوله ومن دخله كان آمنا كان العرب فى الجاهليــة يقتل بعضهم بعضا و يغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم كان آمنا من القتل والغارة وقيل ان من دخله معظما له متقربا الى الله كان يوم القيامة آمنا من العذاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله عز وجــل بالملائكة وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حــتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر أن الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال النووى رحمه الله اختلف العلماء فى المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم فى مكة والمدينة أيهما أفضل ومذهب الشافعى وجماهير العلماء أن مكة أفضل من المدينة وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة وعكسه مالك وطائفة فعند الشافعى والجمهور معناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى مسجدى وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصــلاة فى مسجدى تفضله بدون الالف قال القاضى عياض أجمعوا على أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الارض واختلفوا فى أفضلهما ما عدا موضع قبره صلى الله عليه وسلم فقال عمر وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيين المدينة أفضل وقال أهل مكة والكوفيون والشافعى وابن وهب وابن حبيب المالكيان مكة أفضل قال النووى رحمه الله ومما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة حديث عبــد الله بن عدى بن الحمراء رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بمكة يقول والله انك لخــير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت رواه الترمذى والنسائى قال الترمذى وهو حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى حديث حسن رواه أحمد بن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن والله أعلم

(الفصل الثانى فى فضل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم) تقدم قوله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هــذا أفضــل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة فى مسجد المدينــة بعشرة آلاف صــلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بالف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وفى معنى الحديث قولان أحدهما أن ذلك الموضع بعينه ينقل الى الجنة والثانى ان العبادة فيــه تؤدى الى الجنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينــة فليمت بها فانى أشفع لمن مات بها صححه الترمذى وفى مســلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة

(الفصل الثالث فى فضل المسجد الاقصى) قال الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله سمى بيت المقدس أقصى لانه أبعد المساجد التى تزار وقيل لبعده من المسجد الحرام الذى باركنا حوله بالانهار والاشجار والثمار وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وقيل قوله باركنا حوله من بركة نشأت منه فعمت جميع الارض

ليتخذوها منزلا ويتزودوا منها محترزين من مصائبها و معاطبها ويتحققوا ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس فى هــذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحــد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السـفر وسنوه ولمثينه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاســه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رأس ماله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعــد مــن الله تعالى والعياذ بالله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم فى دركات الجحيم فالغافل ولو عن نفس من عمره متعرض الى حسرة لا نهاية لها وخسران لا تدرك له نهاية

(فصــل) فى فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها قال الله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصــيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا فان أردت أن تسعد ســعادة لا تشقى بعــدها فاســتوعب جميع نهارك وليلك بالطاعة فان ســيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مع أن الله تعالى غفــر له ما تقدم من ذنبــه وما تأخر

لان مياه الارض كلها أصل انفجارها من تحت الصخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وروى أحمد في المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال يطوف الارض الا أربعة مساجد مسجد المدينة ومسجد مكة والاقصى والطور وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس قال ارض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فان صلاة فيه بالف صلاة أخرجه الامام أحمد وابن ماجه وأبو داود وفي رواية لاحد عن بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت يا رسول الله فان لم تستطع احدانا أن تأتيه قال اذا لم تستطع احداكن أن تأتيه فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه فان من بعث اليه بزيت يسرج كان كمن صلى فيه وروى بعضه أبو داود قال وهب بن منبه قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس لأضعن عليك عرشي ولأحشرن عليك خلقي وليأتينك داود يومئذ راكبا وقيل في قوله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب أنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس فينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ويا عظاما نخرة ويا أكفانا فانية ويا قلوبا خاوية ويا أبدانا فاسدة ويا عيونا سائلة قوموا العرض رب العالمين قال قتادة المنادي هو صاحب الصور ينادي من الصخرة من بيت المقدس قال كعب وهي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل باثني عشر ميلا وقيل ان المنادي جبريل عليه السلام قال الغزالي رحمه الله يروى ان عمر رضي الله عنه خرج من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر عنه راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمان صلوات الله وسلامه عليه ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه مادام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك

(الباب الرابع في فضل ماء زمزم)

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له (وحكي) عن الشافعي رضي الله عنه انه قال شربته لثلاث للرمي فكنت أصيب التسعة من عشرة والعشرة من عشرة والعلم فها أنا كما ترونى ولدخول الجنة وأرجو حصول ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ماء زمزم انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله و يروى ان مياه الارض ترفع قبل يوم القيامة غير زمزم

(الباب الخامس في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم)

عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي رواه ابن خزيمة في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفاني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم علي الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود (خاتمة) نختم بها كتاب الحج روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور رواه الطبراني الغرز ركاب من جلد قال أحمد بن الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني فلما أحرم ولم يلب حتى سرنا قدر ميل أخذه كالغشية ثم أفاق قال يا أحمد ان الله عز وجل أوحى الى موسى مر ظلمة بني اسرائيل أن يقلوا من ذكري فاني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أنه من حج من غير حله ثم لبى الله تعالى قال الله تعالى له لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا مثل ذلك وقال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقول لي

لا

أمرتك بالمداومة أحق وأمرك في الخطر فلا تشتغل بالكسب والامور الدنيوية الا بقدر حاجتك وما عدا ذلك فاستعمله في طريق الآخرة ولا تترك قيام الليل قال عليه الصلاة والسلام لا بد من قيام الليل ولو قدر حلب شاة ولا ينبغي أن تستجاب للنفوس النوم بتمهيد الفرش الوطيئة بل تشتغل بالصلاة والذكر الى أن يغلبك النوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على ناصية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر أنه ذكر عنده عليه الصلاة والسلام رجل نام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أني أشق على أمتي لفرضتها لهم (بيان الليالي والايام الفاضلة والايام) قد سبق ذكرها أما الليالي فخمسة عشر وهي أوتار العشر الاخير من رمضان وليلة السابع عشر من رمضان وهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم

لا لبيك ولا سعديك فلما لبي غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وروى في حديث
من طريق أهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم
للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة

(قصة أصحاب الفيل)

مختصرة من كتاب معالم التنزيل روى أن رجلا من أهل الحبشة يقال له أبرهة الاشرم بن الصباح كان عظيم
الشان فيهم ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج البيت فبنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف اليها حاج
العرب فسمع به رجل من العرب من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا وأحدث فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك
أبرهة وقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى
الكعبة حتى يهدمها فلما أتى مكة أرسل الى عبد المطلب انى لم آت لقتال وانما جئت لهدم هذا البيت فقال
عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد الا سنخلى بينه و بين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم
خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان خلا بينه و بين ذلك فوالله ما لنا به قوة ثم انه اجتمع بأبرهة
وفيما قال له ولهذا البيت رب سيمنعه قال أبرهة ما كان ليمنعه منى قال فأنت وذاك فلما خرج عبد المطلب من
عنده أخبر قريشا وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب
الكعبة وأخذ بحلقة الباب وقال

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

وأبياتا أخر ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وكان أبرهة معه فيل لم ير مثله فى
العظم والقوة يقال له محمود ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فجاء نفيل فأخذ بأذن الفيل فقال ابرك محمود
وارجع من حيث جئت فانك فى البلد الحرام فبرك فضرب بالمعول فى رأسه فأبى القيام فوجهوه راجعا الى
اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه ووجهوه
الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم فلما عزم القوم على هدم البيت أرسل الله تعالى طيرا من البحر أمثال
الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشين
القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين
لا يهتدون الى الطريق الذى جاؤا منه وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون
على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير
ومامات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك وكان ذلك فى العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم على
قول الاكثرين

(باب فضل يوم عاشوراء وصيامه)

عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية
والباقية وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية رواه مسلم قال الاسنوى قال الامام والتكفير
للصغائر دون الكبائر وقال فى الذخائر وهذا يحتاج الى دليل وفضل الله واسع قال الماوردى للتكفير تأويلان
أحدهما الغفران والثانى العصمة حتى لا يعصى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى و بنى اسرائيل من
عدوهم فصامه موسى فقال أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه رواه البخارى ومسلم وعنه قال لما صام
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يارسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال
فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رواه مسلم وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا

التقى الجمعان فيه كانت
وقعة بدر وأما الليالى
الاخر فأول ليلة من المحرم
وليلة عاشوراء وأول ليلة من
رجب وليلة النصف منه
وليلة سبع وعشرين منه
وهى ليلة المعراج وفيها صلاة
مأثورة فقد قال النبى صلى
الله عليه وسلم للعامل فى هذه
الليلة حسنات مائة سنة فمن
صلى فيها اثنى عشر ركعة
يقرأ فى كل ركعة فاتحة
الكتاب وسورة ق يتشهد
فى كل ركعتين ويسلم فى
آخرهن ثم يقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر مائة مرة ويستغفر
مائة مرة ويصلى على النبى
صلى الله عليه وسلم مائة مرة
ويدعو لنفسه ما شاء من
أمر دنياه وآخرته ويصبح
صائما فان الله تعالى يستجيب
له دعاءه كله الا أن يكون فى
معصية وأما ليلة النصف
من شعبان ففيها مائة ركعة
فى كل ركعة فاتحة الكتاب
وسورة الاخلاص عشر
مرات ويستحب على
الخصوص احياء ليلتى
العيدين قال عليه الصلاة
والسلام من أحيا ليلة
العيد لم يمت قلبه والحمد
لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم (تم ربع العبادات
ويتلوه ربع العادات)

*(الباب الحادى عشر فى
آداب الأكل والشرب)*

وينبغى أن يكون أكلك

قبله يوما وبعده يوما رواه أحمد وروى شعبة عن ابن الزبير عن جابر مرفوعا من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال جابر وأبو الزبير وشعبة جربناه فوجدناه كذلك وخص يوم عاشوراء بخصائص منها أن الله تاب فيه على آدم وفيه رفع ادريس الى السماء الرابعة وفيه استوت سفينة نوح على الجودي وأغرق قومه قال معمر ركب نوح في السفينة في رجب في عشر بقين منه ونزل من السفينة يوم عاشوراء وفيه ولد الخليل وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وفيه بردت النار على ابراهيم عليه السلام وفيه أخرج يوسف من الجب وفيه رد على يعقوب عليه السلام بصره وفيه أعطي سليمان الملك وفيه خرج يونس من بطن الحوت وتاب الله على قومه وفيه كشف عن أيوب الضر وفيه استجاب الله دعوة زكريا حين استوهب يحيى عليهما السلام وهو يوم الزينة الذي غلب فيه موسى السحرة وفيه نجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وجنوده وفيه تكسى الكعبة في كل عام ذكره ابن بطال عن ابن حبيب وسمي يوم عاشوراء بذلك لانه عاشر المحرم وقيل لانه عاشر كرامة أكرم الله عز وجل بها هذه الامة وقيل لان الله تعالى أكرم فيه عشرة من الانبياء عليهم السلام حكاها المنذري ولم يزل يوم عاشوراء معظما عند أهل الاسلام حتى اتفق فيه قتل الحسين رضي الله عنه وكثير من أهل البيت فسمعوا أن بني أمية اتخذوه عيدا يتزينون فيه وأقاموا الضيافات فاتخذته الشيعة يوم عزاء ينوحون فيه ويبكون ويجتنبون الزينة قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله في شرح البخاري ما ورد في صلاة ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء وفي فضل الكحل يوم عاشوراء لا يصح ومن ذلك حديث جبير عن الضحاك عن ابن عباس رفعه من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا وهو حديث وضعه قتلة الحسين قال الامام أحمد والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أثر وهو بدعة ومن أغرب ما روي فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال في الصرد انه أول طائر صام عاشوراء وهذا من قلة الفهم فان الطائر لا يوصف بالصوم قال الحاكم وضعه قتلة الحسين هذا آخر كلام ابن الملقن

(كتاب تلاوة القرآن وفيه ثمانية أبواب)

(الباب الاول في فضل تلاوة القرآن وحملته)

قال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية وقال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها الآية قال ابن عباس وأراد بقوله تعالى الذين اصطفينا من عبادنا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روى عن أسامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أمره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وعن الحسن رحمه الله قال السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد من استوت حسناته وسيآته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقال الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عالم السابقين قال ابن عباس رضي الله

بالنية التقوية على طاعة الله تعالى وعبادته بعد كونه حلالا على ما سيأتي ذكره قال الله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا واذا كان أكله لله فهو جدير بان تقدم عليه غسل اليد لقوله عليه الصلاة والسلام الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وينبغي أن يكون على السفرة فذلك أقرب الى السنة وكان عليه السلام اذا أتي بطعام وضعه على الارض لانه أقرب الى التواضع وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا آكل متكئا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد وقيل أربع أحدثن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع ولا نقول ان الاكل على الموائد منهي عنه فليس كل مبدع منهيا عنه وينبغي أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثى للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ويكره الاكل والشرب نائما ومتكئا الا ما يتنقل به وليعزم على قلة الاكل والشرب فانه لا يصدق في نية

عنهما في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر فلهم أجر غير ممنون منقطع لانه يكتب له كصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل وقال ابراهيم في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا المؤمنين فانهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وفي صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه البخاري ومسلم الحسد يطلق ويراد به تمني زوال النعمة عن المحسود وهذا حرام ويطلق ويراد به الغبطة وهو تمني مثل ماله وهذا لا بأس به وهو المراد هنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب سبحانه وتعالى من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا رواه أبو داود وروى الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اقرؤا القرآن فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن وان هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليبشر وعن علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وفي الحديث القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه (وحكي) عن بعض القراء انه اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام كان قائلا يقول له أتود أنا أنسيناك سورة الانعام ولك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة ألف وأنت تشكو فأصبح وقد سري عنه

(الباب الثاني في فضل الفاتحة وذكر أسمائها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب كيف تقرأ القرآن في الصلاة فقرأ أم القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن سورة مثلها فانها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت وعن الحسن أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة كتب وأودع علومها في أربعة في التوراة والانجيل والزبور والقرآن وأودع علم القرآن في المفصل وهو من الحجرات الى آخر

-الاكل للعبادة الا بذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فاذا ينبغي أن لا يقدم على الطعام الا بعد الجوع فان الشبع على الشبع يقسي القلب ويمسك قبل الشبع ولا ينتظر لذيذ الاطعمة والادم فان من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الادم وينبغي أن يجتهد في تكثير الايدي وان كان من أهله وولده فخير الطعام ما كثرت عليه الايدي كان عليه السلام لا يأكل وحده رواه أنس رضي الله عنه

(فصل) في آداب الاكل

وهو أن يبدأ باسم الله في أوله وبالحمد في آخره وحسن أن يقول بسم الله مع كل لقمة حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله فيقول في اللقمة الاولى بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ولا يمد اليد الى أخرى ما لم يبلع الاولى وأن لا يذم مأكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب طعاما قط ان كان أعجبه أكله والا تركه وأن يأكل مما يليه وكان صلى الله عليه وسلم يقول كل مما يليك

القرآن وأودع ذلك في الفاتحة فهي أعلم كل كتاب أنزله الله تعالى ومن قرأها فكأنما قرأ جميع الكتب
المنزلة وبيان ذلك أن جميع أسماء الله تعالى في ضمن أسماء ثلاثة هذا هو الاسم الجامع وفيه معنى الجلال وفي
الرحمن الرحيم معنى الجمال وكلما ورد من الثناء الحسن على الله تعالى في قوله الحمد لله فإن الحمد جامع لكل ثناء
حسن وكلما ورد في ذكر المخلوقات في قوله رب العالمين فإن العالم لفظة تدل على كل موجود سوى الله تعالى
وكلما ورد من الإكرام والإنعام والإحسان إلى سائر الخلق في ضمن قوله الرحمن الرحيم وكلما ورد في ذكر
القيامة والحساب والثواب والعقاب في ضمن قوله مالك يوم الدين وكلما ورد في الأحكام من الأمر والنهي
وجميع الفقه في ضمن قوله إياك نعبد وكلما ورد في التوحيد ورؤية الأفعال من الله تعالى وعدم ملاحظة
الأسباب في ضمن قوله وإياك نستعين وكلما ورد في سلوك الطريق من التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء
والمراقبة والحياء والزهد والورع وغير ذلك في ضمن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وكلما ورد في ذكر
الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين في ضمن قوله صراط الذين أنعمت عليهم وقد بين الله
تعالى ذلك في قوله أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكلما ورد في
ذكر الأعداء من الكفار والفجار والمنافقين في ضمن قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين وكلما ورد في القرآن
مفصلا ورد في الفاتحة مجملا ولذلك سميت أم القرآن وأم الكتاب وفاتحة الكتاب وتسمى الكافية لأنها تكفي
في الصلاة فما كان منها من الثناء فعلى الله وما كان منها من الدعاء فللعبد حكى هذا الكلام جميعه عن الشيخ
العالم عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى وذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره للفاتحة اثني عشر اسما (الأول)
الصلاة قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث (الثاني) الحمد لأن فيها ذكر الحمد كما يقال
سورة الأعراف والأنفال والتوبة ونحوها (الثالث) فاتحة الكتاب لأنه يفتتح قراءة القرآن بها وكتابة المصحف
(الرابع) أم الكتاب جوزه الجمهور وكرهه أنس والحسن وابن سيرين قال الحسن أم الكتاب الحلال والحرام
قال الله تعالى آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وقال أنس وابن سيرين أم الكتاب اللوح المحفوظ
قال الله تعالى وإنه في أم الكتاب (الخامس) أم القرآن جوزه الجمهور وكرهه أنس وابن سيرين والأحاديث
الثابتة ترد هذين القولين روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وقال هذا حديث حسن صحيح (السادس) السبع المثاني
لأنها تثنى في كل ركعة (السابع) القرآن العظيم سميت بذلك لتضمنها علوم جميع القرآن وذلك لأنها تشمل
الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن
القيام بشيء منها إلا بإعانة الله تعالى وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال
الناكثين وعلى عاقبة بيان الجاحدين (الثامن) الشفاء روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم (التاسع) الرقية ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدري
وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي رقى سيد الحي ما أدراك أنها رقية فقال يا رسول الله شيء
ألقي في روعي الحديث (العاشر) الأساس قال ابن عباس رضي الله عنهما لكل شيء أساس وأساس القرآن
الفاتحة (الحادي عشر) الوافية لأنها لا تتنصف ولو قرأ من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها في ركعة لأجزأ
ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم تجز (الثاني عشر) الكافية لأنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها يدل
عليه ما روى محمد بن خلاد الإسكندراني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن عوض من غيرها
وليس غيرها عوضا منها

(الباب الثالث في فضل تعليم القرآن وتعلمه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت فإنه إذا أتاك

الموت

ثم الثالث يدل على الفاتحة

فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ليس هو نوعا واحدا وأن لا يأكل من دورة القصعة ومن وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف وأن لا يقطع بالسكين لا الخبز ولا اللحم فقد نهى عنه قال صلى الله عليه وسلم انهشوا نهشا ولا يوضع على الخبز القصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال النبي صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال صلى الله عليه وسلم إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ويلعق أصابعه ولا ينفخ في الطعام الحار فإن ذلك منهي عنه ويأكل من التمر الأوتار ولا يجمع بين التمر والنوى على طبق وأما الشرب فيأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا فإن الكباد من العب ويقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وكل ما يدار على القوم يدار عنة ويشرب في ثلاثة أنفاس يحمد الله تعالى في أواخرها ويسمي في أوائلها فإذا فرغ من الطعام يستحب أن يلتقط فتات الطعام ويتخلل ويقال إن من لعق القصعة وشرب ماءها كان له

الاوثن وأثبت كذلك بعث الملائكة الى قبرك كما تحج المؤمنون الى بيت الله الحرام وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من مشى على جديد الارض المعلمون كلما اخلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل باسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار ذكره الثعلبي وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله عز وجل فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما من مسلم علم ولده القرآن الا توج تاجا في الجنة يعرفه أهل الجنة بحمل ولده القرآن

(الباب الرابع في اكرام أهل القرآن وترجيحهم على غيرهم والنهي عن ايذائهم)

عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه واكرام ذي السلطان رواه أبو داود وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل أهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته رواه النسائي وعن أبي مسعود الانصاري البدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا رواه البخاري وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يستخف بحقهم الا منافق امام مقسط وذو شيبة في الاسلام وحامل القرآن ذكره أبو الليث السمرقندي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن أفضل من كل شئ فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل

(الباب الخامس في آداب حامل القرآن وفيه أربعة فصول)

(الفصل الاول) ينبغي لحامل القرآن أن يكون أول ما يقصد بتعلمه وتعلمه وجه الله تعالى ورضاه قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال ابن عباس رضي الله عنهما انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم وأن يتأدب بآدابه فيمتثل أوامره ويجتنب نواهيه قال الله تعالى فمن اتبع هداي يعني القرآن فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس رضي الله عنهما من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك بأن الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وعنه أنه قال أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر فلا نجاوزها الى العشر الاخر حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل وقال أيضا أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وقال أيضا ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخضوعه اذا الناس يختالون وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة الى أحد من الخلفاء فمن دونهم وينبغي أن يكون حوائج الخلق اليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ ألا لعنة الله على

عتق رقبة ويقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم لا تجعله قوة على معصيتك ويقرأ سورة الاخلاص ولايلاف قريش ولا يقوم حتى ابرتفع الطعام والمائدة وان كان لغيره فليدع له ويقول أكل طعامكم الابرار وأفطر عندكم الصائمون ونزلت عليكم الملائكة ويستحب أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا ثم ثم يتمم بغسل يديه

(فصل) واذا كان في جمع فيصبر الى أن يمد له من هو أكبر منه سنا الا أن يكون هو المتبوع ويتحدثون بما فيه خير ويرفق برفيقه ولا يحلف على أحد قال الحسن بن علي رضي الله عنه الطعام أهون من أن يحلف عليه ولا بأس باعادة قوله كل ثلاثا واذا أكرمه غيره بتقديم الطشت اليه فليقبل اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني فقدم أنس الطشت اليه فامتنع قال أنس رضي الله عنه اذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل ولا بأس بالاجتماع في الطشت على غسل اليد ويستحب أن يجمع ماء الكل في الطشت ما أمكن قال عليه الصلاة والسلام اجمعوا وضوأكم جمع الله شملكم ويحسن أن يصب صاحب

الظالمين وهو ظالم لنفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح بسورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح بسورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته

(الفصل الثاني في الامر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت رواهما البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أعمال أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها الرجل ثم نسيها رواه أبو داود والترمذي وتكلم فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى يوم القيامة أجذم رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن وقال أبو عبد الله الجيلي كنت أمشي يوما مع أستاذي فرأيت شابا حدثا جميلا فقلت يا أستاذي ترى يعذب الله هذه الصورة قال ونظرت ستري غبها قال فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة

(الفصل الثالث) ينبغي لقارئ القرآن اذا شرع في القراءة أن يكون شأنه الخشوع وتدبر القرآن قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته فينبغي أن يستحضر في نفسه انه يناجي الله تعالى ويقرأ على حال من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فالله يراه قال النووي رحمه الله وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها الى الصباح قال وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ومات جماعة منهم حال القراءة قال وروينا عن بهز بن حكيم أن زرارة بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أمهم في صلاة الفجر فقرأ حتى اذا بلغ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خر ميتا قال بهز فكنت فيمن حمله قال ابراهيم الخواص رحمه الله دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ويستحب ترديد الآية للتدبر عن أبي ذر رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح والآية ان تعذبهم فانهم عبادك رواه النسائي وابن ماجه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كرر هذه الآية حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وأما البكاء عند قراءة القرآن قال النووي رحمه الله فهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن أبي صالح رضي الله عنه قال قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤن القرآن فيبكون قال أبو بكر هكذا كنا قال أبو حامد الغزالي رحمه الله البكاء مستحب مع القراءة وعندها قال وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في ذلك فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فانه من أعظم المصائب

(الفصل الرابع يستحب ترتيل القراءة) قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وعن أم سلمة رضي الله عنها انها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته رواه البخاري ومسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ سورة أرتلها أحب الي من أن أقرأ القرآن كله وعن مجاهد رضي الله عنه أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما

وعة بدارالطشت وينبغي أن لا يفعل ما يكرهه القوم من النظر اليهم في أكلهم ومن نفض اليد في القصعة والامساك قبلهم اظهارا لقلة أكله قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها غدا الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فانها له حجاب من النار وقال علي رضي الله عنه لأن أجمع اخواني على صاع من طعام أحب الي من أن أعتق رقبة وكانوا اذا اجتمعوا على قراءة القرآن لا يتفرقون الا عن ذواق وفي الخبر يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول الله تعالى جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني وقال عليه الصلاة والسلام ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل

البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء قال الذي قرأ البقرة وحدها أفضل ومن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال له اني أقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال عبد الله هذ كهذ الشعر ان قوما يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع ويستحب اذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله واذا مر بآية عذاب أن يستعيذ من الشر ومن العذاب واذا مر بآية تنزيه لله سبحانه وتعالى نزهه فقال سبحانه وتعالى ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ والتين والزيتون فقال أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ آخر لاأقسم بيوم القيامة أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى أشهد ومن قرأ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله

(الباب السادس في ختم القرآن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحا في سبيل الله قال النووي رحمه الله يستحب حضور مجلس ختم القرآن استحبابا مؤكدا فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الحيض بالخروج يوم العيد يشهدن الخير ودعوة المسلمين وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ القرآن فاذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك وقال قتادة كان أنس بن مالك رضي الله عنه اذا ختم القرآن جمع أهله ودعا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من ختم القرآن له دعوة مستجابة وكان اذا ختم القرآن جمع أهله ثم دعا وأمنوا على دعائه وقال حميد الاعرج رحمه الله من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك وقال مجاهد كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون تنزل الرحمة وروى أبو داود ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس وعن طلحة بن مصرف رضي الله عنه انه قال من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وروى الدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختم القرآن آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الغزالي رحمه الله في الاحياء الافضل أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره وقال الغزالي رحمه الله في الاحياء أيضا حزب الصحابة القرآن أحزابا فروى عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاث بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس قال الغزالي رحمه الله قيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس أربعة عشرة سورة والسابع المفصل من قاف هكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرؤن كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتاب فنون الافنان في عيون علوم القرآن السبع الاول قوله في النساء صدودا والثاني قوله في الاعراف أحوالمصلحين والثالث قوله في ابراهيم يتذكرون والرابع قوله في المؤمنين من مال وبنين والخامس في سبأ من المؤمنين والسادس خاتمة الفتح والسابع آخر القرآن

(الباب السابع في الحث على قراءة سور وآيات مخصوصة)

والناس قيام ولا ينبغي ان يمشي الى الطعام الذي لم يدع اليه ففي الخبران من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما الا اذا كان يعلم من ذلك الرجل فرحه به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم ابن التيهان وأبي أيوب الانصاري لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا فان دخل ولم يجد صاحب الدار وعلم أنه يفرح فيقدم طعامه ويأكله ومن الآداب أن لايقترح على أخيه شيأ متعينا فلعله يعسر عليه الا اذا وثق به وان اقترح عليه أحد الشيئين فليختر أيسرهما عليه ولا بأس أن يقول لهم اقترحوا ماشئتم ففيه الثواب الجزيل فقد روى جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله تعالى من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد وان لايقول له هل أقدم لك مطعما بل ينبغي ان يقدمه له فان اشتهى أكل والارفع هكذا قاله الثوري

(فصل) في آداب الضيافة قال عليه الصلاة

عن أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت يارسول الله انك قلت لأعلمنك أعظم سورة من القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة رواه مسلم وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في هاتين الآيتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد والله لا اله الا هو الحي القيوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة وآل عمران وطه قال بعض الائمة المتقدمين هو الحي القيوم لانه في البقرة في آية الكرسي وفي آل عمران وفي طه في قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المشهور في حفظ زكاة رمضان ان شيطانا قال له اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما انه قد صدقك وهو كذوب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه من قيام الليل رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله قيل معناه كفتاه من قيام الليل وقيل من الشيطان وقيل من الآفات ويحتمل الجميع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من آخر سورة الكهف رواهما مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن وعن فروة بن نوفل عن أبيه قال قلت يارسول الله علمني شيأ أقوله اذا أويت الى فراشي فقال اقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ كل يوم مائتي مرة قل

فتبغضوه فانه من يبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله فقد أبغضه الله والاجابة سنة للفقير والغني وفي بعض الكتب المنزلة سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت وهو موضع على أميال من المدينة أفطر عليه السلام لما بلغه في رمضان وقصر عنه في سفره ويفطر اذا كان صائما من التطوع فادخال السرور على قلبه أفضل ويمتنع من الاجابة ان كان الطعام الموضوع أو الفراش فيهما شبهة أو كان الداعي فاسقا أو ظالما أو مبتدعا أو طالبا بذلك للمباهاة وينوي بالاجابة طاعة لا قضاء شهوة ولا يخرج من منزل المضيف الا باذنه (وروى أن ابن عمر) قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ويستحب أن يحمل طعام الى أهل الميت فافهم تغنم والله أعلم واليه المرجع والمآب

(الباب الثاني عشر في اداب النكاح)

اعلم أن العلماء اختلفوا فيه حتى ذهب بعضهم الى أنه أفضل من التخلي للعبادة واعترف آخرون بفضله

هو الله أحد محى عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وقال عقبة بن عامر رضى الله عنه بينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس و يقول ياعقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما وعن عبد الله بن خبيب رضى الله عنه قال خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركناه فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات تكفيك من كل شئ

(الباب الثامن فى أشياء متفرقة)

قال الغزالى رحمه الله تعالى تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الالحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخارى ومسلم ومعنى أذن استمع وهو اشارة الى الرضا والقبول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين وسيجيء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته قوما يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل يؤمهم ليس بأفقههم ليس الا ليغنيهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ على فقال يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وقال الغزالى رحمه الله تعالى ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الاجر الا أن يكون قصده الرياء والتصنع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيأتى قوم يقرؤن القرآن يسألون الناس به وقال ابراهيم كانوا يكرهون أن يتلوا الآية عند الشئ لغرض من أمر الدنيا قال أبو عبيد وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بالحاجة فيأتيه من غير طلب فيقول كالمازح جئت على قدر ياموسى وهذا من الاستخفاف بالقرآن وحكى الكواشى فى تفسيره ان بعض المتجبرين تلى عليه قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فقال تأتى به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمى وروى النووى رحمه الله عن أبى يحيى الساجى قال كنا نمشى فى أزقة البصرة الى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشى وكان معنا رجل ماجن متهم فى دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط وروى عن أبى داود السجستانى انه قال كان فى أصحاب الحديث رجل خليع فسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع فجعل فى نعليه مسامير من حديد وقال أريد أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الآكلة فى رجليه وحكى أن بعض المبتدعين سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها فانه لا يدرى أين باتت يده قال ذلك المبتدع كالمستهزئ انا أدرى أين باتت يدى فى الفراش فأصبح وقد أدخل يده فى دبره الى ذراعه قال النووى رحمه الله فى كتاب البستان بعد أن ذكر هذه الحكايات ومن هذا المعنى ما وجد فى زماننا هذا او تواترت به الاخبار وثبت عند القضاة أن رجلا فى قرية من بلاد بصرى فى أوائل سنة خمس وستين وستمائة كان سئ الاعتقاد فى أهل الخير وله ابن يحسن الاعتقاد فيهم فجاء ابنه من عند شيخ له صالح ومعه سواك فقال له ما أعطاك شيخك مستهزئا فقال هذا السواك فأخذه منه وأدخله فى دبره احتقارا له فبقى مدة ثم ولد ذلك الرجل الذى أدخل السواك فى دبره جروا قريب الشبه بالسمكة فقتله ومات الرجل فى الحال أو بعد يومين

ولكن قدموا عليه التخلى مالم تتق نفسه الى النكاح وذهب بعضهم الى أن الافضل فى زماننا تركه اذ غالب الاكتساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ويدل على الترغيب فيه قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم وقال تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وقال النبي صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى و يدل على الترغيب عنه قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر و يكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيه دينه فيهلك

(فصل فى فوائد النكاح)

هى كثيرة فمنها الولد الصالح وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة وثواب المجاهدة فى القيام بنفقتهم فان كان الولد صالحا فبركة دعائه وان توفى كان له شفيعا وآفات النكاح انه يعسر عليه الانفاق من الحلال وطلبه وهو واجب ولعله أيضا يقصر عن القيام بحقها فلها حقوق و يلزمه حسن الاحتمال والرفق بهن وهذا لا يقوى عليه

عافانا الله من بلائه

(كتاب ذكر الله عز وجل وفيه ستة أبواب)

(الباب الاول في فضله والحث عليه)

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء بيانه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقيل اذكروني على ظهر الارض أذكركم في بطنها اذا نسيكم أهل الدنيا وقيل معناه اذكروني بخدمتي أذكركم بنعمتي اذكروني بالتوحيد أذكركم بالتأييد اذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد اذكروني بالمحبة أذكركم بالقربة اذكروني بالخوف أذكركم بالامان اذكروني بالرجاء أذكركم بتحقيق الآمال وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة قال الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله معناه من جاهد نفسه قليلا في خدمتي تقربت الى قلبه برحمتي ويسرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتي وحلاوة الانس بذكري فيصير محبوبا بعد ان كان خاملا وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي تسكن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين فان قيل أليس قد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فكيف يكون الوجل والطمأنينة في حالة واحدة قيل الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله وحسن ثوابه قال الله تعالى ولذكر الله أكبر أي ذكر الله أفضل الطاعات وقيل ذكر الله بالقلب أفضل من العبادات مع الغفلة وأكثر أجرا قاله سلمان الفارسي وقتادة وقيل معناه ان ذكر الله بالقلب ومراقبته والحياء من نظره أكثر زجرا ونهيا عن المعاصي من جميع الطاعات قاله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف أي وسوسة من الشيطان تذكروا ان الله ناظر اليهم فاذا هم مبصرون وقال ابن عباس وأبو الدرداء ومجاهد وعكرمة معناه ان ذكر الله لكم أكبر من ذكركم لله وقال ابن عطاء اى أكبر من ان تبقى معه معصية وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم في الاحوال كلها فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار في البر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله المؤمن يذكر الله كثيرا لانه يذكر الله بقلبه فتسكن جوارحه الى ذكره فلا يبقى منه عضو الا وهو ذاكر في المعنى فاذا امتدت يده الى شئ ذكر الله فوقف عن السعي الا فيما يرضى الله عز وجل واذا طمحت عينه الى شئ ذكر الله فغض بصره عن محارم الله وكذلك سمعه ولسانه وبصره وسائر جوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ومراعاة أمر الله والحياء من نظر الله فهذا هو الذكر الكثير والذكر القليل ذكر المنافقين يذكرون الله بألسنتهم رياء الناس وليس في قلوبهم من الذكر شئ قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والذكر المطلوب ذكر القلب وانما ذكر اللسان طريق اليه فمن لازم ذكر الله بلسانه مخلصا لله وصلت بركة الذكر الى قلبه فعاش قلبه بذكر الله فعند ذلك يكون ذكره كثيرا وقال ذو النون من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شئ وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا من كل شئ ويقال ذكر اللسان حسنات وذكر القلب قربات ودرجات ويقال الاشارة في قول الله تعالى

اذكروا

العظيمة أن يكون الاهل والولد شاغلين عن دوام ذكر الله تعالى وسلوك طريق الآخرة ولعله يورث البخل في الغالب وهو من المهلكات وقد نبهناك على الفوائد والآفات وهو يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال فاختبر حالك واختر لنفسك ماهو أقرب لك الى طريق الآخرة والله أعلم

(فصل) فيما يختار حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد حين يعقد أربعة اذن الولي فان لم يكن فالسلطان ورضا المرأة ان كانت ثيبا بالغة وحضور شاهدين ظاهري العدالة وينعقد بمستوري الحال وايجاب وقبول متصل بلفظ الانكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كانا هما الزوج والولي أو وكيلهما وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدتها ولا في حال سبق خطبة من غيره فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج بسم الله والحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك فيقول الزوج كذلك ثم يقول قبلت نكاحها على

اذكروا الله ذكرا كثيرا أى أحبوا الله فان فى الحديث من أحب شيأ أكثر من ذكره فالمحبوب لا ينسى محبوبه فى بعد ولا قرب ولا وصل ولا هجر وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله اعلم ان ذكر الله تعالى أفضل العبادات لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا وجعل لها أوقاتا ولم يجعل لذكر الله مقدارا ولا وقتا وأمر بالكثرة من غير مقدار فقال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يعنى اذكروه فى جميع الاحوال قال وتفسير الذكر فى الاحوال كلها ان العبد لا يخلو من أربعة أحوال اما أن يكون فى الطاعة أو فى المعصية أو فى النعمة أو فى الشدة فان كان فى الطاعة ينبغى أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأل منه القبول وان كان فى المعصية ينبغى أن يدعو الله بالامتناع ويسأله التوبة وان كان فى النعمة يذكره بالشكر وان كان فى الشدة يذكره بالصبر وقوله وسبحوه بكرة وأصيلا التسبيح الصلاة والذكر والبكرة ربع النهار الاول والاصيل الربع الاخير وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادى قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأونى قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيدا وأكثر لك تسبيحا فيقول فماذا يسألونى قال يقولون يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يارب ما رأوها فيقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصا عليها وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال فهم يتعوذون من النار قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها فيقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم انى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم وروى أن فى الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا وقف الذاكر وقف الملك فيقول فتر صاحبى وفى الحديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ما ذكرنى أو تحركت بذكرى شفتاه ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه وأنيسه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس وذاكر الله فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم وذاكر الله فى الغافلين يريه مقعده من الجنة وينظر الله اليه وهو حى وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح من الجنة وأعجم والفصيح بنو آدم والاعجم البهائم وذاكر الله فى الغافلين ينظر الله اليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدا وذاكر الله فى السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة وروى أن بيوت الذاكرين لها نور تراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر كما نرى نحن النجوم فى السماء وقال سهل بن عبد الله ان الله تعالى يقول عبدى ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك الى وتذهب الى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غدا اذا جئتنى وحكى ابن الجوزى رحمه الله عن بعض السادة أنه قال خرجت الى السوق ومعى جارية حبشية وأجلستها فى مكان منه وأمرتها أن لا تقوم حتى أعود اليها فعدت فلم أجدها فانصرفت الى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت ذلك فى وجهى وقالت يا مولاى لا تعجل على أجلستنى بين قوم لا يذكرون الله فخشيت ان يخسف بهم وأنا معهم فقلت لها هذه أمة مرحومة وقد رفع الله الخسف عنهم اكراما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقالت يا مولاى ان كان رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف

هذا الصداق والثيابا الزوج على البكر مستحب فانه أقرب الى الالفة وكذلك يستحب تقديم النظر اليها ومن الآداب احضار جمع من أهل الصلاح للاستظهار وراء العدلين وينبغى أن ينوى بالنكاح غض البصر وطلب الولد الصالح وتكثير الامة ومن الشرائط أن لا تكون رقيقة مادام الزوج قادرا على مهر الحرة ولا تكون محرمة من الرضاع فانه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمحرم خمس رضعات وما دونها لا يحرم وأما الخصال المطلوبة لدوام العيش فثمانية الدين والخلق الحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة فكل ذلك مما دلت عليه الآثار والاخبار

(فصل) فى آداب المعاشرة وما على الزوج والزوجة أما الزوج فعليه الوليمة قال عليه الصلاة والسلام أولم ولو بشاة وعليه حسن المعاشرة والرعاية وحسن السياسة فى الغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب فى النشوز والوقاع ويكره العزل واذا ولد له ولد فيؤذن فى اذن المولود كذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم وان يحسن اسمه قال عليه الصلاة والسلام انكم

القلوب والايمان وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله في ذكر الله تعالى خمس فوائد أولها رضا الله تعالى
عنه والثاني انه حرز من الشيطان والثالث انه يرق القلب والرابع انه يزيد في الحرص على الطاعات
والخامس انه يمنع من المعاصي

(الباب الثاني في تقسيم الذكر وبيان كيفيته)

قال القاضي عياض رحمه الله ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان
أحدهما وهو أرفع الاذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته
وأرضه ومنه الحديث خير الذكر الخفي والمراد به هذا الثاني ذكر بالقلب عند الامر والنهي فيمتثل ما أمر به
ويترك مانهي عنه ويترك ما أشكل عليه وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الاذكار ولكن فيه فضل
عظيم كما جاءت به الاحاديث قال وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان
أيهما أفضل قال القاضي والخلاف عندي انما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحا وتهليلا وشبههما وعليه
يدل كلامهم لا أنهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه أولا فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف
يفاضله وانما الخلاف في ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب فان كان
لاهيا فلا واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل ومن رجح اللسان قال لان العمل فيه أكثر
فانه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر قال القاضي واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل
تكتبه ويجعل الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها وقيل لا يكتبونه لانه لا يطلع عليه غير الله تعالى قال النووي
رحمه الله والصحيح أنهم يكتبونه وان ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده وقال النووي في
كتاب الاذكار اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كل
عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى كذا قاله سعيد بن جبير وغيره وقال عطاء مجالس الذكر هي مجالس
الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصوم وتصلي وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن

(الباب الثالث في فضل كلمات من الاذكار جاءت غير مقيدة بوقت)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في
الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه البخاري وعنه صلى الله عليه وسلم
قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس رواه مسلم
وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا
من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه وقال من قال
سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر رواه البخاري ومسلم وعن أبي ذر
رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله ان أحب الكلام
الى الله سبحان الله وبحمده رواه مسلم قال النووي رحمه الله هذا محمول على كلام الآدمي والا فالقرآن أفضل
وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به
أفضل وقال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن
أو تملأ ما بين السموات والارض رواه مسلم وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل
سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر
بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى رواه مسلم وعن أم
المؤمنين جويرية بنت الحرث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بكرة من عندها حين صلى الصبح

بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم ومن كان له اسم يكرهه فيستحب تبديله فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة والسلام لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي ويستحب التحنيك بالتمر أو بحلاوة وعلى المرأة طاعته في جميع الاحوال والشفقة على أحواله وأمواله والرفق بأقاربه وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال حرم الله على كل آدمي دخول الجنة قبلي غير أني أنظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني فأقول مالهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة حسناء وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله تعالى لها ذلك وروي أنه عليه السلام قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام الا المرأة على الزوج أربعة أشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة والله أعلم افهم تغنم والله أعلم

(الباب الثالث عشر في آداب الكسب والمعاش وفيه فصول)

يدل على فضله قوله عليه الصلاة والسلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عليه

وهي في مسجدها ثم رجع بعد ان أضحى وهي جالسة فقال مازلت على الحال الذي فارقتك عليها قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة رواه الترمذي وقال حديث حسن قال صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الارض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا اله الا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله رواه البخاري ومسلم

(الباب الرابع في الاذكار المقيدة بوقت أو سبب)

قال الله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين قال أهل اللغة الآصال جمع الاصيل وهو ما بين العصر والمغرب وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت واذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول عند رد الله تعالى عليه روحه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الا غفر الله تعالى له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر رواه ابن السني وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا أصبح اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور واذا أمسى قال اللهم بك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وعنه رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه قال قلها اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون لا سبيل لكم اليه فقد هدي وكفي ووقي وقال صلى الله عليه وسلم اذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله رواه أبو داود وروى عن بلال رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج قال بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة وعن أسامة رضي الله عنه أنه صلى ركعتي الفجر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين ثم سمعه يقول وهو جالس اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات رواه ابن السني وروى

الصلاة والسلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وفي الطبراني ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقد ورد أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الي أن أجمع المال وأكن من التاجرين ولكن أوحى الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واعلم أن السؤال لا يخلو عن نوع من الكراهية فالكسب أولى الا في حق من يتعلق به مصالح المسلمين فعند ذلك يكون ترك الكسب والقيام بتلك المصالح أولى فيكتفي من مال المصالح أو غيرها ولهذا أشارت الصحابة على أبي بكر رضي الله عنه لما ولي الخلافة بترك التجارة فتركها وكان يكتفي من مال المصالح وهو يقوم بمصالح الخلق

(فصل) في بيان شروط المعاملات أما البيع فله ثلاثة أركان العاقد والمعقود عليه واللفظ فلا ينبغي أن يعامل أربعا الصبي والمجنون والعبد والاعمى ويجوز البيع من الكافر ولكن لا يباع منه المصحف والعبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من أهل الحرب ولا يجوز بيع الخمر والودك النجس والعاج ولا شراها ويجوز بيع الدهن الذي نجس بوقوع نجاسة فيه

الشافعي رضي الله عنه في الام باسناده حديثا مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث وقال صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر رواه مسلم وعن معاذ رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله انى لأحبك فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال اللهم انى أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا رواه أحمد وابن ماجه وقال علقمة بن قيس رحمه الله بلغنا أن الارض تعج الى الله تعالى من نومة العالم بعد صلاة الصبح ويروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلعت الشمس قال الحمد لله الذي جللنا اليوم عافيته وجاء بالشمس من مطلعها اللهم أصبحت أشهد لك بما شهدت به لنفسك وشهدت به ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت القائم بالقسط لا اله الا أنت العزيز الحكيم أكتب شهادتي بعد شهادة ملائكتك وأولى العلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك السلام أسألك ياذا الجلال والاكرام أن تستجيب لنا دعوتنا وأن تعطينا رغبتنا وأن تغنينا عمن أغنيته عنا من خلقك اللهم أصلح لى ديني الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معيشتى واصلح لى آخرتى التى اليها منقلبي وقال صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك وقال على رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت اذا قال ذلك حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله رواه البخاري ومعنى أبوء أقر وأعترف وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك اغفر لى رواه أبو داود والترمذي وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاة المغرب يدخل فيصلى ركعتين ثم يقول فيما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك رواه ابن السني وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الوتر قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات رواه النسائي وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن وقل اللهم أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت وبنبيك الذى أرسلت فان مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول وقال صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلاته رواه البخاري قوله تعار هو بتشديد الراء معناه استيقظ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق أصابني فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة

والعشرات والملاهى ويجوز بيع ما عليه الصور من الفرش واستعمالها لقوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها اتخذى منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وينبغى أن يكون مملوكا مقدورا على تسليمه معلوم العين وينبغى أن يأتى بلفظ الايجاب والقبول وفى المحقرات والمطعومات قول أو وجه خرجه ابن سريج انه يكفى فيها المعاطاة لمس الحاجة وأما الربا فقد ورد فيه تهديدات كثيرة فليحترز منه والسلم مباح وكذا الاجارة وشرائطها مستوفاة فى كتب الفقه فلتطالع

(فصل) فى بيان العدل والاحسان واجتناب الظلم فى المعاملات اعلم أن المعاملة قد يفتى المفتى فيها بالصحة ولكن يشتمل على نوع من الظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى فمنه الاحتكار وهو فى الطعام والمحتكر ملعون وفيه تشديدات عظيمة ومنه اخفاء العيوب فان فيه خيانة ومنها تعديل الميزان ففى تركه تغليظات عظيمة وفيه قوله تعالى ويل للمطففين وبالجملة فجميع أنواع التلبيس محرم ولا يجوز أن يقدم على شيء لا يريد شراءه ويطلب بما وقع منه ترغيب المشترى فيه ونهى عن بيع حاضر لباد ولو

ولا قوم ياحى ياقيوم أهدى ليلى وأنم عينى فقلتها فأذهب الله عز وجل عنى ما كنت أجد رواه ابن السنى وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قال وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فاعلقه عليه رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هى من الله تعالى فليحمد الله تعالى عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لاتضره رواه البخارى وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف وعند الملائكة شريف وغفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر أولها أن يقول فى ابتداء كل شئ بسم الله والثانى أن يقول عند الفراغ من كل شئ الحمد لله والثالث اذا جرى على لسانه لغو أو عمل شيأ يقول بعده أستغفر الله والرابع اذا أراد أن يقول غدا أعمل عملا فيقول على اثره ان شاء الله والخامس اذا استقبله مكروه فيقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والسادس اذا أصابته مصيبة فى النفس أو فى المال قلت أو كثرت فيقول انا لله وانا اليه راجعون والسابع لايزال يجرى على لسانه فى آناء الليل وأطراف النهار لا اله الا الله محمد رسول الله

(الباب الخامس فى فضل لا اله الا الله)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه رواه البخارى وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الذكر لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم أخبرنى جبريل عليه السلام ان لا اله الا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون رؤسهم هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور كأنى أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهى كلمة الاخلاص وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة وقال عطاء بن أبى رباح سألت ابن عباس عن قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول فقال غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله وقوله لا اله الا هو اليه المصير مصير من قال لا اله الا الله الى الجنة ومصير من لم يقل لا اله الا الله الى النار وقال صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها تهدم ما كان قبلها من الخطايا وقال صلى الله عليه وسلم حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة قال سعيد بن جبير رضى الله عنه كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزل قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو خرت الاصنام سجدا حول الكعبة قيل فى لا اله الا الله خاصيتان احداهما أن جميع حروفها جوفية ليس فيها شئ من الحروف الشفهية للاشارة الى الاتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين الثانى أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها مجردة من النقط اشارة الى التجرد من كل معبود سوى الله تعالى وقيل لا اله الا الله محمد رسول الله أربعة

أن يحسن وهو أن لا يغبن غيره بما لم تجر العادة بمثله والمساهلة فى البيع والشراء مندوب اليها قال عليه الصلاة والسلام رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فمن اغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى معاملته ربح الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا ومن الاحسان أن يقيل من يستقيله قال عليه الصلاة والسلام من أقال نادما صفقته أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة

(فصل) وينبغى أن لا تشغلك التجارة فتطلب الربح فى الدنيا وتضيع رأس المال فى الآخرة فتخسر خسرانا مبينا ولتكن نيتك من التجارة الكسب فى طلب الحلال والتعفف عن السؤال وتحصيل الزاد لتتفرغ به لطلب الآخرة واعلم أن السلف رضى الله تعالى عنهم كرهوا أخذ الاجرة على ماهو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم والاذان وصلاة التراويح واذا كان يريد بتجارته ماقدمناه فلا يشغله سوق الدنيا عن سوق الآخرة وهو المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وذلك بان يلازم من أول الصبح الى ضحوة النهار المساجد ويرجع اليها عند

وعشرون حرفا وساعات الليل كذلك فكأنه قيل كل ذنب أذنبت فى هذه الساعات يغفر بهذه الحروف وأيضا قول لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه السبع تغلق بابا من الابواب السبعة عن كل عضو من الاعضاء السبعة وقيل قول لا اله الا الله اثنا عشر حرفا فلا جرم وجب بها اثنا عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وأما الباطن فالتوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله فى كتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل يحصل للمؤمن بسبب الشهادة أبوة ابراهيم عليه السلام قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم وأمومة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وأزواجه امهاتهم واخوة المؤمنين قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة واستغفار النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات واستغفار الملائكة قال الله تعالى و يستغفرون للذين آمنوا وشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى ومشاركة الله فى الاسم المؤمن حكى أنه عرض على بعض الملوك عسكره وكان يسألهم عن أسمائهم فيجيبونه فسأل واحدا عن اسمه فسكت لانه كان سميه فعرف ذلك فأعطاه خلعة عظيمة وفى الخبر يؤتى برجل يوم القيامة اسمه محمد فيقول الله له ما استحييت أن تعصينى وأنت سمى حبيبى فأنا أستحى أن أعذبك وأنت سمى حبيبى قال الامام فخر الدين فاذا كان لا يعذب سمى رسوله فنرجو أن لا يعذب سمى نفسه قال الامام فخر الدين روى ان الماء زاد ببغداد حتى أشرفت على الغرق قال بعض الصالحين رأيت فى بعض تلك الليالى كأنى واقف على طرف الدجلة وأقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم غرقت بغداد فجاء انسان حسن الصورة وكنت أعلم انه ملك وجاء آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر ما الذى أمرت به فقال أمرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه فقال ولم قال رفعت ملائكة الليل البارحة انه افتض ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله تعالى وأمرنى بتغريقها ثم رفعت ملائكة النهار فى صبح هذا اليوم سبعمائة أذان واقامة فغفر الله تعالى لهؤلاء بهؤلاء قال صاحب الرؤيا فانتبهت وجئت الى الدجلة فاذا الماء قد نقص وحكى أن امرأة جاءت الى بعض أكابر الصوفية بقارورة من زيت وقالت ياشيخ أحب أن تصلح قناديل المسجد بهذا الزيت فقال الشيخ أيما أحب اليك نور يصعد الى السقف أو نور يصعد الى العرش فقالت بل نور يصعد الى العرش فقال اذا صببت هذا الدهن فى القناديل صعد النور الى السقف واذا صببته فى طعام الفقراء صعد النور منه الى العرش ثم أصلح طعاما بذلك الدهن للفقراء فلما أكلوا قال قولوا بصدق واخلاص لا اله الا الله واجعلوا ثوابها لتلك المرأة (وحكى) انه كان فى الامم الماضية ملك متمرد على ربه فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا فقالوا أى قتلة نقتله فأجمع رأيهم على أن يضعوه فى قمقم و يوقدوا تحته النار ليذوقه قوة العذاب ففعلوا ذلك به فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد يافلان بما كنت أعبدك انقذنى مما أنا فيه فلما رآها لا تغنى عنه شيأ رفع رأسه الى السماء وقال لا اله الا الله ودعا مخلصا فصب الله عليه ماء من السماء فأطفأ النار وجاءت ريح فحملت القمقم وجعلت تدور بين السماء والارض وهو يقول لا اله الا الله وقذفته الى قوم لا يعبدون الله وهو يقول لا اله الا الله فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك فقال أنا ملك بنى فلان كان من أمرى وجندى كيت وكيت وقص عليهم القصة فآمنوا كلهم و يروى عن الله عز وجل انه قال لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله وفى الخبر مفتاح الجنة لا اله الا الله قال أبو الليث ولكن المفتاح لا بد له من أسنان حتى يفتح الباب ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة وبطن طاهر من الحرام والشبهة وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصى

(فصل فى قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الى قوله و يفعل ما يشاء) الكلمة الطيبة هى لا اله الا الله والشجرة الطيبة هى النخلة فانها طيبة الثمر أصلها ثابت أى فى الارض وفرعها أعلاها فى السماء

لا يوقعها بل يتركها وليكن بقلبه فى السوق ذاكرا لله تعالى فقد ورد فيه فضائل وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألفى ألف حسنة و ينبغى أن يكون مراقبا لمعاملاته حتى لا يجرى فيها ما يتعذر عليه الخروج من عهدته يوم الحساب فانه سيحاسب على ما جرى منه من المعاملات و يطالب فيها بنيته و بحقوق الناس أحفظها أم ضيعها والله أعلم بالصواب

(الباب الرابع عشر فى الحلال والحرام)

روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقد ركن من استولى عليه الكسل الى أنه لم يبق الحلال فاسترسل فى كل شئ وذلك جهل فقد قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين و بينهما أمور متشابهات (فضيلة الحلال) قال الله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفى رواية زهده الله فى الدنيا وروى أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

كذلك

كذلك أصل هذه الكلمة راسخ فى قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فاذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهى الى الله قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه تؤتى أكلها تعطى ثمرها كل حين باذن ربها قال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر كل سنة وقيل ستة أشهر من وقت اطلاعها الى صرامها وقيل أربعة أشهر من حين ظهورها الى ادراكها وقال الربيع بن أنس كل حين أى كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء اما تمرا أو رطبا أو بسرا كذلك عمل المؤمنين يصعد أول النهار وآخره وبركة ايمانه لا تنقطع أبدا بل تصل اليه فى كل وقت والحكمة فى تمثيل الايمان بالشجرة هى أن الشجرة لا تكون شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان قيل والحكمة فى تشبيهها بالنخلة من بين سائر الاشجار لان النخلة أشبه الاشجار بالانسان من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤسها وأنها تشبه الانسان فى انها لا تحمل الا بالالقاح وانها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام فلذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قيل ومن عمتنا قال النخلة وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله فى أسرار التنزيل ولطائف التأويل لسبب تشبيه النخلة بكلمة التوحيد وجوه الاول ان شجرة النخلة لا تنبت فى جميع البلدان كذلك كلمة التوحيد لا تجرى على كل لسان الثانى أن شجرة النخلة أطول الاشجار وكذلك كلمة التوحيد أعلى الكلمات الثالث ان الشجرة ثابتة فى الارض وفرعها فى السماء كذلك أصل الكلمة الطيبة ثابت فى القلب وهو المعرفة وفرعها فى السماء اليه يصعد الكلم الطيب الرابع أن شجرة النخل تحمل كل سنة مرتين كذلك الايمان يحمل فى الدنيا مرة ويثاب لاجل ايمانه أهلية الشهادة والولاية والامامة ومرة أخرى فى الآخرة وهى الجنة الباقية والنعمة الدائمة الخامس ان النخل وان حصل وسط ثمرها نواة لا خير فيها ولا منفعة فان قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك النواة وكذلك كلمة التوحيد وان كان يحصل معها شئ من المعاصى لا تنقص بسبب ذلك يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا السادس أن النخلة أسفلها الذى يقرب من الناس كله شوك والثمرة والمنفعة فى أعلاها كذلك كلمة التوحيد الذى أولها تكاليف شاقة هى كالشوكة وأعلاها الثمرة الحلوة اللذيذة وهى المعرفة والمحبة قوله ومثل كلمة خبيثة هى الشرك كشجرة خبيثة وهى الحنظل وقيل الثوم وقيل الكشوث اجتثت اقتلعت من فوق الارض ما لها من قرار أى ثبات أى ليس لها أصل ثابت ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله فى الحياة الدنيا أى قبل الموت وفى الآخرة أى فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قوله ويضل الله الظالمين لا يهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر ويفعل الله ما يشاء من التوفيق والخذلان والتثبت وتركه

(الباب السادس)

فى قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قوله وان من شئ الا يسبح بحمده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال وان من شئ حى الا يسبح بحمده وقال قتادة رحمه الله يعنى وما من شئ من الحيوانات والناميات الا يسبح قال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وقال النخعى وان من شئ جماد وحى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل تسبيحها تسبيح الناظر اليها وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم ومذهب كثيرين والاكثرين من المفسرين ان معنى الآية وان من شئ حى ثم قالوا وحياة كل شئ بحسبه فحياة الخشب ما لم ييبس والحجر ما لم يقطع

فسأل الله تعالى أن يجعله مستجاب الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام أطب طعمتك تستجب دعوتك وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه وقال النبى عليه الصلاة والسلام كل لحم ينبت من الحرام فالنار أولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله تعالى من أين أدخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال روى مرفوعا وموقوفا وقال صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار وروى أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل أصبعه فى فيه وجعل يقئ حتى ظننت أنه ستخرج روحه ثم قال اللهم انى أستغفرك وأعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وقال ابن عباس رضى الله عنه لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام وقال سهل رضى

وذهب المحققون من المفسرين وغيرهم الى انه على عمومه ثم اختلف هؤلاء هل تسبيح حقيقة أم فيه دلالة على الصانع فيكون مسبحا منزها بصورة حاله والمحققون على انه يسبح حقيقة وقد أخبر الله تعالى وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله وان كان العقل لا يحيل جعل التمييز فيها وجاء النص به وجب المصير اليه والله أعلم قال الامام أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل مذهب أهل السنة ان لله علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الآية فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فاني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء الي يا رسول الله وعن أنس رضي الله عنه قال ما من صباح ولا رواح الا تنادي بقاع الارض بعضها بعضا يا جارة هل مر بك عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت لها عليها بذلك فضلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر الا شهد له يوم القيامة رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم ما صيد حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما ضيع من تسبيح الله عز وجل قال مجاهد في قوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله لا ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وقد قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانه ليس بلغتكم ويجوز أن يفهم الله تعالى بعض عباده تسبيح الجمادات والحيوانات كداود وسليمان ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وقال أنس رضي الله عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعت التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن ومما نحن فيه حنين الجذع وغيره مما تقدم في معجزاته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه أي سبحي معه اذا سبح والطير قيل كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وفي كتاب الزاهر لابي عبد الله القرطبي أن داود عليه السلام قال لأسبحن الله الليلة تسبيحا ما سبحه به أحد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية في داره أتفخر على الله بتسبيحك وان لي سبعين سنة ما جف لي لسان من ذكر الله وان لي عشر ليال ما طعمت خضراء ولا شربت ماء اشتغالا بكلمتين فقال ما هما قالت يا مسبحا بكل لسان ومذكورا في كل مكان فقال داود في نفسه وما عسى أن أقول أبلغ من هذا روى البيهقي في شعبه عن أنس رضي الله عنه أنه قال ان نبي الله داود عليه السلام ظن في نفسه ان أحدا لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه فأنزل الله عليه ملكا وهو قاعد في محرابه والبركة الى جانبه فقال يا داود افهم ما تصوت به الضفدع فأنصت اليها فاذا هي تقول سبحانك وبحمدك منتهى علمك فقال له الملك كيف ترى فقال والذي جعلني نبيا اني لم أمدحه بهذا قال سفيان رحمه الله يقال انه ليس شئ أكثر ذكرا لله من الضفدع وروى البيهقي عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل خمس النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد وقال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قيل سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين قال

الحلال)* واعلم أنه تحل الاموال المأخوذة من أهل الحرب بأي طريق أخذت وما ملك بالاصطياد أو الاحتطاب أو يستخرج من المعادن وما يؤخذ من أهل الحرب انما تحل بعد اخراج الخمس اذا كان بقتال من السلطان والطين الذي يؤكل انما يحرم على من يتضرر به وقد وردت مناهي تشعر بعموم التحريم فينبغي أن يحترز منه (بيان درجات الحلال والحرام) اعلم أن الحرام كله خبيث الا أن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب الا أن بعضه أطيب فأول الدرجات وأقلها أن يحترز مما يفتي الفقهاء بتحريمه (الدرجة الثانية) ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان كان المفتي يرخص فيه بناء على الظاهر ولكنه من مواقع الشبه على الجملة (الدرجة الثالثة) ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف أداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به البأس (الدرجة الرابعة) ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي الى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله تعالى ولا على نية التقوي به على العبادة أو يتطرق الى أسبابه المسهلة له كراهية ومعصية والامتناع منه ورع الصديقين *(فصل في بيان مراتب الشبهات)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصاحت

يتماحت طيطوى فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطا تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وروى أن سليمان مر على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل بذنبه فقال لاصحابه أتدرون مايقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وروى أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس رضي الله عنه انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال اسألوا تفقها ولا تسألوا تعنتا قالوا أخبرنا بما يقول القنبر في صفيره والديك في صقيعه والضفدع في نعيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وما يقول الزرزور والدراج قال نعم أما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وأما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فيقول سبحان ربي المعبود في لجج البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فيقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى قال فأسلم اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد في الضاد كما يمد القارئ وذكر أبو القاسم القشيري رحمه الله في الرسالة في باب المحبة ان خطافا راود خطافة على قبة سليمان وامتنعت منه فقال تمتنعين علي ولو شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان وقال ما حملك على هذا قال يا نبي الله العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم فقال صدقت وروى البيهقي وابن عساكر بسندهما الى أبي مالك قال مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرون مايقول قالوا وما يقول يا نبي الله قال يخطبها لنفسه ويقول تزوجيني أسكنك أي قصور دمشق شئت قال سليمان ان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها لكن كل خاطب كذاب وقال الله تعالى حتى اذا أتوا على وادي النمل الآية روى عن وهب بن منبه عن كعب قال كان سليمان اذا ركب الريح حمل خدمه وحشمه وقد اتخذ مخابز ومطابخ يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشر جزائر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين الارض والسماء فسار بهم من اصطخر الى اليمن فسلك مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله الى البيت ما يبكيك قال يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك آخر الزمان أحب أنبيائي الي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم مر سليمان حتى مر بوادي الدر من الطائف فأتى على وادي النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف وقال مقاتل من أرض الشام قيل كان لا يتكلم خلق الا حملت الريح ذلك وألقته في مسامع سليمان فسمع سليمان قول النملة قال مقاتل سمعه من ثلاثة أميال فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمله وجنوده على بساط بين السماء والارض

الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه

(بيان القسم المتوسط) وهو الشبهة ومثاله أن الماء من المطر حلال قطعا قبل أن يقع في ملك الغير وأما الحرام المحض فكالخمر مثلا ومثارات الشبهة خمس أولها ما وقع الشك في سببه المحرم والمحلل وذلك لا يخلو اما أن يكون متعادلا أو غلب أحد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب وان غلب أحد الاحتمالين كان الحكم للغالب ويتبين ذلك بأربعة أقسام * القسم الاول أن يكون التحريم معلوما ثم يقع الشك في المحلل مثاله أن يرمي السهم الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك والله أعلم * القسم الثاني أن يعرف الحل ويشك في المحرم فالحكم للحل كما اذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال أحدهما ان كان هذا غرابا فامرأته طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأته طالق وبقي ملتبسا فلا يحكم بتحريم البتة ما لم يتبين والله أعلم * القسم الثالث أن يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب

قيل كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الارض تطوى لهم وقيل يحتمل أن يكون قبل تسخير الله الريح لسليمان قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي الله ليس فيه جور وظلم فقالت وهم لا يشعرون وروى أن سليمان لما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم وروى الدارقطني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقتلوا النملة فان سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي فاذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول أنا خلق من خلقك لا غناء لنا عن فضلك اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا واطعمنا ثمرا فقال سليمان لقومه ارجعوا فقد كفينا وسقيتم بغيركم

(فصل) قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله فى أسرار التنزيل ولطائف التأويل هل يجوز أن تكون الطيور والبهائم عارفة بربها أم لا أكثر أرباب الآثار والاخبار جوزوا ذلك واحتجوا بأن كون هذه الطيور عارفة بربها مشتغلة بتسبيحه أمر جائز فى العقول والنصوص وردت بوقوعها فوجب الاعتراف بذلك أما الجواز العقلي فدل عليه وجهان أحدهما الاجمال والثانى التفصيل أما الاجمال فهو أن حصول الفهم والعلم فى ذوات هذه الحيوانات من جملة الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات وأما التفصيل فانا نشاهد من هذه الحيوانات أفعالا لا تصدر الا من أفاضل العقلاء وذلك يدل على كونها عاقلة ومتى كان الامر كذلك ثبت جواز كونها عارفة بربها وسنبين ما ذكرنا بوجوه الاول أن الفأرة تدخل ذنبها فى قارورة الدهن ان كان رأسها ضيقا ولا تدخل رأسها ويحصل مقصودها بهذا الطريق وهذا يدل على عقلها الثانى أن النحل تبنى بيوتها من أشكال موصوفة بصفتين أحدهما أن لا تكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق معطلا والثانى أن تكون تلك البيوت مشكلة بشكل متى انضم بعضها الى بعض امتلأت القرصة منها ولا يبقى منها شئ ضائعا ثم انه تعالى أعطاها من الذكاء ما قدرت عليه على بناء تلك البيوت المسدسة من غير نظير ولا آلة ولا شكل وان البشر لا يقدرون على بناء البيوت المسدسة الا عند الاستعانة بالآلة الكثيرة الثالث أن النحل تسعى فى تحصيل الذخيرة وذلك لعلمها بأنها قد تحتاج فى الازمنة المستقبلة الى الغذاء ولا تكون قادرة على تحصيله فى تلك الاوقات فوجب السعى فى تحصيله فى ذلك الوقت التى حصلت فيه القدرة على الاحضار الرابع أن العنكبوت تبنى بيوتها على وجه عجيب وعلى نسجة الشبكة التى تصيد بها الا بعد أن تفكرت كيف يمكنها اصطياد الذباب فهذه أفعال فكرية ليست بأولى من أفعال الفكرة الانسانية فوجب الاقرار بثبوت العقل لها الخامس أن الجمل والحمار اذا ذهبا طريقا فى ليلة ظلماء ففى المرة الثانية يقدر على السلوك بتلك الطريق من غير ارشاد مرشد وأيضا فالانسان لا يمكنه المشى من بلد الى بلد مشيا سويا من غير غلط ولا خطأ والكراكى تذهب من طرف أطراف العالم الى طرف آخر لطلب الهواء الموافق من غير أن تضل البتة السادس أن الدب اذا أراد أن يفترس الثور لا يمكنه أن يقتله ظاهرا فيقال انه يستلقى فى ممر ذلك فاذا قرب الثور منه وأراد أن ينطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتى يثخنه وأيضا انه يأخذ العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم انه مات ويتركه وربما عاد يشمه ويتحسس نفسه ويصعد الشجر أخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه ثم ينفخ فيه ويبدد قشره ويأكل لبه السابع قالوا من خواص الفرس أن كل واحد منهما تعرف صوت الفرس الذى قابله والتماسيح تفتح أفواهها للطائر كالعقعق حتى ينظف ما بين أسنانها وفى رأس الطائر شئ كالشوك فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطائر تأذى من الشوكة فيفتح فاه فيخرج الطائر الثامن أن القنافذ قد تحس بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى أجحرتها يقال انه كان رجل فى القسطنطينية ينذر بالرياح قبل هبوبها وينفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذا فى داره يفعل ذلك الفعل التاسع ان الخطاف صانع حسن فى العش من الطين فاذا أعوزه ابتل وتمرغ فى التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين واذا فرغ بالغ فى استعهد الفراخ ويأخذ ذرقها بمنقاره ويرميها عن العش ثم يعلم فراخه القاء الذرق العاشر

فعليه بالمن غالب أمور مشكوك فيه والغالب حله مثاله أن يرمى الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر سبب آخر من صدمة أو سقطة التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعى رحمه الله تعالى فى هذا القسم والمختار انه حلال القسم الرابع أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر شرعا فيرتفع الاستصحاب لضعفه ويحكم بغالب الظن مثاله أن يغلب على ظنه نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن وتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به (المثار الثانى للشبهة شك منشؤه الاختلاط) وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال فيشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور وان اختلط المحصور فلا يخلو اما أن يكون اختلاط امتزاج كالمائعات أو اختلاط استبهام مع التميز كالاعبد وغيرها وذلك يتبين بأقسام القسم الاول أن تستبهم العين بعدد كما لو اختلطت ميتة بمذكاة أو رضيعة بعشرة نسوة فهذا يوجب الاجتناب بالاجماع اذ لا مجال للاجتهاد فيها * القسم الثانى حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلط عشرة رضائع بنسوة بلد كبير فلا يحرم نكاح أهل البلد والعلة

ان

ان النعامة اذا اجتمع من بيضها عشرون أو ثلاثون قسمها ثلاثة أثلاث ثلثا تدفنه فى التراب وثلثا تتركه فى الشمس وثلثا تحضنه فاذا خرج فراخها كسرت ما كان فى الشمس وتركت لفراخها ما كان من الرطوبة التى أذابتها الشمس ورققتها فاذا اشتدت الفراخ وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقبا وقد اجتمع فيها النمل والذباب والديدان والحشرات ثم تطعم لفراخها فاذا تناولت ذلك قويت على المرعى والعب تفكر أيها الغافل أى امرأة تهتدى لتربية أولادها الى هذه الحيلة واعلم أن الاستقصاء فى هذا الباب مذكور فى كتاب طبائع الحيوانات ولولا كونها عاقلة لما صح منها شئ من ذلك واذا ثبت كونها مهتدية عارفة بهذه الدقائق فأى بعد فى كونها عارفة بربها مسبحة له كما والنصوص الدالة على حصول هذه المعرفة كثيرة منها قوله تعالى حكاية عن سليمان علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وقوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وقوله تعالى لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه الخ وهذا التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم العاقل وقوله تعالى حكاية عن الهدهد قال أحطت بما لم تحط به الى قوله تعالى فهم لا يهتدون وهذا الترتيب فى الكلام لا يتأتى الا من العاقل الذى يكون فى غاية الذكاء وذلك لأن أشد الاشياء أخذا بالقلوب النساء ولهذا السبب بدأ تعالى بذكر النساء فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ولما لم يلتفت سليمان الى ذكر المرأة ثنى الهدهد بذكر المنازل وأوتيت من كل شئ فلما لم يلتفت أيضا سليمان ثلث بذكر الحياة والملك العظيم ولها عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمان الى شئ من ذلك من أمور الدنيا ربع الهدهد بالدين فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ومعلوم ان مثل هذا الترتيب لا يحصل الا مع الذكاء ومنها قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه ومنها قوله تعالى يا جبال أوبى معه والطير والتكليف لا يتوجه الا على العاقل ومنها قصة هابيل وهو قوله تعالى فبعث الله غرابا الخ فثبت بما ذكرناه من التجارب امكان كونها عارفة بربها وبهذه النصوص كونها عارفة عاقلة فوجب الاعتراف بذلك ثم ذكر الامام فخر الدين حجة القول الثانى والجواب عن ذلك وفيما ذكرناه كفاية وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأت شيطانا واذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة

(كتاب الدعاء وفيه سبعة أبواب الباب الاول)

فى الحث عليه وبيان فضله وقول العلماء فيه قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان الآية روى ان قوما سألوا قوله تعالى ادعونى أستجب لكم قالوا يا رسول الله فى أى وقت ندعوه وقال قوم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان اذا سألك عبادى عن ذاتى فأنا الموجود من غير موجود لا يدرك كيف ولا يحيط بى أين ولا يصفنى واصف ولا يحفنى وهم وان سألوك عن صفاتى فالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام صفاتى قديمة لا تدركها الافهام وان سألوك عن أفعالى فكل يوم أنا فى شأن أقرب وأبعد وأشقى وأسعد وأحيى وأميت وأغفر لمن شئت وأعطى وأمنع وأخفض وأرفع وان سألوك عن الدلالة عنى فالدلالة على عجيب تدبيرى ومحكم آياتى وبديع تقديرى فى مخلوقاتى وان سألوك عن قربى منهم فانى قريب بالقدرة والنصرة والرحمة والنعمة والعلم والحلم أجيب دعوة الداعى اذا دعان ان دعانى لضر كشفت وان دعانى لحاجة قضيت وان دعانى لمرض شفيت وان دعانى لهم كفيت وان دعانى لرزق أعطيت وأرويت وان دعانى لدين أديت وان دعانى لعيب أصلحت وان دعانى لذنب صفحت وغفرت وان دعانى لتوبة تقبلت وان دعانى لنقص كملت وان أطاعونى أحسنت اليهم وان عصونى سترت وان أدبروا ناديتهم وان أقبلوا أدنيتهم وان سألونى أعطيتهم هذا جميعه من كلام الشيخ عبد العزيز رحمه الله (سؤال) ان قيل ما وجه قوله تعالى أجيب

والبيع اذ ما جعل الله عليكم فى الدين من حرج لانه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وعباءة لم يمتنع أحد من شراء المجن والعباءة فى الدنيا فافهم تغنم والله أعلم * القسم الثالث أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كالاموال فى زماننا هذا والذى أختاره أنه لا يحرم تناول شئ بعينه الا أن يقترن بتلك العين علامة معينة الا أن تركه ورع * ومن جملة العلامات يد السلطان الظالم الى غير ذلك من المعاملات التى ستأتى ويدل على ذلك ما ذكرناه أن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لم يتركوا المعاملات وأخذ الاموال مع كثرة أثمان الخمور وأموال الربا فى يد أهل الذمة ومن جملة الشبهات أن يكون الشئ مما قد اشترى فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا أن يكون تسليم الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال فى مقابلته من الحرام حراما بل عليه أن لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقض الثمن ولا يحرم ما أكل وان أبرأ ذمته مع العلم بكون الثمن حراما فهو يوجب براءة الذمة والحل والله أعلم *(فصل فى التجسس والسؤال)* اعلم أنه لا يجسد على كل حال ولا يترك بكل حال فان كان من يأخذ

دعوة الداعى وقوله تعالى ادعونى أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل المعنى انه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يقدر له ادخر له الثواب فى الآخرة أو كف عنه سوأ والدليل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه اياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مسلم يدعو بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له فى الدنيا واما أن يؤخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وقال يزيد الرقاشى رحمه الله اذا كان يوم القيامة عرض الله تعالى لعبده كل دعوة دعاها فى الدنيا ولم يكن استجاب له فيقول عبدى دعوتنى يوم كذا فأمسكت عليك دعوتك فهذا الثواب مكان هذا الدعاء ولا يزال العبد يعطى من الثواب حتى يتمنى انه لم يكن استجاب الله عز وجل دعوته قط وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهى أسباب الاجابة فمن استكملها كان من أهل الاجابة ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء فى الدعاء فلا يستحق الجواب قال الامام العارف الشيخ عبد القادر الجيلى رحمه الله فى كتاب الغنية الادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة والساعد قوى والمانع مفقود حصلت به النكاية فى العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فان كان الدعاء فى نفسه غير صالح والداعى لم يجمع بين قلبه ولسانه فى الدعاء أو كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر وفى كتاب الزهد للامام أحمد أصاب بنى اسرائيل بلاء فخرجوا مخرجا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون الى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى الا بعدا وأوحى الله الى داود عليه السلام قل للظلمة لا يدعونى فانى أوجبت على نفسى انى أجيب لمن دعانى واذا أجبت الظالمين لعنتهم وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا أى تذللا واستكانة وخفية أى سرا قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله سبحانه وتعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله ذكر عبدا صالحا ورضى فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا انه لا يحب المعتدين قيل المعتدين فى الدعاء قال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عليهم السلام وقيل أراد به الاعتداء بالجهر قال ابن جريج من الاعتداء بالجهر رفع الصوت بالدعاء وعن أبى موسى رضى الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وقال عطية هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون اللهم اخزهم اللهم العنهم قوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها أى لا تفسدوا فيها بالمعاصى والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله وقال عطية لا تعصوا فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله اصلاحها أى بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وادعوه خوفا وطمعا أى خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من مغفرته وثوابه ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال الله تعالى قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم قيل معناه ما خلقتكم ولى اليكم حاجة الا أن تسألونى فاعطيكم وتستغفرونى فاغفر لكم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شئ أكرم على الله عز وجل من الدعاء وأشرف العبادة الدعاء ومن لا يسأل الله يغضب عليه وقال صلى الله عليه وسلم اسألوا الله من فضله فان الله يحب أن يسئل وفى حديث مسلم عن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه كان يقول دعوة المرء المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله وقال صلى الله عليه وسلم أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب وقال صلى الله عليه وسلم

أهل الصلاح والتجار ولا على زى أهل الظلم فالظاهر الاكتفاء بعدالة الاسلام ومنهم من جوز السؤال واذا كان للرجل ادرار ودخول من الحرام ومال السلطان ودهقنة فالورع تركه ومنهم من نظر الى الاكثر وجعل الاعتبار به قال الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى ان من كان له صديق أو أخ فلا ينبغى أن يسأله لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيؤدى الى الغضب وهو معصية فى الحال واعلم أنه لا فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام لانه ربما يكذب لغرض فالاولى أن يكون السؤال من غيره والله أعلم

(فصل فى الخروج من المظالم المالية) اعلم أن من تاب وفى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام واخراجه ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج الوظيفة الاولى فى كيفية التمييز والاخراج فان كان معينا من جهة غصب أو وديعة أو غيره فهو سهل وان كان مختلطا مثلا بأن يعلم أن قدر نصف المال حرام أو بكسب تجارة فيها كذب وخيانة فعليه تمييز ذلك القدر وان لم يعلم قدره أخذ بالاحتياط وغالب الظن واليقين (الوظيفة الثانية) فى المصرف فاذا ميز الحرام فان كان له

مالك معين صرف اليه وان لم يكن صرف لوارثه وان كان غائبا انتظر حضوره وتكلف الايصال اليه حيث هو وان لم يكن له من

يجيء صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه قال عمر رضى الله عنه استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن وقال لا تنسنا يا أخى من دعائك فقال كلمة ما يسرني ان لي بها الدنيا قال الخطابي اختلف مذاهب الناس في الدعاء فقال قوم لا معنى للدعاء ولا طائل له الآن لان الاقدار سابقة والاقضية متقدمة والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا ينقص شيأ منها فلا فائدة في الدعاء والمسئلة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قدر الله المقادير قبل أن يخلق الخلق بكذا وكذا عاما وروى عنه أنه قال جف القلم بما هو كائن وروى أربع قد فرغ منها العمر والرزق والخلق والخلق أو كما قال وقالت طائفة أخرى الدعاء واجب وهو يدفع البلاء ويرد القضاء واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء وبما روى أن الدعاء والقضاء يلتقيان فيعتلجان ما بين السماء والارض وقال آخرون الدعاء واجب الا انه لا يستجاب منه الا ما وافق القضاء قال الخطابي هذا المذهب هو الصحيح وهو قول أهل السنة والجماعة وفيه الجمع بين الاخبار المروية على اختلافها والتوفيق بينها قال فأما من ذهب الى ابطال الدعاء فمذهبه فاسد وذلك أن الله تعالى أمر بالدعاء وحض عليه فقال ادعونى أستجب لكم وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم في آى ذوات عدد من القرآن فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن ورده ولا خفاء في فساد قوله وسقوط مذهبه وقال الامام أبو القاسم القشيري رحمه الله اختلف الناس في أن الافضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ولان الدعاء اظهار للافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى قال القشيري والاولى أن يقال الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت فاذا وجد في قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء أولى به واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم قال ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم قال ومن شرائط الدعاء أن يكون مطعمه حلالا وكان يحيى بن معاذ الرازي رضى الله عنه يقول كيف أدعوك وأنا عاص وكيف لا أدعوك وأنت كريم وقال الامام الغزالي رحمه الله فان قيل فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه وفيه من الفوائد ما ذكرناه وهو حضور القلب والافتقار وهما نهاية العبادة والمعرفة

(الباب الثاني في آداب الدعاء)

قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية الآيتان وقد تقدم تفسيرهما وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا رواه أبو داود وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه رواه الترمذي وروى الترمذي أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء آداب الدعاء عشرة الاول أن يترصد الازمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الاخير من الليل ووقت الاسحار الثاني أن يغتنم الاحوال الشريفة كحالة السجود والتقاء الجيوش ونزول الغيث واقامة الصلاة وبعدها قال النووي وحال رقة القلب الثالث استقبال القبلة ورفع اليدين ومسح بهما وجهه في آخره الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر الخامس

ما التقطه فيتصدق به أو يصرفه الى مصالح المسلمين من الرباطات والمساجد والقناطر ونحو أن يسلمه الى القاضي ان كان أمينا والا لم تبرأ ذمته بالتسليم الى قاض خائن وقد وردت أخبار وآثار تدل على جواز التصدق بالمال الحرام وصرفه الى المصالح وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلاة التى قدمت اليه فكلمته بانها حرام فقال صلى الله عليه وسلم أطعموها الاسارى

(فصل في ادرارات السلاطين وصلاتهم) وهو نوع من الاصلاحات وينبغى أن ينظر فيه فلا يأخذه ان كان من الخراج الموظف على المسلمين والمصادرات ويحل ان كان من المواريث والاموال الضائعة والفيء والغنيمة والجزية بشرط أن يكون في صرفها اليه مصلحة أو حاجة وذهب عمر رضى الله عنه الى أنه ما من مسلم الا وله في بيت المال حق واعلم أن الجزية أربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة وان كان يأخذ مال السلطان ليتصدق به على الفقراء فمن الورعين من أمسك عنه ومنهم من أقدم عليه ولعل الاولى الاقدام عليه بشرط أن لا يرغب فيه لنفسه ولا يقتدى به غيره ولا يظن بأخذه من السلطان أن ماله حلال فيجترئ بسببه على أمثاله والله أعلم فافهم تغنم

(الباب الخامس عشر في آداب الصحبة) اعلم أن التحابب في الله تعالى والاخوة في دينه من

لا يتكلف السجع وقد فسر به الاعتداء في الدعاء والأولى أن يقتصر على الدعوات المأثورة فما كل أحد يحسن الدعاء فيخاف عليه الاعتداء وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار ولا تدع بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات ويشهد له ما ذكره الله تعالى في آخر سورة البقرة ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخرها لم يخبر سبحانه وتعالى في موضع عن أدعية عباده بأكثر من ذلك قال النووي ومثله قوله سبحانه وتعالى في سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا الخ قال والمختار الذي عليه جماهير العلماء انه لا حجر في ذلك ولا تكره الزيادة على السبع بل يستحب الاكثار من الدعاء مطلقا السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية السابع أن يجزم بالطلب ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيها ودلائله كثيرة مشهورة قال سفيان بن عيينة رحمه الله لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فان الله تعالى أجاب شر المخلوقين ابليس اذ قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الثامن أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا ولا يستبطئ الاجابة التاسع أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى قال النووي وبالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ويختمه بذلك كله أيضا العاشر وهو أهمها والاصل في الاجابة وهو التوبة ورد المظالم والاقبال على الله ويكره رفع بصره الى السماء في الدعاء في الصلاة وأما في غيرها قال القاضي عياض رحمه الله اختلفوا في كراهة رفع البصر الى السماء في الدعاء في غير الصلاة فكرهه شريح وآخرون وجوزه الاكثرون وقالوا ان السماء قبلة الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة فلا يكره رفع الابصار اليها كما لا يكره رفع اليدين قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون قال عطاء رحمه الله للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته ارتفع وان وافق أوقاته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب مع الله والخشوع لله والحياء من الله ورجاء كرم الله وأجنحته الصدق وأكل الحلال وأوقاته أوقات الخلوة والفراغ كالاسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(الباب الثالث في نهي الانسان عن الدعاء على نفسه وولده وماله)

قال الله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم الآية قال ابن عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله ولا بارك فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله بما يكره أن يستجاب معناه لو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير أي كما يحبون استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم أي الفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه انما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته او شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة وقال الله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير الآية معناه ويدعو الانسان على ماله ونفسه وولده بالشر فيقول عند الغضب اللهم العنه واهلكه ونحوهما دعاءه بالخير كدعائه ربه انه يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكان الانسان عجولا بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله تعالى ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم

(الباب الرابع في دعوات مستحبة في كل وقت غير مختصة بوقت أو حال مخصوص)

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول

الاصل الثمر لك وهو ثمرة حسن الخلق وكلاهما محمودان أما حسن الخلق فقال تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم وأما الاخوة والالفة فقال تعالى فيهما فأصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يؤلف ولا يألف وقال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه وقال عليه الصلاة والسلام من آخى أخا في الله تعالى رفعه الله تعالى درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله *بيان معنى الاخوة في الله تعالى وتمييزها عن الاخوة في الدنيا قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال ان روحي المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط والانسان يحب غيره اما لذاته لكونه جبل لا محبوبا في ذاته أو لكونه وسيلة الى غرض خارج عن ذاته وذلك الغرض متعلق بمصالح الدنيا واما أن يكون وسيلة لحظ في الآخرة واما أن يكون لله وفي الله لا ينال به دنيا ولا آخرة بل لكونه من عباد الله فمن أحب شيئا أحب من يحبه وهذا هو الاخوة في الله وهو كما قال مجنون بني عامر يقول

يقول اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء وفى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه عن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سأل الله باسمه الاعظم وفى سنن أبى داود والنسائى عن أنس رضى الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى ثم دعا اللهم انى أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وفى مسلم أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى اليسر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انى أعوذ بك من الهرم وأعوذ من التردى وأعوذ بك من الغرق والحرق والهدم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا وفى الترمذى عن أم سلمة قالت كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وفى الترمذى أيضا عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذى النون اذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شئ قط الا استجاب له وعن أنس رضى الله عنه ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الدعاء أفضل فقال سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك قال فاذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة فقد أفلحت قال الترمذى حديث حسن وروى ابن السنى عن طلق بن حبيب قال جاء رجل الى أبى الدرداء فقال يا أبا الدرداء قد احترق بيتك قال ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك وفى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيأ قلنا يارسول الله قد دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيأ فقال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله يقول اللهم انا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله وفى مسند أحمد وسنن ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ

حيث يقول شعرا

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وكذا لا بد من الحب فى الله فلا بد من البغض فى الله فمن أحب انسانا لكونه حبيب حبيبه ومطيعاله فلا بد وأن يبغض عدوه لكونه عاصياله

(فصل) اعلم أن كل أحد لا يصلح للصحبة قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ولا بد من اعتبار عدة خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا أما العقل فهو رأس المال قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه

ولا تصحب أخا الجهل
واياك واياه
فكم من جاهل أردى
حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء
اذا ما المرء ماشاه
وللشئ من الشئ
مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه

كيف والاحمق يضرك وهو يريد أن ينفعك وقال بعضهم

انى لآمن من عدو عاقل
وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه
أدرى فأرصد والجنون فنون

وكذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وكذا الفاسق لا فائدة فى صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته وقال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه والطبع

بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا وفى مستدرك الحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار وفيه عن جابر رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واذنوباه مرتين أو ثلاثا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى وفيه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك الموكل به ان أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل

(الباب الخامس فى الاذكار والدعوات للامور العارضات)

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا أنت رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم وروى ابن السنى عن ثوبان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا راعه شئ قال قل هو الله ربى لا شريك له وروى ابن السنى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول انا عبدك ابن عبدك ابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم نور صدرى وربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وروى ابن السنى أيضا عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على ألا أعلمك كلمات اذا وقعت فى ورطة أى هلاك قلت بلى جعلنى الله فداك قال اذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فان الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم وفى كتاب ابن السنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خفت سلطانا أو غيره فقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا اله الا أنت عز جارك وجل ثناؤك وفيه عن أنس رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلقى العدو فسمعته يقول يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شئ فلا تقل لو انى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفى كتاب ابن السنى عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن اذا شئت سهلا الحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاى وهو غليظ الارض وخشنها وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يمنع أحدكم اذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول اذا خرج من بيته بسم الله على نفسى ومالى ودينى اللهم رضنى بقضائك وبارك لى فيما قدر لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت وفيه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيها آفة دون الموت وروى الترمذى عن على رضى الله عنه ان مكاتبا جاءه فقال انى عجزت عن كتابتى فأعنى قال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عنك قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك وفى كتاب ابن السنى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يشكو اليه

يسرق الطبع من الطبع من حيث لا يدرى وكذا المبتدع وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة فى وصيته لابنه رحمه الله لما حضرته الوفاة قال يا بنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أمرك وان تنازعتما آثرك وقال بعضهم

ان أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لا يرونه من أبيهم فى حياته ويحسن أن يكون عالما بعد الورع لينتفع بعلمه أيضا قال لقمان يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل القطر

(فصل فى حقوق الاخوة والصحبة) اعلم أن عقد الاخوة رابطة بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين فاذا انعقدت الاخوة فذلك يوجب حقوقا عليك فى المال والنفس وللسان والقلب بالعفو والدعاء والاخلاص والوفاء وترك التكلف (الاول فى المال)

الوحشة

الوحشة فقال أكثر من أن تقول سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة قال يوسف بن أحمد البغدادي حججت أنا وأبو سليمان الداراني فبينما نحن نسير اذ سقطت السطيحة مني وكان زادنا فيها فلما افتقدت السطيحة قلت يا أبا سليمان بقينا بلا ماء فقال سلم وصل على محمد وقل يا راد الضالة و يا هادي من الضلالة أردد الضالة واذا برجل ينادي من ذهب له سطيحة فأخذتها منه فقال أبو سليمان تراه يتركنا بلا ماء وقال الشيخ محيي الدين في كتاب البستان روينا في رسالة الاستاذ القشيري رحمه الله تعالى قال قيل كان لجعفر الخلدي بضم الخاء المعجمة واسكان اللام فص فوقع يوما في دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد عليه فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها قال القشيري رحمه الله سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول ان ذلك الدعاء يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد جربت هذا الدعاء فوجدته نافعا سببا لوجود الضالة على قرب غالبا وانه لا ينخرم والله أعلم

(الباب السادس في الرقى)

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ثم يقول اللهم رب الناس اذهب البأس اشف وأنت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وفي سنن أبي داود والترمذي باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك الا عافاه الله تعالى من ذلك المرض قال الترمذي حديث حسن وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل صلى الله عليه وسلم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال باسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي كتاب ابن السني عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال مرضت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فعوذني يوما فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما قال يا عثمان تعوذ بها فما تعوذتم بمثلها وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ في اذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت في اذنه قال قرأت أفحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى فرغ من آخر السورة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وفيه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج في أصبعي بثرة فقال هل عندك ذريرة فوضعتها عليها وقال قولي اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بي فطفئت البثرة قال النووي رحمه الله الذريرة فتات قصب من قصب الطيب يجاء به من الهند

(الباب السابع في علاج المصاب بالعين)

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين وفي الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال استرقوا لها فان بها نظرة قال النووي السفعة تغير وصفرة والنظرة العين يقال صبي منظور أي أصابته العين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ومن عين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما قال الترمذي حديث حسن وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين

تؤثره عليك فتخل بأمر نفسك لينتظم حاله وهو من أعلى الدرجات فقد ورد في الآثار أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه (الثاني الاعانة بالنفس) في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وهذا له درجات توازي ما سبق من درجات المال في المقامات الثلاثة (الثالث) أن لا يواجهه بشئ يكرهه قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشئ يكرهه واعلم أنك لو كنت تطلب من هو خالي العيوب فلا تجد قال الشافعي رضي الله عنه ما أحد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا أحد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل فاذا كان هذا عدلا في حق الله تعالى فهو في حقك أولى فكن ممن يظهر الجميل و يستر القبيح ان الله تعالى وصف بذلك في الدعاء فقيل يا من يظهر الجميل و يستر على القبيح واعلم أن المرضي عند الله تعالى من يتخلق بأخلاقه وهو ستار العيوب غفار الذنوب واعلم انه لم يتم ايمان الرجل حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورات والعفو عن الزلات وأن يكتم سره وقد قيل قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه وقال ابن المعتز ومستودعي سرا تبوأت كتمه *

رضي الله عنهما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول ان أباكما كان يعوذ بهما اسمعيل واسحق وفي كتاب ابن السني عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيأ فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره وفيه عن عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم مايعجبه في نفسه وماله فليدع بالبركة وقال السدي في قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم أي يصيبونك بأعينهم قال الحسن دواء اصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الآية وذكر القاضي الحسين أن نبيا من الانبياء استكثر قومه ذات يوم فأمات الله مائة ألف من قومه في ليلة واحدة فلما أصبح شكا الى الله من ذلك فقال الله تعالى لما استكثرتهم عنتهم هلا حصنتهم اذا استكثرتهم فقال يارب كيف أحصنهم فقال الله تعالى تقول حصنتكم بالحي القيوم الذي لايموت أبدا ودفعت عنكم السوء بلاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وهكذا السنة في الرجل اذا رأى نفسه سليمة وأحواله مستقيمة يقول في نفسه ذلك وكان القاضي يحصن تلامذته بذلك وروى أبوداود عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وروى مالك عن ابن شهاب عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر بن ربيعة سهل بن سهل بن حنيف يغتسل فقال والله مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة قال فلبط سهل فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر فتغيظ عليه وقال علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت اغتسل له فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب عليه فراح مع الناس قيل انه تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية تتخلل المسام فيخلق الله تعالى الهلاك عندها وقيل ينبغي للسلطان منع من عرف بذلك من مخالطة الناس ويأمره بلزوم بيته ويرزقه ممايكفيه ان كان فقيرا فان ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس تم الربع الاول وهو ربع العبادات ونبدأ الآن في الربع الثاني وهو ربع العادات

(كتاب آداب الاكل والشرب والضيافة وفيه ستة أبواب)

(الباب الاول في آداب الاكل وفيه سبعة فصول)

*(الفصل الاول في الامر بالتسمية والاكل بيمينه ومما يليه) عن عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك رواه البخاري ومسلم وقوله تطيش أي تتحرك وتمتد الى نواحي الصحفة وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فان نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره رواه أبوداود والترمذي وقال حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يستحل الطعام أن لايذكر اسم الله عليه وذكر الغزالي رحمه الله في الاحياء عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال أنا مع هذا اذا أكل سمى فأظل جائعا وان شرب سمى فأظل عطشانا واذا ادهن سمى فأظل شعثا واذا لبس سمى فأظل عريانا فقال شيطان الكافر ولكني مع رجل لايصنع شيأ من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وعن عكراش بن ذؤيب قال أتينا بجفنة كثيرة الثريد والودك فخبطت بيدي في نواحيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم كل من موضع واحد فانه طعام واحد ثم أتينا بطبق فيه ألوان التمر فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال ياعكراش كل من حيث شئت فانه غير لون

(الفصل الثاني في استحباب الاكل بثلاث أصابع ولعق الاصابع والقصعة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها وغير ذلك من الآداب) عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع فاذا فرغ لعقها رواه مسلم ونقل الغزالي عن الشافعي رحمه الله انه قال الاكل على أربعة

فليخبره وذلك لانه يوجب زيادة في الحب وما أحسن ماقيل في هذا المعنى شعر

خذ من خليلك ماصفا
ودع الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا
تبة الخليل على الغير

وقيل بيت مفرد

واستبق أخاك لله
على شعث أي الرجال المهذب

(الخامس) الوفاء والاخلاص وذلك بالثبات على الحب ومداومته الى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه روي أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا أيام خديجة واعلم أن حسن العهد من الايمان وان كرم العهد من الدين وينبغي أن ترى الفضل أبدا للاخوان لا لنفسك وقيل فيه شعر

تذلل لمن ان تذللت له
يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزا
ل على الاصدقاء يرى الفضل له

(فصل في حقوق المسلم والرحم والجوار) أما حقوق المسلم فهو أن يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا أقسم وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له مايحب لنفسه ويكره له مايكره لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم ومنها أن

أنحاء الاكل بأصبع من المقت وبأصبعين من الكبر وبثلاث أصابع من السنة وبأربع أو خمس من الشره والنوم على أربعة أنحاء النوم على القفا وهو نوم الانبياء يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لينهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الاصابع والصحفة وقال انكم لاتدرون في أي طعامكم البركة رواه مسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولايدعها للشيطان ولايمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لايدري في أي طعامه البركة رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل في قصعة فلحسها استغفرت له القصعة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن الانفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل ماسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتي بقصعة من ثريد فقال كلوا من جوانبها ولاتأكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أبردوا الطعام فان الحار غير ذي بركة ولاتشموا الطعام فان ذلك من عمل البهائم وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لاتشموا الطعام كماتشم السباع ولاتنفخوا في الطعام والشراب فان ذلك من سوء الادب

(الفصل الثالث في استحباب حمد الله تعالى اذا فرغ من الاكل) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولاقوة غفر له ما تقدم من ذنبه رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن وقال الغزالي رحمه الله في الاحياء اذا أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لاتجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش

(الفصل الرابع في كيفية الجلوس على الاكل) عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مقعيا يأكل تمرا رواه مسلم المقعي هو الذي يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاآكل متكئا وقال انما أجلس كمايجلس العبد وآكل كمايأكل العبد وروى ابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه قال ابن قيم الجوزية رحمه الله وقد فسر الاتكاء بالتربع وبالاتكاء على الشيء وبالاتكاء على الجنب قال فالانواع الثلاثة نوع منها يضر بالاكل وهو الاتكاء على الجنب والنوعان الآخران من جلوس الجبابرة

(الفصل الخامس في تخليل الاسنان من الطعام) قال ابن سيرين كان ابن عمر يأمر بالخلال ويقال اذا ترك وهن الاضراس وفي الحديث حبذا المتخللون من الطعام فانه ليس شيء أشد على الملك لذي مع العبد من أن يجد من أحدكم ريح الطعام وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله ويستحب لمن أراد أكل اللحم أن يأكل قبله لقمتين أو ثلاثا من الخبز حتى يسد الخلل ونقل بعضهم عن الشافعي رحمه الله انه قال ماتخلل الانسان بخلال بين أسنانه فليقذفه وما أخرجه بأصبعه فليأكله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتأكلوا الفم ولاترموا الوعم

(الفصل السادس من آداب هذا الباب ان لايعيب الطعام وأن يرضى بمايحضر منه) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه رواه البخاري ومسلم وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادم فقالوا ماعندنا الاخل فدعا به فجعل يأكل ويقول نعم الادم الخل نعم الادم الخل رواه مسلم وقال أنس رضي الله عنه ما أكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان ولافي سكرجة ولاخبزله مرقق قيل لقتادة علام كانوا يأكلون قال على السفر وقال سهل بن

لاتؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولاقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء واجتنبه ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله تعالى لايحب كل مختال فخور وان تكبر عليك أحد فتحمل لقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ومنها أن لايسمع بلاغات الناس لاعلى نفسه ولاعلى غيره ولايفعل هو أيضا قال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة قتات ومنها أن لايزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام ولا يدخل على أحد الا باذنه ويخالق الجميع بخلق حسن فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان ويكون مع كافة الخلق طلق الوجه ولايعد لمسلم بوعد الا ويفي به ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم اصلاح ذات البين وأن يستر عورات المسلمين ومنها أن يتقي مواضع التهم ويشفع لمن له حاجة عند من له عنده منزلة وأن يبدأ بالسلام قبل الكلام وأن يصون عرض أخيه وماله من ظلم غيره ماوجد اليه سبيلا ومنها أنه اذا بلي بذي شر يجامله ويداريه ومنها أن يزور قبورهم فيدعو لميتهم وأما حقوق الجوار فاعلم أن الجار يستحق مايستحقه المسلمون كافة

سعد رضى الله عنه ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله وقال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله قيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه فأكلناه وقالت أم هانئ رضى الله عنها دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شئ فقلت لا الا خبز يابس وخل فقال هاتى ما أقفر بيت فيه خل من ادم وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا الخبز ومن كرامته أن لا ينتظر به الادم وعنها انها قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الفصل السابع ينبغى أن لا يسرف فى الاكل) قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقيمن صلبه فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشى فقال أقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا فى الدنيا وروى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم الى الله تعالى كل نؤم أكول شروب وقال أبو سليمان الدارانى من شبع دخل عليه ستة آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل وعن الحسن رحمه الله قال والله لقد أدركنا أقواما ان الرجل منهم ليمسى وعنده من الطعام ما لا يكفيه ولو شاء لأكله كله فيقول والله لا أجعل هذا كله فى بطنى حتى أجعل بعضه لله تعالى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا كان خيرا لك قال الغزالى رحمه الله يعنى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك كان خيرا لك قال الغزالى وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أديموا قرع باب الجنة بالجوع ونقل الشيخ شهاب الدين الاذرعى رحمه الله عن صاحب الخصال انه قال لا يحل له أن يأكل من ماله ولا من مال غيره فوق الشبع ولا أن يشرب قال ابن عبد السلام وانما حرم لكونه مؤذيا للمزاج وللتضييع بلا فائدة

(الباب الثانى فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه من الاطعمة)

عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحبه الدباء وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وفى الصحيحين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه وذكر أبو عبيد عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت فى بيتها شاة فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت للرسول ما بقى عندنا الا الرقبة وانى لأستحى ان أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فأخبره فقال ارجع اليها فقل لها أرسلى بها فانها هادية الشاة وأقرب الشاة الى الخير وأبعدها من الاذى وفى سنن ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أطيب اللحم لحم الطير وروى أبو داود عن ابنى بشر السلميين قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر وروى أبو داود والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول يدفع حر هذا برد هذا ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحب العنب والبطيخ

(الباب الثالث فى ذكر شئ من الاطعمة التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم انها يتداوى بها)

وزيادة تسبب الجوار وقال النبى صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاث جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاث حقوق فالجار الذى له ثلاث حقوق الجار المسلم ذو الرحم والجار الذى له حق واحد الجار المشرك والجار الذى له حقان الجار المسلم فاثباته الحق للمشرك المثبت الجوار دل على تأكد حق الجوار قال صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وأما حقوق الاقارب فقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى أنا الرحمن الرحيم وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها أوصلته ومن قطعها قطعته وقال عز وجل لموسى صلوات الله عليه وسلامه يا موسى انه من بر والديه وعقنى كتبته برا ومن عق والديه وبرنى كتبته عاقا (حقوق المملوك) وقد كان آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء الله ملكهم اياكم

(الباب السادس عشر فى العزلة)

اعلم انه قد اختلف الناس فيه فذهب بعضهم الى استحباب العزلة وتفضيلها على المخالطة مثل سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى

في الصحيحين أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي يشتكي بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيأ وفي لفظ لم يزده الا استطلاقا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول له اسقه عسلا فقال له في الثالثة أو الرابعة صدق الله وكذب بطن أخيك وفي سنن ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم من لعق عسلا ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء وفي أثر آخر عليكم بالشفاءين العسل والقرآن قال ابن القيم فجمع بين الطب البشري والالهي وبين طب الابدان وطب الارواح وبين الدواء الارضي والدواء السماوي وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وفي ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام والسام الموت وذكر البيهقي أثرا مرفوعا أن نبيا من الانبياء شكا الى الله سبحانه وتعالى الضعف فأمره بأكل البيض وعن أبي الدرداء قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فقال كلوا وأكل منه وقال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وروى الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وروى ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فقال دونكها يا طلحة فانها تجم الفؤاد أي تريحه وعن صهيب يرفعه عليكم بألبان البقر فانها شفاء وسمنها دواء ولحومها داء وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ أحدا من أهله الوعك أمر بالحساء من الشعير فصنع ثم أمرهم فحسوا منه ثم يقول انه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو احداكن الوسخ بالماء عن وجهها ومعنى يرتو يشده ويقويه ويسرو يكشف ويزيل وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قوله من المن أي فانه يجمع من غير تعب وقوله وماؤها شفاء للعين قيل انه يخلط في الادوية التي يعالج بها العين وقيل انه تشوى ويستقطر ماؤها في العين وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة جدري الارض فقال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم قال أبو هريرة فأخذت ثلاث كمآت أو خمسا أو سبعا فعصرتهن وجعلت ماءهن في قارورة وكحلت به جارية لي عمشاء فبرأت وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب وفي الغيلانيات عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين

(الباب الرابع في آداب الشرب)

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الشراب ثلاثا قال النووي رحمه الله يعني يتنفس خارج الاناء وفي الصحيحين أيضا انه صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الاناء قال النووي يعني يتنفس في نفس الاناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الاناء أو ينفخ فيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر فشرب ثم أعطى الاعرابي وقال الايمن فالايمن وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يشرب الرجل قائما قال قتادة قلنا لانس فالاكل فقال ذلك أشر أو أخبث رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشربن أحد منكم قائما فمن نسي فليستقئ رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم رواه البخاري ومسلم وفي صحيح البخاري أن عليا رضي الله عنه شرب قائما وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتموني

والفضيل بن عياض وسليمان الخواص وبشر الحافي وذهب أكثر التابعين الى استحباب المخالطة واستكثار الاخوان التعاون على البر والتقوى واستدل الجميع بما ورد في الاخوة والالفة من قوله عليه الصلاة والسلام لما أتى برجل كان قد أتى الجبل ليتعبد فيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عاما واستدل من فضل العزلة كفضيل رضي الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال صلى الله عليه وسلم ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك

*(فصل في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها) واعلم أن الامر فيه يختلف باختلاف الاشخاص أما فوائد العزلة فالتمكن من المواظبة على الطاعات وتربية العلم والتخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الذميمة وكذلك يتفرغ لاصلاح دنياه من الحرف والصناعات فالفائدة الاولى الفراغ للعبادة والتفكر والاستئناس بالله تعالى ومناجاته ومطالعة الملكوت وذلك انما يأتي بالعزلة ومفارقة الخلق ولهذا قال بعض الحكماء ولا يتمكن أحد من الخلوة الا

فعلت قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم الصواب فى هذه الاحاديث أن النهى محمول على كراهة التنزيه وأما شربه صلى الله عليه وسلم قائما فلبيان الجواز قال وأما قوله ومن نسى فليستقئ فمحمول على الاستحباب والندب قال و يستحب الاستقاء لمن شرب قائما ناسيا أو متعمدا وذكر الناسى فى الحديث ليس المراد أن العامد يخالفه بل للتنبيه على غيره بطريق الاولى لانه اذا أمر به الناسى وهو غير مخاطب فالعامد المخاطب المكلف أولى وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم وفى مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضى عن العبد يأكل الاكلة فيحمده عليها و يشرب الشربة فيحمده عليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه واذا سقى لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شئ يجزئ من الطعام والشراب الا اللبن وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه وكاء الا وقع فيه من ذلك الداء وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة

* (الباب الخامس فى الضيافة وفيه فصول) *

(الفصل الاول فى الحث عليها) فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم ضاف قوما فأصبح الضيف محروما كان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ له بقراه من ماله وزرعه وعن أبى الاحوص الجشمى عن أبيه قال قلت يارسول الله أرأيت ان مررت برجل فلم يقرنى ولم يضفنى ثم مر بى بعد ذلك أقريه أم أجزيه قال بل اقره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له شاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به عليه الصلاة والسلام ضيف فقال لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيأ من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لا أسلفته الا برهن فأخبرته فقال والله انى لأمين فى السماء أمين فى الارض ولو أسلفنى لأديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده قال الغزالى رحمه الله كان ابراهيم الخليل عليه السلام اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان قال الغزالى رحمه الله ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا ولا تنقضى ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة (حكاية) ذكرها الغزالى فى نصيحة الملوك قال رحمه الله نزل بعبد الله بن المبارك بعض الايام عشرة أضياف من العلماء ولم يكن له ما يضيفهم به ولم تملك سوى فرس كان يحج عليها سنة و يغزو عليها سنة وذبح ذلك الفرس وطبخ منه وقدمه بين يدى الاضياف فقالت له زوجته ما كنت تملك سوى هذا الفرس من الدنيا فلم ذبحته فدخل الى بيته وأخرج من متاع بيته بقدر مهرها وطلقها من ساعته ووقته وقال امرأة تبغض الاضياف لا تصلح الى وأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له يا امام المسلمين لى بنت وقد توفيت أمها وهى كل يوم تمزق دستا من الثياب حزنا وغما واليوم تريد أن تقصد مجلسك فقل فى تسليتها شيأ واعل يرق قلبها فلما جلس على المنبر ذكر من هذا الباب ما تسلت به الصبية عن أمها فلما عادت قالت يا أبت قد تبت ولا أعود وأسخط الله تعالى ولكن لى اليك حاجة

بذكر الله وماتوا بذكر الله واتقوا الله بذكر الله ولا شك أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء فاذا دام الرجل على الخلوة انتهى أمره الى ما قال الجنيد رضى الله عنه أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون انى أكلمهم وقيل لبعضهم ما حملك على الوحدة فقال لست وحدى انما أنا جليس لله فاذا أردت الله أن يناجينى قرأت كتاب الله واذا أردت أنا أناجيه صليت وقيل بينما أويس القرنى جالس اذ أتاه هرم بن حيان فقال له ما جاء بك قال جئت لآنس بك قال ما كنت أدرى ان أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربى واذا رأيت الصبح أدركنى استوحشت كراهة لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى وقال مالك ابن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة الخلق فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره (الفائدة الثانية) التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وسيأتى ذكره فى موضعه وعلى الجملة الحكم

قال وما حاجتك قالت أنت تقول لى دائما ان أبناء الدنيا يخطبونك وأرباب الاحوال يطلبونك فناشدتك الله لا تزوجنى بغير عبد الله بن المبارك فان كان لنا دنيا فله دين فزوجها أبوها بعبد الله وحمل اليها جهازا كثيرا ومالا كبيرا وأنفذ برسم عبد الله بن المبارك عشرة أفراس ليجاهد عليها فى سبيل الله فرأى عبد الله فى بعض الليالى فى المنام كأن قائلا يقول له ان كنت طلقت لأجلنا امرأة عجوزا فقد أعطيناك صبية بكرا وان كنت ذبحت فرسا واحدا فقد أعطيناك عشرة أفراس عوضه لتعلم أن الحسنة عندنا بعشرة ولا يضيع لدينا أجر المحسنين وما عاملنا أحد فخسر

(الفصل الثانى فى آداب الضيافة وهى ثلاثة أقسام)

(القسم الاول فى آداب المضيف) منها أن يقصد بدعوته الاتقياء والفقراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وقال شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء ومنها أن لا يهمل أقاربه لان ذلك يوحشهم ومنها أن لا يتكلف بل يقدم ما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال أبو الليث يذكر أن حكيما دعى الى طعام فقال أجيبك بثلاث شرائط أولها أن لا تتكلف الثانى أن لا تخون الثالث أن لا تجور قال أما التكلف أن تتكلف ما ليس عندك وأما الخيانة أن تبخل بما عندك فلا تقربه الى الضيف وأما الجور أن تحرم عيالك وتطعم الضيف ومنها أن لا يستأذنهم فى التقديم ومنها الترحيب بالضيف وحمد الله تعالى على حصوله ضيفا عنده ومنها تعجيل احضار الطعام قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا فى خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الطعام للضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب فلو حضر مدعوون وتأخر واحد واثنان عن الوقت الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل أولى الا أن يكون المتأخر فقيرا فينكسر قلبه بذلك فلا بأس بانتظاره وقال أبو الليث رحمه الله يقال ثلاث يورثن السل رسول بطىء وسراج لا يضىء وطعام ينتظر له من يجىء ومنها أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل منها نقص فى المروأة ومنها أن يعزل لاهله نصيبهم ومنها اذا رأى الضيف يقال الاكل نشطه ولا يزيد فى قوله كل على ثلاث مرات قال الغزالى رحمه الله وأما الحلف عليه بالاكل فممنوع ومنها أن يمد الاكل مع الضيوف ما دام يظن أن لهم حاجة الى الاكل ومنها أن يتبع الضيف عند خروجه الى باب الدار ومنها اذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه رب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء وفى رحلة الشافعى رحمه الله أنه قال لما دخلت على مالك داره أدخلنى الغلام الى مخدع فى الدار وقال لى القبلة من هذا البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهنالك الخلاء من الدار وأشار اليه قال الشافعى رحمه الله هذا أدب الغلام فكيف أدب السيد قال الشافعى رضى الله عنه فلبث مالك رحمه الله عنى بعيدا حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم على مالك ثم قال للغلام اغسل علينا فوثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل على فصاح مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف قال الشافعى رحمه الله فاستحسنت ذلك من مالك وسألته شرح ذلك فقال انه يدعو الناس الى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه قال الشافعى رحمه الله فكشف مالك الطبق فكان فيه صحفتان فى احداهما لبن وفى الاخرى تمر فسمى وسميت قال الشافعى رحمه الله فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء *(القسم الثانى فى آداب الضيف)*

منها ان لا يخص الاغنياء بالاجابة دون الفقراء وأن لا يمتنع من الدعوة لكونه صائما بل يحضر فان كان صومه تطوعا وعلم أن فطره يسر أخاه المسلم أفطر فان كان الطعام حراما فلا يجيب وكذا اذا كان هناك منكر كمزمار

بأن الاولى واحد منهما على الاطلاق محال فانه يختلف باختلاف الاشخاص والاعتدال هو الاولى وهو أن لا ينبسط كل الانبساط فتفوته فوائد العزلة وينوى بالعزلة أن يعتزل الناس من شره ويقبل بكليته على ذكر ربه ولا يطيل الامل فتأبى نفسه ذلك لتخيل طول الامل وينوى الجهاد الاكبر بالعزلة وهو جهاد النفس كما قالت الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم واليه المرجع والمآب

(الباب السابع عشر فى السفر)

اعلم أن السفر سفران سفر بالظاهر فى آفاق الارض وأقطارها وسفر بالباطن الى الله تعالى وهو ما دل عليه قوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين ويدل على السفرين جميعا قوله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق الآية فالسفر الاعظم هو السفر بالسر الى الله تعالى وهذا المسافر سيره أبدا فى جنة عرضها السموات والارض فى منازل لا تضيق مواردها ومناهلها بكثرة الواردين بل تتضاعف بكثرة المسافرين ومن حرم هذا السفر فقد حرم الخير كله وبقى فى حضيض لا يرفع عنه أبد الآبدين وجميع الآداب والسنن التى وردت بها الاخبار والآيات هى آداب لهذا السفر وهو سفر الآخرة وأما السفر الظاهر الذى يختص بنقل الاقدام وقطع المنازل فنحن نبين فائدته وآدابه فى فصول *(فصل)* ينبغى أن يصحح أولا القصد

ونحوه وان لا يقصد بالاجابة نفس الاكل بل ينوي به الاقتداء بالسنة واكرام أخيه المؤمن ومنها أن يتواضع في مجلسه اذا حضر ولا يتصدر فان عين له صاحب الدار مكانا لم يتعده ومنها أن لا يجلس في مقابلة حجرة النساء ولا ينظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ومنها ان يدعو لصاحب المنزل قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر عند قوم دعا لهم فقال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ومنها أن يخرج طيب النفس وان جرى في حقه التقصير من صاحب المنزل ومنها أن لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه *(القسم الثالث في آداب الاجتماع على الاكل)* روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ومن آداب المجتمعين على الاكل أن لا يبتدئ أحد بالاكل اذا كان معه من يستحق التقديم لكبر سن أو زيادة فضل ومنها أن لا يسكتوا بل يتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها ومنها أن يؤثر رفيقه وأن لا يحوجه أن يقول له كل بل ينبسط ولا يتصنع بالانقباض ومنها أن لا ينظر الى أصحابه حالة الاكل لئلا يستحيوا ومنها أن لا يفعل ما يستقذره من غيره

(الفصل الثالث في النهي عن التطفل) قال العلماء لا ينبغي لأحد اذا علم أن قوما يأكلون ان يدخل عليهم فان صادفهم من غير قصد نظر فان علم انهم انما سألوه حياء منه فلا يأكل وان علم انهم يحبون أكله معهم جاز له ان يأكل قال النووي في الروضة ويحرم التطفل قال أبو الليث يقال ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الذاهب الى مائدة لم يدع اليها والمتأمر على رب البيت وطالب الخير من اعدائه وطالب الفضل من اللئيم والداخل بين اثنين في حديث بينهما من غير أن يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان والجالس مجلسا ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يستمع منه ومن دخل دار صديقه فلم يجده وكان عالما انه اذا أكل من طعامه سر بذلك جاز له ان يأكل (حكي) أن جماعة من الاصدقاء حضروا دار سفيان بن عيينة وكان غائبا والباب مغلق ففتحوا الباب ودخلوا ووضعوا السفرة وجلسوا ودخل سفيان عليهم فأخذ يبكي فقيل له ما يبكيك فقال ذكرتموني صحبة أقوام مضوا وعاملتموني معاملة الصالحين ولست منهم

(الباب السادس في مستظرفات وآداب طبية)

نقل ابن القيم عن بعض الحكماء انه قال من أراد الصحة فليجود الغذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظمأ وليقلل من شرب الماء ويتمدد بعد الغداء ويتمشى بعد العشاء ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء وليحذر دخول الحمام عقب الامتلاء ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ومجامعة العجائز تهدم أعمار الاحياء وتسقم أبدان الاصحاء ويروى هذا عن علي قال ابن القيم ولا يصح عنه وانما بعضه من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب وكلام غيره وقال الشافعي رضي الله عنه أربعة تقوي البدن كثرة أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحامض وأربعة تقوي البصر الجلوس مستقبل حيال الكعبة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس وأربعة توهن البصر النظر الى القذر والى المصلوب والى فرج المرأة والقعود مستدبر الكعبة وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير والاطريفل والفستق والخروب وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين ومجالسة العلماء وقال أفلاطون خمس يذبن البدن وربما قتلن قصر ذات اليد وفراق الاحبة وتجرع المغائظ ورد النصح وضحك ذوي الجهل بالعقلاء وقال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة بكم الى الطبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلو والحمام ويقال أربعة تضر

الدنيا أو التجارة في طلب الحلال حتى لا تكون حركته لمحض الدنيا فيضيع تعبه ونصبه واعلم أن النفس انما تظهر رذائلها وخبائثها باختلاف الاحوال وذلك في السفر كثير وقد بينا بعض آداب السفر في كتاب الحج والرخص التي تثبت في السفر هي المسح على الخف ثلاثة أيام بعد أن يكون لبس الخف بعد تمام الوضوء والتيمم للفرض والقصر والجمع وأداء النوافل على الراحلة وأداؤها ماشيا والفطر وينبغي أن يتعلم دلائل القبلة والمنازل فيما يتهيأ له من السفر والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الثامن عشر في السماع والوجد)

اعلم أن السماع قد اختلف الناس فيه فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه ونبين حقيقة السماع واباحته فنقول السماع هو استماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب وليس في جملة ذلك الا التذاذ حاسة السمع والقلب فهو كالتذاذ حاسة البصر بالنظر الى الخضرة والتذاذ القلب به وقد قال الله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء ففسروه بالصوت الحسن وقال صلى الله عليه وسلم في أبي موسى الاشعري لقد أوتي مزمارا من مزامير داود وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا وهو حسن الصوت ومحال أن يقال هو مباح

بالفهم

بالفهم والذهن ادمان أكل الحامض والفاكهة والنوم على القفا والهم والغم وأربعة أشياء تزيد الفهم فراغ القلب وقلة التملؤ من الطعام والشراب وحسن تدبير الغذاء بالاشياء الحلوة والدسمة واخراج الفضلات المثقلة للبدن وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال اذا كان أحدكم مريضا فليسأل من امرأته درهمين من مهرها حتى تهب له بطيب نفسها فليشتر بذلك عسلا فليشرب به بماء المطر فقد اجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك (خاتمة نختم بها الكتاب) قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء في الخبز لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمن ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملكوت الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

(كتاب اللباس وفيه تسعة أبواب)

(الباب الاول فيما يستحب ويباح من اللباس)

قال الله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا قيل هو المال يقال تريش فلان اذا كثر ماله وقيل هو الجمال وهو ما يتجملون به من الثياب ولباس التقوى قيل هو الايمان وقيل الحياء وقيل العمل الصالح وقيل السمت الحسن وقيل هو الصوف والثياب التي يلبسها أهل الورع روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نوّروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة واياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم البسوا البياض فانها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه النسائي وفي الصحيحين عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيأ قط أحسن منه وعن رفاعة التيمي رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان أخضران رواه أبو داود والترمذي باسناد صحيح وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء رواه مسلم وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه أبو داود وقال حديث حسن وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه وقال صلى الله عليه وسلم من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الايمان شاء يلبسها رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن جابر رضي الله عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره قال ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فراش للرجل وفراش للمرأة والثالث للضيف والرابع للشيطان

(الباب الثاني في صفة طول القميص والكم والازار وطرف العمامة وتحريم اسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء)

قال الله تعالى وثيابك فطهر قال طاوس رحمه الله والمعنى وثيابك فطهر أي قصر لان تقصير الثياب طهر لها عن أسماء بنت يزيد الانصارية رضي الله عنها قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة فقال أبو بكر يا رسول الله ان ازاري يسترخي الا أني

لكتاب الله تعالى وتلاوته الا استماع صوت العندليب مباح فاذا كان استماع الصوت الطيب مباحا فلعيات أن يكون موزونا لا يحرم كيف وأصوات الغناء موزونة نوعا من الوزن لها مقاطع ومبادي متناسبة وهذا لا يختلف بخروج هذا الصوت الطيب من حلق آدمي أو طير أو غيرهما وينبغي أن يقاس على أصوات الطيور ما يخرج من الاجسام كالطبل والقضيب والدف والقصب فلا يستثنى من جملتها الا ما ورد النص بتحريمه وذلك كالاوتار والمزامير التي كانت معتادة للشرب اذ اقتضى المنع من شرب الخمر أن يمنع من متمماته وتوابعه مبالغة في الفطام حتى اقتضى كسر الدنان في الابتداء ويدل على ما ذكرناه من جوازه ما روى عن الصحابة من التغني بالابيات حتى روى في الصحيحين عن أبي بكر وبلال لما قدما المدينة ان بلالا كان مريضا فاذا قلعت عنه الحمى قال رافعا رضي الله عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل تبدون لي شامة وطفيل

وقال أبو بكر رضي الله عنه

كل امرء مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وقال عليه الصلاة والسلام

ان العيش عيش الآخره
فارحم الانصار والمهاجره

كل ذلك في الصحيحين

(فصل في آثار السماع) من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو غالب عليه فنقول ان لله تعالى سرا في مناسبة الاصوات الموزونة

أتعاهده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست ممن تفعله خيلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسفل من الكعبين من الازار في النار رواهما البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر شيأ خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة رواه أبو داود والترمذي باسناد صحيح قال النووي رحمه الله في فتاويه ما نزل عن الكعبين من القميص والسراويل والازار وغيرها من ملابس الرجل ان كان للخيلاء فهو حرام والا فمكروه والسنة في عذبة العمامة أن تكون بين كتفيه فان طوّلها طولا فاحشا فهو كما لو نزل القميص عن الكعبين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسبال المنهي عنه يكون في القميص والعمامة

(الباب الثالث في تحريم لبس الحرير على الرجال وجوازه للنساء)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يلبس الحرير من لا خلاق له رواهما البخاري وقال صلى الله عليه وسلم حرم لباس الحرير والذهب لذكور أمتي وأحل لاناثهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن حذيفة رضي الله عنه قال نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه رواه البخاري وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما وعن عمر رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع رواه مسلم وقد أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله بانه لا بأس باستعمال العمامة التي في طرفها من الحرير قدر شبر الا أنه بين كل قدر أربع أصابع منها فرق فلم من كان أو غيره

(الباب الرابع في النهي عن لبس المزعفر والمعصفر)

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزعفر الرجل وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها رواه مسلم قال النووي رحمه الله في الروضة قال صاحب البيان يحرم على الرجل لبس الثوب المعصفر ونقل البيهقي وغيره عن الشافعي انه نهى الرجل عن المزعفر وأباح المعصفر قال البيهقي والصواب اثبات نهي الرجل عن المعصفر أيضا للاحاديث الصحيحة فيه قال وبه قطع الحليمي قال ولو بلغت أحاديثه الشافعي لقال بها وقد أوصانا بالعمل بالحديث الصحيح

(الباب الخامس في النهي عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وفي رواية لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل رواه أبو داود باسناد صحيح وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا رواه مسلم قال النووي رحمه الله معنى كاسيات أي من نعمة الله عاريات من شكرها وقيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه اظهارا لجمالها ونحوه وقيل تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظه مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن وقيل مائلات يمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة رؤسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة وعصابة أو نحوه

*(الباب

غريبة عجيبة ولا تظن أن ذلك لفهم المعنى فحسب بل ذلك مشاهد في الحيوانات خصوصا في الابل ومشاهد في الطفل الذي لا يتكلم ولا يفهم ومشاهد في أصوات الاوتار التي لا تفهم وعلى الخصوص في الابل فانها كلما طالت عليها البراري وأعيت تحت الاحمال وتسمع الحداء فتمد أعناقها وتطوي المراحل فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل وأدخلني خباء فرأيت عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت ورأيت جملا قد نحل وهزل كأنه تخرج روحه فقال الغلام أنت ضيف ولك حق فتشفع لي فانه يكرم ضيفه فلا يرد شفاعته فلعله يحل القيد عني وجلي فلما أحضر الطعام امتنعت وقلت لا آكل مالم أشفع في هذا العبد فقال ان هذا الغلام قد أهلك جميع مالي قلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا كنت أعيش في ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو حتى قطع مسيرة ثلاث ليال في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها الا هذا الجمل ولكن أنت ضيف قد أكرمتك ووهبته لك وأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يسقي الماء من بئر

(الباب السادس فى النهى عن لبس ثياب الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا او المنخفضة جدا وقال معمر عاتبت أبا أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى الآن اليوم فى تشميره ودخل فرقد على الحسن فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يا فرقد ان البر ليس فى هذا الكساء انما البر ما وقر فى الصدور وصدقه العمل وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله ينبغى للرجل أن يكون فى لباسه موافقا لأقرانه ولا يلبس لباسا مرتفعا جدا ولا رديئا جدا فانه لو فعل ذلك ارتكب النهى وأوقع الناس فى الغيبة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله افراط توسيع الثياب والاكمام بدعة وسرف وتضييع للمال ولا باس بلبس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا وقال ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق روى عن الزهرى انه قال دخلت على زين العابدين وعليه ثوب خز فقلت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخز لباسك فنظر الى فكشف ثوبه فاذا تحته ثوب من صوف ثم قال يا زهرى لباسنا هذا لكم ولباسنا هذا لله عز وجل يا زهرى أتدرى ما قال الله عز وجل لداود عليه السلام أنا وخلقى فى أمر عجيب أنا المنعم عليهم ويحمدون غيرى وأنا الرزاق لهم ويشكرون سواى ثم ان لله تعالى عبادا اخلصين من خلقه عبدوه بخالص من سرهم فاولئك الذين تراهم صحابتهم مع الملائكة فارغة فاذا وصلت اليه ملأها من سر ما أسروا اليه يا زهرى الاجسام دنيوية والقلوب عرشية فهم مع ما حوت قلوبهم من المعرفة يعبدونه وهو مع ذلك يحميهم من معصيته كما يحمى الطبيب العليل

(الباب السابع فيما يقول اذا لبس ثوبه أو خلعه)

فى كتاب ابن السنى عن معاذ بن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله تعالى وفى كنف الله عز وجل وفى سبيل الله حيا وميتا رواه الترمذى وروى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم اذا أراد أن يطرح ثوبه باسم الله الذى لا اله الا هو

(الباب الثامن فى الخاتم)

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب ثم ألقاه ثم اتخذ خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال لا ينقش أحد على نقش خاتمى هذا فكان اذا لبسه جعل فصه مما يلى بطن كفه قال النووى رحمه الله سبب نهيه أنه صلى الله عليه وسلم انما اتخذ الخاتم ونقش عليه ليختم به كتبه الى العجم وغيرهم فلو نقش غيره مثله لدخلت المفسدة وحصل الخلل وعن ثابت بن أنس رضى الله عنه قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه وأشار الى الخنصر من يده اليسرى وعن ابن شهاب عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فى يمينه فيه فص حبشى كان يجعل فصه مما يلى كفه وعن على رضى الله عنه نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتختم فى أصبعى هذه أو هذه قال فأومأ الى الوسطى والتى تليها قال النووى رحمه الله أجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل فى الخنصر وأما المرأة فانها تتخذ خواتم فى أصابع قال وأجمع الفقهاء على التختم فى اليمين واليسار واختلفوا أيهما أفضل فاستحب مالك

هنالك الغلمان أسا رفع صوته هام الجمل وقطع حباله ووقعت أنا لوجهى فما أظن انى سمعت صوتا أطيب منه فاذا السماع تأثير غريب ومن لم يحركه السماع فهو ناقص العقل مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية وكانت الطير يقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته قال أبو سليمان السماع لا يحصل فى القلب ما ليس فيه وانما يحرك ما هو فيه فتكره أصوات النياحة لانها تحرك ما هو مذموم وهو التأسف على الفائت قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم وقد ورد فيه أخبار كثيرة ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيها تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعى

ويدل عليه ما روى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم وما روى مسلم والبخارى أيضا فى صحيحهما عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش

اليسار وكره اليمين ولأصحاب الشافعي وجهان الصحيح أن اليمين أفضل لانه زينة واليمين أشرف وأحق بالزينة والاكرام وعن بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل عليه خاتم من شبه مالي أجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه فقال مم أتخذه يارسول الله فقال من ورق ولا تتمه مثقالا قال الشيخ شهاب الدين الاذرعي رحمه الله لم يتعرض أصحابنا لمقدار زنة المباح وظاهر كلامهم أن الرجوع في وزنه الى العرف كما قالوا في الخلخال ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه الحديث قال وأما خاتم الحديد فقالوا يجوز لحديث التمس ولو خاتما من حديد وهذا الحديث يشير الى المنع أو الكراهة وقد قيل في جواب الاول انه لم يرد حقيقة الخاتم بل المعنى التمس ولو شيأ قليلا وأيضا فلا يلزم من ذلك اباحة لبسه واستعماله وقد ينتفع به في شئ آخر وعن ابي الزبير ان مولاة لهم ذهبت بابنة الزبير الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي رجلها أجراس فقطعها عمر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مع كل جرس شيطان

(الباب التاسع في ذكر أول من خاط الثياب وأول من نسجها)

قال الامام أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل أول من خط بالقلم ادريس عليه السلام قال وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم الحساب وذكر الثعلبي رحمه الله في كتاب العرائس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أهبط آدم على جبل سرنديب وهو بأرض الهند وقيل انه وجد ضربانا في جسده فشكاه الى ربه فنزل جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره وقال ان فيه اشفاء من كل داء الا السام قيل انه أصاب جسده أذى فشكاه الى جبريل فقال له انك تشتكي العري وأنزل الله تعالى عليه ثمانية أزواج من الانعام أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجته هي وآدم فجعل منه آدم جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فهي أول من غزلت وآدم وحواء أول من نسجا وأول من لبس الصوف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماتقول في حرفتي قال وما حرفتك قال أنا حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم وكان أول من نسج وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك فان حرفتك يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال فيكم قبحا فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وان آدم خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة ثم انه قال لجبريل اني أجد بين جلدي ولحمي كدبيب النمل فقال له ذلك الجوع ثم انه غاب عنه ثم أتاه بثورين أحمرين وأمره باتخاذ آلة الحراثة فهو أول من حرث ثم أتاه بصرة من حنطة فقال ما أصنع بها آكلها قال لا فبذرها فنبتت من ساعتها فقال آدم آكلها قال لا اصبر حتى تدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياسة فلما داسه قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن فلما عجن قال آكله قال لا وأمره أن يحفر حفيرة وان يجمع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل حتى جعله خبز ملة فهو أول من خبز الملة فلما أخرج قال آكله قال حتى يبرد فلما برد أكله فدمعت عيناه وقال ماهذا التعب والنصب قال هذا وعد الله الذي وعدك وذلك قوله تعالى لآدم وحواء ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام وجد تشكيا فذكره لجبريل فقال هو العطش فغاب عنه ثم عاد ومعه المعول ثم قال له احفر به الارض فحفر حتى بلغ ركبتيه فنبع من تحت رجليه ماء زلال فقال اشرب فشرب ثم انه وجد بعد ذلك تشكيا أشد من الاولى والثانية وقال ياجبريل ماهذه التي أجدها فقال لا أدرى فبعث الله تعالى له ملكا ففتق قلبه ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه وجد ريحه فبكى على ذلك

رضي الله عنه (١٤٦) فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وفي حديث آخر نحوه وفيه غنيان ويضربان فهذه الامور دلت قطعا على اباحة السماع ودلت على اباحة صوت النساء اذا لم يكن بحيث يخاف الفتنة وعلى الجملة فالسماع مهيج لما في القلب فان كان في قلبه عشق مباح فتهيجه جائز وان كان حراما فتهيجه غير جائز هذا في سماع أهل الغفلة وأما سماع أرباب القلوب الذين اشتغلوا بحب الله والشوق اليه وهم الذين لا ينظرون الى شئ الا ويرونه فيه ولا يقرع سمعهم شئ الا وسمعوا منه أو فيه فسماعهم مؤكد للحب والعشق مهيج للشوق ومن زناد القلوب مستخرج لضروب المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذكرها و يسمى في لسان الصوفية وجدا ومايزيد في حب الله تعالى والشوق اليه ان لم يعد من الفرائض فلا أقل أن يكون من المباحات كيف وهو مشير لما استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعائه حيث قال اللهم ارزقني حبك وحب من حبك وحب مايقربني الى حبك فاعلم الآن أن السماع محرك للباطن فمن الناس من قويت منته وكمل أمره فلا يحتاج الى محرك من خارج *(فصل)* اعلم أن من الآداب حسن الاصغاء وترك الشهقة والحركة ما وجد اليه سبيلا لاسيما الشاب بين

سبعين سنة

(كتاب النكاح وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى الترغيب فيه وعنه وذكر فوائده وآفاته وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى الترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم أى ماحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لاتعدلوا أى بين الاربع فواحدة أى فانكحوا واحدة أوماملكت أيمانكم يعنى السرارى لانه لايلزم فيهن من الحقوق مايلزم فى الحرائر ذلك أدنى أقرب أن لاتعولوا تجوروا ولاتميلوا وقيل لاتضلوا وقيل تجاوزوا ماافرض الله عليكم وأصل العول المجاوزة ومنه عول الفرائض [وقال الشافعى رحمه الله أن لاتكثر عيالكم وقال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم جمع أيم وهو من لازوج له من رجل وامرأة والصالحين من عبادكم وامائكم معنى الآية زوجوا أيها المؤمنون من لازوج له من احرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبيدكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله قيل الغنى ههنا القناعة وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله عز وجل يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والوجاء قطع الشهوة والباءة بالمد القدرة على المؤن وبالقصر الوطء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتى فليستن بسنتى ومن سنتى النكاح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله وروى ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى قال الغزالى رحمه الله فكأن المفسد لدين المرء فى الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما وقال عمر رضى الله عنه لايمنع من النكاح الاعجز أوفجور وقال ابن مسعود رضى الله عنه لولم يبق من عمرى الاعشرة أيام لأحببت أن أتزوج لاألقى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله تعالى عزبا وقال بشر بن الحرث فضل على أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيقى عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان أحمد تزوج فى اليوم الثانى من وفاة أم ولده وقال رجل لابراهيم بن أدهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل مما أنا فيه فقال فما الذى يمنعك من النكاح قال مالى حاجة فى امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى قال أبو حامد الغزالى رحمه الله وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب قال أبو حامد رحمه الله يقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الانبياء الا المتأهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر وأما عيسى سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له

(الفصل الثانى فى الترغيب عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولاولد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالايطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك قال الامام أبو حامد رحمه الله وفى الخبر قلة العيال أحد اليسارين وكثرته أحد الفقرين وسئل أبو سليمان الدارانى عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال أيضا الوحيد

بالحركات واظهار الوجد ولقد ذهب بعضهم الى تجويز التواجد رجاء لتحقيق الوجد وتهييج ماهو كامن فى الباطن ككمون النار فى الحجر والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم بالصواب

(الباب التاسع عشر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر)

اعلم أنهما من أصول الدين فبهما يحصل الغرض من بعثة الانبياء ويدل عليه قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وفى الخبر مارواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها ياأيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروى عن أبى ثعلبة الخشنى أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لايضركم من ضل اذا اهتديتم فقال صلى الله عليه وسلم ياأبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك

يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل وقال أيضا ما رأيت أحدا تزوج من أصحابنا فثبت على مرتبته الاولى وقال الحسن رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال قال ابن أبي الحوارى تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلونه وهو اشارة الى قول أبي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم

(الفصل الثالث في فوائد النكاح وآفاته) ذكر الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله له خمس فوائد وثلاث آفات أما فوائده فالاولى الولد وفيه أربع فوائد الاولى موافقة محبة الله في السعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان الثانية طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الامم حتى بالسقط الثالثة طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده الرابعة طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله وفي الخبر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فتقول الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون عليها ويطالبون بها قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله عز وجل وهو أعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تخللوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان (وحكي) أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره فانتبه من نومه ذات يوم فقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله أن يرزقني ولدا فيقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك واذا ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدي الى أحدهم فقلت اسقني فقد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت فمن أنتم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين (الفائدة الثانية) التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوات وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من نكح فقد حصن شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر وقال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا أي لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه قال أبو حامد رحمه الله في نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن شر غاسق اذا وقب أي قيام الذكر وكان الجنيد رحمه الله يقول أحتاج الى النكاح كما أحتاج الى القوت قال الغزالي رحمه الله فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت اليها نفسه أن يجامع أهله لانه يدفع الوساوس عن النفس وروى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المرأة اذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فان معها مثل الذي معها (الفائدة الثالثة) ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة لراحة القلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت قال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا أكرهت عميت وفي الخبر على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب

نوع عصنك العوام أن من قول كم فتنا (١٣٨) كقطع الليل المظلم المشتبهات فيها مثل ما أنتم عليه أبو حسين منكم الحديث * (فصل) * اعلم أن الامر بالمعروف له أركان أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب أما المحتسب فشرطه أن يكون مسلما مكلفا فيدخل فيه آحاد الرعايا ولا يشترط فيه التولية بالاذن * واشترط الاسلام لانه نصرة للاسلام واختلفوا في شرط العدالة فذهب بعضهم الى اشتراطها لقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون ولقوله عز وجل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد ورد فيه أخبار كثيرة ومنهم من ذهب الى أنه لا تشترط فيه العدالة لانه بالاجماع لا تشترط العصمة اذ اختلفت الناس في عصمة الانبياء من الصغائر فكيف ترجى لغيرهم العصمة ثم هذا يؤدي الى تركه اذ لا توجد هذه الشروط فأي بعد في أن يشرب هو ويمنع غيره ويقول علي وظيفتان احداهما الانتهاء والثاني النهي وأنا فاعل احداهما فما جاء أن أوفق للثانية بتركه ويمنع الكافر عنه لان فيه تسلطا على المسلمين ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا والمسلم يفعل ذلك فيمنع الناس بالتهديد والتخويف والضرب على حسب ما يليق في كل شيء به وذلك لا يختلف بالسلطان والامام وغيرهم فكل من ارتكب ما لا ينبغي يحتسب عليه ويدل على ذلك ما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة

فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان هذه الساعة عون على تلك الساعات (الفائدة الرابعة) تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاوانى وتهيئة أسباب المعيشة فان الانسان لو تكفل بهذه الاشغال لضاعت أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قول الله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته قال الغزالي رحمه الله تعالى فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر في بعض التفاسير فلنحيينه حياة طيبة الزوجة الصالحة (الفائدة الخامسة) مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه أعمال عظيمة الفضل قال عليه الصلاة والسلام ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو أتعلمون عملا هو أفضل مما نحن فيه قالوا لا قال رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال عليه الصلاة والسلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي أخبار الانبياء أن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله وقلت ما كنت معاقبا لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها (وأما آفاته) فثلاث (الاولى) وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك أصعب فربما امتدت يد المتزوج الى ما ليس له وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسئل عن رعاية عياله والقيام بهن وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبة كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال ان أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله عز وجل ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم (الآفة الثانية) القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا خطر لانه راع ومسؤل عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وهو حاضر فهو بمنزلة الهارب وروى سفيان على باب السلطان فقيل ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذا عيال أفلح * وحكى أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن الحسن انه قال جهد البلاء أربعة كثرة العيال وقلة المال وجار السوء وزوجة تخونك (الآفة الثالثة) أن يكون الاهل والولد يشغلونه عن الله عز وجل فينقضي ليله ونهاره بالتمتع بذلك ولا يتفرغ القلب للفكر في الآخرة والعمل لها قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شئ قال الامام أبو حامد رحمه الله تعالى فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح أو العزوبة قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل ينبغي أن ينظر فمن وجدت في حقه هذه الفوائد كلها أو بعضها وانتفت عنه الآفات كلها فلا شك أن النكاح له أفضل ومن انتفت في حقه الفوائد واجتمعت عليه الآفات فالعزوبة له أفضل وان تقابلت الفوائد والآفات على ما هو الغالب فليزن الامر بميزان القسط فاذا غلب على ظنه رجحان

فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وحصل من هذا أيضا أن الاحتساب على مراتب الشرط الآخر ان يكون كون المحتسب فيه وهو الركن الآخر معلوما كونه منكرا بغير الاجتهاد فلا يكون في محل خلاف الائمة المعتبرين فلا ينكر الشافعي على الحنفي شرب النبيذ الذي لا يسكر ولا الحنفي على الشافعي أكل الضب والضبع الركن الآخر هو المحتسب عليه وشرطه أن يكون انسانا لانه يمنع الصبي من شرب الخمر نعم من الافعال ما ليس منكرا في حق المجنون والصبي ولا يمنعان منه (بيان آداب المحتسب) وليكن عالما ورعا حسن الخلق يتلطف فلا يعنف اما العلم فليعلم حدود الاحتساب والورع ليقتصر على الحد المشروع فيه ويحسن الخلق يتلطف فلا يعنف كيلا يجاوز حد الشرع فيفسد أكثر مما يصلح فيكون في احتسابه نوع شقق حتى انه اذا امتنع عليه أحد أو قابله بما يكره فلا يجاوز حد الشرع وينسى الاحتساب ويأتي بالمنكر في نفس الاحتساب

(فصل) في المنكرات المألوفة في العادات وهو كمن ينحرف عن القبلة أولا يطمئن في ركوعه وسجوده في صلاته أو يلحن في قراءته فانه

أفضل القربات وهو أولى من الاشتغال بالنوافل ومنها ترسل المؤذنين في أذانهم

أحدهما حكم بوجوب الراجح

(الباب الثاني في بيان ما يحصل به طيب العشرة بين الزوجين وفيه فصلان)

(الفصل الاول في الخصال التي تعتبر في المرأة) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وقد تزوج ثيبا هلا جارية تلاعبها وتلاعبك رواهما البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم فهلا بكرا تلاعبها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وانكحوا اليهم رواه ابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة على احدى خصال ثلاث تنكح على جمالها وتنكح على دينها وتنكح على خلقها فعليك بذات الدين تربت يداك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء من تسر اذا نظر وتطيع اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا وقال عروة رضي الله عنه وأنا أقول من عندي أول شؤمها أن يكثر صداقها روى هذه الاحاديث الثلاثة الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالابكار فانهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأغر غرة وأرضى باليسير قال الماوردي رحمه الله أنتق أرحاما أي أكثر أولادا وفي قوله وأغر غرة روايتان غرة بالكسر أي أبعد من معرفة الشر وأقل فطنة له والثانية بالضم وفيه تأويلان أحدهما أنه أراد غرة البياض والثاني انه أراد حسن الخلق والمعاشرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا أي نحيفا وذلك لضعف الشهوة قال ابن الملقن وأورد القاضي والماوردي حديثا أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة لا تتزوج خمسا شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا فالاولى الزرقاء البذية والثانية الطويلة المهزولة والثالثة العجوزة المدبرة والرابعة القصيرة الذميمة والخامسة ذات الولد من غيرك وذكر الامام أبو حامد رحمه الله في الاحياء عن بعض العرب انه قال لا تنكحوا من النساء ستا لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة قال أبو حامد الغزالي اما الانانة التي تكثر الانين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضة أو المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج آخر أو الى ولدها من زوج آخر وهذا أيضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء ببصرها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول نهارها في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة قال الامام أبو حامد رحمه الله أما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال الله تعالى ولا متخذات أخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض روى الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه انه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أعين الانصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قال الغزالي رحمه الله في الاحياء قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر قال الغزالي وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور قال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم قال الغزالي في الحديث من ينكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها

لدينها

وتطويلهم ومد الكلمات بحيث يخرج عن الحد وتكثير الاذان مرة بعد أخرى في مسجد واحد بعد الصبح اذ لا فائدة فيه ومنها لبس الثوب الذي فيه زيادة ابريسم ومنها كلام الفساق الذين يمزحون بالبدع ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والتعويذات ويستدل بما ذكرنا على أمثالها فلا مطمع في احصائها

(فصل) في أمر السلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر اعلم أن للاحتساب أربع درجات التعريف ثم الوعظ ثم التخشين في القول ثم المنع بالقهر ولا يجوز في حق السلاطين والامراء الا التعريف والوعظ وأما التخشين والمنع قهرا فذلك يحرك فتنة ويورث أمورا أخشن مما هم ملابسوه نعم ان كان يعلم أن المخاشنة تفيد ولا تورث أمرا محذورا فلا بأس به ومنهم من لم يكترث بذلك أيضا ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله عز وجل فقتله على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار وقد روى عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا أبو موسى الاشعري أميرا بالبصرة كان اذا خطبنا

له بنهاو رزقه الله مالها وجمالها وقال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالات الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال علي رضي الله عنه شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم أحدا بكلام لين واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها وقال بعض الحكماء ينبغي للمتزوج أن تكون الزوجة دونه بأربعة أشياء السن والطول والمال والحسب والا استحقرته وتهاونت به وأن تكون فوقه بأربعة أشياء الجمال والادب والخلق والورع

(الفصل الثاني) قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله يجب على الولي أن يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها وكان لا يكافئها في نسبها قال عليه الصلاة والسلام النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته فالاحتياط في حقها أهم لانها رقيقة والنكاح لا مخلص لها منه والزوج قادر على الطلاق ومهما زوج ابنته فاسقا أو مبتدعا فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها قال ممن يتقي الله فانه ان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقال عليه الصلاة والسلام من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة على درهمين ثم حملها اليه ليلا وأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها (وحكى) الامام أبو حامد رحمه الله عن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك الا درهمين او ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلي فجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت السراج وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد ابن المسيب فانه لم ير أربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت الي فآتيك قال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك فقلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك ان مسستها قبل ان أصلحها الى ثلاثة ايام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس واذا هي أحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف (وحكى) أبو حامد رحمه الله تعالى في نصيحة الملوك انه كان بمدينة مرو رجل يقال له نوح بن مريم وكان رئيس مرو وقاضيها وكان له نعمة كثيرة وحال موفور

فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فتعاطى ذلك منه فقمت اليه وقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فكتب الى عمر يشكوني يقول في شكواه ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطابتي فكتب اليه عمر أن أشخصه الي قال فأشخصني اليه فقدمت اليه فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من بالباب فقلت أنا ضبة بن محصن العنزي قال فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله تعالى وأما الاهل فلا أهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي من مصر بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك انه كان اذا خطبنا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لك فتعاطى ذلك منه فقمت اليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا عديدة ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله تعالى لك يا أمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه فقلت نعم قال أما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي

وكانت له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال يخطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوى النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لاحد منهم وتحير فى أمرها ولم يدر لايهم يزوجها وقال ان زوجتها بفلان أسخطت فلانا وكان له غلام هندى دين تقى اسمه مبارك وكان له كرم عامر غامر الاشجار والفواكه والثمار فقال للغلام أريد أن تمضى وتحفظ الكرم فمضى وأقام فى الكرم شهرين فجاء سيده بعض الايام الى الكرم فقال له يا مبارك ناولنى عنقود عنب فناوله عنقودا فوجده حامضا فقال له سيده أعطنى غير هذا فناوله عنقودا حامضا فقال سيده ما السبب فى أنك لا تناولنى من هذا الكرم الكبير الا الحامض فقال لانى لا أعلم الحامض من الحلو فقال سيده سبحان الله لك مدة شهرين مقيما فى الكرم ولا تعرف الحلو من الحامض فقال وحقك أيها السيد انى ماذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو فقال لم لم تأكل منه فقال لانك أمرتنى بحفظه ولم تأمرنى بأكله فما كنت أخونك فتعجب القاضى منه وقال حفظ الله عليك أمانتك وعلم القاضى أن الغلام غزير العقل فقال له القاضى أيها الغلام قد وقع لى فيك رغبة وينبغى أن تفعل ما آمرك فقال الغلام أنا طائع لله ولك فقال القاضى اعلم أن لى بنتا جميلة وقد خطبها كثير من الاكابر والمتقدمين ولم أعلم لمن أزوجها فأشر على بما ترى فقال الغلام اعلم ان الكفار فى زمن الجاهلية كانوا يريدون الاصل والحسب والنسب واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يطلبون الدين والتقى وفى زماننا هذا يطلبون المال فاختر الآن من هذه الاشياء الاربعة ما تريد فقال له القاضى يا غلام قد اخترت الدين والتقى وأريد أن أزوجك بابنتى لانى قد وجدت فيك الدين والصلاح وجربت منك التقى والامانة فقال الغلام أيها السيد أنا عبد رقيق هندى واشتريتنى بمالك كيف تزوجنى بابنتك وكيف تختارنى لابنتك وترضانى فقال له القاضى قم بنا الى البيت لندبر هذا الامر فلما صارا الى المنزل قال القاضى لزوجته اعلمى أن هذا الغلام الهندى دين تقى وقد رغبت فى صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتى فما تقولين فقالت الامر اليك ولكن أمضى وأعلم الصبية وأعيد عليك جوابها فجاءت الام الى الصبية فأدت اليها رسالة أبيها فقالت مهما أمرتمانى به فعلته وما أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعقكما بالمخالفة لامركما فزوج القاضى ابنته بمبارك وأعطاهما مالا عظيما وأولدها مبارك ولدا فسماه عبد الله وهو معروف فى جميع العالم عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الحديث وما دامت الدنيا فالحديث عنه يروى

(الباب الثالث فى آداب المعاشرة وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى آداب الزوج مع زوجته) قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب قال على رضى الله عنه هو المرأة تكون معه الى جنبه وقال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء أى لن تقدروا أن تسووا بين النساء فى الحب وميل القلب ولو حرصتم على العدل فلا تميلوا الى التى تحبونها كل الميل فى القسمة والنفقة أى لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم فتذروها كالمعلقة أى فتدعوا الاخرى لا أيما ولا ذات بعل روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل وان تصلحوا وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا

فحقكم

يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ولا آمن عليك فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه انه حفى حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله فقال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شئ نزل بى قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله فأدخله وكان فى الغار جحر مخروق وفيه حيات فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شئ من الحيات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه فخرجت منه حية فلدغته فجعلت دموع أبى بكر تتحدر على خده من ألم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته والطمأنينة لابى بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم لا نصلى وقال بعضهم لا نزكى فأتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا

يحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال النووى رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم عوان أى أسيرات جمع عانية بالعين المهملة وهى الاسيرة والعانى الاسير شبه صلى الله عليه وسلم المرأة فى دخولها تحت حكم الزوج بالاسير والضرب المبرح هو الشاق الشديد وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تبغوا عليهن سبيلا أى لا تطلبوا طريقا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم رواه الترمذى وقال حديث صحيح ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون وقال عمر رضى الله عنه ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا ومن آدابه الاعتدال فى الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادى الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلا وقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء قال أبو سعيد المتولى الديوث هو الذى لا يمنع الناس الدخول على زوجته والقواد من يحمل الرجال الى أهله ويخلى بينهم وبين الاهل قال الرافعى ويشبه ان لا يختص بالاهل بل هو الذى يجمع بين النساء والرجال بالحرام وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمى قالت سعد من دخلنى وقال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطى ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به ومما ينبغى للرجل ويتعين عليه أن يحترز من أن يخلو أحد من أقاربه بزوجته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار أفرأيت الحمو قال الحمو الموت قال النووى رحمه الله هو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وعمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى رحم رواهما البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام أى شئ خير للمرأة قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها الى صدره وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر القبر العشر عورات وقال عمر رضى الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال قال الغزالى رحمه الله وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة قال العلماء ينبغى أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يدرى به كيف معاشرة الحائض ويلقنها الاعتقاد الصحيح ويزيل عن قلبها كل بدعة ان كانت ويعلمها أحكام الصلاة والحيض والاستحاضة ويعرفها انها اذا انقطع دمها قبل المغرب بقدر تكبيرة فعليها الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بقدر تكبيرة فعليها المغرب والعشاء ومن ذلك آداب الجماع روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن احدكم اذا أتى اهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا وروى عن جعفر بن محمد فى قوله تعالى وشاركهم فى الاموال والاولاد ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل باسم الله أصاب معه امرأته وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى المرأة وتفضى اليه ثم ينشر سرها رواه مسلم

(الفصل الثانى فى آداب المرأة مع زوجها) قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة قال ابن عباس رضى الله عنهما بما ساق فيهما من المهر وأنفق عليها من المال وقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله

عليه فكان والله رشيد الامر فهذا ابوه وكتب الى أبى موسى يلومه فافهم تغنم والله أعلم

(الباب العشرون فى آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

بيان آدابه صلى الله عليه وسلم انه كان كثير الضراعة والابتهال دائما يسأل الله تعالى أن يحسنه بمحاسن الآداب وأن يزينه بمكارم الاخلاق فكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى قال سعيد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن قلت بلى قالت خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما أدبه بالقرآن بمثل قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقوله تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور الى آيات كثيرة وكسرت رباعيته يوم أحد فجعل يسيل الدم على وجهه وهو يمسح الدم ويقول صلى الله عليه وسلم كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربه فأنزل الله تعالى قوله ليس لك من الامر شئ تأديبا له على ذلك واعلم أن مثل هذه الآيات فى القرآن كثيرة وهو المقصود الاولى بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق قال

صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال على رضى الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا

بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه البخاري ومسلم وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ولا تأذن في بيته الا باذنه رواه البخاري ومسلم وهذا اللفظ للبخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمر أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرجت من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسمعيل وأن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب وقال علي رضى الله عنه من سعادة المرء خمسة أشياء أن تكون زوجته موافقة له وأولاده أبرارا واخوانه أتقياء وجيرانه صالحين وان يكون رزقه في بلده وروى أن رجلا خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل فمرض أبوها فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات فاستأمرت فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها قال الغزالي رحمه الله وحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فقال جيرانه لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رازق يذهب الأكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لأشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فأردت أن أنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون ذلك طريقا الى الله تعالى فقال حتى أستأذن أستاذي فرجع الى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله تعالى هذا كلام الصديقين قال فتزوجها وكان في منزلها كرمن جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال رحمه الله وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية في البصرة وروى أن عمر رضى الله عنه كان يعس المدينة فسمع امرأة تقول لابنة لها صغيرة شيبي اللبن بالماء فقالت يا أماه ان أمير المؤمنين أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء قالت أنت بمكان لا يراك فيه عمر ولا مناديه قالت والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا فزوجها عمر أحد أولاده ومن ذريتها عمر بن عبد العزيز قال الغزالي رحمه الله ومن آدابها أن لا تتفاخر على

أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولما أتي بسبايا طيئ وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد أرأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد صاحب حاجة أنا ابنة حاتم طيئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الكلام وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس ويذهب بهاء الاسلام باللهو والباطل والغناء

الزوج بجمالها ولا تزدريه لقبحه فقد روى أن الاصمعى قال دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله فقالت يا هذا أسكت أسأت فى قولك فلعله أحسن فيما بينه و بين خالقه فجعلنى ثوابه أولعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى

(الباب الرابع فى التحذير من كيد النساء وفتنتهن)

قال الله تعالى ان كيدكن عظيم وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماتركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم مابين مائة غراب يعنى الابيض البطن وقال عمر رضى الله عنه التجئوا الى الله من شرار النساء واحذروا خيارهن وفى وصية لقمان لابنه يابنى اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لايدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هلك الرجال حين أطاعوا النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وقال الحسن رحمه الله والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله فى النار ومن كلام على رضى الله عنه أيها الناس لاتطيعوا النساء على حال ولاتأمنوهن على مال ولاتدعوهن يدبرن أمر عشير فانهن ان تركن وما يردن أفسدن الممالك وعصين المالك وجدناهن لادين لهن فى خلواتهن ولاورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فأما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من يهود يتظلمن وهن ظالمات ويحلفن وهن كاذبات ويمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة قال الغزالى رحمه الله وانما قال ذلك لأنه اذا أطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فاذا ملكها نفسه فقد عكس الأمر وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا قال الغزالى رحمه الله وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المرأة تقول لابنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت لذلك فقطعى اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك حكاية قال الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب نصيحة الملوك يقال ان خسرو كان يحب أكل السمك فكان يوما جالسا فى المنظرة وامرأته شيرين عنده فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس مافعلت قال ولم قالت لانك اذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر احتقره وقال أعطانى عطية الصياد وان أعطيته أقل منه قال أعطانى أقل مما أعطى الصياد فقال خسرو لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا فى هباتهم وقد فات هذا قالت شيرين أنا أدبر هذه الحالة فقال وكيف ذلك فقالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثى فان قال ذكر فقل انما أردنا أنثى وان قال أنثى فقل انما أردنا ذكرا فنودى الصياد فعاد وكان ذا ذكاء وفطنة فقال له خسرو هذه السمكة ذكر أم أنثى فقبل الصياد الارض وقال هذه السمكة خنثى لاذكر ولا أنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى فمضى الصياد الى الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى الى الدرهم وأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين أيها الملك رأيت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن ظهره ثمانية آلاف وانحنى عليه فأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه يأخذه بعض الغلمان

والمسلوف كلها وكل ذى وترو كل ذى دخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمزح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم قال أنس رضى الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة الا قد دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أوقال عيبا ولاشينا الاحذرناه ونهانا عنه ويكفى من ذلك كله هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ رضى الله عنه أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أوصيك باتقاء الله تعالى وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى اماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا آداب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار) قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة

فرد خسرو من ذلك وقال لقد صدقت يا سيرين ثم أمر باعادة الصياد وقال له يا ساقط الهمة لست بانسان وضعت مثل هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد وأسفت أن تتركه في مكانه فقبل الصياد الارض وقال أطال الله بقاء الملك انني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي وانما رفعته عن الارض لان على أحد وجهيه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسمه فخشيت أن يضع أحد قدمه بغير علم عليه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته فأكون أنا المأخوذ بهذا الذنب فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما ذكره فأمر له بأربعة آلاف أخرى فعاد الصياد من عند الخازن بأثني عشر ألف درهم فأمر خسرو مناديا ينادي لا يتدبرن أحد برأي النساء فانه من يتدبر برأيهن ويأتمر بأمرهن خسر درهمه درهمين

(فصل في ذكر النساء وعاداتهن) من كتاب نصيحة الملوك للامام الغزالي رحمه الله تعالى قال اعلم أن جملة النساء على عشرة أصناف وصفة كل واحدة منهن تشبه صفة بعض الحيوانات (الاولى) عادتها كعادة الخنزير وهي التي لا تحسن غير الاكل وحشو البطن وكسر الآنية ولا تبالي أين مضت ولا تهتم بالدين والصلاة والصوم ولا تفكر في الممات والوعد والوعيد والثواب والعقاب والامر والنهي بل تكون غافلة عن رضا الله وسخطه ولا تشتغل بحفظ الاولاد وتربيتهم وتعليمهم القرآن والعلم وتلبس الثياب القذرة وتظهر الرائحة الكريهة (الثانية) عادتها كعادة القرد وهي التي همتها لبس الثياب الملونة واللؤلؤ والجواهر والتحلي بالذهب والفضة وتفتخر على أترابها وتعظم منزلتها عند زوجها وربما كانت حالتها تنافي ذلك (الثالثة) عادتها كالكلب وهي التي اذا كلمها زوجها وثبت على وجهه وهرّت عليه كالكلب ومتى أبصرت كيس زوجها ملآنا من الذهب والفضة وبيته مشحونا بالخير والنعمة والحنطة والفاكهة أكرمته وقالت زوجي لك الفداء ولا أقالك الله مكروها ومتى كانت حاله بخلاف ذلك وثبت كالكلب في وجهه وشتمته وتنقصت بحسبه ونسبه وأخرجته من بيته وعيرته بالفقر (الرابعة) عادتها كالحية وهي التي تلين كلامها لزوجها وتضمر له شرا ولا ترى له خيرا فهي كالحية لين لمسها قاتل سمها (الخامسة) عادتها كالبغلة اذا وقفت على الجسر كلما ضربت لا تبرح وتكون لجوجة منفردة برأيها معجبة بنفسها (السادسة) عادتها كالعقرب وهي التي تدور في بيوت الجيران بالنميمة والغمز والتسمع لاحاديثهم لتنم بها وتوقع بينهم العداوة والخصومة مثل العقرب أين وصلت ضربت بحمتها ولا تخاف أن تكون من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتات لا يدخل الجنة (السابعة) عادتها كالفأرة وهي المرأة السراقة التي تحل كيس زوجها وتسرق منه وتخبأ في بيوت الجيران وتسرق من حنطته وتعطيه الغزالات (الثامنة) عادتها كالطير وهي التي تدور طول نهارها ولا تستريح من دورانها وتقول لزوجها أين تمضي ولا شك أنك ماتريدني وأنك تحب غيري ولست معي مستقيما ولا علي مشفقا (التاسعة) عادتها كالثعلب وهي اذا خرج زوجها من البيت فتحت عليه باب الاكل ونامت وتعللت واذا دخل زوجها البيت فتحت عليه باب الخصومة ونافرته وتقول تركتني بالبيت وحيدة مريضة (العاشرة) عادتها كالغنمة وهي المباركة الرحيمة كالغنمة كل شيء منها منفعة وكذلك المرأة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة على زوجها وقرابتها وجيرانها وأهل بيتها وأولادها المطيعة لربها تعالى

(كتاب آداب الكسب والمعاش وفضله وما يتعلق بذلك وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول في فضل الكسب)

قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده رواه البخاري

[illegible] وعصمة [illegible] أو تكون ذات محرم منه وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه لم يدخل منزله حتى يدبر أمره الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى ولا يسئل شيأ الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيواسي منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام وان لم يأته شيء صبر وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة العبد الحر وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه وكان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد مرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف وما وجد من المباح لبس وخاتم فضة يلبسه في خنصره الايمن وربما في الايسر ويردف خلفه عبده أو غيره ويركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا وحافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة وكان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة
البدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها فى طلب الحلال وروى هذا مرفوعا
وموقوفا على الصحابة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال جهاد وان الله يحب العبد المحترف
وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال ما فى بيتك شئ قال بلى
حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتنى بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وقال من يشترى هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد
على درهم مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما اياه وأخذ درهمين فأعطاهما الانصارى
وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وكل ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم
فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجىء المسئلة
نكتة فى وجهك يوم القيامة رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسى كالا من عمل يده أمسى
مغفورا له رواه الطبرانى وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان آدم عليه السلام حراثا ونوح نجارا وادريس
خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجرا وداود زرادا وموسى وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام رعاة
وروى أن لقمان قال لابنه يا بنى استعن بالكسب الحلال فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال رقة
فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقيل لاحمد بن حنبل
رحمه الله تعالى ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل
جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقال عليه الصلاة والسلام
حين ذكر الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر
ويعملون فى نخلهم والقدوة بهم وروى الترمذى عن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا معناه تذهب أول النهار خماصا
أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخره ممتلئة البطون قال الامام أحمد ليس فى هذا الحديث دلالة على
القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وانما أراد والله أعلم لو توكلوا على الله فى ذهابهم ومجيئهم
وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا لكنهم
يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفى الشعب للبيهقى أن عمر رضى الله عنه لقى ناسا من أهل
اليمن فقال ما أنتم قالوا متوكلون فقال كذبتم أنتم متأكلون انما المتوكل رجل ألقى حبه فى التراب وتوكل على
رب الارباب وقيل انه اذا أوصى للمتوكلين أنه يكون للزراع وقال أبو سليمان الدارانى ليس العبادة عندنا
أن تصف قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وروى أن الاوزاعى لقى
ابراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له الى متى هذا يا أبا اسحق اخوانك يكفونك فقال دعنى عن هذا
يا أبا عمرو فانه بلغنى انه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة وقال شقيق بن ابراهيم فى قوله
تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا
ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد وروى أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن
جبريل عن الله عز وجل انه قال ان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه لا يدخله عجب
فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادى
المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة

فى أقصى المدينة وكان يحب الطيب و يكره الريح الرديئة و يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين و يكرم أهل الفضل فى
أخلاقهم و يتألف أهل
الشرف بالبر لهم و يصل ذوى
الارحام من غير أن يؤثرهم
على من هو أفضل لا يجفو
على أحد و يقبل معذرة
المعتذر اليه يمزح ولا يقول
الا حقا يضحك من غير
قهقهة يرى اللعب المباح
فلا يكرهه و يسابق أهله له
عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى
مأكل ولا ملبس وهو أمى
لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد
الجهل والصحارى فى فقر وفى
رعاية الغنم يتيما لا أب له
ولا أم فعلمه الله تعالى جميع
محاسن الاخلاق والطرق
الحميدة وأخبار الاولين
والآخرين وما فيه النجاة
والفوز فى الآخرة وفقنا
الله تعالى لطاعته والتأسى
به فى فعله آمين (بيان جملة
أخرى من آدابه صلى الله
عليه وسلم) قالوا ما شتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم أحدا
من المؤمنين بشتيمة الا جعلت
له كفارة ورحمة وما لعن
امرأة ولا خادما بلعنة وقيل
له وهو فى القتال لو لعنتهم
يا رسول الله قال انما بعثت
رحمة ولم أبعث لعانا وقال
أنس رضى الله عنه والذى
بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى
شئ قط كرهه لم فعلته ولا
لامنى نساؤه الا قال دعوه انما
كان هذا بكتاب وقدر قالوا
وما خير بين أمرين الا اختار
أيسرهما الا أن يكون فيه
إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك ولا يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه فى حاجته وقد وصفه الله تعالى فى التوراة قبل أن يبعثه فى

ولو أسقمته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك انى أدبر أمر عبادى لعلمى بقلوبهم انى عليم خبير

(الباب الثانى فى أنواع المكاسب و بيان الطيب والخبيث منها)

روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كانت له صدقة و يروى وما سرق منه فهو له صدقة و يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وقال لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف وقال ابن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله يعنى المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله وقال الغزالى رحمه الله أوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام و بيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب وصواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة قال الغزالى رحمه الله وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال قال السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر فى مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى أن ينظر الى قدر التعب قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل رحمه الله ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك ثم قال لى لا تكتب الا مواصفة واستثن الحواشى وظهور الاجزاء

(فصل فى الاحتكار) وهو حرام فى الاقوات وقيل يكره وهو أن يشترى الطعام فى الغلاء و يحبسه ليبيعه بأكثر ولا بأس بالشراء فى الرخص ليبيعه فى الغلاء ولا بأس بالشراء فى الغلاء لنفقة نفسه وعياله ثم يبيع الفاضل فى الغلاء وكذا امساك غلة ضيعته فى الرخص ليبيع فى الغلاء والاولى بيع ما فضل عن كفايته وفى كراهة امساكه وجهان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد المحتكر ان أرخص الله الاسعار حزن وان أغلاها فرح وفى رواية ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح وروى أبو الليث السمرقندى رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وروى أبو الليث أيضا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الغلاء والرخص جندان من جنود الله تعالى اسم أحدهما الرغبة واسم الآخر الرهبة فاذا أراد الله تعالى أن يرخصه قذف الرهبة فى قلوب الرجال فأخرجوه من أيديهم فرخص واذا أراد أن يغليه قذف الرغبة فى قلوب الرجال فحبسوه فى أيديهم وقال على رضى الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه وعنه أنه أحرق طعام محتكر بالنار كذا نقله الغزالى عنه فى الاحياء وحكى الغزالى رحمه الله عن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق بيعه فى السعر فقال له التجار ان أخرته جمعة ربحت أضعافه فأخره جمعة وربح فيه أمثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بفساد شئ من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله وتصدق به على فقراء البصرة وليتنى أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى

(الباب الثالث فى آداب التاجر)

روى الترمذى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وعن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول

الشمائل ... التجار الا فجارا ولا غليظا ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومولده صلى الله عليه وسلم بمكة وهجرته طيبة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة القرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته فى الانجيل وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ومن فاوضه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان صلى الله عليه وسلم أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم من يدخل حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه نسب ولا رضاع يجلسه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يؤثر الداخل بالوسادة التى تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه قال سبحان الله وفى نسخة سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل (بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم) كان يتكلم بجوامع الكلام

الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل السوق قال باسم الله اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وكان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وقال الغزالى رحمه الله تعالى وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة وأوسطه للتجارة فلم تكن تباع الهريسة والرؤس بكرة الا للصبيان وأهل الذمة كأنهم كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر أن الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى أول النهار وفى آخره وفيها ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الاعمال وروى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأنت صاحب الاسواق زين الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفى الخبر شر البقاع الاسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا ومن آدابه أن يتعلم أحكام البيع والشراء وقد ذكر الغزالى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يطوف فى السوق و يضرب التجار بالدرة و يقول لا يبيع فى سوقنا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أو أبى قال عطاء فى قوله عليه الصلاة والسلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر الذكر هو مجالس الحلال والحرام كيف تشترى كيف تبيع وتصلى وتصوم وتحج وتطلق وأشباه ذلك ومنها أن يكون سمحا فى الاخذ والعطاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا وكان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة و يقول معاشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ومما يتأكد وجوبه عليه محافظة الصلاة فى وقتها قال ابن مسعود وابراهيم فى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة أخروها عن وقتها قال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس وقيل للحسن البصرى رحمه الله أصليت قال لا قيل ان أهل السوق قد صلوا قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق ان نفقت أسواقهم أخروا الصلاة وان كسدت عجلوا بها قال الغزالى رحمه الله جاء فى تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين وكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفاء فسمع الاذان لم يخرج الاشفاء من المغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة وحكى أبو الليث رحمه الله عن بعض الحكماء أنه قال اذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعا أولها لسان نقى من ثلاثة من الكذب واللغو والحلف والثانى قلب صاف من ثلاثة الغش والخيانة والحسد والثالث نفس محافظة على ثلاثة الجمعة والجماعات وطلب العلم فى بعض الساعات وايثار مرضات الله تعالى على غيره

(الباب الرابع فى بيان الامور التى ينبغى للتاجر أن يحترز عنها وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الحث على حفظ الامانة وتجنب الخيانة)

قال الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال ابن مسعود رضى الله عنه الامانة أداء الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل فى المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان رواه البخارى ومسلم وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا

لا فضول ولا تقصير يتبسم بعضه بعضا وبين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان صلى الله عليه وسلم لا يقول فى الرضا والغضب الا حقا أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظيمة ولقد جاء اعرابى يوما وهو عليه السلام متغير تنكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابى فانا ننكر لونه قال دعونى فوالذى بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جميعا جوعا أفترى لى بأبى أنت وأمى أكف عن ثريده تعففا وتنزها قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال لا بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من ان يشتبه على فاتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى فيما اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدى الى صراط مستقيم (بيان أخلاقه وآدابه فى الطعام وقد سبق بعضه فى باب الاكل والشرب) وكان صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب و بالملح وكان صلى الله عليه وسلم أحب الفواكه اليه الرطب والبطيخ والعنب وربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه

يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فاذا طعام ردىء فقال بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا فليس منا رواه أحمد وروى أن أبا هريرة رضي الله عنه رأى انسانا يبيع لبنا فنظر اليه فاذا هو قد خلطه بالماء فقال كيف بك اذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن رواه البيهقي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار مالم يتفرقا أو يختارا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما وحكى ابن الجوزي أن لبانا كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه فجاء السيل فأغرق غنمه فجعل يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا وحكى أبو الليث أن رجلا مات فحفروا له قبرا فاذا فيه حية قد ملأت اللحد فحفروا ثانيا وثالثا فاذا هو كذلك فسألوا ابن عباس عنه فقال ذلك الخيانة والغل انطلقوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتموها فيه فسئلت امرأته عن عمله قالت كان يبيع الحنطة ويخلطها بغيرها وقال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي أن أعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم أتى على الناس زمان آخر كان يقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم أتى وقت آخر فكان يقال لا تعامل أحدا الا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا قال الغزالي رحمه الله فكأنه قد كان الذي خاف أن يكون انا لله وانا اليه راجعون وقال الغزالي أيضا يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل باعه شيأ وقفة ويحاسب على كل واحد محاسبة على عدد من عامله وقال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال نشر على خمسون ألف صحيفة فقلت أهذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس عدد من عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول المعاملات الى آخرها قال الغزالي رحمه الله قيل انه اذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وقال الغزالي أيضا وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيته في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه قال نعم قال اذهب فلست تعرفه فقال للرجل اذهب وائتني بمن يعرفك

(الفصل الثاني في النهي عن الحلف في البيع) روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم وكثرة الحلف في البيع فانه ينفق ثم يمحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم المسبل ازاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها ما يريد وفى له وان لم يعطه لم يف له وفي رواية نحوه وقال ورجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله عز وجل له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق

(الفصل الثالث في النهي عن اخفاء عيب المبيع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى

اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين وكان صلى الله عليه وسلم أحب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الثريد باللحم والقرع وكان صلى الله عليه وسلم يحب القرع ويقول انها شجرة أخي يونس قالت عائشة رضي الله عنها اذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فانه يشد القلب المحزون وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا فيها بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان صلى الله عليه وسلم يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء (بيان آدابه وأخلاقه في اللباس) كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد وكان صلى الله عليه وسلم أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وربما خرج في خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القلانس تحت العمائم ويغير

عمامته وربما ينزع قلنسوته من رأسه فيجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وكان

صلى الله عليه وسلم اذا لبس الثوب

عيب لاخيه ما يحب لنفسه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم وكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها يظهر عيبها ثم خير وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال ياهذا اشتريته للحم أو للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله أفسدت علي بيعي قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه وحكى الغزالي رحمه الله عن ابن سيرين انه باع شاة فقال للمشتري أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها

(الفصل الرابع في النهي عن دفع الدراهم والدنانير الزيوف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قال الغزالي رحمه الله عن بعض الغزاة في سبيل الله تعالى انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا أعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول بالله أردت أن تأخذ علي العلج ثلاث مرات وأنت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زيفا فلا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم وقال بعضهم انفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة أظهرها يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى أن يفنى ذلك الدرهم

(الفصل الخامس في النهي عن التطفيف) قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان قال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذي يوزن به ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف وقوله تعالى ألا تطغوا يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء أراد أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب قوله تعالى ولا تخسروا معناه ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن قال نافع رحمه الله كان ابن عمر رضي الله عنهما يمر بالبائع فيقول اتق الله تعالى أوف الكيل والوزن فان المطففين يقفون يوم القيامة حتى أن العرق ليلجمهم الى أنصاف آذانهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقال يونس بن عبيد حضرت رجلا احتضر فقلت له قل لا اله الا الله فامتعص فألححت عليه فقال ادع الله لي فهذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها قلت أفما يمنعك الا من قولها قال نعم قلت وما كان عملك به قال ما أخذت ولا أعطيت به الا حقا في علمي غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره وكان بعضهم اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد نصف حبة فكان يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما أخس من باع طوبى بويل ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يابني فعلك هذا أفضل من حجتين أو عشرين عمرة ولما نقص قوم شعيب الكيل والميزان أخذتهم الرجفة قال الكلبي الزلزلة وقال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما

لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان صلى الله عليه وسلم له ثوب لجمعته خاصة وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا يقول ما من مسلم يكسو مسلما من فضل ثيابه ولا يكسوه الا لله تعالى الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان صلى الله عليه وسلم له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر وكان صلى الله عليه وسلم له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين وكان صلى الله عليه وسلم يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة (بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم) قال علي رضي الله عنه لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس يومئذ بأسا (بيان معجزاته) اعلم أن من شاهد أحواله وأخلاقه وأصغى الى ما نقل عنه علم ان الاولين والآخرين يعجزون عن أمثالها وأن ذلك لا يتصور الا أن يكون من الوحي والتنزيل وكان الجلف

العربي يرى وجهه الكريم فيقول والله ما هذا وجه كذاب فطالما فقدوا البصيرة يكفيه ذلك دلالة على صدقه ونبوته ونحن نورد بعض ما ظهر على

فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم فألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى وصاروا رمادا وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فاذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك عذاب يوم الظلة قال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب الأيكة وأهل مدين فأما أصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فأهلكوا جميعا

(حكايات) ذكرها الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله فى الاحياء (الاولى) روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا فطلب منه خز للشراء فأخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعريضا للثناء على السلعة (الثانية) حكى عن بعض التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر وكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة فاشتر السكر فاشتراه كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لى فقال انى قد كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمتنى الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا منى فتركها لى فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو أطيب لقلبى فأخذ منه ثلاثين ألفا (الثالثة) يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة درهم وضرب ثمنها مائتا درهم فمر الى الصلاة وخلف ابن أخيه فى الدكان فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه حلة من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمشى بها وهى على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال بأربعمائة قال لا تساوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوى ببلدنا خمسمائة درهم وأنا ارتضيتها فقال له يونس انصرف فان النصح فى الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتى درهم وخاصم ابن أخيه وقاتله فقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذه الا ورضى به قال فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك

(الفصل السادس فى بياعات نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبع حاضر لباد وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تلقى الركبان وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسم المسلم على سوم المسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له روى هذه الاحاديث البخارى ومسلم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر رواه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن النجش رواه البخارى ومسلم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من حبس العنب زمن القطاف حتى يبيعه من يهودى أو نصرانى أو ممن يعلم أنه يتخذه خمرا فقد تقدم على النار على بصيرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة رواه الترمذى وقال حسن غريب وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع العربان رواه مالك وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام وفى الصحيحين أيضا عن أبى مسعود الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشتروا السمك فى الماء فانه غرر رواه أحمد

(الفصل السابع فى الربا) قال الله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه

الشيطان

يوم الخندق ونبع الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلهم عطاشا وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام فيه يده وأمثال ذلك كثيرة والبصير لا يتوقف ايمانه على ذلك والله أعلم

(الباب الحادى والعشرون فى عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى جسد ابن آدم مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله وصلح لها سائر البدن ألا وهى القلب فقد تبين بهذا الحديث ان الاصل هو القلب وهو الامير المطاع فى عالم الجسد والبقية رعية ونحن نبين معنى القلب والروح والنفس والعقل (فالاول لفظ القلب) وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودوع فى الجانب الايسر من الصدر وفى باطنه تجويف يسكنه دم أسود وهو منبع الروح ومعدنها وهذا اللحم على هذا الشكل أيضا موجود للبهائم والموتى والمعنى الثانى هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا اللحم اتصال ما وهذه اللطيفة هى العالمة بالله تعالى المدركة لما ليس يدركه الخيال والوهم وهو حقيقة الانسان وهو المخاطب والى هذا المعنى أشار قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولو كان المراد بالقلب هو اللحم الصنوبرى الشكل لكان

الشيطان من المس لا يقومون يعني يوم القيامة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي
يصرعه الشيطان من الجنون وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا
بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وعن ابن
مسعود رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله رواه مسلم زاد الترمذي وغيره
وشاهديه وكاتبه وعن القاسم بن عبد الواحد الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في السوق
في الصيارفة فقال يامعشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبشروا بالنار رواه الطبراني باسناد لا بأس به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع حق
على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه
رواه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وأن أربى
الربا عرض الرجل المسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد الا آكل الربا
فان لم يأكله أصابه من بخاره ويروى من غباره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة أسري بي سمعت
في السماء السابعة فوق رأسي رعدا وصواعق ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات ترى من
ظاهر بطونهم فقلت ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء أكلة الربا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد
أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد قيل ان الله عز وجل
ما أحل الربا في شريعة قط قال الله تعالى وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وقال عطاء الخراساني رحمه الله اذا كان
خمس كان خمس اذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام كان قحط المطر واذا ظهر الزنا كان الموت
واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة

(الفصل الثامن في الحث على قضاء الدين) في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مطل الغني ظلم
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به أصحابه فقال
دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا وأعطوه اياه قالوا لانجد الا أفضل من سنه قال اشتروه فأعطوه
اياه فان خيركم أحسنكم قضاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها
أتلفه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في سبيل الله يكفر كل شيء الا الدين وعن أبي أمامة رضي
الله عنه مرفوعا من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين
وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله تعالى لغريمه يوم القيامة رواه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول يا ابن آدم فيم أضعت حقوق الناس فيم أذهبت
أموالهم فيقول يارب لم أفسده ولكن أصيبت اما غرقا واما حرقا فيقول الله عز وجل أنا أحق من قضى عنك
اليوم فيرجح حسناته على سيئاته فيؤمر به الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يقتص من
صاحبه يوم القيامة اذا مات الا من تدين في ثلاث خلال الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين يتقوى به
لعدو الله وعدوه ورجل يموت عنده رجل مسلم لا يجد ما يكفنه فيه ولا يواريه الا بدين ورجل خاف على نفسه
العزبة فينكح خشية على دينه فان الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
ليكونن للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو
كان أكثر من ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض
ونون الماء وكتب الله عز وجل له بكل خطوة شجرة تغرس في الجنة وذنب يغفر فان لم يفعل ومطل فهو متعد
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين راية الله في الارض فاذا أراد أن يذل عبدا ابتلاه بالدين وجعله في

بوجود الشكل أحد فاذا عرفت هذا فاعلم أن تعلق هذه اللطيفة بالجسم الصنوبري هو تعلق غامض لا يدرك بالبيان بل يتوقف
على المشاهدة والعيان
والذي يمكن أن يذكر فيه
أنه كالملك وهذا الجسم
كالدار والمملكة اذ لو كان
تعلقه به تعلق الاعراض
لما صح فيه أن يقال وانه
يحول بين المرء وقلبه (اللفظ
الثاني) الروح وله أيضا
معنيان أحدهما الروح
الطبيعي وهو دخان منبعه
دم أسود في تجويف القلب
وهو اللحم الصنوبري
وينتشر بواسطة العروق
والضوارب في جميع أجزاء
البدن ومثاله كسراج في
بيت اذ يستضاء في جميع
زوايا البيت به وهو الذي
يريده الاطباء باطلاق
الروح والمعنى الثاني هو
اللطيفة الربانية التي هي
معنى حقيقة القلب فالروح
والقلب متواردان على
تلك اللطيفة على نسق واحد
واليه الاشارة بقوله تعالى
ويسألونك عن الروح قل
الروح من أمر ربي (اللفظ
الثالث) النفس ولها معنيان
أحدهما المعنى الجامع
لقوة الغضب والشهوة
والصفات المذمومة وهو
المراد بقوله عليه السلام
أعدى أعدائك نفسك
التي بين جنبيك وهي
المجاهدة والمأمور بكسرها
المعنى الثاني لها اللطيفة
الربانية التي احدى معنى
الروح والقلب والنفس
أيضا مع لفظ القلب والروح مطلقة على تلك اللطيفة وهي حقيقة الانسان التي يميز بها عن

[illegible] الله تعالى تخلى عنها آثار الشهوات والصفات الذميمة وتسمى النفس

عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار

(باب التحذير من أكل الحرام والحث على الورع وتوقي الشبهات وفيه فصلان)

(الفصل الاول في التحذير من أكل الحرام) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحق السيء بالسيء ولكن يمحق السيء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أو من الحرام وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين يدخله النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما وتصدق به او أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال سفيان الثوري من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام

(الفصل الثاني في الحث على الورع وتوقي الشبهات) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب رواه البخاري ومسلم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروى أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وروى أن الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقيء حتى كادت نفسه أن تخرج ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه الا طيب وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل أصبعه وتقاءه وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله لم يدرك من أدرك الا من يعقل ما يدخل جوفه ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه قال الغزالي رحمه الله وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال أبو بكر الوراق نهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة رحمها الله شقا في قميصها في ضوء مشعل السلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها وقيل لبشر رحمه الله من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وروى عن بعضهم أنه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج

المطمئنة وهي المرادة بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية والنفس قبل أن تنتهي الى هذه الدرجة لها درجتان باعتبار صفاتها أحدهما أن تسمى النفس اللوامة وهي التي أقسم الله تعالى بها في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وهي التي تلوم على المعاصي ولا تركن اليها ولا ترضى بها وقبل أن تنتهي الى هذه الدرجة لها درجة وهي أن تكون أمارة بالسوء كما قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وهي في حالة لا تأمر بالخير ولا تلوم على الشر فهي حضيض النفس والمطمئنة سماكها واللوامة بينهما لا هي ترمى بالشر فتركن اليه ولا تستطيع الاطمئنان فتطمئن الى الخير وهو ذكر الله تعالى (اللفظ الرابع) العقل وقد ذكر له عدة معان أحدها العلم بحقائق الاشياء والثاني العالم الذي يكون العلم له كالصفة وهذا المعنى هو اللطيفة الربانية التي سبق ذكرها اذ لا يمكن أن يكون المراد بالعقل المعنى الاول لقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله تعالى العقل ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذا تبين لك أن القلب والعقل والروح والنفس في الاخبار والآيات المراد منها هي اللطيفة الربانية ونحن اذا أطلقناها أردنا بها تلك فاعلم ذلك وقال سهل التستري

فقد

فقد حدث للورثة حق فى الدهن واشترى ابن سيرين أربعين حباً سمناً فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجتها فقال لا أدرى فصبها كلها ويحكى أن أبا حنيفة كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول فى الخبر كل قرض جر نفعاً فهو ربا وقيل ان أبا يزيد غسل ثوباً فى الصحراء مع صاحب له فقال صاحبه نعلق الثوب فى جدران الكرم فقال لا فقال نغرز الوتد فى الجدار قال لا نغرزه فى جدران الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال لا انه يكسر الاغصان فقال نبسطه على الارض فقال لا لانه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره الى الشمس والثوب على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر وقيل ان أبا يزيد رحمه الله دخل يوما الجامع فغرز عصاه فى الارض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه فى الارض فانحنى الشيخ وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد الى ذلك الشيخ واستحله وقال بسبب عصاى حيث احتجت الى أن تنحنى وروى عتبة الغلام يتصبب عرقاً فى الشتاء فقيل له فى ذلك فقال انه مكان عصيت فيه ربى فسئل عنه فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل ضيف لى يده ولم أستحل صاحبه وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم قال ذاك الذى حط الله درجة من درجاته فقال لم قال انه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فمضيت الى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض الليل اذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى رد الى مكانه ورفعت درجته وقيل جاءت أخت بشر بن الحرث الحافى الى أحمد بن حنبل وقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها فقال لها أحمد من أنت عافاك الله قالت أخت بشر الحافى فبكى أحمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلى فى شعاعها وقال على بن القطان مررت بالبصرة فى بعض الشوارع فاذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبى من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم وقيل ان مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ولم يصح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان اذا انقضى وقت الرطب قال يا أهل البصرة هذا بطنى ما نقص منه شئ ولا زاد فيكم وكان الحارث المحاسبى اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال وقال كهمس أذنبت ذنباً أبكى عليه من أربعين سنة وذلك أنه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لى حتى غسل يده ولم أستحله وكان رجل يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله أن البيت بالكراء ثم انه خطر بباله لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفاً يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً من الهول عند الحساب ورهن أحمد بن حنبل سطلاً له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال سطلين وقال خذ أيهما لك فقال أحمد أشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وأنا أردت أن أختبرك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل عنده وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة فصلى صلاة الظهر فرتعت فى قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع أيضاً من مرو الى الشام فى قلم استعاره فلم يرده الى صاحبه واستأجر النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع وأخذ السوط فقيل له لو حولت الدابة الى الموضع الذى سقط السوط فأخذته فقال انما استأجرتها لأمضى هكذا لا هكذا وكان حسان بن أبى سنان لا ينام مضطجعاً ولا يأكل سميناً ولا يشرب بارداً ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له ما فعل الله بك فقال خيراً الا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها

(كتاب الترغيب فى الحكم وعنه والتحذير من الظلم وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى الترغيب فيه)

القلب هو العرش والصدر هو الكرسى وهو يدل أيضاً على ان المراد بمضغة القلب فمن ثبت جنود قوله جندان جند يشاهد بالبصر وهو اليد والرجل والعين وسائر الاعضاء وجند يشاهد بالبصيرة وهو الصفات على ما سيأتى ذكرها ودل الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان فى جسد ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد ألا وهى القلب على أن القلب ينبغى أن يكون أميراً مطاعاً وتكون النفس وهى سائر البدن مطيعة لأوامره ونواهيه فاذا لم يكن كذلك وغلبت الشهوات صار الامير مأموراً وانعكس الامر فيصير الملك مثلاً أسيراً مسخراً فى يد كلب أعور ولهذا ان الرجل اذا أطاع داعية الشره أو الشهوة يرى نفسه فى النوم أو فى اليقظة وهى حالة الصوفية ساجدة بين يدى خنزير أو حمار وان أطاع الغضب يرى نفسه ساجدة بين يدى كلب فانه على الحقيقة أطاع الحمار وهو الشهوة وأطاع الخنزير وهو الشره وهو فى هذه الحالة أعنى فى طاعة الشهوة والشره مطيع للشيطان المسلط على الآدمى فاذا طال تسلط هواه بهذه الصفات التى هى جند الشيطان على القلب ولم يمكن نصره على هزم هذا الجند وصار القلب مقهوراً مدة صار ذلك سبباً فى ابطال خاصية تلك اللطيفة وهو المراد بسواد القلب فى الاخبار وهو المراد بالطبع والرين فى قوله تعالى أولئك الذين طبع على قلوبهم وفى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم

في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل و رجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وماولوا قال النووي رحمه الله تعالى ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة أي كانت لهم عليهم ولاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قال العلماء أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم فان أصاب فله أجران أجر باجتهاده وأجر باصابته وان أخطأ فله أجر باجتهاده وفي الحديث محذوف تقديره اذا أراد الحكم فاجتهد قالوا فأما من ليس باهل للحكم فلا يحل له الحكم فان حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا لان اصابته اتفاقية غير صادرة عن أصل شرعي فهو عاص في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا وهي مردودة كلها ولا يعذر في شيء من ذلك وقد جاء في حديث في السنن القضاة ثلاثة قاض في الجنة واثنان في النار قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق فقضى بخلافه فهو في النار وقاض قضى عن جهل فهو في النار

(الباب الثاني في الترغيب عن الحكم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر اني أراك ضعيفا واني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين أقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والارض ولم يكونوا عملوا على شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على القاضي العدل ساعة يوم القيامة يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يلي عشرة فما فوق ذلك الا أتى الله يوم القيامة يده الى عنقه فكه بره أو أوبقه اثمه أولها ملامة واوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين قال ابن الصلاح معناه والله أعلم فقد ذبح من حيث المعنى لامن حيث الصورة وذلك انه بين عذاب الدنيا ان رشد وعذاب الآخرة ان فسد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم من ولي من أمر هذه الامة شيأ فرفق بهم فارفق به ومن شق عليها فاشقق عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أمير يلي أمور المسلمين ثم لايجهد لهم و ينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولاه الله شيأ من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا يارسول الله أفلا ننابذهم قال لاما أقاموا فيكم الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كعب بن عجرة أعاذك الله من امارة السفهاء أمراء يكونون من بعدي لايهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين صححه الحاكم وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال تضرعت الى ربي سنة ان يريني أبي في المنام حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله اهلك أبوك انه سألني عن عقال بعير الصدقة وعن حياض الابل فكيف عن الناس فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه فقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بابن المترف عمر بن عبد العزيز وقال أسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لي في صحبتك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا لعلها بما يكون مسافر فقصدنا النار فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال وهم

ومثل القلب المرآة فاذا كانت صافية من الصدأ والخبث يشاهد فيها الاشياء واذا غلب عليها الصدأ ولم يكن لها ما يصقلها ويدفع الصدأ عنها ويجلوها تمكن منها وغاص في جرمها وهلكت وصارت بحيث لا يقدر المصقل على صقلها وجلائها وهو المراد بالطبع والرين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان القلب ليصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤه قال ذكر الموت وتلاوة القرآن فاذا بطلت ولاية القلب بالكلية استولى الشيطان فتنقلب الصفات المحمودة مذمومة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون أخبر أن ابصار القلب وجلاءه يحصل بالذكر وانه يتمكن من الذكر من اتقى فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف مفتاح الفوز الاكبر *(فصل)* اعلم أن القلب مثاله مثال المرآة وعلوم الحقائق مثالها مثال الصور

يبكون وقد وضعت لهم قدرا على النار وهي تقول الهي أنصفني من عمر وخذ لي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر ذلك الكلام تقدم وسلم عليها وقال أتأذنين لي من الدنو اليك فقالت ان دنوت بخير فباسم الله فتقدم عمر اليها وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت نعم وصلت وهؤلاء الاطفال معي من مكان بعيد وأنا جائعة والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجوع ومنعهم الهجوع فقال عمر وأي شئ في هذا القدر فقالت تركت فيها ماء أشاغلهم به ليظنوا أنه طعام فيصبروا قال فعاد أمير المؤمنين عمر فقصد دكانا يباع الدقيق فيها فابتاع منه ملء جراب ومضى الى دكان قصاب فابتاع منه دسما ثم وضع الجميع على كاهله ومضى حتى انتهى الى المرأة والاطفال فقالت يا أمير المؤمنين ناولنيه لأحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل ذنوبي عني يوم القيامة ومن يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة علي وجعل يسعى وهو يبكي الى أن وصل الى المرأة فقالت جزاك الله عني خير الجزاء فأخذ عمر جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم ووضعهما في القدر وجعل يوقد النار فكلما أرادت أن تخمد نفخها وكان الرماد يسقط على محاسنه ووجهه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ في القصعة وقال للاطفال كلوا فأكلت المرأة والاطفال وقال عمر أيتها المرأة لا تدعي على عمر فانه لم يكن له منك ولا من أطفالك خبر

(الباب الثالث في طرف مما ورد عن السلف من كراهية الولاية)

روى أحمد في المسند أن عثمان قال لابن عمر رضي الله عنهم اقض بين الناس فقال لا أقضي بين اثنين ولا أؤم رجلين أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ فقال عثمان بلى فقال اني أعوذ بالله أن تستعملني فأعفاه وقال لا تخبر بهذا أحدا وروى أن أبا ذر طلب للقضاء فهرب فقيل له لو وليت وقضيت بالحق فقال من يقع في البحر الى كم يسبح وروى القاضي أبو الطيب الطبري ان المأمون كتب الى الشافعي يستدعيه ليوليه القضاء في الشرق والغرب فأبى ودعا بالمزني في مرض موته ونهاه عن تولي القضاء وأظهر له كتاب المأمون وقال لم أظهره لأحد غيرك وروى الخطيب في تاريخ بغداد وغيره أن المنصور طلب أبا حنيفة للقضاء فأبى فحلف المنصور ليفعلن وحلف أبو حنيفة انه لا يفعل فقال له الربيع يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت فقال أمير المؤمنين أقدر على كفارة يمينه مني فحبسه المنصور أياما ثم أحضره فقال له أبو حنيفة يا أمير المؤمنين انا لا أصلح للقضاء فان كنت صادقا فلا أصلح وان كنت كاذبا فلا أصلح للكذب فرده الى السجن وضربه بالسياط فلم يل فأطلقه وروى أنه مات في السجن ويروى أن الخليفة كتب الى أمير البصرة أن اختر رجلين وانفذهما الي لأولي أحدهما القضاء فوقع الاختيار على القاسم بن ربيعة الجوشي واياس بن معاوية المزني فأحضرا فقال اني بعثت اليكما لأقلد أحدكما القضاء فتقدم القاسم وقال يا أمير المؤمنين والله الذي لا اله الا هو ان اياسا أصلح للقضاء وأنفذ فيه مني فان كنت عندك صادقا فقلده بيميني وان كنت كاذبا فلا يحل أن يلي أمور المسلمين من يبارز الله بمثل هذه اليمين فقال الخليفة لاياس ما تقول فيما قال فقال انك جئت به الى شفير جهنم ففدى نفسه بيمين حانثة يستغفر الله ويتوب اليه منها فقال له الخليفة فطنت لها أنت لها فولاه وفي كتاب عقلاء المجانين تأليف أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري أن الخليفة كتب الى عبد الله بن وهب في قضاء مصر فجنن نفسه ولزم بيته فاطلع عليه رشيد بن أبي سعد وهو يتوضأ في صحن داره فقال يا أبا محمد ألا تخرج الى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جننت نفسك ولزمت بيتك فرفع اليه رأسه وقال الى هنا انتهى عقلك أما علمت أن العلماء يحشرون مع الانبياء وأن القضاة يحشرون مع السلاطين وذكر ابن حبيب عن أبي معشر أن رجلا آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفسا وبقي واحد فخرج على أن يسأل أول من يطلع عليه فرأى مجنونا قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبة وأخذ رمحه فسلم عليه وقال مسئلة فقال سل ما يعنيك واياك وما لا يعنيك واحذر رمحة هذا الفرس قال فقلت مجنون والله ثم قلت اني رجل

التي ترى في المرآة وحصول الصور شيء ثالث فاذا عرفت هذا فاعلم أن امتناع انكشاف الصور في المرآة لخمسة أسباب أحدها فساد صورتها أعني المرآة وهو قبل أن تدور وتتشكل وتصقل والثاني خبثه وصدؤه والثالث كونه معدولا به عن جهة الصورة بأن تكون الصورة وراء المرآة والرابع الحجاب المرسل بين المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة فكذلك القلب هو مستعد لان يتجلى بحلية الحق في الامور كلها وانما خلا عن هذه الاسباب الخمسة التي أولها النقصان في ذات القلب كالصبي والمجنون الثاني لكدورة المعاصي والخبث التي تراكم على القلب بسببها من كثرة الشهوات واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه أبدا اذ غايته أن يصقل القلب بحسنة يتبعها ولو كانت الحسنة دون الذنب لزاد اشراق القلب الثالثة أن يكون معدولا عن جهة الحقيقة المطلوبة فيكون وجهه الى ترتيب الطاعات وينبغي أن يكون كما قال الخليل عليه السلام اني وجهت وجهي الرابع الحجاب وذلك أن يكون في سر القلب بقية شهوة أو فساد عقيدة سبقت في الصبا وبقي أثرها الخامسة الجهل بالجهة التي منها يطلب فانه ينبغي أن يكون له ايمان كلي بما لا يحصل له وهو الايمان بالغيب ومالم يكن له هذا الايمان كيف يمكنه أن يطلب ما لا يعلم وجوده فالغفلة مانعة وقد قال صلى الله عليه

لقيت من النساء بلاء ورأيت أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس وأنت تمام المائة فقال اعلم أن النساء ثلاثة واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التى لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهى لك لا عليك ان رأت خيرا حمدت وان رأت شرا قالت كل الرجال على مثل ذلك وأما التى عليك لا لك فامرأة ذات ولد من غيرك فهى تسلخ الزوج وتجمع لولدها وأما التى لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك ان رأت خيرا قالت هكذا يجب وان رأت شرا حنت الى زوجها الاول قال فقلت نشدتك الله ما الذى غير من أمرك ما أرى قال ألم أشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال انى رشحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء وذكر ابن حبيب أن المنصور دعا أبا حنيفة والثورى ومسعرا وشريكا ليوليهم القضاء فقال أبو حنيفة انا أخمن فيكم تخمينا اما أنا فاحتال فاتخلص واما مسعر فيتجانن فيتخلص وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما دخلوا عليه قال ابو حنيفة أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك فانى لا أصلح لهذا الامر فان كنت صادقا فى قولى فلست أصلح وان كنت كاذبا فلا يجوز أن تولى كاذبا دماء المسلمين وفروجهم واما سفيان فأدركه شخص فى طريق فذهب لحاجة وانصرف والشخص منتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح ان مكنتنى من سفينتك والا أذبح تأول قول النبى صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين فأخفاه الملاح تحت المبارى وأما مسعر فدخل على المنصور فقال القضاء يدك كيف أنت وأولادك ودوابك فقال اخرجوه فانه مجنون وأما شريك فقال له المنصور تقلد القضاء وعليك بالعصيد والنبيذ الشديد حتى يرجع عقلك فتقلد فهجره الثورى وقال أمكنك الهرب فلم تهرب وهذا هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى أحد الاعلام

(الباب الرابع فى التحذير من الظلم)

قال الله تبارك وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواهما مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه لما بعثه الى اليمن اياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب روى هذه الثلاثة البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار رواه مسلم وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار وقوله ألحن أى أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار قيل يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك رواه مسلم وقال ثوبان رضى الله عنه لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى والرائش ويعنى بالرائش الماشى بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء وقال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقد روى ابن عمر قال قيل يا رسول الله أين الله فى الارض أو فى السماء قال صلى الله عليه وسلم فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى أرضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن وبذلك قال عمر رأى قلبى ربى اذ كان زكى قلبه وقد قال الله تعالى قد أفلح من زكاها واعلم أن قبول الحق له ثلاث درجات أولها القبول بالسماع فى أول الفطرة وهو يمكن فيه الخطأ وهو تقليد العوام الثانى ان تسمع كلاما من تطلبه مثلا من داخل البيت فتستدل به على أن ذاك الرجل المطلوب الثالث ان تدخل البيت فتشاهده وتعاينه وهو المراد بقول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وهو ايمان الانبياء والصديقين والاولياء فهذا الذى لا يدور السهو والغفلة حواليه وانما مثال امتناع الكافر والصبى والمجنون عن استطلاع الحقائق مثال رجل بصير فى ظلمة فان البصر ربما يكون كاملا ولكن يمتنع الابصار حتى يشرق نور الشمس فيبصر ببصره سابقه عن طلوع الشمس فكذا العلم لم ينكشف فى قلب الصبى والمجنون وهو لا يقبل التمييز والعقل لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله

الله

الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطاني ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولانتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس وفي الحديث في الزانية التي طهرت نفسها بالرجم لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده قال العلماء معنى على هنا اللام يعني لولده وذكر ابن عبد السلام في تفسير قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تقبل دعاء حبيب على حبيبه (حكاية) قال الغزالي رحمه الله في نصيحة الملوك يقال انه كان في بني اسرائيل رجل يصيد السمك ويقوت من صيده أطفاله وزوجته فكان بعض الايام يصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها وقال أمضي بهذه السمكة الى السوق فأبيعها وأخرج ثمنها في نفقة العيال فلقيه بعض العوانية في طريقه فقال له تبيع هذه السمكة فقال في نفسه ان قلت لا أهانني وان قلت نعم أخذها بنصف ثمنها فقال له ما أبيعها فغضب العواني وضربه بخشبة كانت معه على صلبه ضربة دوجعته وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي خلقتني فقيرا ضعيفا وخلقته غنيا قويا اللهم فخذ بحقي منه في هذه الدنيا فاني لا أصبر الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة ومد يده ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزت أصبعه نكزة سلبت قراره وأزالت اصطباره فشكا حاله الى الطبيب وقال له ينبغي أن تقطع هذه الاصبع لئلا يسري الالم الى جميع اليد فقطع أصبعه فانتقل الوجع الى الكف وزاد الالم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسري الالم الى الساعد فقطع يده من المعصم فانتقل الالم الى الساعد فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع الساعد لئلا يسري الالم الى الكتف ويوجع فخرج هاربا على وجهه داعيا الى ربه عز وجل ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فاتكأ اليها فأخذه النوم فرقد فرأى قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع يدك عضوا بعد عضو امض وأرض خصمك الصياد فانتبه من النوم فذكر وقال أنا أخذت السمكة غصبا وأوجعت الصياد ضربا وهي التي نكزتني فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع على أقدامه يقبلها والتمس الاقالة من ذنبه وأعطاه شيأ من ماله وتاب من فعله ورضي عنه خصمه ففي الحال سكن ألمه وبات تلك الليلة على فراشه وتاب وأقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركته رحمة ربه ورد يده كما كانت بقدرته فنزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي وعظمتي لولا أن الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة قد غضب الله عليهم وان شاء أمضى غضبه ومصيرهم الى النار أمير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يسوي بين القوي والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالي من أين أطعمهم ورجل استأجر أجيرا فتمم عمله ومنعه أجرته وظالم ظلم زوجته في صداقها وفي الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك وأما الديوان الذي لا يترك فظالم العباد أي لا بد أن يطالب بها (وحكي) عن أبي بكر الوراق رحمه الله انه قال أكثر ما ينزع الايمان من العبد انما ينزع عند الموت قال فنظرنا في الذنوب فلم نجد ذنبا أسرع نزعا للايمان من ظلم العباد قال سفيان الثوري رحمه الله لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب فيما بينك وبين العباد وقال ابن زيد رحمه الله في قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

تعالى يجعل مهيئا لحصول نقش العلوم في قلوب العباد قال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أن ذاته ليست من جوهر ولا عرض

(فصل) قد تبين لك ان مثال القلب أعني اللطيفة الربانية كالملك والبدن كالولاية والقوة العقلية والفكرة كالوزير له والصفات المذمومة هي الشرطة فالقلب ما دام متمكنا من استعمال اشارة الوزير والتصرف في المملكة بحسب اشارة العقل فهو مستقيم في ولايته وان تسلطت الشهوات والصفات المذمومة على بعض اشارات العقل فذلك على خلاف العدل ونحن نضرب له مثلا آخر فنقول اللطيفة الربانية مثالها مثال الفارس الصياد والبدن مركبه والغضب والشهوة كلابه فان أذعنت له فرسه وانقاد له سباعه وكلابه تحصل على غرضه من الصيد وهو اقتناص العلوم واقتناء سعادة الابد وان كان الفرس جموحا لم تطعه أو الكلب غير معلم لم يسترسل بارساله ولم يمسك باشارته فسد الامر وامتنع المقصود ويخاف أن يستولي عليه كلبه فيأكله فضلا من أن يمتنع عليه الصيد

(فصل) اعلم أن اقتناص العلوم للقلب على مراتب منها ما يكون للعلماء فيتوسلون بالمقدمات الى النتائج وبالادلة الى المدلولات * ومنها ما يكون على سبيل الكشف والارادة من الله تعالى

أى نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله قال ويدخل فى الآية جميع من يظلم كالظالم يظلم الرعية أو
التاجر يظلم الناس فى تجارته أو السارق وغيرهم وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اذا رأيت ظالما ينتقم من
ظالم فقف وانظر فيه متعجبا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعان ظالما سلطه الله عليه وروى
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا بأهله
ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم (وحكى) عن رجل من أهل العلم أنه قال كان
عندنا رجل يعين الظلمة المكاسين ويخدمهم فمات فرأيته فى النوم فى حالة شنيعة فقلت من أين جئت
قال لا تسأل فألححت عليه فقال من الجحيم فقلت كيف لقيته قال هذا باشد يدا ونكالا عظيما فأنذر الظلمة
وحذرهم عذاب الجحيم فهذا حال أعوانهم فكيف حالهم قال الحسن من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى
الله فى أرضه وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله تعالى النقص فى أهل مملكته فى
الزرع والضرع والثمرة وكل شئ واذا هم بالعدل والخير أو عمل به أدخل الله تعالى البركة فى أهل مملكته
وقال الثورى رحمه الله لابى جعفر المنصور ان صلحت صلح الناس وان فسدت فسدوا روى الامام أحمد
باسناده انه وجد فى بعض خزائن بنى أمية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمر مكتوب عليها هذا كان ينبت أيام
العدل (حكايات) ذكرها الامام أبو حامد رحمه الله فى نصيحة الملوك (الاولى) عن ابن عباس رضى الله
عنهما أنه قال كان ملك من الملوك يخرج مستخفيا ليعلم أخبار مملكته فنزل على رجل عنده بقرة تحلب حلاب
ثلاثين بقرة فلما أصبح حدث نفسه بأخذها فلم تحلب الا الشئ اليسير الذى لا قدر له فقال له الملك ما بال
حلابها أنقص من عادتها أرعت فى غير موضعها التى كانت فيه قال لا ولكن ملكنا أظنه هم بالجور فنقص
لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الله تعالى الملك فى نفسه أن لا يأخذها ولا يظلم فراحت
بين الظعن فحلبت مثل عادتها الاولى فتاب الملك الى الله عز وجل (الحكاية الثانية) حدث عن راع كان لحمد
ابن أبى عيينة قال كان يرعى الشياه بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكانت الشياه والذئاب
والوحوش ترعى فى موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة اذ عرض الذئب لشاة فأخذها فقلنا ما نرى الرجل
الصالح الا قد هلك فى هذه الليلة قال حماد فحدثنى هو وغيره أنهم ساروا واستخبروا فوجدوه هلك فى تلك الليلة
(الحكاية الثالثة) من المشهور بأرض المغرب أن السلطان لغدان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو
وان قصبة منها تعصر قدحا وكان فى الحديقة أيضا رمان وقد ذكر عنه أيضا أن رمانة واحدة تعصر قدحا
فعزم على أخذها منها ثم أتاها وهى لا تعرفه فسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة ورمانة فلم تبلغ
كل واحدة نصف قدح فقال لها وأين الذى يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان هم بأخذها
أو عزم على ظلم فيها فارتفعت بركتها فتاب الملك فى نفسه وأخلص لله عز وجل نيته فعصرت أخرى فجاءت
ملء قدح

(فصل فيما جاء فى التشديد على قتل النفس ظلما) قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا
السبع الموبقات أى المهلكات فذكر قتل النفس التى حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الذنب
أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال أن
تزانى حليلة جارك وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول
الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال صلى الله عليه وسلم لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم لا يزال المرء فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما لفظ البخارى وقال صلى الله عليه وسلم
أول ما يقضى بين الناس فى الدماء وقال صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق

عليه وسلم اللهم ارنا الاشياء كما
هى فتنكشف لهم الحقائق
كما هى من غير توسط دليل
أو برهان أو مقدمات وهو
المراد بقوله تعالى ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك
لها وهذه الرحمة مبذولة فى
الوجود الالهى والكرم
الابدى فى القلوب المعرضة
واليه الاشارة بقوله عليه
السلام ان لربكم فى أيام
دهركم نفحات ألا فتعرضوا
لها فالتعرض هو الفلاح
والسعادة والتزكية كما قال
تعالى قد أفلح من زكاها
والاعراض هو والادبار
والشقاء بضده وقد قال تعالى
وقد خاب من دساها واذا
كان القصد الاستكشاف
من جهة العبد كان مثاله
الدعاء واستنزال الهدى
وان كان من جهة الله تعالى
من غير استنزال وسبب من
جهة العبد كان مثاله النزول
واليه الاشارة بقوله عليه
الصلاة والسلام ينزل الله
تعالى كل ليلة الى سماء
الدنيا وقوله عليه الصلاة
والسلام حكاية عن ربه
عز وجل لقد طال شوق
الابرار الى لقائى وأنا الى
لقائهم لأشد شوقا والى
طرف الاستكشاف
والتكشف الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية
عن ربه سبحانه وتعالى
من تقرب الى شبرا تقربت
اليه ذراعا وعلى الجملة فاعلم ان الجود الالهى اقتضى أن تكون السعادة مبذولة من غير بخل والكرم السرمدى اقتضى

الوالدين

الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقال الشافعي رضي الله عنه في المختصر القتل بغير حق أكبر الكبائر بعد الكفر

(كتاب آداب الصحبة وفيه ستة عشر بابا)

(الباب الاول في حسن الخلق)

قال الله تعالى انك لعلى خلق عظيم وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس الآية وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن النواس ابن سمعان رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس رواه مسلم وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وكان يقول ان من خياركم أحسنكم أخلاقا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وان الله يبغض الفاحش البذي رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح البذي الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله تعالى وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج صححه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم صححه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون حسنه الترمذي قال النووي رحمه الله تعالى الثرثار كثير الكلام تكلفا المتشدق المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه والمتفيهق أصله الفهق وهو الامتلاء وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرا وارتفاعا واظهارا للفضيلة على غيره وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق قال هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وقال صلى الله عليه وسلم لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق رواه ابن حبان

(الباب الثاني في فضل الحب في الله)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون في جلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في رواه مالك في الموطا باسناد صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث عبد أخا في الله تعالى

تعالى فطرة الله الآية وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم بعد ذلك يعترض في وسط الامرين أمور مانعة شاغلة وهي الشهوات والخبائث والشواغل فاذا رفعت الموانع رجعت الامور الى أصل مقتضياتها وانكشف للقلب جلال الله وعظمته ووصل الى سعادة الابد فبقدر ما تفرغ الاناء من شيء يتسع لغيره قال الله تعالى الربانيون والاحبار فمن حصلت له هذه السعادة صار ملكا كريما وصار ربانيا واليه الاشارة بقول علي رضي الله عنه ان لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها الى الله أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسرها فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان واليه الاشارة بقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبي ابن كعب هذا مثل نور المؤمنين وقلوبهم وأما قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن *(فصل)* اعلم أن الانسان في أصل فطرته وتركيبه قد اجتمع فيه أربعة شوائب فيه الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع ومن حيث سلط عليه

الا أحدث الله تعالى له درجة في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع الى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله عنه بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت نزولها على المرأة المضحكة بالمدينة فقالت صدق الله ورسوله سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي أحدهما وصف من الآخر وان أشكال الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا

(الباب الثالث في النصيحة للمسلمين)

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم قال العلماء أما النصيحة لله تعالى أن تؤمن بالله وتدعو الناس الى ذلك وتتمنى أن يكون الناس كلهم جميعا مؤمنين به وأما النصيحة لنبيه عليه السلام ان تصدقه بما جاء به من عند الله تعالى وتعمل بسنته وتدل الناس عليه وأما النصيحة لكتابه فهو أن تقرأه وتعمل بما فيه وتتمنى أن يقرأه جميع الناس ويعملون بما فيه وأما النصيحة للائمة أن لا تخرج عليهم بالسيف وتدعو لهم بالعدل والانصاف وتدل الناس عليه وأما النصيحة للمسلمين فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتتمنى أن يكونوا فيما بينهم على الالفة والمودة وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ستة اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم

(الباب الرابع في تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة لهم ورحمتهم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله رواه البخاري ومسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله انصره اذا كان مظلوما أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كل انسان من بني آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمائة فانه يمشي يومئذ

هاتين الصفتين فيه وتولد حب الشرف والقهر والغلبة والمكر والخديعة فغلبت عليه الشيطنة ومن حيث انه في نفسه أمر رباني كما قال تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية والاستعلاء وترك الانقياد ويفرح بما يناسب هذا الامر من المعرفة والوصف بها ويحزن بما يناقضه من الجهل والوصف به فاذا عرفت هذا فاعلم أن الاشتغال بالعبادات والمواظبة عليها القصد منه تحصيل الغرض من قهر ما لا ينبغي وابقاء ما ينبغي وسيأتي في باب رياضة النفس ذلك ان شاء الله تعالى واعلم أن العلم الصالح الحاصل في القلب ان كان بطريق التعلم وتقديم المقدمات فهو طريق العلماء وما وراءه فهو طريق الصوفية وهو بكشف ومشاهدة وذلك قسمان أحدهما مثل وقوع شيء في النفس وهو النفث في الروع واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي أحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت وقسم آخر هو من جنس الالهام وذلك أن يكشف له حقائق الاشياء ويرى الملك الموكل بها الذي منه يستفيد واعلم أن القلب اذا كان كمرآة مصقولة المجلوة وقد علمت قبل ذلك أن حقائق الاشياء منقوشة في اللوح المحفوظ ... ارتفع الحجاب وكشفت المرآة بمحاذاة اللوح المحفوظ انكشف فيه حقائق العلوم وارتفاع الحجاب وقد

تارة يكون فى النوم وتارة يكون فى اليقظة وهو المعتاد للصوفية وتارة بهبوب رياح الالطاف من غير سبب من جهة العبد

وقد زحزح نفسه عن النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال لانحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسمك فى وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ونصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تحسن محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن قلت أنا يارسول الله فأخذ بيدى وعد خمسا فقال اتق الله تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدس الله أمة ليس فيهم من يأخذ للضعيف حقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقفن أحدكم على رجل يضرب ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من حضره اذا لم يدافعوا عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشئ يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله عز وجل على رؤس الخلائق وقال عمر رضى الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه وقال ابن عباس فى معنى قوله تعالى رحماء بينهم يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده واغفر له وتب عليه

(الباب الخامس فى قضاء حوائج المسلمين)

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال رواه الطبرانى باسناد جيد وقال صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار واذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله عز وجل والناس فى الحساب وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الناس أحب الى الله قال أحب الناس الى الله أنفعهم للناس وأحب الاعمال الى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحب الى من أن أعتكف فى هذا المسجد يعنى مسجد المدينة شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ومن مشى مع أخيه فى حاجته حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الاقدام رواه الاصبهانى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس تفزع اليهم الناس فى حوائجهم أولئك هم الآمنون غدا من عذاب الله وقال صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لاخيه المسلم الى ذى سلطان فى منفعة بر أو تيسير عسير أعين على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام وقال صلى الله عليه وسلم من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم الى عياله وقال صلى الله عليه وسلم ان لله

أو استعداد فيلمع فى القلب من وراء ستر الغيب شئ من غرائب العلوم وتمام هذا الكشف بالموت فيه ارتفاع الحجاب بالكلية واليه الاشارة بقوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ويقرب من الموت تصفية الصوفية فلذلك لا يشتغلون بدراسة العلم بل يشتغلون بتصفية القلب وقطع العلائق ليكون ذلك سببا فى الاقبال على الله تعالى بالكلية ثم تفويض الامر اليه فهو أعلم بما يكشف لقلوبهم من الانوار والالطاف وهو طريق الانبياء والاولياء فانهم لم يحصلوا العلوم والحقائق بالمدارسة بل وجدوا الكنوز فاشتغلوا عن الاكتساب ومثال العلم الكسبى ومثال طريقتهم الكنز والكيميا واياك أن تترك الكسب مالم تعثر على الكنز فذلك هو الهلاك

(بيان حال القلب بالنسبة الى العلوم والفرق بين التعلم وحال الصوفية)

اعلم أن للقلب بابين باب ينفذ الى عالم الحواس وباب ينفذ الى عالم الغيب ويعرف صدق هذا القول بالتأمل فى النوم فانك ترى فيه العجائب ويظهر لك الغيب وما يكون بعد مدة مديدة وفى اليقظة انما يفتح ذلك الباب للانبياء والاولياء وذلك لمن طهر قلبه عما سوى الله تعالى وأقبل بالكلية عليه واليه الاشارة بقوله عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم يارسول الله

عباداخصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهافيهم مابذلوافاذامنعوهاحولهاعنهم وجعلهافى غيرهم وقال صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة الملهوف وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا الله قدرت الخير والشر فطوبى لمن جعلت مفاتيح الخير على يده وويل لمن جعلت مفاتيح الشر على يده وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله وقال صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر

(الباب السادس فى انظار المعسر والقرض)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت ياجبريل مابال القرض أفضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لايستقرض الامن حاجة هذا الحديث فى سنن ابن ماجه

(الباب السابع فى فضل الشفاعة)

قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها فى الصحيحين عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء وقال صلى الله عليه وسلم مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الشفاعة أن يشفع بين الاثنين فى النكاح قال النووى رحمه الله أجمع العلماء على تحريم الشفاعة فى الحد بعد بلوغه الى الامام للاحاديث وعلى أنه يحرم التشفع فيه فأما قبل بلوغه الى الامام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس فان كان لم يشفع فيه وأما المعاصى التى لاحد فيها وواجبها التعزير فيجوز الشفاعة فيها والتشفع فيها سواء بلغت الامام أم لا لانها أهون ثم الشفاعة فيها مستحبة اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه

(الباب الثامن فى فضل الاصلاح بين الناس)

قال الله تعالى لاخير فى كثير من نجواهم الامن أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس وقال تعالى انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل فى دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله معنى يعدل بينهما يصلح بينهما بالعدل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب مكتوب الا أن يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة اصلاح ذات البين

(الباب التاسع فى الاحسان الى المستضعفين من المؤمنين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لايرحم لايرحم وقال صلى الله عليه وسلم لاتنزع الرحمة الامن قلب شقى وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وماغضب الله عز وجل على قوم الانزع منهم الرحمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا عن الله مهلا فانه لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع

سوى ما يحبه ويشتهى بعد أحد أى شئ أريد أن أعطيه ثم قال عليه السلام أول ما أعطيهم أن أقذف نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم فاذا مدخل هذا كله هو الباب الداخل من القلب الذى ينفذ الى عالم الغيب وهو عالم الاله وقد قال بعضهم من القلب الى الغيب روزنة ونحن نبين الفرق بين التعلم والتصوف بمثل فى حكاية قد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن النقش والصور فاستقرر أى الملك على أن يسلم اليهم صفة تنقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق منهم على صاحبه ففعل ذلك وجمع أهل الروم غرائب الاصباغ ودخل أهل الصين يصقلون جانبهم فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين انهم أيضا قد فرغوا فتعجب الملك منهم وقال كيف فرغتم من النقش ولم تأتوا بشئ من الاصباغ فقيل ما عليكم من ذلك ارفعوا الحجاب وتأملوا ففعل ورفع الحجاب فاذا عجائب الاصباغ والالوان والنقوش تزهو وتتلألأ بزيادة بريق وصفاء اذ كانوا هم يصقلون مادام

غيرهم ينقش فالصوفية يصقلون والعلماء ينقشون فماينكشف للعلماء ينكشف لهم بزيادة ووراء مايحصل للعلماء ينكشف اصب

اصب عليكم العذاب صبا وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا من أجل سنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وقال يا أمة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم والذي نفسي بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة رواه الطبراني ورواته ثقات وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وقال صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن أصبعيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر و يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حرم الله على كل آدمي دخول الجنة قبلي غير أني أنظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني الى باب الجنة فأقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر وفي الصحيحين عنه أيضا صلى الله عليه وسلم انه قال من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار وقال صلى الله عليه وسلم من عال ثلاث بنات أو مثلهن من الاخوات فادبهن ورحمهن حتى يغنيهن الله أوجب الله له الجنة فقال رجل يا رسول الله أو اثنتين قال أو اثنتين حتى لو قال أو واحدة لقال أو واحدة وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعني الذكور أدخله الله الجنة و يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ان أرشدت أعمى نخذ بيده اليسرى بيدك اليمنى فانها صدقة يا أبا هريرة من مشى مع أعمى ميلا فرشده كان له بكل ذراع من الميل عتق رقبة يا أبا هريرة أتريد أن يكون أجرك كأجر شهيد ببدر فانظر رجلا مسلما ليس له ثوب يجمع فيه الجمعة فأعره ثوبا أو هبه له وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة احبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة وروى الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا الى من أطعمكم كسرة وكساكم ثوبا أو سقاكم شربة في الدنيا فخذوا بيده ثم أفيضوا به الى الجنة قال أبو الدرداء رضي الله عنه أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال أوصاني أن أنظر الى من دوني وأوصاني بحب المساكين والتقرب منهم وأوصاني أن أصل رحمي وان أبعدت وان أقول الحق وان كان مرا وأن لا أخاف في الله لومة لائم وأن لا أسأل شيأ وأن أستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنوز الجنة وقال عليه السلام ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب و به زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز وتكرهه فما مات ذلك حتى كانت به زمنة مثلها وروى انه كان عليه الصلاة والسلام يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل

أنور لا يتصور الوصول اليها بتكلف التعليم واليها الاشارة بقوله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر و بقوله أيعلم أحدا اذا واجهته بوجهي أي شيء أريد أن أعطيه وذلك هو الخبايا المرادة بقوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم فبعد ذلك لا يموت قلبه قال الحسن التراب لا يأكل محل الايمان فيكون اذ لكل أحد الاجر على قدر النصب فالمؤمنون يسعون بانوارهم الى لقاء الله تعالى والى هذا الاشارة بقوله عليه السلام ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل و بعضهم يعطى أصغر حتى يكون آخرهم رجل يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة و يطفأ مرة فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ أقام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي أعطى نوره على ابهامه يحبو على وجهه و يديه ورجليه يجر يده و يتعلق بأخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث وبهذا تتفاوت درجات الايمان قال عليه السلام لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم لرجح وهذا أيضا كقول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان الناس كالسرج والشموع وايمان الاولياء كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس

(فصل) في الدلالة على صحة طريق

لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني أن نبيا من الانبياء قال يارب كيف لى ان أعلم رضاك عني قال الله انظر كيف رضا المساكين عنك ويروى أن موسى عليه السلام قال الهي أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وذكر أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل ان عبد الله بن أم مكتوم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل والعباس وأبي بن خلف وأخاه أمية يدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذي يكلمهم فأنزل الله عبس وتولى الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قوله تعالى عبس كلح وتولى أعرض أن جاءه الاعمى هو ابن أم مكتوم وما يدريك لعله يزكى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك أو يذكر يتعظ فتنفعه الذكرى الموعظة أما من استغنى قال ابن عباس رضي الله عنهما عن الله وعن الايمان بماله من المال فأنت له تصدى تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه وما عليك أن لا يزكى لا يؤمن ولا يهتدي ان عليك الا البلاغ وأما من جاءك يسعى يمشي يعني ابن أم مكتوم وهو يخشى الله عز وجل فأنت عنه تلهى تتشاغل وتعرض عنه كلا زجر أي لا تفعل بعدها مثلها انها يعني هذه الموعظة تذكرة موعظة وتذكير للخلائق وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير ولا تصدى لغني

(الباب العاشر في السلام ونحوه وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول في السلام) قال الله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة وقال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام صححه الترمذي وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا لقى أحدكم أخاه المسلم فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه رواه أبو داود وعن أنس رضي الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني اذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فاذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم رواه البخاري ومسلم وعن أسامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الاولى بأحق من الآخرة رواه أبو داود والترمذي وقال

[illegible] المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق فوالله انه لحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال عليه السلام ان من أمتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين وعلى الجملة من رأى في عمره ولو مناما واحدا صحيحا استغنى عن البراهين والاخبار والآثار والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى

(فصل) واعلم أن القلب بابا ينفذ فيه الشيطان في مقابلة بابه النافذ الى عالم الغيب وللشيطان لمة كما أن للملك لمة والصفات المذمومة مداخل الشيطان الى القلب فبقدر رفع جميع تلك الصفات تضيق مجارى الشيطان أو تنسد وبقدر اهمالها تتسع تلك الابواب على الشياطين والمنافذ وأنت بين أن تسد هذا الباب فيكون القلب محل الحكمة ومهبط الملائكة وبين أن تهمله فيكون القلب معشش الشياطين وجميع هذه الابواب التي ستأتي من بعد هذا الباب في قمع الشهوات وتخلية القلب عنها فهم تعلم والله أعلم بالصواب

(الباب الثاني والعشرون في رياضة النفس وفيه فصول) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر اعلم أن النفس لها رذائل لا بد من تنقيتها وصفات فبذلك تصل

حديث حسن وقال جابر رضي الله عنه وقتادة والضحاك في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم هي في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فسلم فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أن الملائكة ترد عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله

(الفصل الثاني في الاستئذان) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجع وقال صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون وقال صلى الله عليه وسلم لوان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما عليك جناح

(الفصل الثالث في تشميت العاطس) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان فاذا تثاوب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا تثاوب ضحك منه الشيطان رواه البخاري قال العلماء العطاس سببه محمود وهو خفة الجسم التي تكون لقلة الاخلاط وتخفيف الغذاء وهو أمر مندوب اليه لانه يضعف الشهوة ويسهل الطاعة والتثاؤب بضد ذلك والله أعلم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم رواه البخاري وعن أبي موسى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فان لم يحمد الله فلا تشمتوه رواه مسلم وقال أبو عاصم العبادي فان لم يسمع حمده قال يرحمك الله ان حمدته وقال أبو عاصم أيضا ولو عطس ولم يكن عنده أحد قال الحمد لله يرحمني الله قال النووي رحمه الله أجمعت الامة على أن التشميت مشروع ثم اختلفوا في ايجابه فأوجبه أهل الظاهر وابن مريم من المالكية على كل من سمعه لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته قال القاضي والمشهور من مذهب مالك انه فرض كفاية قال وبه قال جماعة من العلماء كرد السلام ومذهب الشافعي وأصحابه وآخرين أنه سنة وأدب وليس بواجب ويحملون الحديث على الندب والادب لقوله صلى الله عليه وسلم حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام قال القاضي قال بعض شيوخنا وانما أمر العاطس بالحمد لما حصل له من المنفعة بخروج ما اختنق في دماغه من الابخرة

(الفصل الرابع في المصافحة) عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا رواه أبو داود

(الفصل الخامس في النهي عن التهاجر والتقاطع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا رواه مسلم قال النووي رحمه الله قال الباجي معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل واعطاء الثواب الجزيل قال القاضي عياض ويحتمل أن يكون على ظاهره وان فتح أبوابها علامة لذلك قال الغزالي رحمه الله الهجران فوق ثلاثة جائز في موضعين أحدهما أن يرى استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني أن يرى لنفسه فيها سلامة

(الباب الحادي عشر في عيادة المريض)

في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض

الى سعادة الابد وجوار الله تعالى وقد عرفت مما سبق (فضيلة حسن الخلق) قال صلى الله عليه وسلم ان حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عبد الرحمن ابن سمرة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق فأدخله على الله تعالى

(فصل) في بيان حسن الخلق والخلق أي حسن الظاهر والباطن فحسن الظاهر هو الجمال كما عرفت وحسن الباطن هو غلبة الصفات الحميدة على المذمومة والتفاوت في الباطن أكثر من التفاوت في الظاهر واليه الاشارة بقوله تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي نبه على أنه صورة ظاهرة مركبة من التراب وصورة باطنة من عالم أمر الله تعالى فنعني بحسن الخلق حسن صورة الباطن فبقدر ما ينمحي عنه من الصفات المذمومة يثبت بدلها من الصفات المحمودة وهو حسن الخلق كرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نال في هذا المعنى درجة الكمال وقد قال عليه السلام حسنوا أخلاقكم نبه على قبولها التغيير وانفعالها تحت التصرف فعليك بالصبر في اذعان الغضب والشهوة والشره وجعل هذه داعية لاشارة الشرع فاذا فعلت ذلك فقد حصل الغرض وذلك بالمجاهدة والصبر على ما تكره ليصير بعد ذلك عادة قال صلى الله ع

[illegible] فصلا صحبا بجوادا فيتعود ذلك بالتكلف وكذلك لو لم يخلق بتواضعها

واتباع الجنائز وتشميت العاطس وابرار المقسم ونصر المظلوم واجابة الداعى وافشاء السلام وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخاله فى الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعود مسلما غدوة الا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وان عاده عشية الا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة حسنه الترمذى قال النووى رحمه الله الخريف التمر المخروف أى المجتنى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له فى أجله فان ذلك لا يرد شيأ و يطيب نفسه وقال أنس رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده فقال هل تشتهى شيأ تشتهى كعكا قال نعم فطلبه له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم و يسقيهم وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فان دعاءه كدعاء الملائكة

(الباب الثانى عشر فى بر الوالدين وصلة الارحام)

قال الله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما أى حسنا جميلا لينا قليلا لا تسميهما ولا تكنهما وقل يا أباه و يا أماه وقيل اذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما أف حتى تميط عنهما البول كما كانا يميطان عنك صغيرا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أى ألن جانبك لهما واخضع من الرحمة أى الشفقة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا أى اذا كانا مسلمين لقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ربكم أعلم بما فى نفوسكم من بر الوالدين وعقوقهما ان تكونوا صالحين أبرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك فانه كان للأوابين بعد المعصية غفورا والأواب الرجاع الى الخير عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله رواه البخارى ومسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك رواه البخارى ومسلم وفى رواية يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك قال النووى رحمه الله الصحابة بمعنى الصحبة قال وقوله أباك هكذا هو منصوب بفعل محذوف اى ثم بر أباك وفى رواية ثم أبوك وهى أوضح قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له فى رزقه و ينسأ له فى أثره رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله معنى ينسأ له فى أثره أى يؤخر له فى أجله وعمره فليصل رحمه قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله اختلفوا فى زيادة العمر فقال بعضهم الخبر على ظاهره ان من يصل رحمه يزاد فى عمره وقال بعضهم لا يزاد فى الاجل الذى جعل الله تعالى لان الله تعالى قال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن معنى زيادة العمر أن يكتب ثوابه بعد موته فكأنه زيد فى عمره قال والصحيح ان هذه الزيادة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها رواه البخارى قال النووى رحمه الله قطعت بفتح القاف والطاء ورحمه مرفوع وقال صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله رواه البخارى ومسلم وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم رواه البخارى ومسلم قال ابن الملقن اختلفوا فى حد الرحم التى يجب صلتها فقيل فى كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الاعمام وأولاد الاخوال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فى النكاح ونحوه وجوز ذلك فى بنات الاعمام

يدل على عدم التكلف الى أن يتعود ذلك وكذا سائر الصفات يعالجها بضدها الى ان يحصل الغرض فالمداومة على العبادات بمخالفة الشهوات بحسن صورة الباطن و يحصل الانس بالله تعالى قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كبير ففى الابتداء اعتبر الرضا اذ أصل الفطرة تقتضى حسن صورة الباطن واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الحسنة بعشر أمثالها اذ هى موافقة أصل الفطرة و بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق أما قد عرفنا أن المعالجة فى مرض البدن أن يقابل الشئ بضده وكذلك فى مرض القلب وذلك يختلف باختلاف الاشخاص اذ الطباع مختلفة والشيخ فى قومه كالنبى فى أمته وهو ينظر فى حال المريد فيعلم ما يغلب عليه من الصفات وما ينبغى أن يعالج به فيشرع فى ابتداء أمره بالعبادات وتنظيف الثياب وتطهيرها والمواظبة على الصلوات وذكر الله تعالى فى الخلوات فذلك تطهير [illegible] به الكلمة [illegible] فى [illegible] وان كان معه فضل [illegible] ذمه وصرفه الى [illegible] فرغ قلبه وكونه [illegible] قلبه هو الاصل ثم فراغ قلب غيره و بابه [illegible] عادة باهمهم فيتيسر

الاعمام والاخوال وقيل هو عام في كل رحم من الارحام في الميراث يستوى فيه المحرم وغيره ويدل عليه قوله عليه السلام ثم أدناك أدناك قلت وروى اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما أخرجه مسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كانت تحتى امرأة وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم طلقها رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رجلا أتاه فقال ان لي امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه صححه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم الخالة بمنزلة الام صححه الترمذي وقال رجل يارسول الله انى أصبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وقال صلى الله عليه وسلم أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه رواه مسلم وروى أبو داود ان رجلا من بني سلمة قال يارسول الله هل بقى من بر أبوى شئ أبرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله قوله منعا معناه منع ما وجب عليه وهات طلب ما ليس له ووأد البنات دفنهن في الحياة وقيل وقال معناه الحديث بكل ما يسمعه فيقول قيل كذا وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته ولا يظنها وكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع واضاعة المال تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا وترك حفظه مع امكان الحفظ وكثرة السؤال الالحاح فيه بلا حاجة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد وقال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت أقدام الامهات وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مؤمن بسحر وذكر أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن أنس رضي الله عنه أن شابا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة فمرض واشتد مرضه فقيل له قل لا اله الا الله فلم ينطلق لسانه فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل له أبوان فقيل أما أبوه فقد مات وله أم كبيرة فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فسألها عن حاله فقالت يارسول الله كان يصلي كذا وكذا وكان يصوم كذا وكذا وكان يتصدق بجملة دراهم ما ندري ما وزنها ولا عددها قال فما حالك وحاله قالت يارسول الله أنا عليه ساخطة واجدة قال لها ولم ذلك قالت كان يؤثر على امرأته ويطيعها في الاشياء على رسول الله صلى الله عليه وسلم سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا اله الا الله ثم قال لبلال انطلق واجمع حطبا كثيرا حتى أحرقه بالنار فقالت يارسول الله ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار بين يدي وكيف يحتمل قلبي ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع بصلاته ولا بصدقته ولا بصومه مادمت عليه ساخطة فرفعت يدها وقالت أشهد الله تعالى في سمائه وأنت يارسول الله ومن حضر أني قد رضيت عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول لا اله الا الله فلعل أمه تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بلال فلما انتهى الى الباب سمع علقمة يقول لا اله الا الله ومات من يومه وغسل وكفن وصلى عليه ثم قام على شفير القبر وقال يا معشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ولا يقبل منه صرف ولا عدل يعني الفرائض والنوافل وعن العوام بن حوشب قال نزلت مرة حيا والى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق

والجود بوسيلة الرياء ليترك البخل وحب الدنيا وجمعها ويترك استعمال الغضب والشهوة للعمد على العفة والسداد ثم بعد ذلك يتوجه الى الرياء فيقمعه بقوة دينه التي حصلت في مدة الرياضة والاقبال على الله تعالى وبالمعالجة بالجد على النفس وقد حكى أن بعض الشيوخ كانت نفسه تكسل عن قيام بعض الليل فألزمها القيام على الرأس مدة فرضيت بالقيام على الرجل واغتنمت

(بيان معرفة عيوب النفس)

قال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ولهذه المعرفة طرق أعلاها أن يجلس بين يدي شيخ من مشايخه ويشتغل بما يأمره فعند ذلك ينكشف له تارة وتارة يكشفه له شيخه وهذه أعلى الطرق وأولاها الا أنه قد عز في هذا الزمان هذا الطريق وطريق الاخوان أن يطلب رفيقا صالحا عالما بأسرار هذا الامر فيصحبه ويجعله رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وينبهه على عيوبه فهكذا كان يفعل الاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان رضي الله عنه لما قدم عليه وقال له ما الذي بلغك عني فيما أكره فاستعفى وألح عليه فقال سمعت انك جمعت ادمين على مائدة وان لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار وقال

منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة أترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هذا قلت وما كانت قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه يا بني اتق الله الى متى تشرب هذا الخمر فيقول لها انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر رواه الاصبهاني وعن وهب بن منبه أن الله تعالى قال يا موسى وقر والديك فانه من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولدا يبره ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولدا يعقه وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى أن اشكر لي ولوالديك من صلى الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكرهما ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده

(قصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى عليه السلام يدعي عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى عليه السلام قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكان تحته حكمة وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم اني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته فكان يقسم الليلة ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها تخيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها فقال أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن يقتلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه فأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن الستة على أن أستأمرها فقال الملك فاني أعطيتك اثني عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك في صورة

...فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة رضي الله عنه وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين هل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كان يتهم نفسه فان لم تجد رفيقا فاصغ الى قول فلا تعدم حاسدا يطلب معايبك ويزيد فاستفد منه واتهم نفسك في كل ما ترمى به من العيوب ولا يغضب ولا تحرد اذا نبهك انسان على عيب من العيوب فان العيوب حيات وعقارب تلدغك في الدنيا والآخرة فمن نبهك على ان حية في ثيابك تلدغك واقبل منه المنة فان حردت دل على ضعف ايمانك بالآخرة واذا اغتنمت ذلك دل على قوة ايمانك واعلم أن عين السخط تبدي المساوي فقوة الايمان تفيدك هذه الفائدة وهي أن تغتنم عذل الحسود وتعييره اياك قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته

(فصل) اعلم أن من كرامات الله تعالى اذا ما نتحت لك عين تنتفع بها فلا تزرق نعمة لا أقل من الايمان والتصديق فالاول هو الايمان ثم الوصول قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فالتقوى رأس المال في تحصيل هذه الاعمال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال ان امرأة العزيز بزوات ليوسف عليه السلام يوسف ان الحرص والشهوة

آدمي ليجربك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فأمسكوها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فمازالوا يتواصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأمر قومه أن يضربوا القتيل ببعضها واختلف المفسرون في ذلك البعض فقال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال سعيد بن جبير بعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها قال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام ففعلوا ذلك فقام القتيل حياً باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة واسم القتيل عاميل والله أعلم

(الباب الثالث عشر في حقوق الاولاد وحث الآباء على تأديبهم)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته وأهليكم ناراً يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك ناراً وقودها الناس والحجارة يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما نحل الوالد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن وقال صلى الله عليه وسلم مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته رواه البخاري ومسلم قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا واعدلوا بين أولادكم وقال صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال صلى الله عليه وسلم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم وقال صلى الله عليه وسلم ان أحب أسمائكم الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم لا تسمين غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح فانك تقول أثم هو فلا يكون فتقول لا (وحكى) الغزالي رحمه الله عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية انه قال بلغني أن السقط يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتني وأنت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف ولا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعنبسة وذكر أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء أن يحسن اسمه اذا ولد ويعلمه الكتاب اذا عقل ويزوجه اذا أدرك قال أبو الليث السمرقندي وجاء رجل بابنه الى عمر رضي الله عنه فقال ابني هذا يعقني فقال عمر رضي الله عنه للابن أما تخاف من عقوق والدك فان من حق الوالد كذا وكذا فقال الابن يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق قال نعم عليه أن ينتخب أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب قال فوالله ما انتخب أمي ما هي الا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ولا أحسن اسمي سماني جعلاً ولا علمني من كتاب الله آية واحدة فالتفت عمر الى الأب وقال تقول ابني يعقني وقد عققته قبل أن يعقك قم عني (وحكى) أبو الليث أن رجلاً جاء الى بعض العلماء فقال ان ابني يضربني قال سبحان الله الابن يضرب أباه قال نعم ضربني فأوجعني فقال له هل علمته الادب والعلم قال لا قال وهل علمته القرآن قال لا قال وأي عمل يعلمه قال الزراعة قال هل علمت لاي شيء ضربك قال لا قال فلعله حين أصبح وتوجه الى الزراعة وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه والكلب خلفه وهو لا يحسن القرآن فعرضت له في ذلك الوقت فظن انك بقرة

صبر الملوك عبيداً والصبر والتقوى صير العبيد ملوكاً فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين

وقال الجنيد رضي الله عنه أرقت ليلة فقمت الى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فقعدت فلم أطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد قال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك الى قلبك فقلت فقد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه وقال اسمعي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت الا أن تسمعيه من الجنيد قال فانصرف وما عرفته

(بيان علامات حسن الخلق) قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال تعالى التائبون العابدون وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً الآية ومن الناس من يكفيه في ذلك أدنى شيء لما اتفق له في ابتداء نشوه من رعاية مشفق كما نقل عن سهل التستري أنه قال كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم أنظر الى خلوة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوماً ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك

ثم قال لي قل في قلبك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته

فاحمد الله تعالى حيث لم يكسر رأسك

(الباب الرابع عشر في حقوق الجيران والوصية بهم والنهي عن ايذائهم)

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور وقال النووي وفي معنى لا يدخل الجنة جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا أحدهما انه محمول على من يستحل الايذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلا والثاني معناه جزاؤه لا يدخلها وقت دخول الفائزين اذا فتحت أبوابها بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره ثم يقول أبو هريرة مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله روي خشبه بالاضافة وخشبة بالتنوين على الافراد وقوله مالي أراكم عنها يعني عن هذه السنة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت رواه البخاري ومسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لاصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يارسول الله فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها سليطة قال لا خير فيها هي في النار وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لي ان أعلم اذا أحسنت أو اذا أسأت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا أظهره ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك له حق الجوار وذكر في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون ما حق الجار قال ان استغاث بك أغثته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجز عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله ويقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني قال الغزالي رحمه الله شكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي وقال صلى الله عليه وسلم أربع من السعادة المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني وأربع من الشقاوة الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق رواه ابن حبان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس قال الغزالي رحمه الله يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن

فقال لي قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما ياسهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده كيف يعصيه اياك والمعصية فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي الى الكتاب فقلت اني لاخشى أن يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أن يبعثوني الى البصرة أسأل عنها علماءها فلم يشف أحد عني شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العبادي فسألته عنها فأجابني وأقمت عنده أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشترى لي بدرهم من شعير فرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت أن جوار

جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جواره وتين الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته

(الباب الخامس عشر في حقوق المماليك وفضل الاحسان اليهم)

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا الى قوله وما ملكت أيمانكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فانه ولي حره وعلاجه رواه البخاري الأكلة بضم الهمزة هي اللقمة وقال صلى الله عليه وسلم ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجرا في موازينك وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلوا فانه أطيب لنفسه وفي الصحيحين عن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية هم اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله فانه أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيأ قال لم فعلت ذلك قالت أردت الراحة منك قال اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وقال صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لابيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى وقال مجاهد رحمه الله كان لقمان عليه السلام عبدا حبشيا نجارا وقيل خياطا وقيل راعيا فروى أنه كان يتكلم بالحكمة فقال له رجل ألست فلانا الراعي قال نعم قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل من حكمته ان مولاه دفع اليه شاة وقال اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فدفع اليه شاة أخرى فقال اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا قال الامام أبو حامد رحمه الله تعالى في معالم التنزيل اتفق العلماء على أن لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وروى أنه خير بين النبوة والحكمة وروى أنه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك في أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه ان فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقيل له لم ذلك قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل جانب ان أصاب فبالحري أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن خير الدنيا على الآخرة فتنته الدنيا ولا يصيب الآخرة ثم نام فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها وهو لقمان بن باعور بن باحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل بعث داود فلما بعث ترك الفتيا فقيل له في ذلك قال ألا أكتفي اذا كفيت قيل ان ابن لقمان واسمه أنعم وقيل مشكم قال لابيه يا أبت اذا عملت خطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير قال ابن عباس في صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقوله ان الله لطيف أي باستخراجها خبير لمكانها وفي بعض الكتب أن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات

(الباب السادس عشر في فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مولاه والتحذير من الاباق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المملوك الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي الى سيده الذي عليه من الحق

أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الارض ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليلة كلها فالموفق هو الله تعالى القوي الكريم (بيان شروط الارادة) اعلم أن من يريد حرث الآخرة فعلامته الاقلاع عن حرث الدنيا فمن شاهد الآخرة مشاهدة يقين فعلامته استحقار الدنيا فمن شاهد الجوهر النفيس وفي يده خرزة لم يتوان في بيع هذا بذاك ومن لم يفعل فذلك لعدم الايمان بالله واليوم الآخر فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان في الظاهر عدم الهدى الى طريقه فمن تنبه من نفسه أو من غيره فله شروط لا بد من تقدمها (الشرط الاول) رفع الحجاب والسد وهو أربع المال والجاه والخلاص عنه بالبعد عن الوطن وباشهار التواضع والخمول والاقبال على ما يذهب بالجاه والتقليد ويرتفع بأن يترك تعصب المذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض في تحقيقه بالاقبال على أعماله المصدقة المحققة له ورفع الآلهة كلها من الهوى والدنيا وجميع ما تركن اليها النفس فعند ذلك يقبل على الله بكنه همته ويداوم على ذكره فينكشف له الاعتقاد الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا

والنصيحة والطاعة له أجران رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران رواهما البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أبق العبد لم تقبل له صلاة رواه مسلم قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم حسنة العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو

(باب العزلة والتحذير من الفتن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي رواه مسلم المراد بالغني غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخاري شعف الجبال أعلاها وقيل يا رسول الله أي الناس خير قال رجل يجاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال عليه الصلاة والسلام ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر وقال صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله وما الهرج قال القتل وقيل معنى تقارب الزمان قصر الاعمار وقلة البركة فيها وقيل هو دنو زمان الساعة وقيل هو قصر مدة الايام على ماروي أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحراق السعفة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال حماد بن سلمة سألت أبا سنان عن قوله يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر قال وذلك من استلذاذ العيش قال الخطابي يريد والله أعلم زمان خروج المهدي ووقوع الأمنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وان طالت ويستطيلون مدة أيام المكروه وان قصرت قاله القرطبي رحمه الله في التذكرة وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل فقيل كيف يكون ذلك قال الهرج القاتل والمقتول في النار وقال صلى الله عليه وسلم ان بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والماشي خير من الساعي فكسروا فيها قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة والزموا فيها أجواف بيوتكم فان دخل على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه فظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره فظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها واذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين الا البلاء وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال

هذه الامور الاربعة سار كمن توضأ ورفع الحدث والخبث وستر العورة واستعد للصلاة فعند ذلك لابد له من شيخ سالك طريق الآخرة لنفسه حتى يهتدي به وعند ذلك يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل لا يتحرك لنفسه بل يقلبه الغاسل كيف شاء وعند هذا يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام فلا يعترض على شيخه بحال من الاحوال وعند ذلك يؤمر بأربعة أشياء بالخلوة والصمت والجوع والسهر فالجوع مراد لتقليل دم القلب ففيه بياضه ونوره والذوبان الفؤاد وفيه رقته وهي مفتاح المكاشفة كما أن القسوة التي هي ضد الرقة سبب الحجاب والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ضيقي مجاري الشيطان بالجوع وقال عيسى عليه السلام لحواريين جوعوا ابطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل رضي الله عنه صار الابدال ابدالا الا بأربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس أما السهر فانه أيضا يجلو القلب فينوره والجوع يعين على السهر ويتعاضدان في تنوير القلب والنوم يقسي القلب

ابراهيم الخواص اجتمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء

اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قلنا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترو اقبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وقال الفضيل بن عياض رحمه الله كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال الحسن رضي الله عنه كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروأته صبر قليلا فتمتع طويلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال ألك حاجة قال نعم قال لاتراني ولا أراك قال الغزالي رحمه الله كل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا وكان الفضيل رحمه الله يوما جالسا في المسجد الحرام فجاء اليه أخ له فقال له ماجاء بك فقال المؤانسة يا أبا علي فقال والله هي بالمواحشة أشبه هل تريد الا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك اما ان تقوم عني واما أن أقوم عنك قال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حال حياته وفي المنام بعد مماته أقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا أحسب رأيت ما أكره الا ممن عرفت قال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت الحقوق عسر القيام بالجميع وقال موسى عليه السلام يارب احبس عني ألسنة الناس فقال هذا شيء لم أصطفه لنفسي فكيف أفعله بك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى يايونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة للقرناء فكن بين المنقبض والمنبسط وكان سفيان الثوري يقول هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهور بين هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ولابي سليمان الخطابي في هذا المعنى

أنست بوحدتي ولزمت بيتي * فدام الانس لي ونمى السرور
وأدبني الزمان فلا أبالي * هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل مادمت حيا * أسار الجيش أم ركب الامير

(باب آداب السفر)

عن كعب بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة تبوك يوم الخميس رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لامتي في بكورها وكان اذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار حسنه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلمون من الوحدة ما أعلم ماسار راكب بليل وحده رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاث في سفر فليؤمروا أحدهم رواه أبو داود باسناد حسن وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل رواه أبو داود باسناد حسن الدلجة السير بالليل وقال صلى الله عليه وسلم لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والاهل واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون رواه مسلم قال النووي رحمه الله تعالى معنى مقرنين مطيقين والوعثاء بفتح الواو واسكان العين وبالثاء المثلثة وبالمد وهي الشدة والكآبة بالمد وهي تغير النفس من حزن ونحوه والمنقلب المرجع وقال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى أحدكم نهمته من السفر فليعجل الى أهله رواه البخاري ومسلم ونهمته مقصوده وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن

وأما الصمت فيتيسر بالعزلة والخلوة وشره الكلام الى القلوب خصوصا لمن ذاق شيأ من العلم عظيم والفطام عنه شديد لكنه كثير الفائدة وعزيز الجدوى فيه يتوجه الباطن الى الغيب ويعرض عن هذه الحياة الدنيا وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل ليتفرغ للمقصود اذ لابد من ركود حواسه حتى يتحرك قلبه وذلك بالخلوة فحسب ثم الاولى أن يكون في بيت مظلم حتى لايقع بصره على شيء يشغله فان لم يكن مظلما فيلف رأسه في شيء أو يغمض عينيه فعند ركود الحواس يسمع ويشاهد جمال الحضرة الربوبية ألا ترى انه نودي عليه السلام ياأيها المزمل ياأيها المدثر فاذا فعل ذلك من الجوع والخلوة والسهر والصمت فليلقن ذكرا من الاذكار وهو أن يجلس في زاوية بيت على الوضوء مستقبل القبلة فيقول بلسانه الله الله لايزال يقوله كذلك ويحضر القلب والحواس كلها لاستماع الكلمة من اللسان ويواظب عليه الى أن يسقط عنه حركة اللسان بالتكلف فيصير بحيث تجري على لسانه من غير اختيار ثم يرجع من اللسان الى القلب وهو كلما سكت القلب عن أداء الذكر أداه اللسان فاذا أخذ القلب في الذكر سكت اللسان ولا يزال كذلك الى أن ينمحي عن القلب الحروف ويبقى ذكر صاف عري عن الحروف ثم يرتفع عن الذكر فيصير حاله

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة الامع ذي محرم عليها رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله في فتاويه يستحب للمسافر حمل هدية الى أهله وممن ذكره من العلماء القاضي أبو الطيب في تعليقه في آخر كتاب الحج واحتج له بحديث عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قدم أحدكم من سفره فليهد الى أهله وليطرفهم ولو كان حجارة رواه الدارقطني في آخر كتاب الحج (حرز المسافر) من كتاب الغنية تصنيف الشيخ الامام العارف شيخ الطريقة عبد القادر الجيلي رحمه الله اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجاؤنا ان شاء الله وحده وعن عثمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال حين يصبح باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي ومن قالها حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح وعن أبي يوسف الخراساني عن سعيد أبي الرجاء قال ضللت بطريق مكة في بعض الليل فسمعت حسا خلفي فاستوحشت منه فسمعته يقرأ القرآن فلحقني فقال أحسبك ضالا فقلت نعم فقال ألا أعلمك شيأ اذا قلته وأنت ضال اهتديت أو مستوحش استأنست أو أرقت نمت قال قلت نعم قال قل باسم الله ذي الشأن العظيم البرهان الشديد السلطان كل يوم هو في شأن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ماشاء الله كان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقلتها فاذا أصحابي قريب مني فطلبت الرجل فلم أصبه الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيأ مذكورا اللهم أعني على أهاويل الدنيا ونوائب الدهور ومصائب الليالي والايام واكفني شر ما يعمل الظالمون اللهم في سفري فاصحبني وفي أهلي فاخلفني وفيما رزقتني فبارك وفي نفسي فذللني وفي أعين الناس فعظمني وفي خلقي فقومني واليك يارب حببني أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين أن لا تحل علي غضبك وتنزل سخطك فيما استطعت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة الا بك اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب ومن الحور بعد الكور ودعوة المظلوم اللهم اطو لنا الارض وهون علينا السفر اللهم أسألك بلاغا يبلغ خيرا ومغفرة ورضوانا أسألك الخير انك على كل شيء قدير عن الحسن قال كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يتجر بمال له ولغيره فلقيه لص فقال له ضع مامعك فاني قاتلك قال ماتريد من دمي خذ المال قال أما المال فلي ولست أريد الا دمك فقال دعني أصلي أربع ركعات فقال صل ماشئت فصلى وكان من دعائه في آخر سجدة ياودود يا ذا العرش المجيد يافعالا لما يريد يامبدئ يامعيد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يامغيث أغثني ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة فطعن بها اللص فقتله فقال الرجل من أنت فقد أغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت الله بدعائك الاول فسمعت لأبواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله أن يوليني قتله قال الحسن رحمه الله فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب

(كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه أبواب)

(الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان فضل ذلك)

قال الغزالي رحمه الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وظهر الفساد وخربت البلاد قال الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وفي هذه الآية دليل على أن ذلك واجب فان قوله ولتكن أمر وظاهره الايجاب

كلمات ويخطها الخ ... الوقائع فيذكرها الشيخ وهو يرى في تلك الوقائع ما سيجري عليه من الصفاء والكدورة و يجدد عليه من حالات ووساوس والاحوال الصعبة لا يمكن أن يحلها بنفسه بل يلقيها الى الشيخ فهو أعلم بذلك وهو على جميع الاحوال مادام عالما بوجود نفسه عليه بالذكر قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فاذا غلب عليه وسوسة أو خاطر سوء فمادام غائبا لا يدري ما يجري عليه فلا حرج عليه فاذا ثاب الى نفسه ورجع الى عقله يرجع الى الذكر قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ويلازم الذكر طول العمر فعساه أن يرزق أو يكون من الذين تكشف لهم الحقائق ويرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان لم يكشف له شيء فليداومه عند ظهور ناصية ملك الموت عليه السلام يكشف له ذلك ويصل الى المقصود ان شاء الله تعالى فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الثالث والعشرون في كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وفيه فصول)

اعلم أن منشأ جميع الآفات شهوة البطن ومنها تنشعب شهوة الفرج ومما أصيب آدم عليه السلام أخرج من الجنة وهي التي تنهى بالرجل الى أن يطلب الدنيا او يرغب فيها وفيها

وفيها بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين لانه قال ولتكن منكم أمة ولم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف فاذا قام به من يكفي سقط عن الباقين واختص الفلاح بالقائمين والمباشرين له وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية قال الغزالي رحمه الله قد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون قال الغزالي وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا يا رسول الله وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله يدخل في كف الاذى اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا اذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو النساء ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسببهم ولا يجدون طريقا آخر وكذا لو جلس بقرب دار انسان يتأذى بذلك أو حيث يكشف من أحوال الناس شيأ يكرهونه وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يدي المسيء ولتأطرنه على الحق اطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم يعني بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم عليه السلام قوله لتأطرنه أي لتعطفنه وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم على لسان أنبيائهم ثم عمهم بالبلاء وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر حسنه الترمذي قال الخطابي انما صار ذلك أفضل الجهاد لان من جاهد العدو كان مترددا بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو اذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وعن أبي بكر رضي الله عنه قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقوبة منه رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم وقال مجاهد وسعيد ابن جبير الآية في اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عملت الخطيئة في الارض من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لم يقدم أجله ولم يحرمه رزقا هو له وأوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها فقالت يا رسول الله أنهلك وفينا

كأجر المجاهد في سبيل الله انه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم الى الله تعالى كل نؤام أكول شروب وقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل طعامه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فكرههما لاجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات في الجنة وقال أبو سليمان لان أترك لقمة من عشاء أحب الي من قيام ليلة الى الصبح وقد بينا أنه يجلب الرقة والانكسار ويدفع الاشر والبطر ومن فوائده أن لا ينسى البلاء وأهله والعذاب وكسر سائر الشهوات وبه يستولي على النفس والشيطان فيقمعهما وبه يدوم السهر ويضيع اليوم كان بعض الشيوخ يقف على رأس السفرة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا

الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث رواه البخاري ومسلم قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله وفي هذا دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين اذا كثر الصالحون فأما اذا كثر المفسدون وقل الصالحون هلك المفسدون والصالحون اذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا المنكر وهو معنى قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه قال القرطبي فان قيل قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى كل نفس بما كسبت رهينة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وانما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب أن الناس اذا تظاهروا بالمنكر فيجب على من رآه أن يغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه كما جاء في الحديث وعن بعض الصحابة أنه قال ان الرجل اذا رأى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر لا أرضاه وقد جعل الله الراضي بمنزلة العامل قال الله تعالى انكم اذا مثلهم فأما اذا كثر الصالحون وأخذوا واستملوا قال الله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الآية وقال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال ابن عباس رضي الله عنهما قد أخبرنا الله عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وقال مسعر رحمه الله بلغني أن ملكا أمر أن يخسف بقرية فقال يا رب ان فيها فلانا العابد فأوحى الله اليه أن به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فكرهها وقال مرة فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقال مالك رحمه الله تعالى تهجر الارض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها خرجه أهل الصحيح قال القرطبي رحمه الله وروى أن مالكا أقام آخر عمره ثمان عشرة سنة لم يخرج الى المسجد فقيل له في ذلك فقال ليس كل أحد يمكنه أن يخبر بعذره قال القرطبي رحمه الله واختلف الناس في عذره على ثلاثة أقوال فقيل لئلا يرى المنكر وقيل لئلا يمشي الى السلطان وقيل كانت به أبردة فكان يرى تنزيه المسجد عنها ذكره القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله قال النووي رحمه الله اعلم أن باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره في أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح فاذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذه الابواب فان نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع منزلته فان الله تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم أن الاجر على قدر النصب ولا يتاركه أيضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فان صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا ومن حقه أن ينصحه ويهديه الى مصالح آخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وان أدى الى نقص في دنياه وعدوه من سعى في ذهاب أو نقص آخرته وان حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه وانما كان ابليس عدوا لنا لهذا وكانت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أولياء المؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم اليها نسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته وأن يعمنا بجوده ورحمته والله أعلم وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال الامام الشافعي رحمه الله من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه جهرا فقد فضحه وشانه

ويحضر ... كثيرا فوائد الجوع تيسير المواظبة على العبادة فان الشبع يكسل عن الطاعات وكثرة الاكل يحوج الى كثرة الاستعداد من الطلب والطبخ وغسل اليد والخلال والتردد الى بيت الماء للاستفراغ (حكى) السري عن بعض الشيوخ انه كان يستف سفوفا فقيل له في ذلك فقال حسبت ما بين المضغ والاسفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة واعلم أن من تيقن أن كل نفس جوهر لا قيمة له حاسب على تضييعه *ومن فوائد الجوع صحة النفس والبدن فان من قل أكله قل مرضه * ومن فوائده القدرة على الايثار وسبيل الفضيلة (بيان طريق الرياضة في كسر شهوة النفس والبطن) اعلم انه بعد أن يكون الطعام حلالا فيما سبق ذكره فعليه ثلاث وظائف وهي تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول (الوظيفة الاولى) في تقليل الطعام ووسيلة التدريج فمن انتقل من الكثير الى القليل دفعة واحدة فسد مزاجه فليتدرج فيه بأن يحسب على نفسه فان كان يأكل كل يوما ثلاثة أرغفة مثلا فينقص كل يوم نحوا من ثلاثين جزأ من رغيف ففي شهر ينقضي رغيف وفي شهرين رغيفان ولا يشق عليه ويكون هذا التدريج بحيث يبقى و يعتمد عليه وله الآن عيار دايم درجات واقتنع الصديقون في ذلك

هذا

هـذا آخر كلام الشيخ رحمه الله في شرح مسلم قال الغزالي رحمه الله ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون رحمه الله اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قال الغزالي رحمه الله كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فألح عليه فقال سمعت انك جمعت بين أدمين على مائدة وان لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما قال الغزالي رحمه الله لعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنتهم وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بأقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم يارسول الله قال قوم يحبون الله ويحببون الله الى عباده ويمشون على الارض نصحا قال فقلنا هذا يحبون الله فكيف يحببون الله الى عباده قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره فاذا أطاعوهم أحبهم الله ثم تلا ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك الي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر فلا تنهاني وقال صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله فقتل على ذلك

(الباب الثاني في مسائل تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(المسئلة الاولى) في آداب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الادب الاول أن يكون عالما بما يأمر به وينهى عنه الثاني أن يقصد به وجه الله تعالى في اعزاز الدين الثالث الشفقة على الذي يأمره فيأمره باللين والتؤدة ولا يكون فظا غليظا لان الله تعالى قال لموسى وهرون حين بعثهما الى فرعون فقولا له قولا لينا الرابع أن يكون صبورا حليما لان الله تعالى قال في قصة لقمان وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واستدلوا بقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال الغزالي رحمه الله ولا حجة لهم فيها وانما المراد بالانكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقال النووي رحمه الله في الروضة ولا يشترط في الآمر والناهي كونه ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه الامر والنهي في حق نفسه وفي حق غيره فان أخل بأحدهما لم يجز الاخلال بالآخر *(المسئلة الثانية)* جعل الغزالي رحمه الله للمنكر أربعة أحوال احدها أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه فيجب عليه الانكار الحالة الثانية أن يعلم أن كلامه لا ينفع وانه ان تكلم ضرب فيرتفع الوجوب عنه الثالثة أن يعلم أن انكاره لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا يجب عليه الامر لعدم الفائدة لكن يستحب لاظهار شعائر الاسلام والتذكير بالدين الرابعة أن يعلم أنه يصاب بمكروه بفعله مثل أن يكسر العود ويريق الخمر ويعلم أنه يضرب عقب ذلك فيرتفع الوجوب عنه ويبقى مستحبا لقوله في الحديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر *(المسئلة الثالثة)* قال الغزالي رحمه الله لو كان الواعظ شابا متزينا للنساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح بل ينبغي للواعظ أن يكون ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال *(المسئلة الرابعة)* من المنكرات موالاة اليهود والنصارى ومشاركتهم في أعيادهم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم قال الامام أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل ومن يتولهم منكم يوافقهم ويعينهم فانه منهم وروى أحمد باسناد

بقدر ما يقيم الحياة والعقل واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه (الدرجة الثانية) أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويقرب منه عادة عمر رضي الله عنه فانه كان يأكل سبع لقم أو تسعا (الدرجة الثالثة) أن يرد الى مقدار المد وهو رغيفان وهذا يزيد على ثلث البطن (الدرجة الرابعة) أن يزيد على المد الى المن وهذا هو النهاية وما وراءه اسراف يكاد يدخل مخالفا لقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وله طريق آخر فهو أن يمد يده بعد الجوع ويمسك قبل الشبع والاخذ به فيه خطر اذ لعله لا يطلع على صدق الجوع فيلتبس عليه الامر وقد قيل ان الجوع الصادق أن لا يطلب الادم وقيل أن لا يميز بين خبز وخبز واعلم أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فلا يمكن تقديره بل على كل أحد أن ينظر في حق نفسه وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا اذ أكل المؤمن بقدر الضرورة وبقدر القوام (الوظيفة الثانية في وقت الاكل) ومن المريدين من رد بالرياضة الى الطي لا الى المقدار فمنهم من طوى ثلاثة أيام ومنهم من زاد الى الثلاثين والاربعين وانتهى اليه جمع كثير منهم سليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم الخواص * وروى أن بعض العلماء الصوفية قال لراهب من طوى أربعين

صحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال قلت لعمر ان لي كاتبا نصرانيا قال مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ألا اتخذت حنيفا قال قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه قال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وقال صلى الله عليه وسلم ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وقد أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وروى البيهقي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لا تعلموا رطانة الاعاجم ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فان السخط ينزل عليهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما من صنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم وقال مجاهد في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور هو أعياد المشركين وقال عبد الملك ابن حبيب من أصحاب مالك لا يعاونون على شيء من عيدهم لان ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم

(الباب الثالث في الحث على اقامة الحدود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحد يقام في الارض خير لاهل الارض من أن يمطروا ثلاثين صباحا رواه النسائي وقال صلى الله عليه وسلم أقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم رواه ابن ماجه وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وقال صلى الله عليه وسلم من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله عز وجل ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه ردغة الخبال حتى يخرج مما قال رواه أبو داود الردغة بفتح الراء وسكون الدال المهملة وتحريكها أيضا وبالغين المعجمة هي الوحل وردغة الخبال عصارة أهل النار أو عرقهم كما جاء مفسرا في صحيح مسلم

(الباب الرابع في حكايات نختم بها الكتاب)

حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال من التابعين فأتوا بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف أنت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذن وقلت كيف أنت يا هشام فقال أما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي وأما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد الا امرأته من شهوة أو ولده برحمة وأما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامارتك فكرهت أن أكذب وأما قولك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله ناس قيام وأما قولك لم تكنني فان الله سمى أولياءه وقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب فقال هشام عظني فقال سمعت من أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يقول ان في جهنم حيات كأمثال القلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري قال دخلت على أبي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت اتق الله قد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع الينا حاجتك قلت انما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله عز وجل وأوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كيف

أنفقت

[illegible] الراهب لا يكون الا نبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تركت ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام قال نعم فقعد لا يبرح الا بحيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال أزيدك الى تمام الستين وفعل فتعجب الراهب وقال ما ظننت أن أحدا يزيد على المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة لا يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن عاداته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعه وحاجته فيأتيه القوت الروحاني من عالم الغيب واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني (الدرجة الثانية) ان يطوي يومين الى ثلاث وذلك معتاد (الدرجة الثالثة) الاقتصار في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الاقل وقد روى أبو سعيد الخدري أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة اياك والاسراف فان أكلتين في يوم من الاسراف

(فصل) اعلم أن الجوع المحمود هو الذي لا يشغل عن ذكر الله تعالى واذا خرج عن الحد شغل الا في حق من غلبت عليه شهوة عظيمة فيفعل ذلك ليكسرها فان لم يكن كذلك فخير الامور أوسطها ثم ليكسر هذه الآفة يجب التخفف عنهما حسد اهما بدر يب... كل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي وربما

أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أمورا لا تطيقها الجبال ودخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بها ثلاثا فقال ما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا فقيل له ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاء فقال سليمان يا أبا حازم ما هذا الجفاء فقال له أبو حازم وأي جفاء رأيت مني فقال أتاني وجوه أهل المدينة كلهم ولم تأتني أنت فقال ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها قال صدق الشيخ يا أبا حازم ما بالنا نكره الموت فقال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال صدقت يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى قال أما المحسن فكالغائب الذي يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق الذي يقدم على مولاه قال فبكى سليمان وقال ليت شعري كيف ما لنا عند الله يا أبا حازم فقال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال يا أبا حازم وأين أصيب تلك المعرفة من كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال يا أبا حازم فأين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين قال يا أبا حازم من أعقل الناس قال من تعلم الحكمة وعلمها الناس قال فمن أحمق الناس قال من حط في هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال يا أبا حازم فما أسمع الدعاء قال دعاء المخبتين قال فما أزكى الصدقة قال جهد المقل قال يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه قال اعفني من هذا قال سليمان نصيحة تلقيها قال أبو حازم ان ناسا أخذوا هذا الامر عنوة من غير مشاورة للمسلمين ولا اجماع من رأيهم فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم فقال بعض جلسائه بئس ما قلت يا شيخ قال أبو حازم كذبت ان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال سليمان يا أبا حازم اصحبنا تصب منا ونصب منك قال أعوذ بالله من ذلك قال ولم قال أخاف ان أركن اليكم شيئا قليلا فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات قال فأشر علي قال اتق الله ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك قال يا أبا حازم ادع لنا بخير فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره للخير وان كان غير ذلك فخذ الى الخير بناصيته فقال يا غلام هات مائة دينار ثم قال خذ هذا يا أبا حازم قال لا حاجة لي به لي ولغيري في هذا المال أسوة فان آسيت بيننا والا فلا حاجة لي فيها اني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي وكان سليمان أعجب بأبي حازم فقال الزهري انه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم انك نسيت الله فنسيتني قال الزهري أتشتمني قال سليمان بل أنت شتمت نفسك أما علمت أن للجار على الجار حقا قال أبو حازم ان بني اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تفر بدينها منهم فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به الامراء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وتنكسوا فلما كان العلماء يصونون علمهم لم تزل الامراء تهابهم قال الزهري كأنك اياي تريد وبي تعرض قال هو ما تسمع (وحكى) الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه البستان عن مقاتل بن صالح الخراساني قال دخلت على حماد بن سلمة رضي الله عنه فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا عنده اذ دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي وانظري من هذا فقالت هذا رسول محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فسلم وناوله كتابه فقال اقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسئلة فائتنا نسألك عنها فقال يا صبية هلمي الدواة ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب أما بعد وأنت صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته انا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا فان وقعت مسئلة فائتنا فسلنا عما بدا لك وان تأتنا فلا تأتني الا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام فبينا أنا جالس عنده اذ دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي انظري من هذا فاذا محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رعبا فقال حماد سمعت ثابتا يعني البناني يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى

انتهى بصاحبه الى النفاق (والآفة الثانية) أن يحب أن يعرف بقلته الأكل والمقلل ترك آفة سهلة وارتكب أمرا فوق ذلك وهو الجاه والشهوة قال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركها فأصب منها شيأ يسيرا ولا تعط نفسك ما تتهنأ به فذلك يكون اسقاطا للشهوة وعصيانا للنفس وقال جعفر ابن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان أظهرت شهوتها اليها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها فان خفت شهوتها وأظهرت العروض عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة واعلم أن من ترك شهوة الطعام ووقع في الرياء كان كمن هرب من العقرب وفزع الى الحية (القسم الثاني) من هذا الباب في كسر شهوة الفرج اعلم أن لذة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين (احداهما) أن يدرك لذته فيقيس عليه لذة الآخرة اذ هي أقوى لذات الاجساد ان دامت كما أن النار وألمها أعظم آلام الجسد (والفائدة الثانية) بقاء النسل ودوام الوجود ولكن فيها بعد هاتين الفائدتين من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في معنى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب وهو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى

الله عليه وسلم يقول ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شئ واذا أراد يكنز الكنوز هاب من كل شئ فقال ماتقول برجل الله في رجل له ابنتان وهو عن أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله فقال لاتفعل برحك الله فاني سمعت ثابتا البناني يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا أراد أن لايعذب عبدا بماله وفقه عند موته بوصية جائزة قال فحاجة اليك قال هات مالم تكن رزيه في الدين قال له أربعين ألف درهم تأخذها فتستعين بها على ما أنت عليه قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما أعطيتك الا ماورثته قال لاحاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك أوزارك قال فغيرها قال فهات مالم تكن رزية في الدين قال تأخذها فتقسمها قال لافلعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم ازوها عني زوى الله عنك أوزارك (وحكي) ان هرون الرشيد خرج حاجا فمر بالبهلول فنادى بأعلى صوته ياأمير المؤمنين ياأمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يابهلول لبيك يابهلول فقال ياأمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ثم طرد ولاضرب ولااليك اليك وتواضعك في سفرك هذا خير لك من تكبرك وتجبرك فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يابهلول زدنا قال

هب أنك قد ملكت الارض طرا * ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبر * ويحثو الترب هذا ثم هذا

فبكى هرون ثم قال أحسنت يابهلول هل غيرهذا قال نعم رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى من الابرار فقال أحسنت يابهلول مع الجائزة فقال اردد الجائزة على من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يابهلول ان يكن عليك دين قضيناه قال ياأمير المؤمنين لاتقض دينا بدين اردد الحق الى أهله واقض دين نفسك من نفسك قال يابهلول فنجري عليك ما يكفيك فرفع البهلول رأسه الى السماء ثم قال ياأمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني فأسبل هرون السجاف ومضى

(قصة أصحاب السبت) قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي سل يامحمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقرير عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي بقربه قال ابن عباس هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام اذ يعدون في السبت أي يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله بصيد السمك وذلك أن الله كان قد حرم عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لامنها حتى لايرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شئ منها فذلك قوله اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع ويوم لايسبتون لاتأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم قال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار وأقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرون على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل كانوا يسوقون الحيتان الى الحياض يوم السبت ولايأخذونها ثم يأخذونها يوم الاحد [illegible] ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤا على الذنب وقالوا مانرى السبت الا قد [illegible] وكثرت [illegible] فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية أثلاثا وكانوا نحو سبعين [illegible] أمسكوا ونهوا [illegible] وسكتوا وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلثاهم أصحاب الخطيئة [illegible] وقالوا لانساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وللمسلمين باب [illegible] فلعنهم داود [illegible] فخرج الناهون ذات يوم ولم يخرج من

ولولا هذه الشهوة لما كانت كذلك وقد روي أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ أقبل عليه ابليس وعليه برنس ملون فيه ألوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك فقال موسى عليه السلام من أنت فقال أنا ابليس قال فلا حياك الله ماجاء بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به أختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وأحذرك ثلاثا لاتخل بامرأة لاتحل لك فانه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول ياويلتاه علم موسى ماتحذر به بنو آدم وقد [illegible] الامر بصاحب الشهوة [illegible] أن يعشق [illegible] ولا [illegible] وهو [illegible] وهو [illegible]

[illegible] في حق [illegible] المجرمين

المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤا علوا على الجدار فاذا هم قردة لها أذناب يتعاوون ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسابها من الانس ولم تعرف الانس أنسابها من القرود فجعلت القردة تأتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول لهم ألم ننهكم فتقول برأسها نعم فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا قوله تعالى واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم الآية هذا قول الفرقة الساكتة للناهية فقالت الفرقة الناهية معذرة الى ربكم ومعناه أن الامر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرا الى الله لعلهم يتقون أي يتقون الله ويتركون المعصية قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي تركوا ما وعظوا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة العاصية بعذاب بئيس أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون قال ابن عباس رضي الله عنهما اسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة قال عكرمة قلت جعلني الله فداك الا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قولي فرضيه وأمر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الفرقة الساكتة وقال ابن زيد نجت الفرقة الناهية وهلكت الفرقتان وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه أبوا أن يرجعوا عن المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أمر تحويل وتكوين خاسئين مبعدين مطرودين تم الربع الثاني وهو ربع العادات ونبدأ الآن في الربع الثالث وهو ربع المهلكات

(كتاب الحث على الطاعات وترك المعاصي وبيان آفاتها والتحذير من الشيطان وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول في الحث على الطاعات وترك المعاصي)

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان أي بالانصاف والاحسان أداء الفرائض وايتاء ذي القربى صلة الرحم وينهى عن الفحشاء ما قبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي الكبر والظلم وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته يعظكم لعلكم تذكرون أي تتعظون وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال عطاء عن ابن عباس أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته وأهليكم نارا يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه وروى الدارقطني عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وعن أبي بكر رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله تعالى وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال واياكم ومحقرات الذنوب فانما محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزهم فان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وقال الفضيل بن عياض العجب كل العجب لمن عرف الله تعالى ثم عصاه بعد المعرفة وقال أبو سعيد الخدري انكم تعملون أعمالا هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وكان أحمد بن حرب يقول يا صاحب الذنوب قد آن لك أن تتوب يا صاحب الذنوب أنت عد بالذنب مطلوب يا صاحب الذنوب أنت

أوسطها وهو ما زادت على الحد فاكسرها بالجوع أو بالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء (بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله) اعلم أن المريد لا ينبغي أن يشغل نفسه في ابتداء أمره بالتزويج فان ذلك يمنعه عن الاقبال على الله تعالى كما سبق وكذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على ما كان واعلم انك ان قست نفسك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخطأت الطريق فانه عليه السلام لا تشغله الدنيا والآخرة وما فيهما واليه الاشارة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فانه كان لا يشغله عن الله شاغل فاذ مهما غلب عليك الشهوة فعليك بالصوم والجوع والعطش والسهر والعتاب أن تندفع بذلك فان كانت خارجة عن الحد على خرق المعتاد وليس يقدر على غض العين وجب بحكم خصوص الحال النكاح حتى يستريح والا فمن لا يقدر على غض العين لا يقدر على حفظ العين واذا تفرق همه فلا فائدة في عزوبته بل يخاف عليه ما قال عيسى عليه السلام قال اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود من أجل النظرة وقال داود لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى بن

بهاق النار مصوب وقال عبد الله بن أبي نوح يا عجبا كل العجب لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع المسىء بعد معرفته بطغيانه وقال بعض الحكماء انى لاستحى من الله ان عبده رجاء ثواب الجنة فاكون كالاجير ان أعطى أجره عمل والا لم يعمل ولكنى أعبده لما هو أهله وقال بعض الحكماء ركب الله تعالى فى الملائكة العقل بلا شهوة وركب فى البهائم الشهوة بلا عقل وركب فى بنى آدم الشهوة والعقل فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم قال بعض العلماء ليس بيع يوسف اخوته بأعجب من بيعك نفسك بأدنى شهوة بل بأدنى من ذلك وهو الطمع فى الشهوة وباع يوسف من يعاديه وأنت تبيع نفسك مع محبتك اياها فما أعقلك وأسوأ حالك وقال أبو الليث السمرقندى مكتوب فى التوراة من يزرع البر يحصد السلامة وفى الانجيل من يزرع الشر يحصد الندامة وفى القرآن من يعمل سوأ يجز به وقال لقمان لما حضرته الوفاة يا بنى كثيرا ما كنت أوصيك الى هذه الغاية وانى موصيك بست خصال فيها علم الاولين والآخرين أولها الا تشغل نفسك بالدنيا الا بقدر ما بقى من عمرك الثانى اعبد ربك بقدر حوائجك اليه الثالث اعمل لآخرتك بقدر ما تريد المقام فيها الرابع أن يكون شغلك فى فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النجاة منها الخامس ليكون جراءتك على المعاصى بقدر صبرك على عذاب الله تعالى ما لم يظهر النجاة منه السادس ان أردت أن تعصى الله تعالى فاطلب مكانا لا يراك الله عز وجل وملائكته فيه وفى الحديث اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار قال أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق وورد فى الاخبار ان العاصى اذا مات مصرا على زلته حشر يوم القيامة على صفته ومعصيته فينادى واسوأتاه واخجلتاه فيقول له الملك الموكل به أما هكذا كنت فى دنياك تخلو بين يدى مولاك وهو مطلع عليك يشاهدك يراك أما لك حياء فى ذلك الوقت واسوأتاه واخجلتاه ثم ينادى عليه بين الاشهاد هذا جزاء من قابل مولاه بالاساءة والفساد ولم يستح من الملك الجواد

(الباب الثانى فى تقسيم المعاصى)

قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله فى طهارة القلوب المعاصى قسمان ترك فريضة أو فعل محرم وأولهما معصية آدم نهى عن أكل الشجرة فأكل ثم ينقسم الى ما هو حق الله والى ما هو حق الآدمى ثم ينقسم من أصولها الى أربعة ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية فالربوبية التشبه بأوصاف الرب سبحانه فان الرفعة والعظمة والكبرياء والعز والغنى والقهر والاستيلاء صفات الرب سبحانه فمن تشبه بها من الخلق فتكبر وتجبر وطلب الرفعة والعلو والبناء والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها والشيطانية التشبه بالشيطان ومن صفاته الحسد والبغى والحيلة والخداع والغش والنفاق والدعوة الى المعاصى والبدع والضلال والبهيمية الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يستشعب الزنا والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحرام لقضاء الاوطار والسبعية الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وايذاء الخلق وأول ما يستولى على الانسان البهيمية فاذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية فاذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله فى المكر والخداع والصفات الشيطانية ثم يدخل عليه منازعة الربوبية قال الله تعالى الكبرياء ردائى ثم تنقسم الذنوب قسمين بالنظر الى ضررها واثمها فالكبائر تغفر بالتوبة والصغائر تغفر بالصلاة ونحوها كما ورد وقد اختلف الناس فى حد الكبائر اختلافا كثيرا اذ ذهب بعض العلماء الى أن كل محرم كبيرة ولكن بعضها أكبر من بعض فان الصغير والكبير أمر نسبى وهذا ضعيف فان ظاهر القرآن يدل على أن المعاصى منقسمة قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وأكثر المفسرين على ان اللمم صغائر الذنوب وقال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فالصحيح التقسيم ثم اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر فقال ابن مسعود أربع وقال ابن عمر سبع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص تسع وقيل احدى عشرة كبيرة وقال أبو طالب المكى جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها سبعة عشر أربعة

محمد بن سليمان تملك كل يوم ثمانين ألف درهم ثم كتب لاهل البصرة وعلمائهم فى امرأة يتزوجها فاجتمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله ملكنى من غلة الدنيا فى كل يوم ثمانين ألف درهم وأنا أصير الى مثلها ومثلها فأجيبينى فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الغم والحزن فاذا أتاك كتابى هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله عز وجل خولنى أمثال ما خولك وأضعافه ما سرنى أن أشتغل عن الله عز وجل طرفة عين فتبين بهذا أن ما يشغل عن الله تعالى لا سبيل اليه

*(فصل فى بيان فضيلة من خالف الشهوة) اعلم أن من العصمة أن يقدر على مخالفة الشهوة مع القدرة فذلك الفضل وهو درجة الصديقين وكذلك قال عليه الصلاة والسلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات حسن وجمال الى نفسه فقال انى أخاف الله رب العالمين وروى ان سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عنها فخرج

هاربا من منزله وترك ما فيه قال سليمان فرأيت فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذى

فى القلب وهى الشرك بالله والاصرار على معصية الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وأربعة فى اللسان وهى شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهو التى يحلف بها الحالف متعمدا الكذب وقيل هى التى يقتطع بها مال مسلم ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو كلام أجرى الله العادة بانه اذا استعمل ظهر له أثر من الفساد وثلاث فى البطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعلم واثنان فى الفرج وهما الزنا واللواط واثنان فى اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهو الفرار من الزحف وواحدة فى جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وعقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما أو يسألاه حاجة فلا يقضيها وان يسباه فيضربهما أو يجوعا فلا يطعمهما واختلف العلماء فى حد الكبيرة فقيل كل ما نهى الله عنه فى القرآن فهى كبيرة وما نهى عنه الرسول فهى صغيرة وقيل ما توعد الله عليه بالنار فهو كبيرة وما لم يقترن به مع النهى عنه وعيد أو غضب فهى صغيرة وقيل كل ما شرع فيه حد وقيل حد أو كفارة فهو كبيرة وقيل كلما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة وقيل ان حصرها مبهم ولم يرد بعددها نص وفائدة ذلك تعظيم سائر المعاصى خوفا من الوقوع فى كبيرة وقيل أكبر الكبائر معلوم وأصغرها غير معلوم

(فصل) قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله يقال ستة أشياء اذا قارنت الصغائر ألحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها وتزايد أمرها (الاول) الاصرار وهو العزم على العود الى مثل الذنب ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله بالقلب و يقال آفة الاصرار على الصغائر الوقوع فى الكبائر وقل أن يقع العبد فى كبيرة حتى يتقدمها صغائر كالزنا مثلا لا يتصور من غير تقدم نظر ولمس ونحوه (الثانى) أن يستصغر الذنب فانه يكبر اثمه على قدر استصغاره له فان فى تصغير الذنب تصغير أمر الرب وفى تعظيم الذنب تعظيم الرب سبحانه وفى الحديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره وقال بعضهم أكبر الذنب قول الانسان ليت كل ذنب عملته يكون مثل هذا وأوحى الله تعالى الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها وقال أبو سعيد الخدرى انكم لتعملون أشياء هى أدق عندكم من الشعر كنا نعدها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وهذا لانهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالى (الثالث) السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب وروى أن رجلا كان فى بنى اسرائيل تاب من ذنب وصام سنتين ثم سأل بعض الانبياء يدعو له بالقبول فدعا له فأوحى الله عز وجل اليه لو تشفع بأهل السموات والارض ما قبلته وحلاوة الذنب فى قلبه ومثال المعاصى كمثل من غلبه عدوه فأوقعه فى نار أو ما يخاف الهلاك فيه فينبغى أن يغلب عليه الحزن والاسف ففرحه من غاية الجهل و يقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح أن ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه كراهية أن يستعمله لا يرجى شفاؤه (الرابع) أن يتهاون بنعمة الله تعالى عليه من ستره عليه وحلمه عنه وامهاله حيث لا يعاجله بالعقوبة ويخاف أن يكون ذلك الستر مقتا من الله وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة (الخامس) اظهار الذنب بان يفعله مجاهرا او يتحدث به و يفتخر به و يتمدح وفى ذلك زيادة جراءة وعدم حرمة وابطال نعمة فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيه تحريك داعية من علم بذنبه الى الوقوع فيه وفى الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون وقال بعضهم لا تذنب فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكتسب ذنبين قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية (السادس) أن يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد فى الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شئ قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم وآثار العمل ما يبقى بعد العمل وقال ابن عباس رضى الله عنه ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى

هممت وأنت سليمان الذى لم تهم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب الرابع والعشرون فى آفات اللسان)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت وكذلك مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمت وحث عليه فقال من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله وقال صلى الله عليه وسلم من تكفل لى ما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وروى أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصنى قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده الى لسانه صلى الله عليه وسلم وعن الصديق رضى الله عنه انه كان يضع حجرا فى فيه يمنع به نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا أوردنى الموارد وقال ابن مسعود والله الذى لا اله الا هو ما من شئ أحوج الى طول سجن من لسان ونحن الآن نبين آفات اللسان ونبدأ بأخف الآفات ثم نسترقى (الآفة الاولى) الكلام فيما لا يعنيك اعلم أنك اذا تكلمت بما لا يعنيك فقد ضيعت زمانك وتعرضت به للحساب وقد استبدلت

 الذى هو أدنى بالذى هو خير فانك لو ذكرت الله بدله أو سكت أو اشتغلت بالفكر لكنت تنال به معالى الدرجات

الآفاق ويقال العالم كالسفينة اذا غرقت غرق أهلها ويروى أن عالما من بنى اسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل فى الاصلاح دهرا فأوحى الله الى نبى من أنبيائهم قل لفلان ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته ولكن كيف من أضللت من عبادى وأدخلتهم النار وكما يعظم وزر العالم فى السيئات كذلك يعظم أجره فى الطاعات قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله وقد روينا حديث مسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفقهاء أبناء الرسل مالم يطلبوا الدنيا ويتبعوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم

(الباب الثالث فى آفات المعاصى)

وهى كثيرة لا تحصى ونحن نذكر ان شاء الله تعالى ما تيسر منها فمنها ظلمة يجدها العاصى فى قلبه حقيقة فان الطاعة نور والمعصية ظلمة قال ابن عباس رضى الله عنه ان للحسنة ضياء فى الوجه ونورا فى القلب وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق وان للسيئة سوادا فى الوجه وظلمة فى القلب ووهنا فى البدن ونقصا فى الرزق وبغضا فى قلوب الخلق وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فاذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله ترين رينا اذا غلبت عليه فسكر ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصى وأحاطت بها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس رضى الله عنهما ران على قلوبهم طبع عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله آوانى ألا وهى القلب فأقربها الى الله مارق وصفا وصلب قال أبو عبد الله الترمذى الرقة من خشية الله والصفاء للاخوان فى حق الله والصلابة فى دين الله تعالى قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله تعالى يقال شبه القلوب بالآنية فقلب الكافر اناء منكوس مقلوب لا يدخله شئ من الخير وقلب المنافق اناء مكسور اذا ألقى من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيصل لكن قلوب قوم طاهرة من دنس الزلات والغفلات فما ألقى فيها بقى طاهرا وقلوب قوم فيها دنس قليل يغلب عليه ما يلقى فيها من الطهور وقلوب قوم كثيرة الادناس يغلب دنسها على ما يلقى فيها ورعما امتلأت من الادناس فلم تسع شيأ قال الله تعالى فى حق المتطهرين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ذكر العاصين عقوبتى ليرجعوا عن مخالفتى وذكر المطيعين ثواب طاعتى ليزدادوا من خدمتى وذكر عبادى ما صرفت عنهم من بلائى ومنحتهم من عطائى وأعددت لهم من قبل أن يستوفوا أوقاتهم من ثنائى ويقال قسوة القلب انما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب ويقال انما تحصل القسوة من متابعة دواعى الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأول ما يقع فى القلب غفلة فان أيقظه الله تعالى والا صارت عزيمة منه فان صرفها الله تعالى والا وقعت معصية فان أنقذه الله تعالى بالتوبة والا وقعت قسوة فان ألانها الله تعالى والا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابراهيم بن أدهم قلب المؤمن نقى كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشئ الا أبصره فاذا أذنب ذنبا ألقى الله فى قلبه نكتة سوداء فان تاب محيت وان عاد الى المعصية ولم يتب تتابعت النكتة حتى يسود القلب فما أقل ما ينفع فيه الموعظة وقال الحسن الذنب على الذنب يظلم على القلب حتى يسود ويقال القلب كالكف لا يزال يقبض منه أصبعا بعد أصبع حتى تطبع وقال الترمذى حياة القلوب الايمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم وان القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد ولا تنظروا فى ذنوب الناس كأنكم أرباب وانما الناس معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن شرح الله صدره للاسلام فهو

عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيأ لك يابنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع مالا يضره واعلم أن الكلام فيما لا يعنى أن تجالس فتحكى من أحوالك الذى خلقك فى ... لا كذب فيه (ثانيها الثانية) فضول الكلام وهو أن تكرر مالا فائدة فى تكراره ويقرب منه زيادة الالفاظ المستغنى عنها وقال عليه الصلاة والسلام سيأتى بعدى قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء ويلبسون الين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقول عليه الصلاة والسلام ذاته قول ... ابن ... وشر الناس من ... لا ... دخلت وبقيت ... وقول رجل يا رسول الله

على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وقال مالك بن دينار وما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله عز وجل على قوم الا نزع منهم الرحمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوما نور الله تعالى قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وقال بعضهم من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومن آفات المعاصى حرمان العلم فان العلم نور يقذف فى القلب والمعصية تطفئه ولما جلس الشافعى بين يدى مالك رحمهما الله تعالى وقرأ عليه أعجبه ما رأى من فطنته وذكائه فقال انى أرى الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية ومنها حرمان الرزق بالذنب يصيبه وفى المسند عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فترك التقوى مجلبة للفقر ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله تعالى ومنها وحشة تحصل بينه وبين الناس قال بعض السلف انى لأعصى الله تعالى فأرى ذلك فى خلق دابتى وامرأتى ومنها تعسير أمره عليه فكما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من أمره عسرا ومنها أنها تنقص العمر وتمحق بركته قال صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فكما أن البر يزيد فى العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف فى هذا فقيل النقصان ذهاب بركة العمر وقيل تنقصه حقيقة كنقص الرزق ومنها أنها تزرع أمثالها قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها قال الشيخ الامام عبد العزيز رحمه الله أول عقوبة الذنب ظلمة تقع فى القلب وغفلة تستولى عليه حتى تسقط عنه حرمة أمر الله ونهيه فينجر الى ذنب أعظم منه ومثاله مثال الذى يخوض فى الطين وعليه ثياب نظاف فهو يجمع ثيابه ويحفظها فاذا وقع فى الطين مرة فأصاب اطراف ثيابه أهملها بعد ذلك وخاض فيها ولم يحفظها ولهذا قيل الطاعة أول ثواب الطاعة والذنب أول عقوبة الذنب ومنها أن شؤمها يعود على غير مرتكبها قال أبو هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت فى وكرها من ظلم الظالم وقال مجاهد ان البهائم تلعن عصاة بنى آدم اذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول هذا بشؤم معصية ابن آدم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا المطر بذنوب بنى آدم وعن ابن مسعود يرفعه ليس سنة بأمطر من أخرى وكأن الله قسم هذه الارزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم فاذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرفه الله عنهم الى الفيافى قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا الآية وروى مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء ومنها أنها تذل فاعلها فان العز فى طاعة الله تعالى قال الله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أى فليطلبها بطاعة الله وكان من دعاء بعض السلف اللهم أعزنى بطاعتك ولا تذلنى بمعصيتك وقال على رضى الله عنه من أراد الغنى بغير مال والكثرة بغير العشيرة فليتحول من ذل المعصية الى عز طاعته أبى الله الا أن يذل من عصاه ومنها أنها تدخل العبد تحت لعنة الله ورسوله فان الله تعالى لعن من أفسد فى الارض وقطع رحمه وآذاه وآذى رسوله ولعن من كتم ما أنزل سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاص وغيرها أكبر منها فهى أولى بالدخول فلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب أباه وسب أمه ولعن من أتى بهيمة ولعن من أفسد امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده ولعن من أتى امرأة فى

مالى لا أحب الموت فقال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال نعم فقال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب ان يتخلف معه وقال عليه الصلاة والسلام أخلاء ابن آدم ثلاث واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه ماله والذى يتبعه الى قبره أهله والذى يتبعه الى محشره فعله وعمله (بيان أن المال محمود من وجه ومذموم من وجه) وذلك ان الله تعالى سماه خيرا فى بعض المواضع وقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال عليه الصلاة والسلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال واعلم أن مقصد الاكياس والكرام سعادة الابد والمال وسيلة اليها تارة للتزود منه للتقوى على التقوى والعبادة وتارة بانفاقه فى طريق الآخرة ومن أخذه ليترفه أو يتوسل به الى المعاصى والشهوات فهو مذموم فى حقه

(فصل) فى ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والاياس مما فى أيدى الناس

اعلم أن الفقر محمود ولكنه ينبغى أن يكون الفقير منقطع الطمع مما فى أيدى الناس ولا يتأتى ذلك الا بالقناعة بقدر الضرورة من المطعم والمشرب والملبس فيقتصر على أقله فى القدر وأخسه نوعا ويرد أمله الى يوم أو الى شهر لئلا يكثر فى نفسه الصبر على الفاقة فيؤدى الى الطمع

دبرها ولعن من سب أصحابه ولعن الرجل الذى يلبس لبسة المرأة والمرأة التى تلبس لبسة الرجل ولعن الراشى والمرتشى والرائش هو الواسطة فى الرشوة ومنها حرمان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم الى قوله وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسول الله الذين لا سبيل لهم غيرهما فلا يطمع غير هؤلاء باجابة هذه الدعوة ان لم يتصف بصفات المدعوّ له ومنها أنها تحدث فى الارض أنواعا من الفساد فى المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن قال مجاهد اذا ولى الظالم سعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل ثم قرأ ظهر الفساد فى البر والبحر الآية ثم قال أما والله ماهو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر قال قتادة أما البر فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف ومنها أنه يحصل بسببها الزلازل وغيرها من أنواع العذاب ففى مسند أحمد عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع بأولئك قال يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وذكر ابن أبى الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ثم قال أسكنى فانه لم يأن لك بعد ثم التفت الى أصحابه فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب فقال أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا عن شئ أحدثتموه والذى نفسى بيده ان عادت لا أساكنكم فيها أبدا وذكر ابن أبى الدنيا أيضا عن أنس رضى الله عنه انه دخل على عائشة هو ورجل فقال يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل فى سمائه فقال للأرض تزلزلى بهم فان تابوا ونزعوا والا هدمها عليهم قال يا أم المؤمنين أعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين فقال أنس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشد فرحا منى بهذا الحديث ومنها تسلط الظلمة عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول أنا الله لا اله الا أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدى وان العباد اذا أطاعونى حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وان العباد اذا عصونى حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالدعاء والتضرع الى أكفكم ملوككم وعن الحسن رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله تعالى وفى كنفه ما لم يمال قراؤها أمراءها وما لم يزك صلحاؤها فجارها وما لم يهن خيارها شرارها فاذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر قال ابن عباس رضى الله عنه اذا رضى الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى أمرهم شرارهم وفى بعض الكتب المنزلة ان الله عز وجل يقول اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ومنها أنها تمنع اجابة الدعاء روى أن ابراهيم بن أدهم مر بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه فقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ميتة بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم أنكم تحبون الله ورسوله فتركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعم الله عز وجل فلم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم فشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ومنها أنها تزيل النعم وتحل النقم قال على رضى الله عنه ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال الله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

الله واجملوا فى الطلب وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار (بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة) اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل الاوّل هو العمل وهو الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن أراد عز القناعة فليقل الخرج والنفقة ففى الخبر التدبير نصف المعيشة الثانى قصر الامل حتى لا يضطر بسبب الحاجة فى ثانى الحال الثالث أن يعلم ما فى القناعة من العز والاستراحة عن السؤال وذل الطامع فبذلك يتخلص

(فصل) فى فضيلة السخاء اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وان كان موجودا فالايثار والسخاء والتباعد عن البخل قال عليه الصلاة والسلام السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال عليه الصلاة والسلام قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فأكرموه بهما ما صحبتموه وقال عليه السلام ما جبل الله أولياءه الا على السخاء

أي يغيروا طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه فاذا غيروا غيرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز وقد قال الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وفي بعض الآثار الالهية عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل عنه الى ما أكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره ثم ينتقل عنه الى ما أحب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد أحسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها * فان الذنوب تزيل النعم * وحطها بطاعة رب العبا

د فرب العباد سريع النقم * واياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم

وسافر بقلبك بين الورى * لتبصر آثار من قد ظلم * فتلك مساكنهم بعدهم

شهود عليهم ولا تتهم * وما كان شئ عليهم أضر من الظلم فهو الذي قد قصم

فكم تركوا من جنان ومن قصو * ر وأجرى عليهم أطم

صلوا بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نالهم كالحلم

(قصة اهلاك قوم نوح بالغرق لما عصوا ربهم وكفروا به وكذبوا نبيهم)

قال الله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين قيل ان نوحا عليه السلام اسمه عبد الغفار قال ابن عباس وسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه قيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال يا قبيح فأوحى الله اليه أعبتني أم عبت الكلب قال ابن عباس بعث نوح وهو ابن أربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وكان عمره ألفا وخمسين سنة قيل وهو أول نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك وأول من عذب أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزاته في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة وقال أبو الليث السمرقندي وكان اول من أمر بنسخ الاحكام وأمر بالشرائع وكان قبله نكاح الاخت مباحا فحرم ذلك على عهده فكذبه قومه فأرسل الله تعالى عليهم الطوفان وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوم نوح كانوا يضربونه حتى يسقط ويظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله سبحانه وروي ان شيخا منهم جاء يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت مكني من العصا فأخذها من ابيه فضرب نوحا فشجه شجة منكرة فأوحى الله اليه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس أي فلا تحزن بما كانوا يفعلون فاني مهلكهم ومنقذك منهم فحينئذ دعا نوح عليهم فقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ويخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن الا كان أخبث ممن قبله حتى اذا كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيأ فشكا الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وطولها في السماء ثلاثون وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في الاول الوحوش والسباع والهوام وفي الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد عن كعب الاحبار أنه عمل السفينة في ثلاثين سنة وفي القصة أن الله تعالى لما أمره أن يحمل من كل زوجين اثنين قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين فحشر الله اليه السباع والطير

وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وعن عائشة رضي الله عنها أن ابن الزبير بعث اليها مالا في غرارتين ثمانين ألفا ومائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت

(فصل في ذم البخل)

قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم فاستحلوا محارمهم وقال عيسى عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة (بيان الايثار وفضيلته) اعلم أن ربح الدرجات في السخاء والايثار هو أن يجود بالمال مع طلب الحاجة اليه والسخاء هو الجود بما فضل عنك وقد أثنى الرب سبحانه وتعالى على الصحابة فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام أيما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له (وحكى) انه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار وحمله الى أهله فوضع بين يديه

فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فحملهما في السفينة وروى أنه لما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفأر في جوف السفينة يقرضها وحبالها فأوحى الله اليه أن اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر (وحكى) أن نوحا عليه السلام قال للسباع لا يجامع أحدكم صاحبته حتى يخرج من السفينة لئلا تتوالدوا فتضيق عليكم السفينة فامتنعت الا الكلب فجاءت الهرة فأخبرت نوحا بذلك فأنكر الكلب فقالت الهرة لنوح أدع الله أن يظهر حالهما فدعا نوح ربه بذلك ثم ان الكلب جامع مرة أخرى فعلق في صاحبته فجاءت الهرة فأخبرت نوحا بذلك فرآهما فقال الكلب الهي أفضح الهرة عند الجماع على رؤس الخلائق كما فضحتنا فمن ثم ان السنانير اذا جامعت اناثها أخذها الصياح قال قتادة وابن جريج والقرطبي ومحمد بن كعب القرطبي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ونساؤهم وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نصفهم نساء قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما حمل نوح الذرة وآخر ما حمل الحمار ولما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك أدخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويلك أدخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح ما أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل أدخل وان كان الشيطان معك قال أخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك قال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض والبق والبعوض فلم يحمل منها شيأ (وحكى) القرطبي في تفسيره عن زيد بن ثابت أنه قال استعصت على نوح الماعزة أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها فمن ثم انكسر ذنبها فصار معقوفا وبدا حياها ومضت النعجة حتى دخلت فمسح على ذنبها فستر على حياها وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلاء فلا أحملكما قالتا احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قال حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه روى ان الماء علا على رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعا وروى أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم صبي وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي ويروى أنه لما استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بأرض الجزيرة قرب الموصل بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقف على جيفة فلم يرجع فبعث حمامة فجاءت بورقة زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح أن الماء قد نضب فقيل انه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت فطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه وهبطوا يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه بالصوم شكرا لله تعالى وقيل ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق كان الماء الى حجزته وكان سبب نجاته أن نوحا احتاج الى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها فحملها عوج اليه من الشام فنجاه الله من الغرق لذلك قيل كان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ثم يأكله وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه قلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله عز وجل الهدهد فقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فقتله موسى وهو مصروع فقتله وكانت أمه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض والله أعلم وروى أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فأما سام

الضيف وامرأته بإطفاء السراج وجعل يجعل يده في الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم فنزلت هذه الآية ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (بيان علاج البخل) اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات ولا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فانه لو قدر بقاء نفسه يوما أو شهرا فلربما سمحت نفسه باخراج المال ولعل ولده يقوم مقام طول الامل فيمسك ما جاء لاجلهم وكذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة واذا أضيف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل والسبب الثاني أن يحب عين المال فيعلم أنه لا يحتاج اليه وهو شيخ ولا ولد له ولكنه يحب المال لعينه وهذا مرض في القلب مزمن والعياذ بالله وهو كمن عشق شخصا ثم أحب رسوله ونسيه اذ المقصود من الدنانير والدراهم الوصول الى الاغراض وهذا قد نسي المقصود وعشق الوسيلة الى الحاجات فقد جهل ذنبه واعلم أن علاج البخل تقليل الشهوة وكثرة ذكر الموت والتأمل في موت الاقران وزيارة القبور و[illegible] من حيث [illegible] خلق معه [illegible] من ولد ورث ولم يكن

سام فابو العرب وفارس والروم وأما يافث فأبو يأجوج ومأجوج وأما حام فأبو هذه الخليقة السوداء قال أبو الفرج الظاهر فى الالوان أنها خلقت على ماهى عليه من غير سبب ظاهر الا أنه قدر وبنا أن أولاد نوح اقتسموا الارض بعد موت نوح فكان الذى قسم بينهم الارض فالغ بن عابر فنزل بنو سام سرة الارض فكانت فيهم الادمة والبياض ونزل بنو يافث مجرى الشمال والصبا فكانت فيهم الحمرة والشقرة ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فتغيرت ألوانهم ومايروى أن نوحا انكشفت عورته فلم يغطها حام فدعا عليه فاسود فشئ لايثبت ولا يصح وروى الاصمعى عن النضر بن هلال ان الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ فاثنا عشر ألفا للسودان وثمانية للروم وثلاثة للفرس وألف للعرب

(الباب الرابع فى التحذير من عدو الله ابليس اللعين)

قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقد أخبرنا الله عنه بانه قال فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم أى لاجلسن لبنى آدم على طريقك القويم وهو الاسلام ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال ابن عباس من بين أيديهم أى من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم أرغبهم فى دنياهم وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى قال قتادة أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين أى مؤمنين فان قيل كيف علم الخبيث ذلك قيل قاله ظنا فأصاب قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال تعالى يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قال ابن عباس قبيله ولده وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله وقال مجاهد فى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله مامن عبد الا وملك موكل به يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فمامنهم شئ يأتيه يريده الا قال وراءك الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل الانسان الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال مطرف أنصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل اذا أوى الى فراشه ابتدره ملك وشيطان فقال الملك اللهم اختم بخير وقال الشيطان اللهم اختم بشر فاذا ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك يكلؤه وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا لم يذكر رجع ووضع رأسه فذلك قوله الذى يوسوس فى صدور الناس بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع وروى عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان على صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجالسهم وذلك مراد الشيطان قال الغزالى رحمه الله مثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم

ذلك شو رزقوكم من ولد لم يرث و رزقه الله تعالى أمو الاولاد وقهم ان كان صالحا فالله تعالى يتولى الصالحين وان كان فاسقا فلا كثر الله فى المسلمين أمثاله فانه يستعين بماله على المعاصى ومن النافع التأمل فى ذم الناس للبخلاء ونفرة الطباع عنهم ومدحهم للاسخياء ورغبتهم فيهم وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فلعله ينفعه ذلك

(بيان ذم الغنى ومدح الفقر) وبلغنا أن عيسى عليه السلام قال ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ماتؤمرون وتدرسون مالا تعملون فياسوءما تحكمون تتوبون بالقول وتعملون بالهوى ومايغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة لحق أقول لكم لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل فى قلوبكم ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته لحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم لحق أقول أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا

على الخصم ولم يندفع بالكلام فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوات اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا بالشهوات بل بالغفلة بخلوها عن الذكر فاذا ذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الآيات والاخبار الواردة فى الذكر وروى عن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال فاجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لى طعاما قال مالا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مصائد قال النساء قال جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ قال ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه فيقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه وقال وهب بن منبه قال ابليس يارب أماترى حب عبادك لك وكثرة عصيانهم لك وبغضهم لى وكثرة طاعتهم لى فأوحى الله الى الملائكة انى قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لى بحبهم لى وتجاوزت عن كثرة طاعتهم له ببغضهم له وروى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا وعليه معاليق فقال ماهذه قال الشهوات التى أصطاد بها بنى آدم فقال هل تجد لى فيها شيأ قال لا غير أنك شبعت ليلة فثقلت عن الصلاة والذكر فقال يحيى لاجرم انى لا أشبع أبدا فقال ابليس لاجرم انى لا أنصح أحدا أبدا وقال وهب بن منبه ان ابليس لقى يحيى عليه السلام فقال له أخبرنى عن طبائع بنى آدم عندكم فقال صنف منهم مثلك معصوم لا نقدر على شيء منهم وصنف ثان هم فى الدنيا كالكرة فى أيدى الصبيان وقد كفونا أنفسهم وصنف ثالث هم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد علينا ماأدركنا منه فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه مانريد قال كعب الاحبار ذكر الله تعالى فى جنب الشيطان كالاكلة فى جنب بنى آدم وقال أيضا حصون المؤمن من الشيطان ثلاثة ذكر الله وقراءة القرآن والمسجد وكان يحيى بن معاذ يقول اللهم ان ابليس لك عدو ولنا عدو وانك لا تغيظه بشيء أنكى له من عفوك عنا فاعف عنا يا أرحم الراحمين وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من رحمتك وعفوك وابعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير قال فتمثل له اللعين يوما فى طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفنى قال له ومن أنت قال هو اللعين قال وماتريد قال أريد أن لا تعلم أحدا الاستعاذة ولا أتعرض لك أبدا فقال ابن واسع والله لا أمنعها من أراد فاصنع الآن ماشئت ومن دعاء بعضهم اللهم انك خلقتنى وخلقته وسلطته على فلا يقدر على الا بتقديرك ولا أقدر عليه الا باعانتك فأعنى عليه ياعزيز ياجبار بعزتك وجبروتك وقال قتادة ومجاهد والحسن فى قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن ان من الانس شياطين كما أن من الجن شياطين والشيطان العاتى المتمرد من كل شيء ولوان الشيطان اذا أعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغواه بالمؤمن ليفتنه يدل عليه ماروى عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الانس والجن فقلت يارسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقال مالك بن دينار شياطين الانس أشد من شياطين الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن وشيطان الانس يجيء ويجرنى الى المعاصى

(فصل فى بيان أصل ابليس وزوجته وذريته وأصناف الجن) قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

نهى عن البيت المظلم أن توضع فيه السراج فوق ظهره وجوفه موحش مظلم كذلك لا ينبغى عندكم أن يكون قبوركم آخر الكم رأيجوافكم منه موحشة معطلة ياعبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ولقد بان لك أن الفقراء أولياء وأفضل ومن ذهب الى أن الغنى أفضل فقد ازدرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الانبياء والسلف الصالحين فنعوذ بالله من ذلك وانما جنح بعض من سولت له نفسه وعابت عليه شغوفه بما لعبد الرحمن بن عوف فنحن نورد حكاية يتبين بها فساد غرضه ونقول قال أناس نحن نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وماتخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أباذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى عظم بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان أباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضى الله عنه يستغيث ويخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقتص الاثر فى طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر فقال له

لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قال ابن عباس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ففسق أي خرج عن أمر ربه عن طاعة ربه أفتتخذونه وذريته يعني يا بني آدم أولياء من دوني وهم لكم عدو أي أعداء وروى مجالد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ أقبل جمال فقال أخبروني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك لعرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما تتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين وقال ابن اسحق بلغني أن ابليس تزوج الحية التي دخل في جوفها حتى كاد آدم عليه السلام بعدما أخرج من الجنة ومنها ذريته وقال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلعة وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المرأة ومطوش وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع مالم يرفع أو يحسن موضعه فاذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر داسم داسم روي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وروى مسلم أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وقال يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ألا تعينني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما أزيد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا العبد كرمته علي ألا تعينني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذ صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها الآية وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله

(قصة برصيصا)

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآيتين أنه كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أحد منكم يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب الانبياء عليهم السلام وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبرائيل عليه السلام ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل عليه السلام الى أقصى أرض الهند فقال الابيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة أيام ولا يفطر في عشرة أيام الا مرة فلما رأى الابيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهابين فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لم يجبه فقال له انك كنت مشتغلا عنك فما حاجتك فقال

أبو ذر فيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا معه فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وامي قال ما يسرني ان لي مثل أحد ذهبا انفقته في سبيل الله أموت يوم أموت أبقي منه قيراطين ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الاكثر وأنا أريد الاقل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وتقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه أحد حرفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم غير عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله تعالى وان أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معهم سعيا وروي عن عمران بن الحصين أنه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه

حاجتي التي أحب أن أكون معك فأتأدب بك وأقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك قال برصيصا اني في شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله تعالى سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لي ثم أقبل على صلاته وترك الابيض وأقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل رآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ما حاجتك قال حاجتي أن تأذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فأقام معه حولا يتعبد لا يفطر الا في كل أربعين يوما ولا ينفصل عن صلاته الا في كل أربعين يوما مرة وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابيض ان عندي دعوات أعلمها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله تعالى بها السقيم ويعافي بها المبتلي والمجنون قال برصيصا اني أكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا فاني أخاف ان أعلم به الناس يشغلوني عن عبادة الله تعالى فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال وانطلق الابيض فتعرض لرجل حتى خنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله أبصاحبكم جنون فأعالجه قالوا نعم فقال لهم اني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله لكم فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا الله به أجاب فانطلقوا اليه فسألوه عن ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل بين ثلاث اخوات وكان أبوهم ملكهم فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب فقال لهم أفأعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده فاذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال ابنوا لها صومعة الى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها والا تضعونها في صومعته ثم قولوا له هي أمانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا له هذه أختنا فاحتسب الله تعالى فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فسقط في يده ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته ثم جاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فجاء الشيطان وقال واقعها وتتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه فدخل فقتلها ودفنها في جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف ازارها فخارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته فأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون أختهم وكانوا يجيئون فارط الايام يسألونه عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت بأختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم من عمل الشيطان وبرصيصا خير من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لاخوته والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط وأنا والله لقد رأيت مثله وقال الاكبر وأنا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا يا برصيصا ما فعلت بأختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم تتهموني قالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال

ويحكم

وسلم عائدة ... فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بأبي وأمي أنت يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب فاطمة وقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله أدخل قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران بن حصين فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا هكذا وأشار بيده قالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى عليها ملاءة كانت عليه فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها فقال لها أبشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت وأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال صلى الله عليه وسلم آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله قد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فافهم تغنم

ويحكم انها المدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أنحتهم على مارأوا في النوم فمشوا الى مواليهم وغلمانهم ومعهم الفوس والمساحي فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به الى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يابرصيصا أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك ويلك أما اتقيت الله في الامانة خنت أهلها وانك زعمت أنك أعبد بني اسرائيل مااستحييت فلم يزل يعيره ثم قال في آخر ذلك ألم يكفك ماصنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه وآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وماهي قال تسجد لي قال أفعل فسجد له قال يابرصيصا هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين يقول الله فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

(باب النهي عن السحر)

قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها السحر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لايدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر رواه أحمد وعن ابن مسعود مرفوعا الرقى والتمائم والتولة شرك رواه أحمد وأبوداود والتولة نوع من السحر وهو تحبب المرأة الى زوجها والتميمة خرزة ترد العين وقال بجالة بن عبدة أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال مالك السحر زندقة واذا قال الرجل أحسنه يقتل ولاتقبل توبته وعن أبي حنيفة مثله وقال أحمد يقتل الساحر ولم يرو عنه في كفره شيء قاله ابن الملقن في شرح المنهاج

(باب النهي عن اتيان الكهان والمنجمين والعراف)

وعن عائشة رضي الله عنها سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال ليس بشيء فقالوا يارسول الله انهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة رواه البخاري ومسلم وفي رواية ينزل في العنان وهو السحاب فيذكر الامر قضي في السماء فيسترق الشياطين السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم قال النووي رحمه الله قوله فيقرها هذا بفتح الياء وضم القاف والراء والعنان بفتح العين وقال صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد رواه أبوداود قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف مالا علم له به وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن رواه البخاري ومسلم

(باب النهي عن تصوير الحيوان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ماخلقتم وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عند الله المصورون رواهما البخاري ومسلم

(باب النهي عن شرب الخمر)

قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله تعالى والله يحب المحسنين ذهب أكثر أهل العلم الى أن كل شراب مسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شاربه لقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب منها

والله أعلم بالصواب *(الباب الثامن والعشرون في ذم الجاه والرياء)* اعلم أن الجاه محبوب القلوب فلا يسمح بتركه الا الصديقون ولذلك قيل آخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة ونبين الغرض من ذلك بفصول

(فصل) اعلم أن أصل الجاه هو انتشار الصيت وهو مذموم الا من شهره الله لنشر دينه قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالى أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولاترفع شخصك لكي تذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم وتسر الابرار وتغيظ الفجار قال ابراهيم بن أدهم ماصدق الله من أحب الشهرة ورأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر ياأمير المؤمنين ماتصنع فقال ان هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه الناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ماأغلق عليه بابي مااتبعني أحد منكم وقال الحسن ان خفق النعال خلف الرجال قل مايثبت معه قلوب الحمقى (فضيلة الخمول) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال

لم يشربها فى الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وعن ابن عمر رضى الله عنه قال خطب عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وأما الميسر فهو القمار وقال طاوس وعطاء ومجاهد كل شئ فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما الانصاب فهى الاوثان سميت بذلك لانهم كانوا ينصبونها واحدها نصب والازلام يعنى القداح التى كانوا يستقسمون بها واحدها زلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة رجس خبث من عمل الشيطان من تزيينه فاجتنبوه أى الرجس لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون أى انتهوا لفظه استفهام ومعناه الامر تقديره انتهوا وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه فانما على رسولنا البلاغ المبين وعلينا الانتقام قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية سبب نزولها أن الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وأكلوا من مال الميسر فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أى شربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر وروى أبو الليث السمرقندى رحمه الله عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن السلمى قال شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن أبى سفيان وقالوا هى لنا حلال لان الله تعالى قال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا فكتب فيهم الى أمير المؤمنين عمر بذلك فكتب عمر أن ابعث بهم الى فلما قدموا على عمر جمع لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاورهم فى ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين افتروا على الله وشرعوا فى دينه مالم يأذن فاضرب أعناقهم فان تابوا فاضربهم ثمانين فاستتابهم فضربهم ثمانين جلدة وقوله تعالى اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا صدقوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا الخمر والميسر بعد تحريمها ثم اتقوا ما حرم عليهم أكله وأحسنوا والله يحب المحسنين عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثنى الله تعالى هدى ورحمة للعالمين وبعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والاوثان وحلف ربى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى الخمر فى الدنيا الا حرمها الله عليه فى الآخرة ولا يتركها عبد من عبيده الا اسقاه الله يوم القيامة اياها فى حظيرة القدس وعن ابن المنكدر انه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم فى الدنيا عن اللهو ومزامير الشيطان اجعلوهم فى رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدى وثنائى وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال الله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وقال الحسن رحمه الله الاثم هو الخمر قال لبيد

شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب العقول

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة رواه مسلم وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو قال عصارة أهل النار رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد وثن ان مات لقى الله كعابد وثن رواه أحمد وقال أنس لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى له وسأل طارق بن سويد النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه فقال انما أصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء وعن عمر بن ياسر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا الديوث من الرجال والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله أما مدمن الخمر

ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتجلجل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم وروى ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله تعالى يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى أهل السماء وتخفون فى أهل الارض

(فصل) فى ذم حب الجاه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا واعلم أن حقيقة الجاه هو ملك القلوب وكما أن المال يتوصل به الى المقاصد فكذلك الجاه يتوصل به الى المقاصد والمال أحد المقاصد وكما أن المال يكتسب

فقد عرفناه فيما الديوث قال الذي لا يبالي بمن دخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التي تشبه بالرجال رواه الطبراني وعن أم أيمن قالت أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيأ وان عذبت أو خوفت أطع والديك وان أمراك أن تخرج من كل شئ هو لك فاخرج منه لا تترك الصلاة قد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله ولا تفر من الزحف وان أصاب الناس الموتان وأنت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم فى الله

(فصل فى آفات شرب الخمر) قال الفقيه أبو الليث رحمه الله اياك وشرب الخمر فان فى شربها عشر خصال مذمومة * أولها اذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير مضحكة الصبيان ومذموما عند العقلاء كما ذكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال رأيت سكران فى بعض سكك بغداد يبول ويتمسح بثوبه ويقول اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين وذكر أن سكرانا قاء فى بعض الطريق وجاء كلب يلحس فمه وهو يقول ياسيدى ياسيدى * والثانى أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم أرنا رأيك فى الخمر فانها متلفة للمال ومذهبة للعقل وقد ورد فى فضل العقل أحاديث منها أنه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله تعالى العقل ثم قال له اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب وقال عليه الصلاة والسلام ان الاحمق ليصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر بفجوره وانما ترتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضى الله عنه قال ما اكتسب رجل مثل فضل علم يهدى به صاحبه الى الهدى ويرده عن الردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس والثالث أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والاصدقاء كما قال الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر وهو القمار والرابع أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال الله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعنى انتهوا عنها فلما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه قد انتهينا يارب والخامس ان شربها يحمله على الزنا لانه اذا شرب ربما يطلق امرأته ولا يشعر وروى عن بعض الصحابة أنه قال من زوج كريمته من شارب الخمر فكأنما ساقها الى الزنا ومعناه أن شارب الخمر اذا سكر كثر كلامه فربما يجرى الطلاق على لسانه فيطلق امرأته فتحرم وهو لا يشعر والسادس أنها مفتاح كل شر لانه اذا شرب الخمر يسهل عليه جميع المعاصى والسابع أنه يؤذى الحفظة بادخالهم فى مجلس الفسق ويوجد الرائحة المنتنة منه فلا ينبغى أن يؤذى من لا يؤذيه والثامن أنه أوجب على نفسه الجلد ثمانين جلدة فان لم يضرب فى الدنيا فانه يضرب فى الآخرة بسياط من نار على رؤس الناس ينظر اليه الآباء والاصدقاء والتاسع أنه رد باب السماء على نفسه لا ترفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوما والعاشر أنه مخاطر بنفسه لانه يخاف عليه أن ينزع منه الايمان عند موته فهذه العقوبات فى الدنيا قبل أن ينتهى الى عقوبات الآخرة وأما العقوبات التى هى فى الآخرة فانها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وفوت الثواب فلا ينبغى للعاقل أن يختار لذة قليلة ويترك لذة طويلة كثيرة

(فصل) ما يزيل العقل من غير الاشربة كالبنج حرام لكن لا حد فى تناوله قال الماوردى كما نقله الرافعى عنه فى كتاب الاطعمة والنبات الذى يسكر وليس فيه شدة مطربة يحرم أكله ولا حد فى أكله ويجوز استعماله فى الدواء وان أفضى الى السكر اذا لم يكن عنه بد وعن القرافى المالكى أنه قال فى كتاب الذخيرة يجب على آكل الحشيشة الحد والتعزير أما الحد فبالقياس على الخمر وأما التعزير فلما ارتكب من الامور القبيحة قال بعض المتأخرين وهذه التعيسة أول ما بلغنا انها ظهرت فى أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة أى أول ما ظهرت الحشيشة فى بلاد الشام فى أيام التتار حين ظهرت دولة التتار فكان ظهورها مع ظهور سيف جنكزخان

بالحرف والصناعات فالقلوب تكتسب بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرات الا بالاعتقادات فكل من يعتقد الانسان فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له قلبه بل ملك القلوب استعباد للناس واسترقاق لهم واذا كان المال محبوبا فالجاه أولى واعلم أن الجاه قوت الروح الطالبة للاستعلاء والربوبية اذ الروح من عالم أمر الله وهو يطلب الربوبية والعلو والاستعباد للناس ويحب الكمال ويطلبه فلذلك لا ترى أحدا يغفل عن هذه الارادة

(فصل) اعلم أن النفس انما ترتاح للمدح وتهتز له لان فيه شعورا بالكمال والنفس محبة للكمال وعلى العكس تكره الذم لان فيه شعورا بالنقصان وهى تكره النقصان (بيان علاج حب الجاه) اعلم أن من ابتلى بحب الجاه صار همه مقصورا على حب الجاه وطلب الزيادة فيه واصطياد لقلوب الخلق وذلك يضطره الى الرياء والنفاق وكذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أعنى حب الجاه بذئبين ضاريين فى زريبة غنم وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل وعلاجه مركب من العلم والعمل أما العلم فهو أن يعلم أن مقصوده ملك القلوب وقد بينا أن ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس ذلك من الباقيات الصالحات فلو يسجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب مقدار خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود له وتكون كحال من قبلك من ذوى الجاه

وهى من أعظم المنكرات وشرمن الشراب من بعض الوجوه فتورث التخنث والدنية وتفسد المزاج فتجعل الكبد كالسفنجة وتوجب كثرة الاكل والجنون وهى تورث نشوة ولذة وطربا كالخمر والمعتاد لها يصعب عليه الفطام عنها أكثر من الخمر نسأل الله تعالى المعافاة من كل بلاء ذكر هذا الفصل جميعا ابن الملقن رحمه الله فى شرح المنهاج

(كتاب آفات الفرج وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى الزنا)

قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال النووى رحمه الله القول الصحيح فى معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وقال صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقلع منها رجع اليه الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل متكبر وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزانى والامام الجائر وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يارسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون قال ابن القيم رحمه الله ذكر عليه السلام من كل نوع أعلاه فأعظم الشرك أن تجعل لله ندا وأعظم أنواع القتل أن يقتل ولده خشية أن يشاركه فى طعامه وشرابه وأعظم أنواع الزنا أن تزنى بحليلة جارك فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التى لها زوج أعظم اثما وعقوبة من التى لا زوج لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه والحاق نسب به لم يكن منه وغير ذلك فان كان جارا له انضاف الى ذلك سوء الجوار وقد ثبت عنه عليه السلام انه قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه وأى بائقة أعظم من الزنا بامرأته فان كان الجار أخاه أو قريبا من أقاربه انضم الى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائبا فى طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم فان كانت المرأة رحما منه انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان كان الزانى محصنا كان الاثم أعظم فان كان شيخا كان أعظم اثما وهو أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فان اقترن بذلك أن يكون فى شهر حرام أو بلد حرام أو وقت معظم عند الله كأوقات الصلاة وأوقات الاجابة تضاعف الاثم وخص الله تعالى حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص (أحدها) القتل فيه أشنع القتلات حيث جمع فيه بين العقوبة على البدن بالحد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة (الثانى) نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة فى دينه (الثالثة) أمر الله سبحانه أن يكون حدهما بشهد من المؤمنين

(الباب الثانى فى اللواط)

قال الله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون روى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله من عمل عمل قوم لوط وقال صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة فى دبرها وقال صلى الله عليه وسلم من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر أوقال برئ مما أنزل على محمد وقال ابن القيم ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد فى بعض ضواحى العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة فى دبرها فكتب الى أبى بكر رضى الله عنه بذلك فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فكان على رضى الله عنه أشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا أمة من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها أرى ان يحرق بالنار فكتب أبو بكر الى خالد

أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت وقد مات فكتب فى جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء نظروا الى العواقب وعلموا أن ما هو آت قريب وأما العمل فلهم فيه طريق منهم من شرب شرابا حلالا يشبه الخمر فهجره الناس وظنوا انه شارب خمر ومنهم من عرف بالزهد فدخل الحمام ثم خرج ولبس ثياب غيره ووقف فى الطريق حتى عرفوه وأخذوه وضربوه وتداعوا عنه الثياب وقالوا انه طرار فهجروه وأقرب الطرق فيه العزلة والهجرة الى موضع الخمول فانه لو اعتزل فى بلده فلا يخلو عن نوع من أن يحب معرفة الناس باعتزاله وانزوائه (بيان العلاج فى الخلاص من حب المدح وكراهة الذم) قد بينا أن سببه الكمال الوهمى فاذا عرفت أنه لا أصل له ولا فائدة له الا فى العاجل فأما فى الآخرة فلا فائدة وان كان المدح بأمر دينى فذلك أيضا هو غير بين اذ غاية ذلك تحسين الخاتمة وبعد ما جاوزت هذا الخطر (بيان القسم الثانى من هذا الباب وهو الرياء) اعلم أن الرياء حرام وصاحبه ممقوت عند الله تعالى ويدل عليه

قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا

بحرقه

فرقه قال ابن عباس ينظر أعلى بناء بالقرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة وقال القرطبي في تفسيره اختلفوا فيما يجب على من عمل عمل قوم لوط قال مالك يرجم أحصن أو لم يحصن وكذلك يرجم المفعول به ان كان محتلما وقال أبو حنيفة يعزر المحصن وغيره وقال الشافعي رحمه الله يحد حد الزنا وقال بعض السلف اذا ركب الذكر الذكر عجت الارض الى الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظيم ما رأت وقال بعض التابعين ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار أشد من غلام أمرد يجلس اليه وقال صلى الله عليه وسلم سحاق النساء زنا بينهن (وروى) أن سليمان عليه السلام قال لابليس أى الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله قال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ أحب الى وأبغض الى الله من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة وقال الثعلبي قيل لما استغنى الرجال بالرجال جاءت شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهان بنت ابليس فشهت الى النساء ركوب بعضهن على بعض وعلمتهن كيف يصنعن قال المتولى اذا كانت المرأة تميل الى النساء وخافت من النظر الى الوجه والكفين الفتنة لم يجز لها النظر اليهن كما ذكرنا فى الرجل مع الرجل قال الشيخ شهاب الدين الاذرعى هذا مما يبتلى به ذات السحق وفى الترغيب فى المذهب لابى المفاخر سعد بن أسعد من متأخرى ينافى المائة السادسة فى كلامه فى نظر المرأة الى المرأة وان كانت سحاقة فكالرجل

(قصة اهلاك قوم لوط و بيان سبب اتيانهم هذه الفاحشة)

قال الله تعالى ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر فى الدنيا حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ وقال ان فعلتم بهم كذا نجوتم فأبوا فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا صباحا فأخبثوا فاستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء قال الكلبى ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لان بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس فى صورة شاب ثم دعا الى دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم وأمر الارض أن تخسف بهم قال ابن سيرين ليس شئ من الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الحمار والخنزير وعن أم هانئ رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذى كانوا يأتون قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون بهم ويروى أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك وقال أبو القاسم بن محمد يتضارطون فى مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبصق بعضهم على بعض وعن مكحول قال من اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف واللوطية قال الله تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهى خمس مدائن وفيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطرنا عليها أى على شذاذها ومسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطرنا عليهم حجارة من سجيل روى أن الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم أى كانوا فى البلاد ودخل رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقا فى السماء أربعين يوما حتى خرج فأصابه فأهلكه وقوله تعالى من سجيل أى صلبة وقيل طين مطبوخ منضود متتابع مسومة عند المشركين وقيل العاملين بعملهم ببعيد قال عليه السلام لا تذهب الايام والليالى حتى تستحل هذه الامة أدبار الرجال كما استحلوا أدبار النساء فتصيب طوائف منهم حجارة من عند ربك

(الباب الثالث فى اتيان البهائم)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه رواه

صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقيل يا رسول الله فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله تعالى يريد بها الناس وقال عليه الصلاة والسلام ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العبد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى يا معاذ قلت له بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين يمسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى سماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم يأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فيمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى

الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة فى دبرها والجامع بين المرأة وابنتها والزانى بحليلة جاره والمؤذى جاره حتى يلعنه الناس قال ابن قيم الجوزية رحمه الله فى كتاب الداء والدواء اختلف فيمن أتى بهيمة قيل يعزر وهو قول مالك وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه وقيل حكمه حكم الزانى وهو قول الحسن وقيل حكمه حكم اللوطى نص عليه أحمد فيخرج على الروايتين عنه فى حده هل هو القتل حتما أو هو كالزنا

(الباب الرابع فى الاستمناء باليد)

قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون أى الظالمون المتجاوزون الحلال الى الحرام قال الامام أبو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل فيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء قال ابن جريج سألت عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير عذب الله تعالى أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قال ابن الملقن رحمه الله فى شرح المنهاج الاستمناء حرام وفيه التعزير فان خاف العنت رخص فيه أحمد وأبو حنيفة كما نقله الرويانى عنهما فى الحلية ثم قال وله وجه عندى ولو مكن جاريته أو امرأته باللعب بذكره فأنزل قال القاضى حسين فى أول فتاويه يكره لانه فى معنى العزل

(باب الحث على غض البصر)

قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليدان زناهما البطش والرجلان زناهما الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة الى يوم القيامة وقال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقد قيل حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات وقال داود لابنه عليهما السلام يا بنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ابليس هى قوسى القديمة التى أرمى بها وسهمى الذى لا أخطئ به يعنى النظرة وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تكن حديد النظر الى ما ليس لك فانه لن يزنى فرجك ما حفظت نظرك فان استطعت أن لا تنظر الى ثوب المرأة التى لا تحل لك فافعل ولن تستطيع ذلك الا باذن الله تعالى ورؤى بعضهم فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب الا ذنبا واحدا فانه أوقفنى فيه حتى سقط لحم وجهى من الحياء قيل له وما هو قال نظرت الى غلام بشهوة قال أبو عبد الله الجيلى كنت أمشى يوما مع أستاذى ورأيت حدثا جميلا فقلت يا أستاذى ترى يعذب الله هذه الصورة قال ونظرت سترى عقوبته قال فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة وذكر بعض العلماء لغض البصر فوائد امتثال أمر الله الذى هو غاية سعادة العبد والامتناع من أثر السهم المسموم الذى لعل فيه هلاكه الى قلبه ويورث القلب انسا بالله ويقوى القلب ويفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه ويكسب القلب نورا كما أن اطلاقه يكسبه ظلمة ويورثه فراسة صادقة قال شجاع الكرمانى من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات واغتذى بالحلال لم تخطئ فراسته وكان شجاع هذا لم تخط فراسته

(فصل)

بالسماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا به وجه صاحبه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كالكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كالعروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون

(فصل) قال ابن القيم في كتاب الداء والدواء العشق ثلاثة أقسام عشق الرجل امرأته وجاريته وهو نافع فانه أدعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح وأكف للبصر والقلب عن التطلع الى غير أهله وعشق هو مقت من الله وبعد من رحمته وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة التي جلبت على قوم لوط ما جلبت ودواء هذا الداء الاستعانة بمقلب القلوب وصدق اللجأ اليه والاشتغال بذكره والتفكر في الآلام التي تعقب هذا العشق واللذة التي تفوته وعشق مباح لا يملك كعشق من رآها فجأة من غير قصد فأورثه ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يعاقب عليه والواجب على هذا أن يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره وعفته وتركه طاعة هواه وايثار مرضاة الله وما عنده وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة وعنه أيضا يرفعه من عشق وعف وكتم فمات فهو شهيد (حكايات) ثلاث الاولى قال ابن القيم حكي أن عمر بن عبد العزيز عشق جارية امرأته فاطمة بنت عبد الملك وكانت جارية شديدة الجمال وكان يطلبها من امرأته ويحرص أن تهبها له فتأبى ذلك ولم تزل الجارية في نفسه فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر وقالت يا أمير المؤمنين انك كنت سألتني جاريتي فلانة فأبيت عليك والآن قد طابت نفسي لك بها فلما قالت له ذلك بان الفرح في وجهه وقال عجلي علي بها فلما أدخلتها عليه ازداد بها عجبا وقال لها ألقي ثيابك ففعلت ثم قال لها على رسلك أخبريني لمن كنت ومن أين صرت لفاطمة قالت أغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا وكنت في رقيق ذلك العامل قالت فأخذني وبعث بي الى عبد الملك فوهبني لفاطمة فقال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت سيئة فقال شدي عليك ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله على العراق أن ابعث لي فلان بن فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع جميع ما غرمه الحجاج لابيك فلم يرفع اليه شيأ الا دفعه اليه ثم أمر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل أباك كان ألم بها فقال الغلام هي لك يا أمير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف بها قالت أين وجدك بي يا أمير المؤمنين قال على حاله ولقد زاد ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات رحمه الله (الحكاية الثانية) قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله في كتاب حدائق الاولياء ورياض السادة الاصفياء (حكي) أنه كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد فنظر الى جارية جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها ما نزل به فأرسل يخطبها فقال أبوها هي مسماة على ابن عمها فاشتد عليهما ألم الهوى فأرسلت اليه قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك فان شئت زرتك أو تأتيني الى منزلي فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم أخاف نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهبها فلما أخبرها الرسول بما قال قالت وأراه مع ذلك زاهدا يخاف الله والله ما أجد أحق بهذا الامر مني أحد انهم انخلعت من الدنيا ولبست المسوح وجعلت تتعبد وهي مع ذلك تذوب وتنحل وتزداد حبا للفتى حتى ماتت وكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر فقال كيف أنت قالت نعم المحبة محبتك حبيبا قود الى خير قال لها الام صرت قالت الى نعيم وعيش لا نفاد له في جنة الخلد فقال لها اذكريني هناك فاني لست أنساك فقالت وأنا والله لا أنساك وقد سألت ربي مولاي ومولاك فأعني على ذلك بالاجتهاد ثم ولت مدبرة قال فقلت لها متى أراك قالت عن قريب فلم يعش الفتى بعد الرؤيا الاسبع ليال (الحكاية الثالثة) قال الغزالي رحمه الله في الاحياء روي عن سليمان بن يسار أنه خرج حاجا من المدينة مع رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيأ وقعد سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأورع الناس فبصرت به أعرابية من قلة الجبل فلما رأت جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه وأسفرت عن وجهها كأنها

به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة بصلاة وزكاة وصيام وحج وصدقة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه اني أمرني ربي أن أحجب عنه كل عمل لم يرد به وجه ربي انه أراد بعمله غير الله أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن خالصا لله تعالى فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله تعالى لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك وعليه لعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله وأنا معاذ كيف النجاة قال اقتد بيقين وحافظ على لسانك من

فالعقة قرفقالت أهبنى فظن انها تريد طعاما فقلم الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما أريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال جهزك الى ابليس ثم وضع رأسه بين كميه وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رأت ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجلها حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه ورآه وقد انفجرت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتى فقال لا الا أن لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث ونحوها فلم يزل رفيقه به حتى أخبره بشأن الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك فقال أنا أحق بالبكاء منك لانى أخشى أنى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى أتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال سرحته شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من أنت يرحمك الله قال أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز لشأنا عجيبا قال له يوسف وشأنك وشأن صاحبة الابواء أعجب

(كتاب آفات اللسان وفيه أحد عشر بابا)

(الباب الاول فى الحفظة)

قال الله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قوله يتلقى أى يتلقن ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه عن اليمين وعن الشمال أى أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيئات قعيدا كتفى بأحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة ما يلفظ من قول ما يتكلم من كلام فيلفظه أى يرميه من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر أينما كان قال الحسن ان الملائكة عليهم السلام يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه فى مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يوزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وان عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر قال سفيان بن عيينة بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى للملائكة اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها واحدة فان عملها فاكتبوها عشرا واذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها واحدة فقام رجل فقال يا أبا محمد الملكان يعلمان الغيب فضج الناس وجعل سفيان يسكتهم بيده فلما سكتوا قال الملكان لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك فيعلمان انه قد هم بالحسنة واذا هم بالسيئة فاحت منه رائحة النتن فيعلمان أنه قد هم بالسيئة قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله اختلف الناس فى الكفار هل عليهم حفظة أم لا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد لقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال أبو الليث السمرقندى لا نأخذ بهذا القول بل عليهم حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة فى شأن الكفر ألا ترى الى قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال فى رواية أخرى وأما من أوتى كتابه بشماله وقال تعالى وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة فان قيل الذى يكون على يمينه أى شئ يكتب ولا حسنة له قيل له الذى يكون عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب قال النووى رحمه الله فى قوله عليه السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة هؤلاء الملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون فى كل بيت ولا يفارقون بنى آدم فى حال لانهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتابتها قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراآى له ملكاه الكاتبان فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق قد أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا

وغيرهم واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا أتدرى ما هى يا معاذ قلت ما هى بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال كلاب النار تنشط اللحم والعظم قلت فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحبه لنفسك وتكره لهم ما تكره لها قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما فى هذا الحديث قال عكرمة ان الله تعالى يعطى العبد على نيته لا على عمله لان النية أبلغ ولا رياء فيها (بيان حقيقة الرياء) والرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع والرياء أصله طلب رؤية الناس للمنزلة عندهم وطلب المنزلة عند الناس تارة تكون عند الناس بعمل غير العبادة وتارة تكون بالعبادة فالرياء فى العبادة المراآة بالثياب الحسنة وتغييرها وصفار اللون واعورة العين وتشعث الشعر وخفض الصوت والمشى بالتكاسل على سكينة وهدوء والتطيلس كل هذه تمتمات وان

وان كان فاحرا قالا لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فاذا مات قالا قدمات ائذن لنا أن نصعد الى السماء قال فيقول الله تعالى ان سمائى مملوأة من ملائكتى يسبحونى فيقولان فتأذن أن نقيم فى الارض فيقول الله عز وجل ان أرضى مملوءة من خلقى يسبحونى فيقول قوما على قبر عبدى فسبحانى واحمدانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك لعبدى الى يوم القيامة

(الباب الثانى فى النهى عن الغيبة والامر بحفظ اللسان)

قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم قال النووى رحمه الله اعلم أنه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد ينجر الكلام المباح الى حرام أومكروه وذلك كثير فى العادة والسلامة لا يعدلها شئ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله تعالى وهذا صريح فى أنه ينبغى أن لا يتكلم الا اذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته ومتى شك فى ظهور المصلحة فلا يتكلم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى المسلمون أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه الى يوم يلقاه رواه مالك فى الموطا والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لا تكثر والكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسى رواه الترمذى وعن معاذ قال قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن حوله من أمته اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة قلت ماهى يارسول الله قال الصلاة والزكاة والامانة والفرج والبطن واللسان رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد لابأس به وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ومعنى مزجته أى خالطته مخالطة يتغير طعمه بها أو ريحه لشدة نتنها وقبحها وقال صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم رواه أبو داود وقال صلى الله

الرياء بالعبادة وكل ذلك حرام اذا كان القصد منه المراآة وكذلك مراآة العلماء بالالفاظ المسجعة فى المواعظ لاجل غزارة العلم الا أن يقصد بذلك أن يكون أقرب الى قبول الدين منه ويكون قد صحت نيته فى أصل الوعظ فان ذلك ربما يجوز والمراآة بأصل العبادة هو أن يطول الركوع والسجود بين يدى الناس ليظنوا به الزهد والورع وربما تكلف ذلك فى الخلوة لئلا يحتاج الى التكلف بين يدى الناس ويظن أنه يخلص من الرياء بان يطول الركوع والسجود فى البيت واذا كان عزمه ذلك فقد زاد فى ريائه لأنه يخلص منه والقول الحق فيه أن يقال الرياء هو طلب الجاه فلا يخلو اما أن يكون بالعبادات أو بغيرها فان كان بغير العبادات فهو كطالب الحلال من المال فلا يحرم الا أن يكون بتلبيس فذلك المال والجاه يحرم على السواء ولا ينبغى أن يظن أن طلب الجاه محرم بالكلية فان القدر الذى يحتاج اليه من الجاه لضرورة المعيشة كالقليل من المال يجوز طلبه للحاجة وهو المراد بقول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فاذا فى الجاه سم وترياق كما سبق فى المال وكما أن كثير المال يطغى ويلهى عن ذكر الله تعالى فكذا كثير الجاه فان حصل بسعة الجاه من غير حرص منك ولم يشغلك عن الله تعالى وكان استعمالك له كاستعمالك للمال الكثير بالسخاء والايثار وايصال النفع الى الخلق

عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقال أبو هريرة رضي الله عنه من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب الله اليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويصيح ويكلح وقال مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليابس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي أن رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي وقال ابن المبارك لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي فانهما أحق بحسناتي وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من شئ أحق بطول السجن من اللسان وقال غيره مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وعن يحيى بن مسعود أن عيسى بن مريم عليهما السلام لقي خنزيرا على الطريق فقال له اذهب بسلام فقيل له تقول هذا للخنزير فقال عيسى اني أكره أن أعود لساني النطق بسوء

(فصل) روى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة فان لم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله بها في الدنيا والآخرة وقال ميمون بن يسار بينا أنا نائم اذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد الله ولم آكل قال بما اغتبت عبدك فلانا قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا أن يغتاب عنده أحدا وقال صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين

(فصل) قال النووي رحمه الله تباح الغيبة بستة أسباب أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على انصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان أو فعل بي كذا الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك الثالث الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي بكذا فهل له ذلك أم لا وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك وكذا قوله زوجتي تفعل معي كذا أو زوجي يضربني ويقول لي كذا فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول في رجل أو زوج أو والد كان من أمره كذا وكذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند في الصحيحين ان أبا سفيان شحيح الحديث الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشريعة ومنها الاخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته ومنها اذا رأيت من يشتري شيأ معيبا أو عبدا سارقا أو شاربا أو زانيا فتذكره للمشتري اذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الايذاء والافساد ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرورة فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا للنصيحة ومنها أن تكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها لعدم أهليته أو فسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله فلا يغتر به أو يلزمه الاستقامة الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس وتولي الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر السادس التعريف فاذا كان معروفا بلقب كالاعمش والاعرج والازرق والقصير ونحوها جاز تعريفه وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله الغيبة على أربعة أوجه ففي الوجه الاول هي كفر وهو اذا اغتاب المسلم فقيل له لا تغتب فيقول ليس هذا غيبة وأنا صادق في ذلك فقد استحل ما حرم الله تعالى ومن استحل ما حرم الله كان كافرا وفي الوجه الثاني هي نفاق وهو أن يغتاب انسانا ولا يسميه عند من يعرفه أنه يريد به فلانا فهو يغتابه ويرى من نفسه أنه متورع وفي وجه هي معصية وهو أن يغتاب انسانا ويسميه ويعلم أنها

ولكن ينبغي أن لا يلهيه عن الله تعالى ولا يحزن بزواله فعلى هذا الخروج الى الناس بالثياب الحسنة رياء ولكن ليس بحرام اذ ليس فيه رياء بالعبادة ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الخروج الى الصحابة كان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره قالت قلت أوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب للعبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق ولو سقط من أعينهم لفسد ذلك واعلم أن للرياء درجات فان كان كل مقصود من الفعل الرياء فهو مبطل للعبادة قطعا ويقرب من هذا أن يكون الرياء غالبا على نية العبادة وان كان قصد العبادة والرياء سواء بان يستقل كل واحد بنفسه فهذان تجارا سا برأس لا له ولا عليه فقد يرجح ان كان الاصل قصد العبادة والرياء مرجحا ولم يكن الرياء للاقدام على العبادة ولو كان شخص الرياء من غير قصد العبادة لما استقل الرياء فله لا يحبط أصل العمل ولكنه ينقص من الثواب أو يعاقب على مقدار مرآته

وأول محمل على قوله تعالى فأغنى الاغنياء عن الشرك المساواة بين القصدين ليخرج عن هذا القسم الاخير واعلم أنه

معصية

معصية وهو عاص وعليه التوبة وفي الوجه الرابع مباحة وهو أن يغتاب فاسقا معلنا بفسقه أو صاحب بدعة فهو مأجور لانهم يحذرون منه اذا عرفوا حاله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله كانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه وقال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته

(الباب الثالث في النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الافساد)

قال الله تعالى همازمشاء بنميم في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله رواه البخاري قال العلماء معنى وما يعذبان في كبير أي كبير في زعمهما وقيل كبير تركه عليهما وقال يحيى ابن كثير يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال الحسن من نم اليك نم عليك وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال الغزالي رحمه الله وكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا لزمه ستة أمور الاول أن لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر الثاني أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى والبغض في الله تعالى واجب الرابع أن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسيس والبحث عن تحقيق ذلك قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشيء فقال عمر رضي الله عنه ان شئت نظرنا في أمرك فان لم تكن كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية همازمشاء بنميم وان شئت عفونا عنك قال العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال أثمره الله والساعي لعنه الله (وحكى) ان رجلا أراد شراء عبد فقال له مولاه اني أبرأ اليك من النميمة والكذب فقال نعم أنت بريء منهما فاشتراه فجعل يقول لمولاه ان امرأتك تبغي وتفعل وانها تريد ان تقتلك ويقول للمرأة ان زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى فان أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوج ولا يتسرى فخذي الموسى واحلقي شعرة من حلقه اذا نام وقال للزوج انها تريد ان تقتلك اذا نمت قال فذهب فتناوم لها فجاءت بالموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه

(الباب الرابع في الكذب)

قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم قال قتادة أي لا تقل رأيت وأنت لم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا أؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواهما البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ رواه البخاري تحلم أي قال انه حلم في نومه ورأى كذا وكذا وهو كاذب الآنك بضم

ان كان الرياء بأصل الايمان فهو النفاق فهو يخلد في النار وان كان بأصول الفرائض لا بأصل (٢٠٥) الايمان فهو أخف وان كان بالنوافل وبأوصاف العبادات فقد سبق ذكره (بيان الرياء الخفي) الذي هو أخفى من دبيب النمل هو ما لا يستقل بحمله على العبادة ولا يؤثر في تحقيق العبادة رؤية الخلق ولكن يحب أن يعرف أو يطلع على عبادته ويسر بذلك فهذا هو الرياء الخفي وطريق دفع الرياء وعلاجه أن يعلم أن منشأه حب المال والجاه وحب المدح وقد سبق ذكره والذي ينبغي أن يتأمل أن الله تعالى مطلع على سره وسيقول له كنت أهون الناظرين فاذا تأمل ما يرجع اليه حاصله وانه يزول ذلك بالموت علم أن التنزه منه أولى (بيان الرخصة في كتمان الذنوب) اعلم أن الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية قال عمر عليكم بعمل العلانية قالوا وما عمل العلانية يا أمير المؤمنين قال ما اذا اطلع عليه أحدكم لم يستحي منه وقد قال عليه السلام من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وينبغي أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا كما يكره من نفسه (بيان أنه لا يجوز ترك العبادات خوفا من الرياء) فنقول اذا لم يكن الباعث أصل الرياء ولكنه يخاف أن يعرض له في اثنائه فينبغي أن لا يترك العبادة فان غرض الشيطان يحصل بترك العبادة بل يقدم على العبادة وليدفع الرياء بدوائه ولهذا قال بعضهم الرياء

النون والمد وتخفيف الكاف هو الرصاص المذاب قاله النووى وقال صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل شئ الا الخيانة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وعن عبد الله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك به الناس يهوى بها العبد ما بين السماء والارض وانه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهى كذبة رواه أحمد وعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال دعتنى أمى يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا فقالت ها تعال أعطيك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو لم تعطه شيأ كتبت عليك كذبة رواه أبو داود والبيهقى وقال عبد الله بن المبارك من عقوبة الكذاب أنه يرد عليه صدقه

(فصل فى تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كذبا على ليس ككذب على غيرى من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين قال النووى رحمه الله من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم لم يكفر الا أن يستحله هذا هو المشهور من مذاهب العلماء وقال الشيخ أبو محمد الجوينى يكفر بتعمد الكذب عليه ثم ان من كذب عليه عمدا فى حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها ولو تاب وحسنت توبته فقد قال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدى شيخ البخارى وصاحب الشافعى وأبو بكر الصيرفى من أصحابنا لا تؤثر توبته فى ذلك ولا تقبل رواياته أبدا والمختار القطع بصحة توبته فى هذا وقبول رواياته بعدها اذا صحت توبته بشروطها وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فأسلم وأجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية فى هذا انتهى كلام النووى رحمه الله وروى ابن الصلاح بسنده عن الاصمعى انه قال ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل فى جملة قول النبى صلى الله عليه وسلم من كذب على فليتبوأ مقعده من النار لانه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه كذا ولحنت فيه كذبت عليه

(فصل) فى المعاريض قال صلى الله عليه وسلم ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن عمر رضى الله عنه قال عجبت لمن يعرف المعاريض كيف يكذب وقال عقبة بن المغيرة كنا نأتى ابراهيم وهو خائف من الحجاج فكنا اذا خرجنا من عنده يقول ان سئلتم عنى وحلفتم فاحلفوا بالله ما تدرون أين أنا ولا لنا به علم ولا فى أى موضع هو واعنوا أنكم لا تدرون أى موضع أنا فيه قائم أو قاعد وقد صدقتم (وحكى) عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى انه كانت له جارية يطؤها سرا فى أهله فوطئها ليلة وأراد أن يغتسل فكره أن يعلم أهله فقال ان مريم بنت عمران كانت تغتسل فى مثل هذه الليلة فلم يبق فى منزله أحد الا اغتسل واغتسل هو معهم وكانت مريم تغتسل كل ليلة وكان النخعى قد خط فى داره مسجدا فاذا جاءه من لا يريد دخوله عليه قال للجارية قولى هو فى المسجد وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه أصبحت صائما وكان مفطرا وأراد أنه أصبح صائما فيما سلف يوما قبل ذلك اليوم وأحضر سفيان الثورى مجلس المهدى وحلف له أنه يعود اليه ثم نهض وترك نعله كالناسى ثم عاد من ساعته فأخذه وخرج فلم يره بعد ذلك فقال المهدى أترى سفيان حلف كاذبا فذكر بعض أصحابه أمر النعل فعرف أنه صادق وأنه عرضه ودخل بعض الزهاد على جبار وعنده مغن يتغنى فجعل الزاهد يقول للمغنى كما غنى وسكت أحسنت ليدفع عن نفسه شر الجبار فلما خرج قيل له فى ذلك فقال انما كنت أقول أحسنت اذ سكت والله أعلم

[illegible] فالاقدام عليها لاجل الخلق فهو نفاق محض *(فصل)* اعلم أن من العبادات ما يتعلق بالخلق كالخلافة والامامة والسلطنة والتدريس والوعظ وقد قال عليه الصلاة والسلام ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما واعلم أن المتقين كانوا يهربون منها لان فيها اخطارا عظيمة اذ يتحرك منها صفات الباطن بحب المال والجاه وسائر الآفات وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من والى عشيرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله وأوبقه جوره فالعاقل اذن يحق به أن يهرب عن محل الخطر ولينظر الى نفسه فان كان الغالب عليه طلب الثواب فليفعل وعلامة ذلك أنه اذا ظهر من ينوب عنه ويكفيه ذلك يفتقه ولا يغتاظ منه فهم تغنم والله أعلم بالصواب

(الباب التاسع والعشرون فى ذم الكبر والعجب وفيه فصول)

اعلم أن الكبر مذموم قال الله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ومعنى الكبر صفة فى النفس تنشأ من رؤية

*(الباب

(الباب الخامس في شهادة الزور وكتم الشهادة)

قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت وفي الحديث لاتزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفي الاثر عدلت شهادة الزور الاشراك بالله قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وكما تحرم شهادة الزور يحرم كتمان الشهادة قال الله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم من كتم شهادة اذا دعي اليها كان كمن شهد بالزور

(الباب السادس في اليمين الغموس والنهي عن الحلف بغير الله تعالى)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه في كتاب الله عزوجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قالوا وان كان شيأ يسيرا يارسول الله فقال وان كان قضيبا من أراك رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس رواه البخاري وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم أو في النار وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه افتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لو حلفت حلفت صادقا وانما هو شئ افتديت به يميني رواه الطبراني في الاوسط باسناد جيد وروي أيضا عن الاشعث بن قيس رضي الله عنه قال اشتريت يميني مرة بسبعين ألفا وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال ألا ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال النووي قال العلماء الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى ولا يضاهى به غيره وقد جاء عن ابن عباس لأن أحلف بالله تعالى مائة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فأبر فان قيل هذا الحديث مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم أفلح وأبيه فجوابه أن هذه كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين فان قيل فقد أقسم الله تعالى بمخلوقاته فقال تعالى والصافات والذاريات والطور والنجم فالجواب أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه وعن ابن عمر أيضا أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك رواه الترمذي وحسنه ابن حبان وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بالامانة فليس منا رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على ملة غير الاسلام فهو كما قال رواه البخاري قوله على ملة غير الاسلام كقوله ان فعل كذا فهو يهودي أو نصراني فقد برئ من الاسلام

(الباب السابع في اللعن)

في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن المؤمن كقتله قال النووي والظاهر أن المراد أنهما سواء في أصل التحريم وان كان القتل أغلظ وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها

كان صلى الله بأن لا يذعن لامره فذلك هو الكفر التام وان كان على الرسل بأن لا يذعن لبشر مثله فهو أيضا كفر تام والثالث أن يتكبر على الخلق ويدعوهم الى خدمة نفسه والتواضع له وذلك أيضا منازعة لله تعالى في كبريائه فانه لا ينبغي لغيره أن يكون مطاعا البتة والكبران كان بالمال والجاه فذلك قد سبق علاجه وان كان برؤية الصلاح فذلك يناقض نفس الصلاح وان كان بفعل الخيرات والعلم والعمل فذلك حقيق بأن يكون لله فاذا تكبر به على الناس فقد أخذ الاجر عليه كما ورد في الاخبار فيكاد يحبط أجر ذلك فهذا هو الطريق في معالجته وبالمقابلة لما يجده فيها من الخواطر يستريح فاذا مالت نفسه الى الترفع على الناس بعمل التواضع ويداوم عليه فلعل الله يخلصه عن هذه الرذيلة ومهما حدثته نفسه بالخلاص عن الكبر فعليه أن يمتحن نفسه بأربعة أمور أولها أن يجرب نفسه في المناظرة مع خصم حتى يظهر انه هل يغضب لظهور الحق على يد غيره وهل يشتهي الاستعلاء أم لا الثاني أن يقدم الاقران على نفسه في المحافل الثالث أن يحمل

حاجته الى بيته من طعام وغيره فهو من السنة ويتعاطى الاعمال في بيته مع غلامه ويأكل معه وذلك كله من السنة ومن جملة ذلك اجابة دعوة

دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها رواه أبو داود وقال النووى رحمه الله لعن المسلم المصون حرام بالاجماع ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة كقولك لعن الله الظالمين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله المصورين ونحو ذلك كما جاء فى الاحاديث وأما لعن الانسان بعينه ممن اتصف بشئ من المعاصى كيهودى أو نصرانى فمقتضى الاحاديث أنه ليس بحرام وأشار الغزالى الى تحريمه الا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبى لهب قال لان اللعن هو الابعاد عن رحمة الله تعالى وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق أو الكافر قال وأما الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعيانهم فيجوز أنه علم أنهم يموتون على الكفر قال ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم

(الباب الثامن فى السب)

قال الله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر رواه البخارى ومسلم قال النووى فى تأويله أقوال أحدها أنه فى المستحل والثانى أن المراد كفر الاحسان والنعمة وأخوة الاسلام لا كفر الجحود والثالث أن يؤل الى الكفر بشؤمه والرابع أنه كفعل الكفار وقال صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ما أكفر رجل رجلا الا باء أحدهما بها ان كان كافرا والا كفر بتكفيره رواه ابن حبان وقال صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه رواه البخارى ومسلم

(فصل فى قوله ولا تلمزوا أنفسكم الآية) قوله ولا تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض ولا تنابزوا بالألقاب التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الانسان بغير ما يدعى به قال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك قال عطاء هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال النخعى اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة أرأيتنى خلقته حمارا أو رأيتنى خلقته خنزيرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أى بئس الاسم أن تقول له يا يهودى أو يا فاسق بعدما آمن ومن لم يتب من ذلك فأولئك هم الظالمون

(الباب التاسع فى الغناء)

قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية قال مجاهد يعنى شراء القينات والمغنيات فعلى هذا المعنى من يشترى ذات لهو الحديث وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وثمنهن حرام وفى مثل هذا نزلت الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله اليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب ولا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير رضى الله عنهم قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى قوله يشترى لهو الحديث يختار ويستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق فى القلب

الايمان وقال من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال من حمل حاجته فقد برئ من الكبر فاذا عرفت هذا فاعلم أن خير الامور أوساطها فالتواضع المحمود أن يتواضع للاقران فى غير ذلة

(فصل فى العجب) اعلم ان العجب مذموم قال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وقال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وحقيقة العجب تكبر يحصل فى الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل فان كان خائفا على زواله فهو غير معجب وان كان يفرح بكونه نعمة من الله فهذا ليس أيضا بعجب من حيث انه نعمة من الله تعالى وان كان ناظرا اليه من حيث هو صفته غير ملتفت الى امكان زواله ولا الى المنعم بل الى صفة نفسه فهذا هو العجب وهو من المهلكات وعلاجه أن يتأمل فى عاقبة ... فى ... كيف ... بالكفر وكذلك ... فى ... سوء الخاتمة ... لا ... من صفة ... والمنة

وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف وقيل الغناء رقية الزنا قال قتادة حسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق واختلف العلماء في الغناء فأباحه جماعة من أهل الحجاز وهي رواية عن مالك وحرمه أبو حنيفة وأهل العراق ومذهب الشافعي كراهته وهو المشهور من مذهب مالك

(الباب العاشر في انشاد الشعر)

قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون أي أهل الغي وهم الشياطين فقيل رواتهم وقيل السفلة والبطلة ألم تر أنهم في كل واد يهيمون قال ابن عباس في كل لغو يخوضون ويمدحون بالباطل وأنهم يقولون مالا يفعلون أي يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة وقالت عائشة رضي الله عنها الشعر كلام منه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة رضي الله عنهم وقال البيهقي وابن خزيمة المراد من قوله عليه السلام لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا أي يمتلئ منه حتى لا يشتغل بعلم سواه ولا يذكر غيره وروى علي بن زيد عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضي الله عنه يا نبي الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم كحسان وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضي الله عنهم وذكروا الله كثيرا أي في شعرهم وكلامهم وانتصروا من بعد ما ظلموا قال مقاتل انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي منقلب ينقلبون أي مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس رضي الله عنهما الى جهنم والسعير

(الباب الحادي عشر في ذكر أشياء ورد النهي عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسئلة وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ أعطاه وقال صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا ولا معنا خبب أفسد وخدع وقال صلى الله عليه وسلم لا يسئل بوجه الله الا الجنة وفي الحديث ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال له ويحك قطعت عنق صاحبك وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه اللهم اغفر لي مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون وأثنى عليه أيضا رجل في وجهه وكان بلغه أنه يقع فيه فقال علي أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك وقال صلى الله عليه وسلم من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه وقال صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله

(باب النهي عن التجسس وغيره مما ورد النهي عن استماعه)

قال الله تعالى ولا تجسسوا وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد

المغترين كثير ونحن نورد منها أربعة أصناف الاول من العلماء الثاني من العباد والثالث من المتصوفة والرابع من أرباب الدنيا وأصحاب الاموال ولنبدأ بما ورد في ذم الغرور قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله الآية وقال عليه السلام حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين والغرور أن يعتقد الشئ على خلاف ما هو به فهو نوع من الجهل وسكون النفس الى ما يوافق الهوى من الخيال والشبهة في المغترين من غره ظنه الفاسد بأن الحياة الدنيا نقد ويقين والآخرة نسيئة وشك والنقد واليقين لا يترك بالنسيئة والشك واليه الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب الآية وهؤلاء هم الكفار فايمانهم تارة يحصل بعلة وتارة ببرهان ودليل وتارة بتقليد ولا شك أن المريض يشرب الدواء بقول الطبيب رجاء للصحة فلو قال لا أشرب الدواء الا أن أتيقن كونه نافعا فكذلك هلاكه كيف والعقل يقتضي الاحتراز لمجرد الاحتمال فهذا المدبر ان كان قول الانبياء ومعجزاتهم لا تورثه يقينا فلا أقل من أن يورث ظنا كالد الأواحة لا والعاقل

الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم قيل التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم البحث عن العورات وقيل هما بمعنى وهو طلب معرفة الاخبار الغائبة والاحوال وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب الله في أذنه الآنك يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر المسلمين من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله وقال صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يستمع منها صب في أذنيه الآنك وسئل أبو علي الروذبادي عن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال لاني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال فقال نعم قد وصل لكن الى سقر وقال صلى الله عليه وسلم ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير رواه ابن ماجه ونقل صاحب عوارف المعارف اتفاق أصحاب الشافعي على تحريم سماع الغناء من المرأة الاجنبية وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي من الله يانبي الله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء قوله فليحفظ الرأس وما وعى الوعى الحفظ يريد ما يحفظ الرأس من السمع والبصر واللسان حتى لا يستعملها الا فيما يحل وقوله والبطن وما حوى أي وما جمع يريد لا يجمع فيه الا الحلال ولا يأكل الا الطيب وقيل يحتمل أن يكون المراد بما حوى الفرج والقلب والرجل

(كتاب النهي عن الغضب والامر بكظم الغيظ والحلم والعفو والرفق وفيه خمسة أبواب)

(الباب الاول في النهي عن الغضب)

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وقال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر

(الباب الثاني في كظم الغيظ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وقال صلى الله عليه وسلم من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا بعد القدرة وقال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه الغضب فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت

(الباب الثالث في الحلم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم واطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة

والحلم

[illegible] رضي الله عنه لبعض الملحدين بعد أن أورد الحجج على الملحدين ان كان الامر على ما تزعمه فقد تخلصت أنا وتخلصت وان كان على ما أزعمه فتخلصت وهلكت ومن الناس من غرهم قوله ان الله كريم رحيم ومن الناس من يدل بتقوى الآباء وورعهم وذلك كله محال أما قوله ان الله كريم رحيم فقد صدق ولكن جميع آي القرآن دالة على أن كرمه ورحمته بأن يوفق في الدنيا للخيرات وقال تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم هلا اعتمد على كرمه في الرزق وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب فأمر بالتوكل على الله في الرزق والتعويل على كرمه فلا يفعل وأمر بالعمل للآخرة فيتوكل وهذا غاية الانعكاس وأما من يدل بورع الآباء وتقوى النسب فلينظر الى قوله تعالى لنوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح والى قوله عليه السلام لما استأذن من الله تعالى أن يزور أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فبكى لذلك وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني واعلم أن للعاقل البصير المشتغل طول الليل والنهار بالطاعات مع التجنب المعاصي أبدا يكون خائفا سوء الخاتمة ويسأل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت في

والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة القائم الصائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا أهل بيته وشتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما قضى مقالته قال يا عكرمة أنظر هل للرجل حاجة نقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وجاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له فقال له من كسر رجل هذه قال انا فعلته عمدا لاغيظك فتضربني فتأثم فقال لأغيظن من حرضك على غيظي فأعتقه ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نائم فعثر به فرفع رأسه وقال أمجنون أنت فقال عمر لا فهم به الحارس فقال عمر مه انما سألني أمجنون أنت فقلت له لا وسب رجل علي بن الحسين رضي الله عنهما فثارت اليه العبيد فقال مهلا ثم أقبل على الرجل فقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسل وقال رجل لوهب بن منبه ان فلانا شتمك فقال وما وجد الشيطان بريدا غيرك وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه

(الباب الرابع في العفو)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه

(الباب الخامس في الرفق)

في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الامر كله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه رواهما مسلم

(باب في ذم الحقد والحسد)

قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الحسد ان يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه وهو حرام والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز قال الكلبي لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة وفي القرآن قوله تعالى واسألوا الله من فضله وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرار بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة فاطلع رجل فسئل عن عمله فقال اني لا أجد لأحد من المسلمين في قلبي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة

الحياة الدنيا وفي الآخرة ويخاف سواء في القدر فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود قلت موضع الرجاء اثنان أحدهما أن يرجى نفسه الغفران بالتوبة حين استبعد ذلك بسبب كثرة الذنوب ودلالة الشيطان بحبل غروره وتقنيطه والآخر موضعه أن يرجي نفسه نعيم الفردوس ومعالي الدرجات كما ورد في الاخبار لئلا يقتصر على الفرائض ونحن الآن نبين أصناف المغترين الصنف الاول العلماء وقد سبق ذكر غرورهم في كتاب العلم وان العلماء بالله من زاد علمه في خشيته قال عليه السلام أما أعلمكم بالله وأخشاكم لله فمن لا يعلم عيوب باطنه أو يعلم ولا يجتهد في ازالتها فهو مغرور لا ينفعه علمه البتة (الصنف الثاني في أرباب العبادات) والمشغول بكل صنف منها أعني أنواع العبادة لا يخلو عن نوع من الغرور الا الاكياس الذين وفقهم الله وقليل ما هم فمنهم من أهمل الفرائض وضيعها بأحكام السنن والشروط كمن تشغله الوسوسة في الوضوء وتنظيف الثياب حتى يفوت وقت الفرض أو يضيق ومنهم من لا تستقيم له النية فتغلبه الوسوسة فيها حتى تفوته الجماعة ومنهم من تحمله الوساوس على أنه يعود في قراءة الفاتحة ويقول اني أخرج الحروف من مخارجها ولا يهمه غيره ومثال هؤلاء كرسول بعث برسالة الى ملك قاصد فأخذ يتأنق في ارتداد الحروف ولا يزال يرددها ويعيدها وهو غافل عن احترام المجلس فهو جدير بأن يرد ذلك الى دار المرضى

محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقون بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد ويروى ان الله تعالى قال الحاسد عدو نعمتي محنط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا وهو يصير الى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال ابليس اللعين لنوح عليه السلام اياك والحسد فانه صيرني الى هذا الحال وقال بعض السلف ان أول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذى أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا (حكاية) قال الغزالى رحمه الله فى الاحياء قيل كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعو به اليك فاذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال أحسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فمه مخافة ان يشم الملك ريح الثوم فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك صاحب كتابى فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط لى الملك بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فأخذه ومضى الى العامل فقال ان فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته قال الملك انه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر قال ما فعلت قال فلم وضعت يدك على أنفك قال كان أطعمنى طعاما فيه ثوم كرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه

(قصة آدم عليه السلام حين حسده ابليس اللعين)

قال الله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال مجاهد خلقنا أباكم آدم ثم صورناكم فى ظهره قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية فى هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له ولم يكن فيه وضع الوجه على الارض انما كان انحناء فلما جاء الاسلام بطل ذلك بالسلام وقيل معنى اسجدوا لآدم أى الى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة قال الله تعالى ما منعك أى يا ابليس أن لا تسجد أى ان تسجد ولا صلة اذ أمرتك قال ابليس مجيبا له أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار خير وأنور من الطين قال محمد بن جرير ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين على النار وقالت الحكماء للطين فضل على النار من وجوه منها ان من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعى لآدم بعد السعادة التى سبقت له الى التوبة والتواضع

بين التوبة بورد الظلم ولم يتعلم علم آفات الاعمال وما يحتاج اليه من تنقية الظاهر والباطن فلابد وأن يكون مغرورا بعلمه (الصنف الثالث الصوفية والمتصوفة وهم فرق) فمنهم من رضى بمجرد زيهم وآدابهم الظاهرة وظنوا أن الامر الى هذا الحد ومنهم من زاد فلبس المرقعات الرفيعة التى تزيد فى القيمة على الابريسم ومثالهم كعجوزة سمعت أن رجال الحرب أثبتت أساميهم فى ديوان السلطان فلبست الدروع وجملة الاسلحة ونهضت بين يدى السلطان فأمر بتعريتها عن السلاح وتجربتها فى القتال والمبارزة فلما رفع المغفر عن رأسها وخلع الدروع عن بدنها انكشفت عن عجوز فقيل لها هذه استهانة بالملك فتؤخذ وتطرح بين يدى الفيل ويقام عليها السياسة وفرقة تلقنت ألفاظ القوم فى علوم المعرفة فادعت المعرفة وذلك والعياذ بالله هو الهلاك ومنهم من وقع فى الانخلاع زاعما أنه لا حاجة الى أعمالنا ولا يدرون أن الحاجة لهم الى أعمال أنفسهم لا لغيرهم ومنهم من انبسط فى جميع أنواع الاموال لا يفرق ولا يميز ولا يدرى أن التبكدى من الحلال مخالف شأنه فكيف من الحرام ومنهم من فتح له الطريق فلما أحس بنسيم المعرفة وقف عنده وظن أنه

والتواضع والتضرع فاورثته الاجتباء والتوبة والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهى الداعية لابليس بعد الشقاوة التى سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة ولان الطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفرقها ولان الطين سبب الحياة فان حياة النبات والاشجار به والنار سبب للهلاك قال الله تعالى فاهبط منها أى من الجنة فما يكون لك أن تتكبر فيها بمخالفة الامر ولا ينبغى أن يسكن الجنة متكبر مخالف لامر الله فاخرج انك من الصاغرين من الاذلاء قال ابليس عند ذلك أنظرنى امهلنى فلا تمتنى الى يوم يبعثون من قبورهم وهو النفخة الاخيرة عند قيام الساعة أراد الخبيث ان لا يذوق الموت قال الله تعالى انك من المنظرين و بين مدة النظرة فى موضع آخر بقوله تعالى الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم قال فبما أغويتنى أى لاجل انك أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم أى لأجلسن لبنى آدم على طريقك القويم وهو الاسلام ثم لآتينهم من بين أيديهم قال ابن عباس من بين أيديهم أى من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم أرغبهم فى دنياهم وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى ولا تجد أكثرهم شاكرين أى مؤمنين قيل انه قال هذا ظنا فأصاب قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال الله تعالى لابليس أخرج منها مذؤما مدحورا أى لعينا منفيا لمن تبعك منهم من بنى آدم لأملأن جهنم منكم أجمعين و يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال ابن عباس هى السنبلة وقيل شجرة العنب وقيل التين قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما أى ليظهر لهما ما غطى وستر عنهما من عوراتهما فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أى كراهة أن تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا من الخالدين أى من الباقين الذين لا يموتون وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قيل لما أراد ابليس أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء منعته الخزنة فأتى الحية وكانت صديقاله وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ابليس أن تدخله فى فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة فلما دخلها وقف بين يدى آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك فقال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وغرهما بأكل الشجرة فأبيا أن يقبلا منه فقاسمهما بالله انه لهما من الناصحين فاغترا وما ظننا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها قال ابن عباس وقتادة قال الله عز وجل لآدم ألم يكن فيما أبحت لك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لأهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله قال ابن عباس لما أكل آدم من الشجرة قال الله عز وجل يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لى حواء قال فانى أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك قال الله تعالى فدلاهما بغرور أى خدعهما وقيل حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية ولا يكون التدلى الا من علو الى سفل والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ورى عنه من عورة صاحبه قال وهب كان لباسهما من النور وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة القميص وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا أى بالمعصية وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال الله تعالى اهبطوا أى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب

فقد وصل وعجائب هذا الطريق لا تحصى فان وقف عند كل واحد من هذه العجائب طال مقامه وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار فى الطريق ولا الى ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها بل جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله عز وجل فظنوا انهم وصلوا الى الله عز وجل فغلطوا فان لله عز وجل سبعين حجابا من نور فلا يصل السالك الى واحد من تلك الحجب الا ظن انه قد وصل ولعل اليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام بما أخبر الله تعالى عنه قال فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر وكان يعلمها و يعلم انها ليس الهه وهى كثيرة وليست بواحدة وكيف يغتر مثل الخليل بما لا يغتر به أحد العوام والجهال ولكن المراد به نور من أنوار الله تعالى وهى أول الحجب وهى على طريق السالك ولا يتصور الوصول اليه الا بعبور هذه الحجب وهى حجب من نور بعضها أصغر و بعضها أكبر بقدر القرب والبعد وأصغر الانوار السماوية هى الكواكب فاستعير لفظه لاول تلك الانوار لانها اصغر تلك الانوار وأعظمها الشمس و بينهما القمر فلم يزل ابراهيم لما رأى ملكوت السماء حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات الآية يتصل الى نور بعد نور وحجاب بعد حجاب

من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية بأصفهان بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين أي الى انقضاء آجالكم قال الله تعالى فيها أي في الارض تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون أي من الارض تخرجون للبعث

(قصة هابيل وقابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وهما هابيل وقابيل اذ قربا قربانا وكان سبب قربانهما ان حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدت أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليمى وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا وكان آدم يزوج غلام هذا البطن جارية بطن آخر فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء الا توأمته لانه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم ثم ان الله تعالى أمر آدم أن ينكح قابيل لبودى أخت هابيل وينكح هابيل اقليمى أخت قابيل وكانت أحسن من أخت هابيل فذكر ذلك آدم لولديه فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بهذا وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا قبلت نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل نار وأكلته الطيور والسباع وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي تقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وكان قابيل يضمر الحسد في نفسه الى ان ذهب آدم الى مكة لزيارة البيت فأتى قابيل هابيل قال لأقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ورد قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الذميمة فقال هابيل ما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمر وأيم الله ان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده وهذا في الشرع جائز أن من أريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضي الله عنه اني أريد أن تبوأ ترجع باثمي واثمك أي باثم قتلي الى اثمك أي اثم معاصيك الذي عملت من قبل فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت أي زينت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فلما قتله لم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم وقصده السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوما وقيل سنة حتى أروح فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجليه حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه فلما رأى قابيل ذلك قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي أي جيفته فأصبح من النادمين على حمله لا على قتله ثم ان قابيل أخذ بيد أخته اقليمى وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس فقال انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب لك نارا تكن لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو أول من عبد النار قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان أيام نوح وبقي نسل شيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل

(باب ذم الدنيا)

قال الله تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقيل ان عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوزة هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال

زالته نور والكلما ينكشف له ما بعد ذلك ظهر للاول درجة الانحطاط عن ذروة الكمال ويطلع على أنه بمثابة فيقول لا أحب الآفلين ولا يزال كذلك الى أن يتجاوز عن كل ما يتناهى فلما انتهى الى جناب لا نهاية له وانقطع طمعه عما دون ذلك قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض والسالك لا يصل الى هذه الانوار والحجب ما لم يخرج عن حجاب نفسه وهو أيضا أمر رباني بل هو نور من أنوار الله تعالى أعني القلب والروح الذي فيه تتجلى رقيقة الحق حتى انه ليتسع بجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل حتى قيل انه اللوح المحفوظ فاذا انتهى اليه السالك فيشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له كما دل عليه القرآن فاذا انجلى نوره وانكشف جمال القلب ويرى من جماله ما يدهشه فربما سبق في تلك الدهشة لسانه فيقول أنا الحق فان أخذ التوفيق بيده ومدته الالطاف الالهية سار منه ولم يقف عنده فهو يعرف بعدم منزل الانوار الالهية والاهبة فهذا محل الغرور اذ ربما ابس عليه المتجلي والمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراآى في المرآة فيظن انه لونها وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج فكأنهم

فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلتهم قال عيسى بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله رواهما البخاري ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وقال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع رواهما مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لو كان لي مثل أحد ذهبا لسرني أن لا يمر علي ثلاث ليال وليس عندي منه شئ الا شئ أرصده لدين رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم أنظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم لفظ مسلم وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان أعطي منها رضي وان لم يعط لم يرض رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رواه مسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء صححه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم الا ان لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسك ميت فقال أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشئ فقال والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والانس والجن عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمعه سليمان عليه السلام فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود وما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين

كما قيل
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر
وبهذه العين نظرت النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يتراءى كوكبا في مرآة أو ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد اليد اليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في هذا الباب لا تحصى في مجلدات ولعل هذا القدر أيضا الاولى تركه اذ السالك لا يحتاج الى السماع من غيره والذي لم يذقه لا ينتفع به وبسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن لا يخلو السامع من فائدة ما وهو أن يسمع فلعله عنده التوفيق فيعلم أن الامر فوق ما يظنه ويقدره في ذهنه المختصر وخياله القاصر وقلبه المرجوف ويصدق أيضا بما يسمع من الحكايات والمكاشفات التي أخبر عنها الاولياء لله تعالى ومن غلبت عليه شقوته وأحاطت به خطيئته كذب بهذا كما كذب بما سمع من قبل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (الصنف الرابع) أرباب الاموال فمنهم من يبني المساجد والرباطات والقناطر ويأمر بكتب اسمه عليها وهو يريد بذلك الصيت والذكر المخلد في الناس ويطمع بعد ذلك في المغفرة وهو خطأ وغرور من وجهين أحدهما أنه من الاموال المكتسبة بالظلم والغصب والنهب وردها الى ملاكها الاسالك عن أمثالها أولى بها من ذلك والوجه الثاني انهم يريدون به الرياء والسمعة

له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي حتى أتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتؤمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به وقال عمر بن عبد العزيز الدنيا عدوة أولياء الله تعالى وعدوة أعداء الله أما أولياء الله فغمتهم وأما أعداء الله فغرتهم وقال لقمان لابنه بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم وقال بعضهم الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن أرادمنها فليصبر على معاشرة الكلاب وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقال رجل لعلي رضي الله عنه صف لنا الدنيا قال وما أصف لكم من دار من صح فيها ما أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها حساب وفي حرامها عذاب وقال بعضهم عجبا لمن يعرف بأن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقال بشر من سأل الله تعالى الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاثة انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقال الحسن أهينوا الدنيا والله ماهى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها (وحكى) ابن الجوزى رحمه الله في روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال قسم المولى جلت قدرته الاحوال بين عباده فعبد نصيبه من الخلق وعبد نصيبه من الحق وعبد نصيبه من العطاء العاجل وعبد نصيبه من العطاء الآجل وعبد نصيبه من الثياب الفاخرة وعبد يعطى العز في الآخرة قال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه ليس للمؤمن في الدنيا دولة لانها داره سجنه و بلائه وانما حظه فيها الصبر والكظم للغيظ والاخذ بالفضل واذا جاءت الآخرة ظهرت دولته وعلت كلمته وروى عنه عليه السلام انه قال المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه ونقل أبو الليث عن بعض الحكماء أنه قال المنازع أربع عمرنا في الدنيا ومكثنا في القبر ومقامنا في الحشر ومصيرنا الى الابد الذى خلقنا له فمثل عمرنا في الدنيا كالمتعشى للحاج لا يطمئنون فيه ولا يحلون الدواب والانقال لسرعة الارتحال والانتقال ومثل مكثنا في القبور كمثل النزول في بعض المنازل يضعوا الانقال فيستريحون يوما أو ليلة ثم يرتحلون ومثل مقامنا في الحشر كنزولهم بمكة وهي غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق يقضون النسك ثم يفترقون يمينا وشمالا كذلك يوم القيامة اذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فريقا الى الجنة وفريقا الى السعير وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا

أرفى بذلك والآخرانه تشغل المصلين عن الصلاة بتلك النقوش فغروره من حيث انه رأى المنكر معروفا ويدل عليه ما قاله الحسن رضي الله عنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه وعلى الجملة فكل من أنفق مالا على مسكين أو فقير أو موضع فيه خير فليطالب نفسه هل تسمح بالاخفاء فان لم تسمح فلعل فيه رياء وارادة سمعة فان قلت فما الحيلة بعد هذا التعميم فانك ذكرت أن جميع هذه الفرق لا تخلو عن أنواع الغرور فالجواب أنه لو صح منك الهوى كان أرشد للعمل وانه ليسير على من يسره الله عليه فمن يقدر على استخراج الذهب والفضة من المعادن واستصعاد الحوت من اغمار البحور واستنزال الطير من الهواء لا يعجز عما هو أهون منه فاذا عرف غوائل الاعمال وعلم أن ما سبق ذكره من الرياء والجاه والصيت في الناس لا يبقى بل الموت طوى كل ذلك وعلم نفسه في جوار به وعزته وجلاله الدنيا و انها دار الغرور الآخرة وانها دار الحيوان

ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء استوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان وأشرف المنكوحات المرأة وهو مبال في مبال (حكايات ثلاثة الاولى) روى أن عيسى عليه السلام صحبه رجل وقال يانبي الله أكون معك فانطلق فانتهى الى شاطئ نهر فجلس يتغدى ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال أين الرغيف قال لا أدري فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية ومعها ولدان لها فدعا واحدا فأتاه فذبحه وشوى منه وأكل منه هو وذلك الرجل ثم قال له قم باذن الله عز وجل فقام فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدري فانطلق حتى انتهى الى مغارة فجمع عيسى عليه السلام ترابا ثم قال له كن ذهبا باذن الله عز وجل فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث وقال ثلث لك وثلث لي وثلث للذي أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذته فقال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فجاء اليه رجلان وأرادا أن يأخذا الذهب ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فقبلا ذلك فقال يذهب واحد الى القرية يشتري لنا طعاما فذهب واحد واشترى طعاما وقال في نفسه أجعل في هذا الطعام سما وأقتلهما وآخذ المال جميعه وجعل فيه السم وقالا فيما بينهما لأي شئ نجعل له الثلث اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال نصفين فلما رجع اليهما قتلاه ثم أكلا من الطعام فماتا فبقي المال في المغارة والثلاثة قتلى عنده فمر عيسى عليه السلام فرآهم على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (الحكاية الثانية) حكى عن بعض الامراء أنه وقعت عليه ذبابة فألحت عليه فطردها فلم تنطرد فقال في نفسه لو أن لي الملك ينزل مني هذا الخلق الضعيف هذا المال ولا كابدت منه صعوبة الحال فنزع عن نفسه ثياب الوزارة وخلع عن منكبيه رداء الامارة ولم يره أحد بعدها راكبا جواده ولا متوشحا بالسيوف الحداد (الحكاية الثالثة) قال ابن خلكان من أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان عن ابن عبد الرحمن الهاشمي قال دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة في ثياب رثة فقالت لي والدتي أتعرف هذه قلت لا قالت هذه أم جعفر البرمكي فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زمانا ثم قلت ياأمي ما أعجب ما رأيت قالت لقد أتى علي يابني عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة واني لأعد ابني عاقا لي ولقد أتى علي هذا العيد وما مناي الاجلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف بالآخر قال فدفعت لها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا

(باب ذم المال)

قال الله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون قيل التعذيب في الدنيا المصائب الواقعة في المال والولد وقيل تعذيبهم بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم على ملك لا يعذره وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الانسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الامن قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم وقيل يارسول الله أى أمتك أشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة دون الههم وربا دون ربهم الى أمرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام ذكر

فيقول أنت رجل سلمت من هذه الآفات فيجب عليك أن تدعو الخلق الى ذلك وتنصحهم وهذا دأب الشيطان فان من استمعه عليه في الدنيا باعه من قبل الدين وقد ذكرنا شرائط الوعظ والنصح فان وجد نفسه أهلا بعد استعمال تلك الشرائط فعل ذلك موافقا ان شاء الله تعالى فافهم تغنم

(الباب الحادي والثلاثون في التوبة وفيه فصول وهو الاول من ربع المنجيات)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور علم وحال وفعل فأما العلم فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا وجدت هذه المعرفة ثار منها حال هو التألم بخوف فوات المحبوب وهو الندم وباستيلائه يثور ارادة التوبة وتلافي ما مضى وقد قال عليه السلام الندم توبة ويكون بعد العلم كما ذكرناه (بيان وجوب التوبة) دل عليه العقل فيما بيناه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية وقال ان الله يحب التوابين وقال النبي عليه السلام التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال عليه السلام ان الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش

هذا الحديث أبو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء وقال رجل يارسول الله مالي لاأحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يارسول الله قال فقدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وروى أن عليا رضي الله عنه وضع درهما على كفه وقال أما انك مالم تخرج عني لاتنفعني وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم مامنزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه فقيل مارقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال يحيى أيضا مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وماهما قال يؤخذ ماله منه كله ويسئل عنه كله وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرت لولدك من بعدك قال ويلك أدخره عند ربي لنفسي وأدخر ربي لولدي

(باب ذم الحرص والامل)

في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب قوله ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب أي لايزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لايشبعان منهوم العلم ومنهوم الدنيا والمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم لايزال قلب المؤمن شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الامل وقال صلى الله عليه وسلم أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة وعن عبد الله ابن عمر قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأمي نطين شيأ فقال ماهذا ياعبد الله قلت شئ نصلحه قال الامر أسرع من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي مابين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب الله له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وكان محمد بن واسع رحمه الله يبل الخبز اليابس ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد ويروى أن الله تعالى قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن قال بعض الحكماء في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وماتوعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون يعني كما أن كل انسان ينطق بلسان نفسه لايمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعدما ملك خزائن الارض يايوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال لها يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله من قصر أمله أكرمه الله تعالى بأربع كرامات يقوي على الطاعة ويقل همه اذ علم أنه يموت عن قريب ويجعله راضيا بالقليل فانه اذا علم أنه يموت عن قريب يكون أكثر همه هم الآخرة وينور قلبه ويقال نور القلب من أربعة أشياء بطن جائع وصاحب صالح وحفظ الذنب القديم وقصر الامل ومن طال أمله عاقبه الله بأربعة أشياء التكاسل عن الطاعة وتكثر همومه ويصر على جمع المال ويقسو قلبه لانه يقال قسوة القلب من أربعة أشياء بطن ممتلئ وصحبة صاحب السوء ونسيان الذنب الماضي وطول الامل قال ذو النون المصري انما دخل الفساد على الناس من ستة أمور الاول ضعف النية لعمل الآخرة والثاني صارت أبدانهم

عليها علامته وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وقد أجمعت الائمة على وجوب التوبة وهي ثمرة الندم الحاصل في القلب وذلك لايدخل تحت الاختيار انما يدخل سببه تحت الاختيار وهو طلب علمه ولذلك قلنا وجب العلم لانه داخل في التوبة الواجبة لالان العبد يحدثه بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة من القادر فالله تعالى خلقكم وما تعملون فهذا هو الحق عند ذوي البصائر وما عداه فهو ضلال فان قلت أليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وهذا لايناقض قولنا ان الكل من عند الله بل الاختيار أيضا من خلق الله تعالى والعبد مضطر في اختياره فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق العظام للبدين وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون أن يتناوله مانع يتعذر معه تناوله أولا ثم خلق العلم بانه لامانع فعند اجتماع هذه الاسباب تجزم الارادة الباعثة على التناول فهذه الامور مترتبة في سنة الله تعالى ولا تخلق حركة اليد بكتابة مفهومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وقوة ويخلق حركة ومالم يخلق لارادة الجزم وهو ان يخلق شهوة وميلا في النفس ولا

أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم طول الأمل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضا المخلوق على رضا الخالق والخامس اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا زلات السلف حجة لانفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم

(قصة قارون)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى وكان ابن عمه وقيل كان عمه ولكن نافق كما نافق السامرى فبغى عليهم قال قتادة بغى عليهم بكثرة المال وقيل بالكبر وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب لتنوء بالعصبة أولى القوة أى لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها قال ابن عباس كان يحملها أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقال خيثمة وجدت فى الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز اذ قال له قومه لا تفرح لا تبطر ولا تأشر ان الله لا يحب الفرحين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة اطلب فيما أعطاك الله من الاموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر ما أنعم الله عليك وتنفقه فى رضا الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا قال على رضى الله عنه لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض كل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال يعنى قارون انما أوتيته على علم عندى أى على فضل وخير علمه الله عندى فرآنى أهلا لذلك وفضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالبا ثلثه وعلم قارون ثلثه فاحتال عليهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان ذلك سبب أمواله قال الله تعالى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون أى الكافرة من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا أى من الاموال ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة رضى الله عنه يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد لا تسئل الملائكة عنهم لانهم يعرفون بسيماهم وقال الحسن لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ فخرج على قومه فى زينته قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض وعليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم قال ابن عباس يعنى الاحبار من بنى اسرائيل وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله فى الآخرة ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا مما أوتى قارون فى الدنيا ولا يلقاها أى الاعمال الصالحة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وذلك ان قارون طغى وعتا وتكبر وآذى موسى بأنواع من الاذى وكان موسى يداريه للقرابة التى بينهما ولا يزيده ذلك الا عتوا وتجبرا قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى صالح قارون على كل ألف دينار دينارا وعلى كل ألف درهم درهما وعلى كل ألف شاة شاة وعلى كل ألف شئ شيئا فحسب ذلك قارون فوجده كثيرا ولم تسمح به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم كل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال ادعوا فلانة البغى فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك رفضه بنو اسرائيل فدعوها فجعل لها ألف درهم وقيل ألف دينار على أن تقذف موسى بنفسها غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل ينتظرونك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له

يبعث هذه المثل ما لم يخلق علما بأنه موافق للنفس فى الحال أو المآل ولا يخلق العلم أيضا الا باسباب أخر ترجع الى قدرة وارادة وعمل فالعلم والميل الطبيعى أبدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة أبدا يستتبع الحركة وهكذا الترتيب فى كل فعل والكل مخلوق لله تعالى سنة الله التى خلت فى عباده وفى قضائه الذى هو كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فخلق حركة فى يد الكاتب بعد خلق القدرة والقصد والعلم والارادة فاذا ظهرت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبقت أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا أيها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودى من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وعند هذا تحيرت عقول القاعدين فى بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط قائل انه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه ولكن القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذه الامور وانما يدرك ذلك باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ومن جهل سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط

قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها فسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله اليه اني أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذت الارض بأقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون في ذلك الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فأوحى الله عز وجل الى موسى ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لأغثته وفي بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لأحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال وأصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله تعالى موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله قال مجاهد ألم تعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي يوسع ويضيق لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ومعنى الآية أنهم ندموا على ذلك التمني قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض قال عطاء استطالة على الناس وتهاونا بهم ولا فسادا قال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق والعاقبة للمتقين أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه

(كتاب مدح السخاء والايثار وذم البخل وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول في مدح السخاء)

قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء أول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء وقال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يا ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال صلى الله عليه وسلم قال جبريل قال الله عز وجل ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولا يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وقال صلى الله عليه وسلم ما جبل الله عز وجل أولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وقيل يا رسول الله أي الايمان أفضل قال الصبر والسماحة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي لتعيشوا في أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو

بان كل هؤلاء في الجبر والاختراع والكسب صادق من وجه قاصر من وجه فأقول لتحصل ذلك أعرفك بمثال فأقول جماعة من العميان سمعوا انه حمل الى بلدهم حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا سمعوا اسمه ولا رأوه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعضهم على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الا أنه ألين منه وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس فيه غلظ الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن انما هو لين وليس فيه خشونة فاذن قد صدق كل واحد منهم اذ أخبر عما وصل اليه في الفيل ولم يخرج أحد منه ولكن أخطؤا اذ ظنوا أنهم أدركوا الكل فاعتبر بهذا فانه مثال أكثر ما اختلف فيه الناس ونرجع الى الغرض فنقول قد بينا وجوب التوبة بثلاثة أجزاء والآن نقول هو وجب على الفور لان الخلاص عن المعاصي واجب على الدوام وكذلك صحة هذه قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا وبه تعلم أيضا انه واجب على جميع الناس على العموم له

له صدقة وما أنفق الرجل نفقة فعلى الله تعالى خلفها وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بين يدي الله تعالى مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله تعالى الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له

(حكايات الاسخياء من كتاب الاحياء)

اجتمع قراء البصرة الى ابن عباس رضي الله عنهما وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام ابن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوها ثم قال ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس وقال أبو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها ثم هيأت لهم فأكلوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فانا صانعون بك معروفا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض السكك فاذا الحسن جالس على باب داره فعرفها وهي لا تعرفه فبعث غلامه وقال لها يا أمة الله هل تعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلام الى الحسين فقال بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتعبتهما فرجعت الى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار وبعث هرون الرشيد الى مالك بن أنس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ اليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيه خمسمائة دينار وتعطيه ألف دينار وأنت من رعيتي فقال يا أمير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم ألف دينار واستحييت أن أعطيه أقل من دخل يوم (وحكي) انه لم تجب الزكاة عليه مع أن دخله كل يوم ألف دينار ويروى أن امرأة سألت الليث بن سعد شيأ من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدرها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا

(الباب الثاني في ذم البخل والشح)

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بقوم خيرا ولى أمرهم الحكماء وجعل المال عند السمحاء واذا أراد الله بقوم شرا ولى أمرهم السفهاء وجعل المال عند البخلاء رواه أبو داود في مراسيله

وذلك لانه لا يخلو أحد عن ذنب يصيبه اما بالجوارح أو بالخواطر وأقله الغفلة عن الله تعالى والتوبة عنه شأن الانبياء والصديقين وشأن من لم يرض من حياته بمجرد الوجود بلا فائدة وأما الأذكياء الذين شرح الله صدورهم للاسلام وكتب في قلوبهم الايمان فقد علموا أن كل نفس من أنفاسهم جوهرة نفيسة لا قيمة لها حتى أن الدنيا وما فيها لو قوبلت بنفس لم يلقوا قيمته فحافظوا على أوقاتهم وغيرهم تاهوا في غفلاتهم حتى اذا جاء أحدهم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ومعناه أن يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه الى ربي وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيغرغر بروحه ويتردد أنفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب والعياذ بالله أصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة لمثل هذا قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال

وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا منان ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من البخل وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب وبقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه

(حكايات البخلاء من كتاب الاحياء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما أجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك وقيل كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم حتى يشتهيه فاذا اشتهاه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ان مس عينا أو أذنا أو خدا عرفت ذلك وآكل منه ألوانا عينه لون وأذنه لون ولسانه لون وغلصمته لون ودماغه لون وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف وكان للأعمش جار وكان لا يزال يقول له لو دخلت منزلي فتأكل كسرة وملحا فأبى عليه الاعمش فعرض عليه يوما فوافقه جوع الاعمش فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب البيت بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيدا منه يدعوني الى كسرة وملح فوالله ما زادني عليهما ودعا بعضهم أخا له ولم يطعمه شيأ الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له أي صوت تشتهي أسمعك قال صوت المقلى

(الباب الثالث في مدح الايثار)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى نسائه هل عندكن من شئ فقالت ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الانصار أنا فانطلق به الى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله تعالى الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكن كانوا يؤثرون على أنفسهم وروى أن عليا رضي الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة وأحبها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله (حكى) ابن خلكان عن المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد

أن يتبع السيئة بالحسنة تمحوها كما ورد في الخبر (بيان أن التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة) اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك ان كل توبة صحت فلابد مقبولة فالناظرون بنور البصيرة الى أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم عند الله تعالى مقبول مستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما في الاصل وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلمة المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار كما لا تبقى كدورة الوسخ مع بياض الصابون الا أن يكون والعياذ بالله قد أفسدت الذنوب جرم القلب لكثرتها ودوامها كما قال الله تعالى في حق الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكما قال الله تعالى بل طبع الله على قلوبهم وذلك في حق الكفار والمنافقين أما المسلمون فلا قال عليه السلام لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم تاب الله عليكم (بيان اعداد التوبة) وهي الذنوب كلها وقد علمت ذلك بما سبق ذكره في الصفات المذمومة وما يتولد منها من

تزينوا

تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة فلو احتلت في شيء أصرفه في كسوتهم
قال فكتبت الى صديق الهاشمي أسأله التوسعة على ما حضر فتوجه كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم
فما استقر قراري حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي فوجهت اليه
الكيس بحاله وخرجت الى المسجد وأقمت ليلتي مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني
ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته فيما
وجهت به اليك فعرفته الخبر فقال لي انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى
صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي فتواسينا الالف درهم فيما بيننا ثم انا أخرجنا
للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل
واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار

(باب ذم الرياء)

قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا
أشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول
الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك
حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في
النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته
وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به
فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه
فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك
فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار رواه مسلم جريء بفتح الجيم
وكسر الراء والمد أي شجاع صادق وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ناسا قالوا له انا ندخل على أمرائنا
فنقول لهم بخلاف ما نتكلم اذا خرجنا من عندهم قال ابن عمر كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به رواه البخاري
ومسلم سمع بتشديد الميم ومعناه أظهر عمله للناس رياء سمع الله به أي فضحه يوم القيامة ومعنى من راءى
راءى الله به أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك راءى الله به أي أظهر سريرته
على رؤوس الخلائق وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في
عمل لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله تعالى فان الله أغنى الشركاء عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم يخرج
في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر
وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى أبي تغترون أم علي تجترئون بي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة
تدع الحليم فيهم حيرانا وقال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر أن يشار اليه بالأصابع في دين أو دنيا
الا من عصمه الله وقال صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله
وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه الا
ما كتب له وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر
يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا
فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال
صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب

الاعمال والتوبة من الكبائر والصغائر جميعا وقد قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فاذا عرفت ذلك فاعلم أن ما يتعلق
به حق الغير لا تصح التوبة
عنه الا بتحكيمه وتفويض
الامر اليه كالقصاص
والمظالم وأنواع الغرامات
وحد القذف هذا لمن أراد
التوبة ومن امتنع منها
فطريق حل عقدة الاصرار
عن قلبه أن يخوفه بما ورد
من الآيات والاخبار في
أحوال المذنبين ويذكره
بحال من مات على التسويف
قبل التوبة وعقوبته
ويبين له أن العقوبة قد
تعجل في الدنيا حتى انه ان
كان أعمى عن عقوبة
الآخرة فاعله أن يخاف
الخذلان في الدنيا والله أعلم
فافهم تغنم والله أعلم

*(الباب الثاني والثلاثون
في الصبر والشكر وفيه
فصول)*

اعلم أن الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر
على ما شهدت به الاخبار
والآثار أما الصبر فقد قال
الله تعالى في الثناء عليه
وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا لما صبروا وقال تعالى
وتمت كلمة ربك الحسنى على
بني اسرائيل بما صبروا
وقال تعالى ولنجزين الذين
صبروا وسئل عليه السلام
عن الايمان فقال الصبر
والسماحة وقال عليه
السلام الصبر كنز من كنوز
الجنة (بيان حقيقة الصبر)
اعلم أنه مركب من العلم
والحال والعمل فالعلم فيه كالشجر والحال كالاغصان والعمل كالثمار فتعلم أن المصلحة الدينية في الصبر فتورث ذلك قوة وداعية متقاضية لفعل الصبر

وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا منان ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من البخل وقال بشر النظر الى البخيل يقسى القلب و بقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه

(حكايات البخلاء من كتاب الاحياء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما أجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال أتقيأ طباهجة البيض الموت ولا ذلك وقيل كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم حتى يشتهيه فاذا اشتهاه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبننى فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ان مس عينا أو أذنا أو خدا عرفت ذلك وآكل منه ألوانا عينه لون وأذنه لون ولسانه لون وغلصمته لون ودماغه لون وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لى فيه مرافق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يقول له لو دخلت منزلى فتأكل كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه يوما فوافقه جوع الاعمش فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب البيت بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق وعيدا منه يدعونى الى كسرة وملح فوالله ما زادنى عليهما ودعا بعضهم أخا له ولم يطعمه شيأ الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له أى صوت تشتهى أسمعك قال صوت المقلى

(الباب الثالث فى مدح الايثار)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الى نسائه هل عندكن من شئ فقالت ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الانصار أنا فانطلق به الى امرأته فقال أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال هيئى طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله تعالى الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكن كانوا يؤثرون على أنفسهم وروى أن عليا رضى الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى جبريل وميكائيل انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة وأحبها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب رضى الله عنه آخيت بينه وبين نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله (حكى) ابن خلكان عن المسعودى فى كتاب مروج الذهب أن الواقدى قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتى أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد

أن يتبع السيئة بالحسنة تمحوها كما ورد فى الخبر (بيان أن التوبة اذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لا محالة) اعلم أنك اذا فهمت معنى القبول لم تشك ان كل توبة صحت فلابد مقبولة فالناظرون بنور البصيرة الى أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم عند الله تعالى مقبول مستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما فى الاصل وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلمة المعاصى مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار كما لا تبقى كدورة الوسخ مع بياض الصابون الا أن يكون والعياذ بالله قد أفسدت الذنوب جرم القلب لكثرتها ودوامها كما قال الله تعالى فى حق الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكما قال الله تعالى بل طبع الله على قلوبهم وذلك فى حق الكفار والمنافقين أما المؤمنون فلا قال عليه السلام لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم (بيان أقسام التوبة) وهى الذنوب كلها وقد علمت ذلك بما سبق ذكره فى الصفات المذمومة وما يتولد منها من

قال تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه

ترينوا

تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة فلو احتلت في شيء أصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديق الهاشمي أسأله التوسعة على ما حضرني فوجه كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراري حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد وأقمت ليلتي مستحيا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فعرفته الخبر فقال لي انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي فتواسينا الالف درهم فيما بيننا ثم انا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار

(باب ذم الرياء)

قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال ما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل يحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار رواه مسلم جريء بفتح الجيم وكسر الراء والمد أي شجاع صادق وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ناسا قالوا له انا ندخل على أمرائنا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم اذا خرجنا من عندهم قال ابن عمر كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به رواه البخاري ومسلم سمع بتشديد الميم ومعناه أظهر عمله للناس رياء سمع الله به أي فضحه يوم القيامة ومعنى من راءى راءى الله به أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك راءى الله به أي أظهر سريرته على رؤس الخلائق وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله تعالى فانا أغنى الشركاء عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان دجالون يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى أبي تغترون أم علي تجترؤن بي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا وقال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الا من عصمه الله وقال صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه الا ما كتب له وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب

الاعمال والتوبة من الكبائر والصغائر جميعا وقد قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فاذا عرفت ذلك فاعلم أن ما يتعلق به حق الغير لا تصح التوبة عنه الا بتحكيمه وتفويض الامر اليه كالقصاص والمظالم وأنواع الغرامات وحد القذف هذا لمن أراد التوبة ومن امتنع عنها فطريق حل عقدة الاصرار عن قلبه أن يخوفه بما ورد من الآيات والاخبار في أحوال المذنبين ويذكره بحال من مات على التسويف قبل التوبة وعقوبته ويبين له أن العقوبة قد تعجل في الدنيا حتى انه ان كان أعمى عن عقوبة الآخرة فلعله أن يخاف الخذلان في الدنيا والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الثاني والثلاثون في الصبر والشكر وفيه فصول)

اعلم أن الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر على ما شهدت به الاخبار والآثار أما الصبر فقد قال الله تعالى في الثناء عليه وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا وسئل عليه السلام عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال عليه السلام الصبر كنز من كنوز الجنة (بيان حقيقة الصبر) اعلم أنه مركب من العلم والحال والعمل فالعلم فيه كالشجر والحال كالاغصان والعمل كالثمار فتعلم أن المصلحة الدينية في الصبر فتورث ذلك قوة وداعية متقاضية لفعل الصبر

نفذ أجلك ممن كنت تعمل له وروى أن عمر رضى الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب وانما الخشوع فى القلب ورأى أبو أمامة رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال انت أنت لو كان هذا فى بيتك وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى أنظروا الى عبدى يستهزئ بى قال ابراهيم بن أدهم ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب والله ماصدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت حلقته قام مخافة الشهرة وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قل ماثبت معه قلوب الحمق وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره وقال بعضهم كنت مع أبى قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث أوصنى فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وقال بشر ماأعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس

(فصل) قال أبو الليث رحمه الله تكلم الناس فى الفرائض فقال بعضهم لا يدخل فيها الرياء لانها فريضة على جميع الخلق فاذا أدى ماهو فرض عليه لا يدخل فيه الرياء وقال بعضهم يدخل الرياء فى الفرائض وغيرها قال أبو الليث وهذا عندى على وجهين أما ان كان يؤدى الفرائض رياء الناس ولولم يكن رياء الناس لكان لا يؤديها فهذا منافق تام وهو من الذين قال الله تعالى فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار يعنى فى الهاوية مع آل فرعون لانه لو كان توحيده صحيحا خالصا لكان لا يمنعه عن أداء الفرائض وان كان يؤدى الفرائض الا أنه يؤديها عند الناس أحسن وأتم وان لم يره أحد يؤديها ناقصة فله ثواب الناقص ولا ثواب لتلك الزيادة وهو مسؤل عنها محاسب عليها وقال صلاح الدين العلائى رحمه الله فى قواعده لو أشرك فى العبادة غير قصدها من أمر دنيوى أو رياء فالذى اختاره الغزالى اعتبار الباعث على العمل فان كان القصد الدنيوى هو الاغلب لم يكن فيه أجر وان كان القصد الدينى هو الاغلب كان له أجر بقدره وان تساويا تساقطا والذى اختاره ابن عبد السلام أنه لا أجر فيه مطلقا سواء تساوى القصدان أو اختلفا

(كتاب ذم الكبر والعجب ومدح التواضع وفيه ثلاثة أبواب)*

(الباب الاول فى ذم الكبر)

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس رواه مسلم قال النووى رحمه الله بطر الحق دفعه ورده على قائله وغمص الناس احتقارهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ متكبر رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت النار فى الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فى ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى الله بينهما انك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء وانك النار عذابى أعذب بك من أشاء ولكليكما على ملؤها رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال فى مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله مرجل رأسه أى ممشطه يتجلجل بالجيمين أى يغوص وينزل وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما

حد الاسراف وأما الصبر على العبادة فان يعلم أنه يصبر أياما قلائل ويسعد فى مقابلته أبد الآبدين ويحتاج فيه الى الصبر عن افشائه بالرياء وأعظم الصبر مايلزمه فى الامساك عن الشهوات والاسترسال على موجبها كما سبق ذكره ومما يلزمه الصبر عليه هوان يجنى عليه من انسان بقول أو فعل قال بعض الصحابة رضى الله عنه مانعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا الصبر تارة على نفس الفعل واحتماله وتارة على المكافأة وفيهما تمام الايمان القسم الآخر ما يهجم من غير اختيار كالمصائب من الامراض وذهاب العين وفساد الاعضاء وموت الاعزاء قال ابن عباس رضى الله عنه الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض فله ثلاثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعمائة درجة وقد قيل ان الصبر الجميل هو أن لا يعرف من صاحب المصيبة ولا يمكن الوصول الى هذا الا برياضة طويلة فى مدة مديدة والله أعلم أما الشكر ففضيلته ان الله تعالى قرنه بالذكر مع أنه قال ولذكر الله أكبر وقال تعالى اذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا

ما أصابهم رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سهى ولهى ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وطغى ونسى المبتدى والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله قوله تخيل أى تخيل أنه خير من غيره واختال تكبر واعتدى أى جاوز قدره وظلم وسهى أى غفل عن الله والطاعة ولهى من اللهو وعتا وطغى وتجاوز الحد ونسى المبتدى والمنتهى أى ابتداء خلقه وهو النطفة وانتهاء حاله الذى يؤل اليه وهو التراب يختل الدنيا بالدين أى يطلب الدنيا بعمل الآخرة يختل الدين بالشبهات أى جعل اتيان الشبهات أساس دينه حتى كأنه يصطاد بها ويقع فى الحرام بالتأويلات طمع صفة العبد وصفه بالمصدر مبالغة وقيل هو على حذف مضاف أى ذو طمع وذو هوى وقوله رغب بضم الراء وسكون العين الشره والحرص على الدنيا ويروى بفتحها بمعنى الرغبة وقال ثابت بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده الموت وقال بعض السلف أول ذنب عصى الله به الكبر قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال سفيان بن عيينة من كانت معصيته فى شهوة فارجو له التوبة فان آدم عليه السلام عصى مشتهيا فغفر له وان كانت معصيته فى كبر فاخشى عليه اللعنة فان ابليس عصى متكبرا فلعن وقال أبو بكر رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وكان الاحنف يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاءه يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فيه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك

(قصة اغراق فرعون حين تكبر وتجبر)

قال الله تعالى ان فرعون علا فى الأرض أى استكبر وتعظم فى الأرض أى أرض مصر قيل كان فرعون اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبية من الديباج مخوصة بالذهب وقيل كان له ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق على كل فرس طوق من ذهب قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ولو كان له فى تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط وروى أن الله عز وجل لما أراد اهلاك فرعون وقومه أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببنى اسرائيل من مصر ليلا فخرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما علم فرعون بهم خرج فى ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فقالوا يا موسى أين ما وعدتنا هذا فرعون ان أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيها اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو اسرائيل كل سبط فى طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء كالطاقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام

قوله عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والشكر أن يعرف أنه لا نعم الا الله ثم اذا عرفت تفاصيل نعمة الله عليك باعضائك وجسدك وروحك وجميع ما تحتاج اليه من أمور معيشتك ظهر فيك فرح بالله وتفضله عليك ثم تحرص فى العمل بموجبه وذلك بالقلب واللسان وسائر الجوارح أما بالقلب فبأن يضمر الخير لجميع الخلق وتحضره أبدا فى ذكر الله تعالى فلا ينساه وأما اللسان فتظهر به الشكر بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بنعمته على معصيته فشكر العين أن تستر كل عيب تراه من مسلم ولا تنظر بها الى المعاصى وشكر الاذنين أن يستر ما يسمع من العيوب ولا تسمع بهما الا ما أباح لك وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد السؤال فأعاد الجواب حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله تعالى وأشكره قال عليه الصلاة والسلام هذا الذى أردت منك وكل أحد اذا سئل عن شىء فهو بين أن يسكت فيكون به مطيعا أو يشكو فيكون به عاصيا فان قال قائل ما معنى الشكر والشكر نعمة تامة من الله تعالى فيقول هذا السؤال قد خطر ببال داود وموسى عليهما السلام فقال موسى عليه السلام فكيف أشكرك وأما

بعض حتى عبر ذا البحر سالمين ثم ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخله كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيله أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول خلفه في البحر فجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر أمر الله البحر أن يأخذهم فانضم عليهم فأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فقال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من جبال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك أي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ببدنك بجسدك لا روح فيه وقيل ببدنك بدرعك وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر فرأوه في درعه فصدقوا

(الباب الثاني في ذم العجب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل هلك الناس فانه أهلكهم قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله الروايات المشهورة برفع الكاف وروى بنصبها قال وهذا النهي لمن قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس وارتفاعا عليهم فهذا هو الحرام وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم وقاله تحزنا عليهم وعلى الدين فلا بأس به هكذا فسره العلماء وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن أنه محسن وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أذهب عنكم غبية الجاهلية أي كبرها ونفرها بالآباء كلكم بنو آدم وآدم من التراب وروى أن رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع قال في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فأنف وقال له قم عني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وروى أن رجلا من بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله تعالى أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر لك قال ابن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق ورد في الخبر أن الله سبحانه وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة على بعض أنبيائه قل للعالم لا يعجبنك علمك فان أعجبك فأخبرني عن أجلك متى هو وقل للغني لا يعجبك غناك فان أعجبك فارزق عبادي رزق يوم واحد وقل للقوي لا تعجبك قوتك فان أعجبتك فلم غلبتك شهوتك وقل للفطن المعول على تدبيره لا يعجبك تدبيرك وفطنتك فان أعجبك فمالك عمرت الدار الفانية وأخربت الدار الباقية روى أن ابليس قال اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث أطالبه بغيرهن اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه قال أبو الليث من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء (أولها) ان يرى التوفيق من الله تعالى فاذا رأى التوفيق منه فانه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه (الثاني) ينظر الى نعم الله تعالى التي أنعم الله عليه بها فاذا نظر الى نعمه استقل عمله واشتغل بالشكر عليها ولا يعجب به (الثالث) أن يخاف أن لا يقبل منه فاذا اشتغل بخوف عدم القبول لم يعجب بنفسه (الرابع) ان ينظر في ذنوبه التي أذنب

النعم متى رضيت بذلك منك شكرا فان قلت لم أفهم هذا الجواب فالعلم أيضا نعمة منه ثالثة فاعلم أن هذا الباب من التوحيد وهو انه الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ولا شئ في الوجود سوى الله وان كل شئ هالك الا وجهه وهذا صدق ازلا غير زائل اذ ليس في الوجود شئ سوى الله له قيام بذاته فهو القائم بذاته وكل ماسواه قائم به فهو القيوم الحي فاذا ليس في الوجود غير القيوم الحي فهو الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن حبيب حيث قرأ قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقال واعجباه أعطى وأثنى اشارة الى انه اذا أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم بحق يحبهم لانه انما يحبهم لنفسه أشار به الى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تصل الى فهمها الا بمثال على قدر عقلك وذلك انه لا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف وصنعة فان أحبه فما أحب الا نفسه وهذا نظر بعين التوحيد قيل

قبل ذلك فاذا خاف أن ترجح سيآته على حسناته فقد كسر عجبه فكيف يعجب المرء بعمله ولا يرى ما يخرج له يوم القيامة وانما يتبين عجبه وسروره بعد قراءته كتابه

(الباب الثالث في التواضع)

قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مانقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله رواه مسلم وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال أصحابه وأنت قال نعم كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة رواه البخاري قال أبو الليث رحمه الله الحكمة في رعي الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن الله تعالى ابتلاهم على البهائم حتى ينظر شفقتهم على خلقه وهو أعلم بهم فاذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم الله أنبياء وجعلهم مسلطين على بني آدم في أمر دينهم وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع أو ذراع لاجبت ولو أهدى الى كراع أو ذراع لقبلته رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشئ في يده يكون مهناة لاهله يرفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار وقال ابن المبارك رحمه الله رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك عليه بدنياك فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وروى أن قريشا تفاخرت عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان رضي الله عنه لكن خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزاني فأنا كريم وان خف فأنا اللئيم وقال أنس رضي الله عنه لم يكن شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا اذا رأيناه لم نقم له لما نعلم من كراهته لذلك وقال علي رضي الله عنه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة رضي الله عنه أقبل من السوق وعلى رأسه حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال وسع الطريق للامير يا ابن أبي مالك وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفة فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمله وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج من السوق وبيده الدرة وعليه كساء فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب في ازار مرقع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع به القلب وروى عن قيس بن أبي حازم أنه قال لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشأم تلقاه عظماؤها فقلت له اركب هذا البرذون يراك الناس فقال انكم ترون الامر من ههنا وان الامر من ههنا وأشار بيده الى السماء خلوا سبيلي وروى انه جعل بينه وبين غلامه مناوبة فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمامها ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ويركب الغلام فيأخذ عمر بزمامها ويسير فرسخا فلما قرب من الشام كانت نوبة الغلام فركب الغلام وأخذ عمر بزمامها فستقبله الماء في الطريق فجعل يخوض في الماء وهو آخذ بزمام الناقة فخرج أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان أميرا على الشام فقال يا أمير المؤمنين ان عظماء الشام يخرجون اليك فلا نختار أن يروك على هذه الحالة فقال عمر انما أعزنا الله بالاسلام فلا أبالي بمقالة الناس (وحكى) أنه لما أهم قيصر ملك الروم أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل رسولا لينظر أحواله

واليه الاشارة بقول الصوفية حيث يقولون فني عن نفسه وعن غيره فلم ير الا الله والناس لا يفهمون هذا فينكرون عليهم ويقولون كيف فني وطول ظله كما كان وهو في اليوم والليلة يأكل ارطالا من الطعام ويضحكون عليهم من جهلهم وشرط العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون رجعنا الى ما كنا فيه فنقول الشكر هو استعمال النعمة في الطريق الذي خلق له ومثاله ان ملكا بعث الى بعض غلمانه فرسا بجميع ما يحتاج ليركب اليه فان ركبه واستعمله في الطريق الذي بعث له كان مستعملا للنعمة فيما هي له وان ركبه وتباعد عن الملك فهو سخطه وكفران للنعمة والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب الثالث والثلاثون في الرجاء والخوف)

اعلم أن الرجاء من مقامات السالكين وأحوال الطالبين وانما يسمى الوصف حالا ما دام يعرض ويزول ويسمى مقاما اذا ثبت فنقول اعلم ان المنتظر فيما بعد اذا كان مما يتألم به القلب سمى خوفا واذا كان مما يفرح به القلب سمى رجاء ولكن ذلك المحبوب لابد وأن يكون له سبب فان كان قد حصل أكثر أسبابه فيصدق اسم الرجاء عليه وان كان انتظارا مع انخرام أسبابه فاسم الغرور عليه أصدق وان تعادل

ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم فقالوا ما لنا ملك لنا أمير خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فى الشمس فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه فلما رآه على تلك الهيئة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الأرض تهابه لا يقر لهم قرار من عظيم هيبته تكون هذه حالته لكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا جار لا جرم انه لا يزال ساهرا خائفا أشهد أن دينكم لدين حق ولولا أنى أتيت رسولا لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا وأسلم وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فأصلحه فقال عمر ليس من كرم الرجل أن يستعمل ضيفه قال أفأنبه الغلام قال هى أول نومة نامها فقام عمر وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا وروى عنه أنه كان قبل ان يستخلف كان يشترى له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لى نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التى فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطبقات تاقت الى ما عند الله وقال ابراهيم بن أدهم لم أفرح فى عمرى الا ثلاث مرار المرة الاولى كان على لباس شعر فقعدت فى الشمس ونشرته لأفليه فلم أراه الشدة القمل والمرة الثانية كنت فى مركب فكان فيها رجل افرنجى فجعل يأخذ بلحيتى ويهزها ثم يقول هكذا نفعل بالتيوس فى بلادنا ففرحت اذلم ير أحقر منى والمرة الثالثة كنت فى بعض الطرق واذا بجندى قد وقف بى وقال لى أين العمران فأشرت الى المقابر فأخذ الجندى يضرب رأسى ضربا شديدا فطأطأت رأسى وجعلت أقول اضرب رأسا طالما عصى الله ثم الربع الثالث وهو ربع المهلكات والحمد لله وحده ونبدأ ان شاء الله بالربع الرابع وهو ربع المنجيات نجانا الله من النار بفضله وكرمه آمين

(كتاب التوبة وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى الحث على التوبة والاستغفار)

قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اختلفوا فى معناها قال عمر وأبى ومعاذ رضى الله عنهم هى أن تتوب ثم لا تعود الى الذنب كما لا يعود اللبن فى الضرع وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان وعن أبى هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب فى اليوم مائة مرة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم رواه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود وقال صلى الله

والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى سقى الماء وتقليب الارض وامدادها بما يقويها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التى لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينمو الايمان مع خراب القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر فى الارض السبخة فمن استجمعت له الاسباب من الارض الطيبة والماء والمدد وتطهير الارض كما سبق وأتى فيها ببذر جيدا ثم انتظر على الحصاد راجيا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة فهذا له وجه ويسمى رجاء وان بث البذر فى الارض الصلبة السبخة التى لا ماء لها وانتظر الحصاد فهذا يسمى غرورا وان بث البذر فى أرض طيبة ولكن لا ماء لها وانتظر الحصاد اعتمادا على ماء المطر فهذا يسمى تمنيا فقد تبين لك ان من زرع الايمان فى قلبه وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن الخبائث كشوك الحشيش فله أن يرجو وما دون ذلك فتمن أو غرور واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن مثل ذلك فقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض

هذا الأخير ويقولون نستغفر لذنبنا بين ان هذا الرجاء لا أصل له لما تقدم ويدل عليه أيضا ما روى عن زيد بن الخيل أنه قال يا رسول الله

عليه وسلم من قال أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف صححه الحاكم وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب اليه وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها فى النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة رواه البخارى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الرب وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى وقال خالد بن معدان قال الله تعالى أحب عبادى الى المتحابون بحبي المتعلقة قلوبهم بالمساجد المستغفرون بالاسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم تركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال ابن الجوزى رحمه الله ورد فى الخبر أن الملائكة تعرج الى السماء بكتاب عبد وهو مملوء بالسيئات فاذا وقفوا العرضه على اللوح المحفوظ وجد وامكانه من اللوح المحفوظ مملوأ من الحسنات فيخرون من شدة الخوف على وجوههم لله سجدا ويقولون سبحانك وعزتك ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول لهم جلت قدرته صدقتم يا ملائكتى لكن عبدى أشفق من زلته وخاف من معصيته فتشفع الى بدمعته فناداني بذلته وأقبل بالبكاء والنداء فجدت عليه بالفضل والكرم وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا ولا يعلم وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم ان استغفارى مع اصرارى للؤم وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك يامن اذا وعد وفى واذا توعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق الى الملك الخلاق خرج زمان داود عليه السلام ثلاثة نفر يستسقون فقال أحدهم اللهم انك أمرتنا بعتق عبيدنا اذا شابوا فى خدمتنا وقد شبنا فى خدمتك فتفضل علينا بعتقنا وقال الثانى اللهم انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وقال الثالث اللهم انك أمرتنا أن لا نرد المساكين اذا وقفوا بأبوابنا ونحن مساكينك وقد وقفنا ببابك فجد علينا بفضلك واحسانك قال مكحول الشامى من أوى الى فراشه ثم تفكر فيما صنع فى يومه فان عمل خيرا حمد الله تعالى وان كان أذنب استغفر الله تعالى فان لم يفعل كان كمثل التاجر الذى ينفق ولا يحسب يفلس ولا يشعر قال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال تائبا نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتنى لم أوقعه فى الذنب وروى أن رجلا سأل ابن مسعود رضى الله عنه عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا لا يغلق فاعمل ولا تيأس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار واذا أنعم الله عليك فأكثر من الحمد واذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهى دواء من لا دواء له وعن أبي بكر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية وقال أبو عبد الله الوارق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به فى نفسى ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة

صلى الله عليه وسلم جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه وان فاتنى شئ منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذا علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالى فى أى أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير ويحصل منه الرجاء (بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه) اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى أحبهم اليه والحب يغلب بالرجاء فان رجاء الخير يقرب ويحبب والخوف موجب للهرب واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال كيف تجدك فقال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما رجاه وآمنه مما يخاف

(فصل) اعلم أن من غلب عليه اليأس أورثه القنوط أو غلب عليه الخوف حتى أضنى بنفسه وأهله فهذان يحتاجان الى المعالجة بالمداواة وأما من غلب عليه الامانى فأسباب الرجاء سبب قاتل فى حقه فهو كالعسل

من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلاء وسر وعلانية يا حليم قال الغزالي رحمه الله ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام

(الباب الثاني في الحث على المبادرة الى التوبة)

قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما قوله تعالى انما التوبة أي قبولها على الله بايجابه على نفسه تفضلا للذين يعملون السوء بجهالة قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصى به الله فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب قال الضحاك قبل معاينة ملك الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ووقع في النزع قال اني تبت الآن وهي في حالة السوق حين تساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق قال بعض العارفين ملك الموت اذا ظهر للعبد أعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها يخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو أول ما يظهر منه من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب الى آخر السورة قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة قال الغزالي رحمه الله من ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبران أكثر صياح أهل النار من التسويف وان أكثر صراخهم يا أف لسوف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويد القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى أن يختطفه الأجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق الى الملك الخلاق ورد في الخبر أن بعض الانبياء قال لملك الموت عليه السلام أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك قال نعم والله لي رسل كثيرة من الاعلال والامراض والشيب والهرم وتغيير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فاذا قبضته ناديته ألم أقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير فما من يوم تطلع فيه شمسه الا وملك الموت ينادي يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد يا أبناء الخمسين قد دنا الاخذ والحصاد يا أبناء الستين أنسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وحكى أبو الفرج عن بعض السادة أنه قال رأيت غلاما قد لبس الشعر ولزم العبادة والسهر فقلت يا فتى لقد أسرعت فقال لي يا شيخ سمعت المولى جلت قدرته يقول ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين كأنه جلت قدرته يقول ففروا الى الله قبل أن يوقفكم بين يديه في اليوم الشديد العسير والهول العظيم الخطير فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وقال أبو الفرج ورد في الخبر أن العبد اذا حضر وقت وفاته وقبضه وحجب عن ندمه وهو يقول من شدة فجعته وعظيم حسرته يا ملك الموت أخرني عاما أتوب فيه الى ربي وأعمل فيه صالحا وأنقل فيه مالي الى قبري فقد أتلفت في طلب الدنيا عمري وأتعبت نفسي فيما جمعته لغيري فأخرني عاما وأنظرني فيقول له ملك الموت هيهات قد أفنيت الاعوام فلا عام فيقول فأخرني شهرا فيقول هيهات قد أفنيت

الشهور

ومن غلب عليه الخوف أو الرجاء فهما شعاران يستقي بكل واحد منهما من له حالة مخصوصة قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ولما كان العلماء ورثة الانبياء كانوا أطباء القلوب واستعملوا ما كان لا نفاعه كل مريض ومن الدواء النافع في جلب الرجاء أن يتأمل الانسان فيما أنعم الله تعالى به عليه من صحة البدن وسلامة الاعضاء ثم بعثة الانبياء لهدايته ثم خلق الاطعمة والاشربة والادوية لاصلاحه ومما يومئ الى أسباب الرجاء ما قاله سبحانه وتعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقال تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده بين أنه يخوف المؤمنين الا أنها للكافرين لانها خلقت لهم وقد روى أبو موسى الاشعري أنه عليه السلام قال أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة والآيات والاخبار الواردة في هذا الباب أكثر من أن تحصى وقد ورد في حديث طويل عن أنس ان الاعرابي لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من يلي حساب الخلق يوم القيامة قال الله عز وجل فقال هو

الشهور فلا شهر فيقول أخرني يوما فيقول هيهات قد أفنيت الايام فلا يوم فيقول له فأخرني ساعة فيقول هيهات قد أفنيت الساعات فلا ساعة فاذا فرغ من هذا الكلام بلغت روحه الى صدره وأغلق باب التوبة في وجهه فاذا قبض أوقفه المولى جلت قدرته بين يديه فكلما أراد أن يعتذر بأمر من الامور اليه قال أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (وحكى) أبو الفرج عن بعض السادة أنه قال وعظ الفضيل يوما أصحابه وعظا جمع فيه الشيوخ والشبان وكانوا سادة يؤثر فيهم اليسير من الخطاب والبيان فقال يا معشر الشبان كم زرع أدركته الآفة قبل بلوغه وكماله و يا معشر الشيوخ هل يحصد الزرع الا عند نضجه وتمامه فما الذي تنتظرون و بأي عذر تعتذرون وما الذي يقول منكم الصغير والكبير اذا قال لكم اللطيف الخبير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير

(الباب الثالث في بيان حقيقة التوبة ومقدماتها وعلاماتها وثمراتها وحدها وشروطها)

اعلم أن التوبة في لسان العرب الرجوع ويقال تاب أي رجع وهي رجوع عما كان مذموما في الشرع الى ماهو محمود فيه قال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه التوبة على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها الانابة وآخرها الاوبة قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة ومن تاب مراعاة للامر لا لرغبة ولا لرهبة فهو صاحب أوبة و يقال أيضا التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة صفة الاولياء والمقربين قال الله تعالى وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله عز وجل نعم العبد انه أواب وقال ذو النون رحمه الله توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة (وأما مقدماتها) فانتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحال والتعرض لسخط الله تعالى وأليم عقابه وذكره ضعف صبره عن احتمال شديد عذابه فيحمله ذلك على التوبة (وأما علاماتها) فهجران قرناء السوء والتوحش منهم وحب العزلة وقلة الكلام والخوض ومجانبة الفضول وسكون الجوارح عن الحركات المذمومات من العبادة وملازمة الذكر والاستكثار من العبادة واطراق الرأس وحفظه ونحول الجسم ودمع العين وحزن القلب وكثرة الاسف على ما أساء وفرط وتخلف وضيع من جواهر عمره النفيسة من المخالفات والشهوات الخسيسة وادامة البكاء والتضرع والجؤار في طلب الاقالة آناء الليل وأطراف النهار (وأما ثمراتها) فنهار جوعه حبيبا للرحمن بعد أن كان حبيبا للشيطان ودخوله في رضا المولى بعد خروجه من سخط الله تعالى وتطهيره من السيئات التي كان يستحق بها العذاب الاليم وربحه الحسنات التي ينال بها النعيم المقيم والقرب من الحبيب المولى الكريم ومسارعته في الخيرات بانبعاث جوارحه في العمل بعد أن كان بقيد شؤم الذنوب مكبولا وطعم لذة الطاعات وحلاوة المناجاة وصيرورة العمل بعد الرد مقبولا وسلامته من سيئات ربما جرت المصر عليها الى الكفر والعياذ بالله كما جاء في الكتاب المكنون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وعلى الجملة يصير بعد أن كان خبيثا طيبا و بعد أن كان مبعدا مقربا و بعد أن كان مبغوضا حبيبا و بعد أن كان المدعو غير سامع للدعاء مجيبا و بعد الاعراض عنه الاقبال عليه و بعد خروج نور الايمان من قلبه رجوعه اليه و بعد أن كان يتنحى عنه الملائكة الكرام من نتن ريحه صاروا عليهم السلام يشمون منه طيب الطاعة كما جاء في الحديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك (وأما حدها) فهو ترك اختيار ذنب سبق منك مثله منزلة لا صورة تنزيها لله تعالى وحذرا من سخطه وهذا الحد حكاه الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله وارتضاه احترز بقوله منزلة لا صورة لتصح توبة الشيخ الهرم الذي لا يقدر على قطع الطريق والزنا اذ لا يقدر على ترك اختيارهما لكونه عاجزا عن فعلهما فلا يوصف بترك اختيار ماهو عاجز عنه و يقدر على ترك اختيار ماهو مثلهما في المنزلة في المعاصي الفرعية وان تفاوتت في الاثم فكلها معاص منزلتها دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فتصح

بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم ضحكت فقال ابي الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ولا كريم أكرم من الله تعالى وهو أكرم الاكرمين قال صلى الله عليه وسلم فقه الاعرابي وقال عليه السلام قال الله تعالى سبقت رحمتي غضبي (الشطر الثاني في الخوف وقد بينا معنى الخوف) اعلم أن للخوف والرجاء زمامان يقاد بهما من لم يظهر لقلبه جمال الحق فمن شاهد بقلبه ذلك الجمال يرقى عن الخوف والرجاء واليه الاشارة بقول الواسطي الخوف حجاب بين الله و بين العبد وقال أيضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لا لرجاء ولا لخوف وعلى الجملة اذا وصل المحب الى المحبوب فالتفاته الى خوف الفراق مهيج للوصال ولكنا نتكلم في أوائل المبتدأ فعند هذا نقول دواء جلب الخوف أن ينظر و يتأمل في الآيات الواردة في شدة العذاب والحساب و يتأمل أيضا حال نفسه بالنسبة الى جمال الله وعظمته وقوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي و يعلم انه لخيانته وتركه أوامر الله تعالى وارتكابه المناهي مستحق للعقاب الاليم والله تعالى لو أهلك العالمين فهو لا يبالي وهذا المسكين قد ارتكب الجرائم والآثام فهو أولى بأن يخاف فانه ان هلك لم يبال به كيف وسيد المرسلين يقول أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له وأوحى الله تعالى الى داود

توبته عنهما (وأما شروطها) فالندم على ما تقدم من الذنوب وترك الذنب في الحال تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه والعزم على أن لا يعود الى مثل ما حصل من المعاصي ألبتة فهذه الشروط لا بد منها والا فلا تصح التوبة وأما ما ورد في الخبر ان الندم توبة فمحمول عند بعض العلماء على أنه معظم التوبة كما قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة أي معظم الحج ولا بد من ارضاء الخصوم بأداء الحقوق أو بالتحلل منه في جميع المظالم والحقوق التي يجب أداؤها ويتحلل منها قسمان أحدهما لله تعالى وهو ترك واجب من صلاة أو صوم أو كفارة أو غيرها فيجب قضاء ما أمكن من ذلك القسم الثاني للعباد وهو على خمسة أقسام في النفس أو في المال أو في العرض أو في الحرمة أو في حق من الحقوق غير هذه المذكورات فالخروج عن ذلك بالتمكين من القصاص في النفس أو الدية أو في الاستحلال وبالرد والاستحلال في المال وبالاستحلال فقط في العرض ان لم يخف زيادة غيظ وهيجان فتنة اذا ذكر له ذلك ويكذب نفسه عند من بهته أو فسقه أو كفره عنده فان خشي من ذكر ذلك له ما ذكرناه فالرجوع الى الله تعالى في الابتهال والتضرع أن يرضي عنه الخصوم والاستغفار لهم وكذلك في الحرمة بأن خانه في أهله أو ولده أو من يتعلق به يتضرع الى الله عز وجل ويرغب اليه أن يرضيه عنه فيجعل له خيرا كثيرا في مقابلة ذلك فان أمن الفتنة والغيظ وهو نادر بعيد جدا فيستحل منه وأما سائر الحقوق الخارجة عن هذه الاقسام وأعني به ما لا يقابل بعوض كالكلب وجلد الميتة وسائر الاعيان النجسة التي لا يجوز اقتناؤها فطريق الخروج عنها بالرد ان أمكن وبالاستحلال ان لم يمكن لتلف أو غيره ولا تغرم اذ لا قيمة بخلاف المال ومن الحقوق المنع من أخذ بشفعة أو تصرف في ولاية أو نحو ذلك من الحقوق يجب الاستحلال منه وحيث عدم صاحب الحق في جميع هذه الاقسام وان كان بموت رجع الى الوارث في كل موروث فان لم يكن له وارث أو كان مما لا يورث رجع فيه الى الله سبحانه وتعالى في ارضاء الخصوم والدعاء لهم والتصدق عنهم واكثار الحسنات لاستيفائهم في القيامة وان كان بغيبة ولم يمكن التوصل الى البراءة فان كان مما تدخله النيابة كالمال والحقوق رجع فيه الى الوكيل فان لم يكن فالى الحاكم وينتظر حضوره فيما عدا ذلك والله أعلم نقل هذا جميعه من كتاب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد الورع عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله وقال الغزالي رحمه الله في الاحياء من كثرت مظالمه وأراد التوبة وعجز عن رد المظالم الى أهلها فعل ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا أن يكثر من الحسنات حتى يقتص منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم ونقل ابن الجوزي في روضة المشتاق عن بعض السادة أنه قال للتائب الصادق خمس علامات (أولها) ظهور طهارته وعصمته بعد رجوعه وتوبته (الثانية) ذهاب فرحه بالدنيا واقباله على طاعة المولى (الثالثة) اخراج هيئة المذنبين من قلبه وبكاؤه في الخلوات على خطيئته وذنبه (الرابعة) أن يستكثر لنفسه القليل من الدنيا وأن يذكر ما بين يديه من المحن والبلوى وان أكل طعاما طيبا قال يا ليت شعري هل أعدلي الضريع في سجن الجحيم وان شرب ماء باردا تفكر في أحوال المهل والحميم وان لبس ثوبا لينا تفكر في مقطعات النيران وسرابيل القطران وان تقرب بطاعة استقلها (الخامسة) أن يكون تاركا لطلب الرزق المضمون بالاقبال على المولى في الحركة والسكون

(الباب الرابع في ذكر شيء من أحوال التوابين اللهم تب علينا برحمتك يا أرحم الراحمين)

(توبة آدم) قال عليه السلام قال الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قال كعب اختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال محمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين

من الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يقبل منه وقال النبي عليه السلام ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم يصيب شيأ وقت خروجه الا حرمه الله على النار (بيان أحوال الانبياء في الخوف) روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى وقرأ عليه السلام آيات سورة الحاقة فصعق وقال تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل في الابطح فصعق وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد خوفا من الجبار جل جلاله وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما أمنا من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري وقال أبو الدرداء كان يسمع وقال

وقال عبيد بن عمير هي أن آدم قال يارب أرأيت ماأتيت بشئ ابتدعته من تلقاء نفسي أم شئ قدرته على قبل أن تخلقني قال الله لابل شئ قدرته عليك قبل ان أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفرلي وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس رضي الله عنهما بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وروى المسعودي عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالا لوأن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولوأن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغني أن آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لايرفع رأسه حياء من الله عز وجل قال محمد بن القيس لما أكل آدم من الشجرة ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال يارب أطعمتني حواء قال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتيها قالت أمرني ابليس فقال الله أما أنت ياحواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك وأما أنت ياابليس فلعون مدحور قال أبو الليث قبلت توبة آدم لخمس ولم تقبل توبة ابليس لخمس فآدم عليه السلام أقر بالذنب على نفسه وندم عليه ولام نفسه وأسرع في التوبة ولم يقنط من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنب ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم يسرع في توبته وقنط من رحمة الله تعالى وقال ابن الجوزي لما عصى آدم عليه السلام بكى عليه كل شئ في الجنة الا الذهب والفضة فأوحى الله اليهما لم لاتبكيان على آدم وهو أعلم بذلك فقالا ما كنا نبكي على من يعصيك فقال الله وعزتي وجلالي لاجعلن قيمة كل شئ بكما ولأجعلن بني آدم خدما لكما قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى لايجوز لاحد اليوم أن يخبر بذلك عن آدم عليه السلام الا اذا تلاه في أثناء كلام الله تعالى وقول نبيه صلى الله عليه وسلم فأما ان نبدأ بذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آبائنا الادنين المماثلين لنا فكيف في أبينا الاقدم الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله تعالى وتاب عليه (توبة داود عليه الصلاة والسلام) روى أن داود عليه السلام رأى في الكتب ما أعطى ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الفضل فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي فأوحى الله اليه انهم ابتلوا فصبروا فقال يارب لو ابتليتني لصبرت فأوحى الله اليه انك تبتلي في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما جاء الموعد دخل محرابه وأغلق عليه بابه فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب في غاية الحسن فوقع بين رجليه فأراد أخذها ليرى بني اسرائيل قدرة الله فذهبت الى كوة هنالك فأراد أخذها فذهبت فنظر في الكوة فاذا بامرأة جميلة أجمل النساء تغتسل فتعجب منها فالتفتت فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى جميع بدنها فزاد عجبا فلو كان عمره اذذاك سبعين سنة فسأل عنها فقيل هي امرأة أوريا بن حنان فلوا أحب أن يقتل ليتزوج بها فلوا وكان أوريا مع ابن أخت داود في جيش فأرسل اليه ان قدمه قدام التابوت وكان من تقدم قدامه لايحل له الرجوع حتى يفتح عليه أو يقتل فقدمه ففتح عليه ثم أرسل اليه أن قدمه الى جيش كذا أعظم من الاول فقدمه ففتح عليه وأمره أن يقدمه ثالثة الى جيش أعظم من الاولين ففعل فقتل قالوا انقضت عدتها وتزوجها داود وهي أم سليمان وقال الكواشي في تفسيره وأنكر بعضهم هذا النقل لانه غير ثابت عنده ولان الانبياء منزهون عن مثل هذا وعن علي رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حد الفرية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته قال أهل التفسير كان ذلك مباحا لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلك لانه كان رغبة في الدنيا وازديادا للنساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين يقال كانا جبريل وميكائيل وكان من خبرهما ماقص الله علينا في كتابه في قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الى قوله تعالى

أثر تغليب خليل الرحمن عليه السلام اذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد رضي الله عنه في داود عليه السلام ساجدا الاربعين ليلة حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فنودي ياداود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى فنحب نحبة احترق العود من حر جوفه فأنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لايبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثه ماء فاذا تناوله أبصر خطيئته فلا يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه وروى عنه عليه السلام انه مارفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحي الهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل رحمة الله عليه بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صاعقا واضعا يده على رأسه نحو الجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا فلا أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا باكيا ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحرق العظام واشتعال

وخر راكعا وأناب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه قالوا جميعا ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما عنى به نفر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة قال مجاهد مكث أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فحب نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة وقال وهب بن منبه لما تاب الله على داود وقال يارب غفرت لى لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها للخطائين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا استغفر للخطائين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير فى قصعته ولا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخطائين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وفى القصة أن الوحش والطير كانت تسمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى الى قراءته فروى أنها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك (توبة سحرة فرعون) روى أن سحرة فرعون ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادى تركب بعضها بعضا فألقى موسى عصاه فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية ثم فتحت فاها سبعين ذراعا فكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم فى الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت عصا فقالت السحرة لو كان ما يصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله تعالى فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياى تعنون فقالوا رب موسى وهرون وذكر الكلبى أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله فى طهارة القلوب المكلفون أربعة أقسام الاول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته وجنته وهم الانبياء والاولياء والصالحون والمؤمنون عاشوا فى الدنيا بين آثاره وأنواره اطمأنت بذكره قلوبهم وطابت بطاعة الله حياتهم وعلت بمحبته أنوارهم ورفعت فى الملكوت اذكارهم قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الحياة الطيبة لذة الطاعة وعز القناعة فازوا بعز الدارين ونالوا أشرف المنزلتين فطوبى لهم وحسن مآب الثانى قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا فى الدنيا كفارا ثم ختم لهم بالايمان أو فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا بالعصيان ثم تاب عليهم عند الخاتمة فماتوا على حال التوبة والاحسان كسحرة فرعون وكانوا ثلاثين ألفا على ما يقال آمنوا بالله وقتلوا من يومهم ذلك فدخلوا الجنة كانوا أول النهار يحلفون بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ثم بعد ساعة يحلفون والذى فطرنا كانوا يطلبون الجزاء من فرعون ويقولون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ثم بعد ساعة يقولون لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الى قوله والله خير وأبقى والعجب ان الله تعالى أنطق فرعون بما كان فى باطنه البشرى وهو قوله نعم وانكم اذا لمن المقربين فكانوا مقربين عند رب العالمين الثالث قوم خلقهم الله لا لخدمته ولا لجنته وهم الذين عاشوا فى الدنيا كفارا ثم ماتوا على الكفر حرموا فى الدنيا نعيم الايمان وفى الآخرة يخلدون فى العقاب والهوان الرابع قوم خلقهم الله لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله تعالى وماتوا على الكفر فنسأل الله السلامة بمنه وكرمه خاتمة

داود الخطيئة نقص صوته فقال الهى بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين وروى أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال يارب ما ترحم بكائى فأوحى الله تعالى اليه يا داود أنسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير على رأسى وأنست الوحوش الى محرابى سيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقى خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكا الى الوحدة فزوجته حواء أمتى وأسكنته جنتى فلما عصانى طردته عن جوارى عريانا ذليلا يا داود اسمع منى الحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن بكير بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا أراد أن يخرج مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبر الى البرية فيأمر سليمان أن ينادى بصوت

الخبر (توبة قوم يونس عليه السلام) قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ووهب ان قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل فأرسل الله اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان فدعاهم فأبوا فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا أن البلاء مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا اغشيهم العذاب فكان فوق رؤسهم قدر ميل وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم فلما رأوه وأيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضهم الى بعض وعلت أصواتهم وتضرعوا الى الله تعالى وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم فكشف عنهم العذاب وذلك يوم عاشوراء وكان يونس ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فقال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فأتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه خرج مغاضبا لقومه فأتى بحر الروم فاذا سفينة فركبها فلما توسطت بهم السفينة تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري ومن رسمنا ان نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بمن فيها فاقترعوا ثلاثا فوقعت القرعة فيها على يونس فقام وقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت ثم جاء حوت أكبر منه وابتلع ذلك الحوت فأوحى الله الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجناله ولم أجعله طعامالك قال ابن مسعود فأهوى به الحوت الى قرار الارض السابعة وكان في بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب له ربه فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء فجعل يستظل تحتها وقيض الله له وعلة يشرب لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله جبريل اليه فقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون من أمتك وقد أسلموا وتابوا ونقل أبو عبد الله القرطبي عن الطبري أنه قال خص قوم يونس من بين الامم بان تيب عليهم بعد معاينة العذاب روى ذلك عن جماعة من المفسرين وقال الزجاج انهم لم يقع بهم العذاب وانما رأوا العلامة التي تدل عليه ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الايمان قال القرطبي وقول الزجاج حسن فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون لانه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك وقوم يونس تابوا قبل ذلك ويعضد هذا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والغرغرة الحشرجة وذلك هو حال التلبس بالموت وما قبل ذلك فلا والله أعلم *(حكايات ثمان * الاولى)* روى ان لقمان كان عبدا حبشيا فاشتراه رجل وجاء به الى داره وكان له ثلاث بنات يبغين في القرية فأراد أن يخرج الى ضيعة له فقال له اني قد أدخلت اليهن طعامهن وما يحتجن اليه فاغلق الباب ولا تفتحه حتى أجيء ففعل ذلك فقال له البنات افتح الباب فأبى فشججنه فغسل الدم وجلس فلما قدم سيده لم يخبره بشئ ثم أراد سيده الخروج ثانيا فقال له مثل القول الاول ثم انهن شججنه فلما جاء مولاه لم يخبره بشئ فقالت الكبيرة منهن ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت فقالت الصغيرة ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله تعالى مني والله لأتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال هذا العبد الحبشي وهاتين أولى بطاعة الله تعالى مني فتابت فقالت غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله تعالى منا والله لنتوبن فتاب الجميع وصاروا عباد القرية رضي الله عنهم *(الحكاية الثانية)* يروى أنه كان في بني اسرائيل شاب

يه تقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والبرارى وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى الحيارعين تحدوهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليهما السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصريخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فيموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع ثم يأخذ في أهوال يوم القيامة وفي النياح على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان عليه السلام الى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي ألا من كان له مع داود قريب أو حميم فليأت بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار وكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله تعالى ثم أفاق داود عليه السلام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه وقال يا اله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي

عبد الله عشرين سنة ثم عصى الله عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت الينا قبلناك *(الحكاية الثالثة)* قيل كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقطع الطريق وسبب توبته أنه كان يعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يرتقي الجدار اليها اذ سمع تاليا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال بلى يارب قد آن فآواه الليل الى خربة واذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فان فضيلا على الطريق يقطعه علينا فتاب فضيل وأمنهم وجاور الحرم الى أن مات فيه رضي الله عنه (الحكاية الرابعة) قال الشيخ عبد الواحد ابن زيد رحمه الله كنت في مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا يارجل من تعبد فأومأ الى الصنم فقلنا له ان الهك هذا مصنوع وعندنا من يصنع مثله ماهذا باله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا نعبد الذي في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي الاحياء والاموات قضاؤه تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ومن أعلمكم بهذا قلنا وجه الينا هذا الملك رسولا كريما فأخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه واختار له مالديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتابا للملك قال فأروني كتاب الملك فانه ينبغي أن تكون كتب الملوك حسانا فأتيناه بالمصحف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة فقال ينبغي أن صاحب هذا الكلام لا يعصى ثم أسلم وحسن اسلامه وعلمناه شرائع الدين وسورا من القرآن فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه ينام قلنا لا يا عبد الله هو عظيم قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ثم قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي هذا قريب عهد بالاسلام فجملنا له دراهم وأعطيناه فقال ماهذا قلنا دراهم تنفقها فقال لا اله الا الله دللتموني على طريق ولم تسلكوها أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنما من دونه فلم يضيعني وأنا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وأنا أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي انه في الموت فقلت له هل من حاجة قال قد قضى حوائجي من جاء بكم الى الجزيرة فقال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفي القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهي تقول بالله الا ما عجلتم به الي فقد اشتد شوقي اليه فاستيقظت فاذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته فلما كان الليل رأيت في منامي تلك الروضة وفيها تلك القبة وعلى ذلك السرير تلك الجارية وهو الى جانبها وهو يقرأ هذه الآية والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار رضي الله عنه *(الحكاية الخامسة)* حكي أن رابعة العدوية كانت تصلي ذات ليلة فدخل عليها اللص فنظر في البيت يمينا وشمالا فلم ير شيأ غير ابريق كانت تتوضأ به فقالت له رابعة يا هذا ان كنت من الشطار فلا تخرج الا بشئ فقال اني لم أجد شيأ فقالت يا مسكين توضأ من هذا الابريق وادخل الى هذا المخدع وصل ركعتين فانك لا تخرج الا بشئ ففعل ما أمرته رابعة فلما قام يصلي رفعت طرفها الى السماء فقالت سيدي ومولاي هذا قد أتى الي فلم يجد عندي شيأ وقد أوقفته على بابك فلا تحرمه جزيل ثوابك فلذت له العبادة فلم يزل يصلي الى آخر الليل فدخلت رابعة عند السحر فوجدته ساجدا يتذلل بين يدي مولاه فقالت له كيف كانت ليلتك قال بخير وقفت بين يدي مولاي بذلي وفقري فجبر كسري وقبل عذري ثم خرج هائما على وجهه فرفعت رابعة رأسها الى السماء وقالت مولاي هذا عبد وقف ببابك ساعة واحدة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أفتراك قبلتني أم لا فنوديت في سرها يا رابعة من أجلك قربناه وبدعائك قبلناه *(الحكاية السادسة)* عن ذي النون المصري رضي الله عنه قال بينما أنا أمشي على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا تدب قال فأخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مسرعة فوقعت على شاطئ النيل فخرجت ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها فعامت بها حتى خرجت بها الى الجانب الآخر فتبعتها فلما بلغت البر نزلت عن ظهرها واذا

[illegible] يقف (٢٤٢) على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص شعير ويقول يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد فيأكل ثم ذلك القرص ما شاء الله تعالى ثم يخرج الى بني اسرائيل فيحكم بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات ثلاثون ألفا وما رجع الا في عشرة آلاف وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره ورجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه وقال أبو بكر رضي الله عنه لطائر ليتني كنت مثلك يا طير ولم أخلق بشرا وقال أبو الدرداء وددت اني اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت اني لو كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال علي رضي الله تعالى عنه ذات يوم وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم واذا أصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي

برجل سكران نائم وثعبان قد أقبل اليه ليلدغه فأسرعت العقرب الى الثعبان فلدغته لدغة تقطع الثعبان منها قطعا فأيقظت ذلك الرجل من نومه فقام فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف فقد كفيت أمره وقصصت عليه القصة فأطرق رأسه ثم رفعه الى السماء وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك وعزتك وجلالك لا عصيتك بعدها ثم ولى باكيا وهو يقول

يا راقدا والجليل يحرسه * من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن * ملك ومنه تأتي فوائد النعم

(الحكاية السابعة) عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال قال بينما أنا وجماعة من أصحابي جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق وانتهينا الى مكان فيه ثلاث نخلات واحدة منهن ليس فيها ثمر واذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة الى رأس النخلة التي ليس فيها ثمر حتى تكرر منه ذلك عشر مرات وأنا أنظر فخطر بقلبي أن أقوم وأنظر فصعدت النخلة فاذا في رأسها حية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع الرطب في فيها فبكيت وقلت سيدي هذه حية قد أمر نبيك بقتلها فلما أعميتها أقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية وأنا عبدك وأقر بأنك واحد أقمتني لقطع الطريق واخافة السبيل فوقع بقلبي يافلان بابي مفتوح فكسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وصحت الاقالة فاذا أنا بهاتف يقول قد أقلناك قد أقلناك فأتيت رفاقي فقالوا مالك قد أزعجتنا فقلت كنت مهجورا وقد وصلت وحكيت لهم القصة فقالوا ونحن نصالح أيضا فرمينا بسلاحنا وثيابنا وأحرمنا وقصدنا مكة وأقمنا نمشي ثلاثة أيام ثم دخلنا قرية فاذا نحن بعجوز عمياء فنزلنا عليها فسألتنا أفيكم فلان الكردي قلنا نعم فأخرجت البنا ثيابا وقالت مات ولدي وخلف هذه الثياب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثلاث ليال يقول أعطي هذه الثياب لفلان الكردي قال فأخذتها فاكتسيت بها أنا وأصحابي ثم مضيت الى أن أتينا مكة *(الحكاية الثامنة)* سئل مالك بن دينار رحمه الله عن سبب توبته فقال كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمور ثم اني اشتريت جارية نفيسة فوقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت المسكر جاءت الي وجاذبتني اياه وأهرقته على ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني الحزن عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسا من ورائي فالتفت فاذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقي واذا بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت أجرني وأغثني فقال أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن سر وأسرع لعل الله يسبب ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت الى هولها فكدت أهوي فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت الى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت ياشيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الاحمر مفصصة باليواقيت مكوكبة بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هربت اليه والتنين ورائي حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فاذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف علي أطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض الاطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج واذا بابنتي التي ماتت أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال الى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى الى

بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وكان عمر رضي الله تعالى عنه اذا سمع آية من القرآن يسقط من الخوف مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض فقال ياليتني لم تلدني أمي ياليتني كنت نسيا منسيا وكان علي ابن الحسين رضي الله عنه اذا توضأ انتفض فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقف وروى أن الفضيل رضي الله عنه رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء فقال واسوأتاه منك وان غفرت لي ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الخائفين فقال قلوبهم من الخوف قريحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا وقوفنا وكان حماد بن عبد الله اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله تعالى هذه الغفلة رحمة في قلوب عباده كيلا يموتوا من خشية الله تعالى وروى أن فتى من الانصار دخلته خشية من النار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فاعتنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق فتت كبده فافهم تغنم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

التنين فولى هاربا ثم أجلستني وتقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى الى لحيتي . وقالت يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم قلت فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت ذاك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت يا أبت ذاك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه الى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا ونشفع لكم فانتبهت فزعا فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت الى الله عز وجل

(كتاب الصبر والحمد والشكر وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول في الصبر)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين أي استعينوا بالصبر على قطع مفاوز الآخرة والسلامة من شدائدها بالصبر لله على ما تكرهون وحبس نفوسكم عما تشتهون وأكثروا من الصلاة فانها مفتاح المناجاة مع المولى الرحيم وفيها راحة للقلوب بمخاطبة الملك الكريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة وقال استعينوا بالصبر على قطع شدائد الدنيا واستعينوا بالصلاة على قطع شدائد الآخرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة على تمحيص الذنوب وقال مجاهد الصبر هنا الصوم فمعناه استعينوا بالصوم والصلاة على نيل ما ترجون ودفع ما تخافون كان عيسى عليه السلام يقول والله انكم لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أي أموالنا لله ونحن عبيده يصنع بنا ما شاء أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون الى الاسترجاع وقيل الى الحق والصواب وقيل الى الجنة والثواب قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وقالت أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير ما أعطى أحد في المصيبة ما أعطى هذه الامة يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب ألا تسمع الى قوله في قصة يوسف يا أسفا على يوسف وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أي اصبروا على طاعة الله وصابروا أعداء الله ورابطوا في سبيل الله وقال سري السقطي رحمه الله اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وقيل اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا في دار أعدائي واتقوا محبة من سواي لعلكم تفلحون بلقائي وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وقال صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابه سراء شكر فكان خيرا له وان أصابه ضراء صبر فكان خيرا له رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها انه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا

ما ليس بالشر النقية كلهم فقراء الى الله تعالى لانهم محتاجون اليه في دوام وجودهم وابتداء وجودهم منه وليس لهم ذلك بل ذلك لله تعالى فهو الغني المطلق ونحن الآن نذكر فقير المال وهو أن لا يكون له مال يحتاج اليه لمعيشته وللفقير أحوال فمنها أن يكون كارها لوجود المال هاربا منه وهو الزاهد الثاني أن يكون بحيث لا يهرب منه ولا يرغب فيه ولكن اذا وجد لا يكرهه وهو الراضي الثالث أن يكون وجود المال أحب اليه من فقده اذا جاءه فواصفوا ولكن لا ينهض للطلب الرابع أن يكون مريدا للمال راغبا فيه ولكنه ترك الطلب للعجز الخامس أن يكون ما فقده من المال يضطر اليه كالجائع الفاقد للخبز أو العاري الفاقد للثوب لنفسه او لعياله فصاحب هذه الحالة ان خلا عن الرغبة وهو من النوادر اعلاها وهو زهد المحققين وأعلى من هذه الاحوال كلها أن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء قل المال الذي بيده أو كثر لا يبالي ولا يمنع طالبا ولا تخطر خزنة نفسه بباله كما نقل عن عائشة رضي الله عنها انها أتاها مائة ألف درهم من العطاء ففرقتها ولم يحضر بها حاجتها الى شئ للافطار حتى قالت لها خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما كنا نفطر ومن

ومن حط خطاياه الى حتى أحسنها الترمذي قال صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه رواه البخاري ومسلم والوصب المرض اللازم ومنه قوله تعالى ولهم عذاب واصب وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه رواه البخاري قال النووي وضبطوا يصب بفتح الصاد وكسرها وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله وسخطه بما قضى الله له وسئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال صلى الله عليه وسلم الصبر كنز من كنوز الجنة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون الامثل فالامثل عن أبي بكر رضي الله عنه قال قلت كيف الصلاح يا رسول الله بعد هذه الآية من يعمل سوأ يجز به قال غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تنصب ألست تصيبك اللأواء قال فذلك ما تجزون به وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة الآية قال وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله عز وجل ليغفره له الا بها أو درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها وروى أنه قال أكثر أهل الجنة البله وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تستحصد وقال صلى الله عليه وسلم الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله بطنه لم يعذب في قبره وقال صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة في ماله أو في نفسه وكتمها ولم يشكها الى الناس كان له حقا على الله أن يغفر له وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال أيضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال عمر رضي الله عنه لابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى وقال واعجباه أعطى وأثنى وقال علي كرم الله وجهه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانهم يحثى لهم حثيا ويروى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل وقال أنس ابن مالك رضي الله عنه لابي ظلال يا أبا ظلال متى فقدت بصرك فقال وأنا صبي لا أعقل فقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال يا جبريل ما جزاء من سلبته كريمته فقال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي *(فصل)* قال العلماء رحمهم الله تعالى الصبر على ثلاثة أضرب صبر لله عز وجل وهو الصبر على أداء أمره والانتهاء عما نهى عنه وصبر مع الله تعالى وهو

عليه ثلاث خلال ذكر تبين المملكة (أصل في خطبة الفقر) وقد روى ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للصحابة أي الناس خير فقالوا موسر من المال يؤدي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن يا رسول الله خير الناس فقال صلى الله عليه وسلم فقير يعطي جهده وفي الخبر المشهور تدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام وروى أن عيسى عليه السلام مر برجل نائم وتحت رأسه لبنة ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا عيسى أما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا وقال عليه السلام ان لي حبيبين اثنين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له فقال جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت

الصبر تحت جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا وصبر على الله تعالى وهو الصبر على وعده من الرزق والفرج والثواب في دار الآخرة قال ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور فأما اظهار البلاء لا على جهة الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في أيوب صلى الله عليه وسلم انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب مع أنه قال مسني الضر والله أعلم

(قصة أيوب عليه الصلاة والسلام)

روى أن أيوب عليه السلام كان بمنزلة الملك وكانت له أموال من أصناف مختلفة وضياع كثيرة وكان متعبدا كثير الصدقة والاحسان الى المساكين والارامل فحسده ابليس وقال هذا يذهب بخير الدنيا والآخرة فسأل الله تعالى وقال ان عبدك أيوب يعبدك لانك أعطيته فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لم يعبدك ولم يشكرك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس جنده وقال لهم ما عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال أيوب فقال عفريت أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فأحرقت كل شئ آتى عليه قال له ابليس فائت الابل ورعاتها فأتاها فأحرقها جميعها ثم جاء ابليس الى أيوب في صورة راع فقال له جاءت نار فأحرقت ابلك فقال أيوب الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أحشر فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت مهجة نفسه قال ابليس فائت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها فصاح صيحة فماتت هي ورعاتها فجاء ابليس فتمثل بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد أيوب عليه مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتي عليه قال فائت الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعر حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله تعالى فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله قال الهي ان أيوب يرى أنك ما متعته بولده فأنت معطيه المال فسلطني على ولده قال الله تعالى سلطتك عليهم فجاءهم وهم في قصورهم فهدمها عليهم فهلكوا جميعا فانطلق الى أيوب في صورة المعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه فقال كيف لو رأيت بنيك قد عذبوا تسيل دماؤهم ودماغهم فرق قلب أيوب فبكى ثم انه ندم على ذلك واستغفر وحمد الله تعالى فقال ابليس الهي انما هون على أيوب المال والولد لانه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فسلطني على جسده فقال سلطتك على جسده لا على لسانه وقلبه فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة فاشتعل منها جسده فخرج من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فيحك بأظفاره حتى سقطت ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعت ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه وتقطع وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة ورفضه جميع الخلق غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف كانت تختلف اليه بما يصلحه قال الحسن مكث أيوب مطروحا في مزبلة سبع سنين وأشهرا لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده فقالوا ما لك قال اعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلطني على ماله فلم يدع له مالا ولا ولدا فلم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده واستشارهم فقالوا من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته فقالوا فائت أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها ولا أحد يأتيه غيرها قال أصبتم فأتاها في صورة رجل فذكر لها ما كان من الغنم والمال والصبر فصرخت فأتاها بسخلة قال ليذبحها الى غير الله فأتت أيوب فقالت الخ

في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وقال عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله رضا من قلوبكم تظفروا بالثواب لفقركم والا فلا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون فاذا للفقراء فضيلة قد نطقت بها الاخبار والآثار ولا بأس بالاكتساب من المال وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وبعد الكفاف ما زاد عليه فهو منقصة وامساكه يوجب نقصان الدرجة كما نطقت به الاخبار

(فصل) اعلم أن الاخبار دلت على تحريم السؤال فمنها قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يستكثر من نار جهنم وقد ورد أيضا ما يدل على الرخصة في السؤال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس ولولا أنه جائز لما كان له حق ابتة فاذا السؤال انما رخص فيه بقدر الضرورة والحاجة ومن زاد على ذلك فلا سبيل الى الرخصة فيه (بيان أحوال السائلين) كان بشر يقول الفقراء ثلاث فقير لا يسأل وان أعطي أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند حاجته فهذا مع الصادقين كانفطر ومن

واحبة من ... صلى الله ... ن ان أمره ... فكان خيرا ... فأخبرها ... فيمكث ... صلى الله ... رواه البخارى ... هم فمن رضى فله الرضا

الصديق أين جملك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال لها أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك من أعطانا المال والاولاد والصحة قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين قال ويلك ألا صبرت ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك على حرام فاذهبي عني فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك أركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه شئ من دائه الظاهر الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من أهل ومال الا وقد أضعفه الله قال الحسن فجلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ان كان طردني الى من أكله أدعه يموت جوعا لارجعن اليه فرجعت فلم تر كناسة ولا الحال التي كانت فجعلت تبكي وهابت صاحب الحلة أن تسأله فدعاها فقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت ما أدري ما فعل ذلك المبتلى الذي كان مطروحا على الكناسة فقال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال فهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد ثم انها قالت انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا فقال أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح لابليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه وتعالى فرد على ما ترين ثم ان الله رحم رحمة بصبرها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود فضربها به ضربة واحدة قال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسأمها الناس فلم يستعملها أحد فلم تجد ما تطعمه فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فحينئذ قال رب اني مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصد الدود قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله بالكشف حتى ظهر له ثلاثة أشياء (أحدها) قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فرأيا أمرا عظيما فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا (والثاني) ان امرأته طلبت طعاما فلم تجده فباعت ذؤابتها (والثالث) قول ابليس أداويه على أن يقول أنت شفيتني وقيل قال ذلك حين وقعت دودة من جسده فردها الى موضعها فقال كلي قد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان والله أعلم قال القرطبي رحمه الله في التذكرة في الحديث ان أربعة يستشهد عليهم بأربعة ينادى بالاغنياء وأهل الغبطة يقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله فيقولون أعطانا الله ملكا وغبطة شغلنا عن القيام بحقه في دار الدنيا فيقال من أعظم ملكا أنتم أم سليمان فيقولون بلى سليمان فيقال لهم ما شغله ذلك عن القيام في حق الله والدأب في ذكره ثم يقال أين أهل البلاء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم أي شئ شغلكم عن عبادة الله فيقولون ابتلانا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم من أشد بلاء أنتم أم أيوب فيقولون بلى أيوب فيقال لهم ما شغله ذلك عن حقنا ولا عن الدأب لذكرنا ثم ينادى أين الشباب العطرة والمماليك فيقول لهم ما شغلكم عن عبادة الله فيقول الشباب أعطانا الله جمالا وحسنا فتننا به فكنا به مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون شغلنا رق العبودية في الدنيا فيقال لهم أنتم أكثر جمالا أم يوسف فقد كان في العبودية ما شغله رق ذلك عن القيام بحقنا ولا عن الدأب لذكرنا ثم ينادى أين الفقراء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر مدقع شغلنا عن ذكر الله تعالى فيقال لهم من أشد فقرا أنتم أم عيسى فيقولون بلى عيسى بن مريم فيقول لهم ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا فمن بلى بشئ من هذه الاربع فليذكر صاحبه

(الباب الثاني في الشكر)

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية

من الربحة وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم من ترك السؤال قد أثنى عليهم عند ابراهيم قال له ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ قال له شقيق كيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ واعلم أنه قد يعرض من الاحوال لبعض الاشخاص كما روى أن بعضهم رأى أبا الحسن النوري يمد يده ويسأل الناس قال فعظم عندي وذكرته للجنيد قال فلا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وكأنه أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للمال لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد رضي الله عنه هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها لفلان فقلت في نفسي انما يوزن الشئ ليعرف مقداره وهو رجل حكيم واستحييت

أن أسأله فذهبت بالصرة اليه فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك أنت شيأ

فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره وقال العلماء الشكر على ثلاثة أوجه الشكر ممن دونه الطاعة للامر وترك مخالفته والشكر ممن هو شكله يكون الجزاء والمكافأة والشكر ممن هو فوقه يكون رضامنه باليسير وقال تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم أى فى النعمة قيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها أى لاتطيقوا عددها ولا القيام بشكرها ان الانسان لظلوم كفار أى ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه عزوجل فى نعمته وقيل الظلوم الذى يشكر غير من أنعم عليه والكفار من يجحد منعمه وقال تعالى ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس رضى الله عنهما النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال سهل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقال تعالى لتسألن يومئذ عن النعيم أى عن شكر النعيم قال ابن مسعود النعيم الامن والصحة قال عليه السلام ان أول مايسئل العبد يوم القيامة عن النعيم أن يقال له ألم نصحح جسمك ونرويك من الماء البارد وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله تعالى العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وذلك قوله تعالى ان السمع والبصر الآية وقال سعيد بن جبير عن الصحة والفراغ والمال قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقال القرطبي يعنى بما أنعم الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقال مكحول بارد الشراب وظلال المساكن وشبع البطون واعتدال الخلق ولذاذة النوم وقيل انه كل لذة من لذات الدنيا قال أبو هارون دخلت على ابى حازم فقلت يرحمك الله ماشكر العينين قال اذا رأيت خيرا أذعته واذا رأيت شرا استرته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا انسيته قلت فما شكر اليدين قال لاتأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقا لله عزوجل فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فان فعلت فأنت الشاكر حق الشكر وقال سهل بن عبد الله أدنى الشكر أن لاتعصى الله عزوجل بنعمة من نعمه فان جوارحك نعم من الله عزوجل عليك فلا تعصه بها وبروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا وهو يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله عزوجل على نعمة عظيمة وقال مجاهد فى قول الله عزوجل أليس الله بأعلم بالشاكرين قال على التوحيد وروى أن يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف يوسف قال انه ملك مصر قال وما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة وقال سفيان الثورى رحمه الله لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف ياأبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يابنى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك وروى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله قال من أصبح لزمه شكر أربعة أشياء (أولها) أن يشكر فيقول الحمد لله الذى نور قلبى بنور الهدى وجعلنى من المؤمنين ولم يجعلنى ضالا (والثانى) أن يقول الحمد لله الذى جعلنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (والثالث) أن يقول الحمد لله الذى لم يجعل رزقى بيد غيره (والرابع) ان يقول الحمد لله الذى ستر عيوبى قال بعض الحكماء اشتغلت بشكر أربعة أشياء (أولها) أن الله خلق ألف صنف من الخلق ورأيت بنى آدم أكرم الخلق فجعلت من بنى آدم (والثانى) انه فضل الرجال على النساء وجعلنى من الرجال (والثالث) رأيت الاسلام أفضل الاديان وأحبها الى الله فجعلنى مسلما (والرابع) رأيت أمة محمد عليه السلام أفضل الامم فجعلنى منها وكان الحسن يقول يا ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن بها كلها كلما شكرت نعمة تجدد بذلك الشكر أعظم عليك منها فانت لاتنفك بالشكر عن نعمة الا لما هو أعظم منها وقال حاتم الاصم يصبح الناس كل يوم على ثلاث

واختمار ادعلى المائة قال فسألته فقال الجنيد رجل حكيم أحب أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة لله عزوجل وأخذت ما كان لله عزوجل ورددت ماجعله له قال فرددتها الى الجنيد فبكى ثم قال أخذ ماله ورد مالنا فالله المستعان فانظر الآن كيف صفة قلوبهم وأحوالهم وكيف أخلصوا لله تعالى أعمالهم حتى شاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان الشطر الثانى الزهد وحقيقة الزهد أن يرغب عن شئ ويعدل الى غيره فمن ترك فضول الدنيا ورغب عنها ورغب فى الآخرة فهو زاهد فى الدنيا واعلى درجاته أن ترغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى عن الآخرة والزهد لابد له من علم ان الآخرة خير من الدنيا وعمل صادر عن حال هو تمام الرغبة فى الآخرة والعمل تسليم الثمن بحفظ القلب والجوارح عما يناقض هذا البيع ويدل على فضيلة الزهد جميع الآيات والاخبار الواردة قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه وما يأتيه من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ

فرق فرقة طردوا من باب الخالق وفرقة طردوا عن خدمته ولم يطردوا عن بابه وفرقة أكرموا بخدمته فالواجب على الشاكر أن يقول كل يوم الحمد لله الذي لم يجعلني من المطرودين عن بابه وهم الكفار ولا من المطرودين عن خدمته وهم الفساق وجعلني من المكرمين بخدمته وهم أهل المساجد والمجالس وقال أبو معاوية الاسود ما من نعمة لله علينا أعظم من التوحيد نسأل الله أن لا ينسيناه ثم قال يحق على المنعم أن يتم نعمه على ما أنعم عليه وقال عبد الواحد بن زيد مررت في بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين والرجلين وهو يقول الهي وسيدي متعتني بجوارحي حيث شئت وأخذتها حيث شئت وتركتني حسن الظن والامل فيك يابر ياوصول قال فقلت في نفسي أين بر من الله على هذا وأي وصل فقال اليك يابطال أليس ترك لي قلبا يعرفه ولسانا يذكره فهو نعيم الدارين جميعا ونقل ابن الجوزي في روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال ثمان خلال من لم يحرم فعلها لم يحرم حق المجازاة عليها من وفق للتوبة لم يحرم القبول قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ومن وفق للمجاهدة لم يحرم الهداية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن وفق للصبر لم يحرم الجزاء قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ومن وفق للتوكل لم يحرم الكفاية قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن وفق للاسترجاع لم يحرم الرحمة قال الله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ومن وفق للتقوى لم يحرم المخرج من الشدائد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة قال الله تعالى أدعوني أستجب لكم ومن وفق للشكر لم يحرم المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله اني لأحبك فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته ومن قال اذا أصبح اللهم اني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات اذا أصبح واذا أمسى كان حقا على الله تعالى أن يتم عليه نعمته قال سفيان الثوري نعمتان ان رزقك الله تعالى اياهما فاحمده عليهما واشكره اجتنابك باب السلطان واجتنابك باب الطبيب روي أن بعضهم شكا الفقر الى بعض أرباب البصيرة وأظهر شدة اغتمامه بذلك فقال له أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا قال لا قال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا روي أن ابراهيم عليه السلام كان لا يأكل الا مع الضيف فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم طعاما فجلوا اليه بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على ان عافاني مما ابتلاكم وكان نوح عليه السلام يستعظم القليل من فضل الله تعالى عليه ويستصغر كثير خدمته له وكان يعرض عشاءه عند فطره على من آمن به فان وجده محتاجا اليه آثره به وكان كثيرا لحمد لله تعالى قال بعض الحكماء اني لاستحي من الله أن أعبده رجاء الثواب بالجنة فأكون كالاجيرات أعطى أجره عمل والا لم يعمل واني لاستحي من ربي تعالى ان أعبده خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل والا لم يعمل ولكنني أعبده لما هو أهله قال في روضة المشتاق قيل ان عيسى عليه السلام مر على طائفة من العباد كأنهم الشنان البالية فقال ما أنتم قالوا نحن عباد قال لأي شئ تعبدتم قالوا خوفنا الله من النار فخفنا منها فقال حقا على الله ان يؤمنكم مما خفتم ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شئ تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنات وما أعد لأوليائه فيها فنحن نرجو ذلك فقال ان حقا على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا نحن المحبون في الله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له واجلالا وتعظيما فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت ان أقيم بين أظهركم

عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد أوتي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال عليه السلام ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا يحبك الله وجاء رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وفي قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل ما هذا الشرح فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر فانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها دخل الجنة فقال علي رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها فسره لنا فقال عليه السلام حب الدنيا طلبا بها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة

(الباب الثالث فى حمد الله تعالى)

قال الله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع رواه أبوداود وابن ماجه وفى رواية كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم ومعنى ذى بال أى له حال يهتم به ومعنى أقطع أى ناقص قليل البركة قال الشافعى رحمه الله أحب أن يقدم المرء بين يدى خطبته وكل أمر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما يشكر الله عبد لا يحمده وقال صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى وفى صحيح مسلم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضى عن العبد يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء وفى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا نظر فى المرآة قال الحمد لله اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وروى ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال

(كتاب الرجاء والخوف وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول فى الرجاء)

قال الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا أى لمن تاب انه هو الغفور الرحيم قال ثوبان رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن تكون لى الدنيا وما فيها بهذه الآية قيل هى أرجى آية فى القرآن وقيل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل من يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقيل انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى وقال زين العابدين أرجى آية ولسوف يعطيك ربك فترضى وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيأ لقيته بمثلها مغفرة رواه مسلم قال النووى رحمه الله معنى الحديث من تقرب الى بطاعتى تقربت اليه برحمتى وان زاد زدت فان أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيته هرولة أى صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه الى المشى الكثير فى الوصول الى المقصود وقراب الارض بضم القاف ويقال بكسرها والضم أصح وأشهر ومعناه ما يقارب ملأها والله أعلم وعن جابر رضى الله عنه قال جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار رواه مسلم وفى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى اذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته

ثلاث درجات (الاولى) أن يتكلف الزهد فى الدنيا ويجاهد نفسه فى تركها مع اشتهائها فهذا متزهد ولعله يديم فيصل الى الزهد (الثانية) أن يزهد فى الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لاجل درهمين وهذا لا يشق عليه ولكنه لا يخلو عن ملاحظته ما تركه وملاحظة نفسه وهو أيضا نقصان (الثالثة) وهى العليا وهى أن يزهد طوعا ويزهد فى زهده اذ لا يرى انه ترك شيأ لمعرفته بان الدنيا لاشئ فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة والدنيا بالنسبة الى الآخرة لا نسبة بينهما قال أبو يزيد رضى الله عنه لابى موسى عبد الرحيم فى أى شئ تتكلم قال فى الزهد قال فى أى شئ قال فى الدنيا فنفض يده فقال ظننت أنه يتكلم فى شئ الدنيا لاشئ أزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب فالقى اليه لقمة من الخبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته أفترى انه اتخذ لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها الى كلبه فى مقابلة ما ناله والشيطان كلب على باب الملك وهو الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله قال لله أرحم بعباده من هذه بولدها وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية قال عيسى صلوات الله عليه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك رواه مسلم وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله تعالى قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله أن يغفر لمن لا يشرك به شيأ فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم ان الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام اني أجعل حساب أمتك اليك فقال يا رب أنت خير لهم مني فقال اذا لا نخزيك فيهم وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله خلا لي الطواف وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان أسلمت أضفتك فمضى المجوسي فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة واحدة ما كان عليك اثم فهم ابراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي هكذا يعاملني أعرض علي الاسلام فأسلم (وحكى) ان أبا العباس بن شريح رحمه الله رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول أين العلماء قال فجئنا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال قلنا يا رب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وكان أبان بن عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا فرؤي بعد موته في المنام فقيل له كيف كان قدومك على الله قال أوقفني بين يديه فقال ما الذي حملك على ما فعلت قلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك وروئي يحيى بن أكثم في النوم بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال وأخذني من الرعب ما لا يعلم به الا الله قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك انك قلت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة يا لها فرحة قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب روضة المشتاق الى الملك الخلاق وورد في الخبر أن الخليل عليه السلام نزل به رجل من عباد النار فأضافه وأكرمه فضجت الملائكة في السموات وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم حبات قدرته يا ملائكتي أنا أعلم بخليلي منكم ثم أمر جبريل عليه السلام وقال يا جبريل انزل اليه واعرض قول الملائكة عليه ففعل جبريل فبكى ابراهيم عليه السلام وقال يا جبريل قل لمولاي منك تعلمت رأيتك تحسن لمن أساء اليك فتعلمت منك ونقل في روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال

مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز اذا أكلت فلذتها في الحال وتفنى على قرب بالابتلاع ثم تبقى نفلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن وتحتاج الى اخراج الثفل فمن تركها لينال عند الملك قربا كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا أعني ما يسلم لكل واحد منها بالنسبة الى الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو تمادت ألف ألف سنة صافية عن الكدورات فمصيرها الى الزوال فاذا عرفت هذا فاعلم ان أعلى الدرجات أن تزهد فيما سوى الله تعالى طلبا لوجهه وذلك لمعرفته وعلو رتبته فلا تأخذ من المطعم والملبس والمنكح والمسكن وكلما أنت محتاج اليه الا قدر الضرورة الذي به قوام بدنك وما تقدر به على المدافعة هذا هو الزهد الحقيقي والله أعلم

(الباب الخامس والثلاثون في التوحيد والتوكل)

أما التوكل ففضيلته تعرف بالآيات والاخبار قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين وقال عليه السلام مما رواه ابن مسعود رأيت الامم في الموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل أرضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون

ما من عبد يعصى الا استأذن مكانه من الارض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدى وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الى فأغفر له ولعله يستبدل صالحا فأبدل له سيآته حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا وقال فيها أيضا قيل ان رجلا من بنى اسرائيل أتى موسى عليه السلام فقال له ياموسى قل لربك يقطع رزقه عنى فقال موسى عليه السلام يارب قد سمعت ما قال هذا العبد وأنت العالم به قبل خلقه فأوحى الله اليه ياموسى قل له ان أحببت أن لا يصل اليك شئ من فضلى ونعمائى فاترك أرضى وسمائى واطلب ربا سواى ياموسى قل لعبدى كيف أقطع رزقى عنك وأنت أنت وأما أنا فأنا علمه موسى بذلك فسقط على وجهه على الارض مغشيا عليه ثم أفاق وقال ياموسى قل لمولاى صدقت أنا العبد الضعيف وأنت المولى الكريم (وحكى) فيها أيضا عن بعض السلف انه كان يقول الطمع قبيح الا فى رحمة الله تعالى وعفوه والامل غرور الا فى فضله ونعمته وامتهان النفس ذل الا فى طاعته وخدمته وقال فى روضة المشتاق أيضا ورد فى الخبر أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران حببنى الى عبادى وذكرهم نعمتى عليهم واحسانى اليهم فقال موسى عليه السلام الهى هذه رحمتك للاحياء فما الذى أعددت للاموات فأوحى الله اليه يا ابن عمران لو سألت أهل القبور وأذنت لهم فى جوابك لأخبروك أن لطفى بهم بعد وفاتهم أعظم من لطفى بهم فى حياتهم يا ابن عمران لم أقطع رحمتى عنهم وهم أحياء يرزقون فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبورون يا ابن عمران كم عبد عصانى طول عمره فلما كان عند موته لم أنظر الى تمرده وجهله ونظرت الى ضعفه وذله فألهمته توحيدى وأوقفته على بابى لينجو من سطوتى وعذابى

(فصل قال العلماء) رحمهم الله الرجاء حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت عنها فاما الطمع أى مع ترك الطاعات والاستمرار على المخالفات فامن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان فانه يحسن لك المعاصى وربما يحرك الى ذلك رجاء عفو الله وكرمه وقد وصف الله تعالى الراجين فقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور وقال قتادة فى قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله أهل الرجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب

(الباب الثانى فى الخوف)

قال الله تعالى فاياى فارهبون وقال الله تعالى ان بطش ربك لشديد وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية والشهوة وقيل قيام ربه عليه بيانه قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ابراهيم ومجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافة الله تعالى قال محمد بن على الترمذى جنة بخوفه ربه سبحانه وجنة بتركه شهوته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة حسنه الترمذى ومعنى أدلج سار من أول الليل والمراد السير فى طاعة الله والله أعلم وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين قال النووى رحمه الله الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى رواه الترمذى وقال حديث حسن قال النووى رحمه الله أطت بفتح الهمزة وتشديد

آخر فقال ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولما قرأ الخواص رضى الله تعالى عنه قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت الى آخر الآية قال لا ينبغى للعبد بعد هذا أن يلتجئ الى أحد غير الله تعالى

(فصل فى بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل ودرجاته) فاعلم أن معنى التوحيد الذى هو أصل التوكل ما يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان له بالقدرة التى يترجمها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة التى يدل عليها قولك وله الحمد فمن غلب معنى هذه الجملة على قلبه صار متوكلا (وأصل ذلك التوحيد) وله أربع مراتب فهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر (الجزء الاول) الايمان بالقول المحض قشر القشر وهو ايمان المنافقين والعياذ بالله (الثانى) التصديق بمعنى الكلمة وهو ايمان عموم المسلمين (الثالث) أن يشاهد ذلك بطريق الكشف وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أسبابا كثيرة ولكن مع كثرتها صدرت من الواحد القهار (الرابع)

الطاء وتئط بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة والاطيط صوت الرجل والقتب وشبههما ومعناه ان كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت والصعدات بضم الصاد والعين الطرقات ومعنى تجأرون تستغيثون وقال صلى الله عليه وسلم لا أدرى وأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفعل بى ولا بكم وقال صلى الله عليه وسلم ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فاذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمركم الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزنى قال لا بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقالوا يا رسول الله قد شبت فقال شيبتنى هود وأخواتها وفى رواية شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت

(فصل فى خوف الملائكة والانبياء والعلماء) (خوف الملائكة) قال الله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءنى جبريل قط الا وهو يرعد خوفا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما أمنا من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى وعن أنس رضى الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام سأل جبريل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار قال الغزالى رحمه الله ويقال ان لله ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله تعالى عليهم فيعذبهم (خوف الانبياء عليهم الصلاة والسلام) روى أن ابن عمر رضى الله عنه قال لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين أخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أنه أتانى فى ليلة فدخل معى فى الفراش حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى يا عائشة أتعبد لربى قالت فقلت له والله انى لأحب قربك وانى لأحب أن تتعبد لربك تعالى قالت فقام وأتى الى قربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته وبكى حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتاه بلال فناداه لصلاة الصبح وهو يبكى فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله جلت قدرته فى هذه الليلة هذه الآية ان فى خلق السموات والارض الآيات ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتذكر ما فيها وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب ابراهيم عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فى أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا وما رجع الا بعشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت وكان يحيى بن زكريا عليه السلام اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكى حتى أحرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقال له أبوه يا بنى انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى فقال يحيى يا أبت ان جبريل أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال زكريا فابك يا بنى وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل عليه

الله لا يرى الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد فلا يرى نفسه لكون باطنه مستغرقا بالواحد الحق وهو المراد بقول أبى يزيد لم [illegible] نفسى فالاول هو الايمان باللسان وحده ولا ينفع الا فى دفع السيف وعصمة المال والدم لقوله عليه السلام فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم والثانى موحد بمعنى أن يعتقد بقلبه معنى الكلمة خاليا عن شك فيه ولكن لا انشراح فى باطنه فهذه الحالة تحفظ صاحبها عن العذاب فى الآخرة أن توفى عليها ولم يضعفها بالمواظبة على المعاصى ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه بالنقص وهى البدع (الثالث) موحد بمعنى أنه انشرح له الصدر فلم يشاهد الا واحدا وان كثرت الاسباب فعلم ان مصدرها من الواحد الحق وفنى عن الوسائط وعن نفسه وهذه الحالة هى العليا وهى دهن اللب من الجوز مثلا ولا كلام فى هذه الحالة الرابعة بل الكلام فى الثالث وهو الذى يرى الواحد الحق ويرى الكل واحدا والكل من الحق وعند هذه يقول من لم يشرق على قلبه النور المراد بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كيف يرى الكل واحدا وهو يرى تعدد الاعداد الكثيرة واعلم أن كشف هذه الاسرار لا يمكن اذ قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ولكن نورد ما يسكن به استبعادك وهو أن الشئ يكون كثيرا باعتبار وقليلا باعتبار كالانسان من حيث أجزاؤه كثير ومن

السلام فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي (خوف الصحابة رضي الله عنهم) روى أن أبا بكر رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض فقال ياليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أكن شيأ مذكورا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليتني لم تلدني أمي وكان في وجه عمر خطان أسودان من الدموع وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا (خوف التابعين فمن بعدهم من العلماء والاولياء) كان علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا توضأ اصفر لونه فيقولون له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول ألا تدرون بين يدي من أريد أقوم وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله انما جعل الله عز وجل هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من خشية الله عز وجل ودخل عليه يزيد الرقاشي فقال عظني يا يزيد فقال اعلم يا أمير المؤمنين أنك لست أول خليفة تموت فبكى ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الاميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وجاءته مولاة له فقصت عليه أنها رأت في المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهي تغيظ على أهلها وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار قالت ثم رأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك فوقع عمر مغشيا عليه وبقي زمانا يضطرب وهي تصيح في أذنه رأيتك قد نجوت وقال موسى بن مسعود رضي الله عنه كنا اذا جلسنا الى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث فيها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يافتى هل مررت بالصراط قال لا قال هل تدري الى الجنة تصير أم الى النار قال لا قال فما هذا الضحك فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وقال السري رحمه الله اني لأنظر الى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهي وروى ان زرارة بن أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا وكان بعض السلف يوقد المصباح ولا يزال يبكي الى الصباح كلما رأى النار ذكر جهنم وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها فكلما أحس بالحرارة يقول يا ويلك لم فعلت كذا وكذا وقرأ قارئ في مجلس الشبلي رحمه الله فقام رجل فزعق فقال له الشبلي رحمه الله فزعق ثانيا فقال له الشبلي الله فزعق ثالثة ورابعة ومات فجاء والده فادعى عليه أنه قتله فرفع الى دار الخليفة وأحضر بين يديه وسئل عن ذلك فقال روح حنت فدنت فسمت وعلت فهاجت فدعيت فأجابت فما ذنبي أنا فقال أمير المؤمنين من وراء الحجاب لا ذنب عليه خلوا سبيله فانطلق وروى أن بعض الانبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه فسأل ربه ان يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام بن باعوراء كان يحسن الاسم الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين ولا شخص أكبر عند الله تعالى منزلة من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه

(فصل) في الخوف من سوء الخاتمة في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله

واحدة من الاعتبارات واحدة واعتبار مثال الانسان وان كان لا يطابق لكنه ينبه على أن الشيء قد يكون باعتبار ما كثيرا وباعتبار ما واحدا والى هذا أشار الحسين بن منصور حيث رأى الخواص يبعد في الاسفار فقال فيماذا أنت فقال أبعد في الاسفار لاصحح حالي في التوكل فقال الحسين فقد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فالخواص في المقام الثالث فطالبه بالعبور الى الرابع فان قلت فاشرح لي الحالة الثالثة ان كنت لا تشرح الرابعة فأقول ذلك بان تعلم ان لا خالق الا الله تعالى فانه لا تتحرك ذرة في السموات والارض الا باذن الله تعالى وانه لا فقر ولا غنى ولا موت ولا حياة الا باذن الله تعالى وانه مخترع الكل فمن شاهد هذا وعلم أنه لا اله الا هو استغنى عما سواه ولم ينظر الى شيء اذ الكل مسخر تحت قدرته وهذا كما أن الملك اذا وقع منه العفو فلم ينظر الى القلم والكاغد والشكر لهما بل نظر الى الكاتب وهو الملك فشكره ومن ينظر سوى الله تعالى من الاسباب فهو كمن ينظر الى القلم ويشكره بل ربما أدهشه جلال الملك عن ان يشاهد القلم أو أن يحضر بباله وجود العالم بل لا يراه ولا يذكره فان قلت هذا في الجمادات المجردة قد

صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فو الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وانه من أهل الجنة و يعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك فقلت يا رسول الله انك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى قال وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار اذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه و روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا كان عند الموت قعد عند رأسه شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن يمينه على صفة أبيه يقول له أى بنى انى كنت عليك شفيقا ولك محبا و لكن مت على دين النصارى وهو خير الاديان والذى عن شماله على صفة أمه يقول له يا بنى كان فى بطنى لك وعاء وثديى لك سقاء وفخذى لك وطاء ولكن مت على دين اليهود وهو خير الاديان وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حضرت وفاة أبى رحمه الله و بيدى خرقة لأشد لحيته فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده لا بعد لا بعد فعل هذا مرارا فقلت له يا أبت أى شئ ما يبدو منك فقال ان الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول يا أحمد فتنى وأنا أقول لا بعد لا بعد حتى أموت و روى أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجدا للاذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصرانى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار فقالت له ما شأنك ما تريد فقال لك أريد قالت لماذا قال لها قد سلبت لبى وأخذت بمجامع قلبى قالت لا أجيبك الى ريبة قال لها أتزوجك قالت له أنت مسلم وأنا نصرانية وأبى لا يزوجنى منك قال لها أتنصر قالت ان فعلت أفعل فتنصر ليتزوجها وأقام معهم فى الدار فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى الى سطح كان فى الدار فسقط منه فمات فلا هو بدينه ولا هو بالمرأة فنعوذ بالله من سوء الخاتمة وروى النسائى عن عثمان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث انه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية فأرسلت اليه جارية فقالت له انا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى الى امرأة وضيئة عندها غلام و باطية خمر فقالت والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على أو تشرب من هذا الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام قال فاسقينى كأسا من هذا الخمر فسقته كأسا قال زيدينى فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك أن يخرج أحدهما صاحبه و يروى أن رجلا أسيرا مسلما وكان حافظا للقرآن خص بخدمة راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر المسلم فقيل له ارجع الى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه قال لا أرجع اليه أبدا فقتل وقال سفيان الثورى رحمه الله رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم سلم سلم فقلت يا أخى ما قصتك قال كنا أربعة اخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتتن عند موته ولم يبق الا أنا ولا أدرى بماذا يختم لى وتاب رجل نباش فسئل عن سبب توبته فقال رأيت سبعين رجلا فى قبورهم قد حولوا عن القبلة وقال الحسن دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها فأبوا أن يزوجوه حتى يتنصر فأجابهم الى ذلك فحضروا له القسيسين فتنصر فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت يا ويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الابد أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأتى بعض الصالحين بطبيب نصرانى فى مرضه فصاح أخرجوه عنى ثم قال الهى لو صببت على كل بلاء فى الدنيا لم أبال بعد أن لا تعذبنى بالكفر و يقال فى قوله تعالى اخبارا عن أهل

تهمته ولكن كيف أفهم ذلك فى الانسان المختار الخير والعفو والاعطاء والنع وكيف يليق باحواله وضعه على الاشكال فاقول العدل فيه القدام الاكثر ... عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم الشياطين فشاهدوا بنور اليقين كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم فى يد الكاتب مسخرا وان غلط الضعفاء فى ذلك كغلط نملة على كاغد يكتب عليه قصر بصرها عن ادراك الكاتب فأبصرت القلم وأحالت الكتابة عليه وهذا كبصر الضعفاء والذى أمدهم الله تعالى بتوفيقه وشرح صدورهم بنوره شاهدوا ما فوق ذلك اذ قد أنطق الله فى وجههم كل ذرة فى السموات والارض بقدرته التى أنطق بها كل شئ حتى سمعوا شهادتها على أنفسها بالعجز بلسان طلق تكلمهم بلا صوت ولا جوف لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون فلكل ذرة فى العالم مع أرباب القلوب مناجاة وذلك من بحر كلام الله تعالى الذى لا نهاية له كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الآية فهى ابتداء مناجاة أرباب القلوب بأسرار الملكوت ولكن أفشاه بعضهم وهل رأيت أمينا على سر الملك نادى على ملا من الاشهاد بسره ولو جاز افشاء كل سر لما قال عليه الصلاة والسلام لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر لهم ذلك حتى لا يضحكون بل يبكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال

الجنة انا كاقيل فى أهلنا مشفقين أى وكانحن فى الدنيا بين أهلنا خائفين مشفقين من سوء الخاتمة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم أى من علينا فتر وقانا على الايمان وكان على بن أبى النجم يبكى ويقول ومن لى أن يختم لى بلا اله الا الله وقال حامد اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن تقول الملائكة كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا قال عبد الحق رحمه الله واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله وانما تكون لمن كان له فساد فى العقد واصرار على الكبائر أو اقدام على العظائم وربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أو يكون ممن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ويأخذ فى غير طريقه فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كابليس اللعين الذى عبد الله فيما روى ثمانين ألف سنة وبلعام بن عوراء الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها لخلوده الى الارض واتباع هواه وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر (وحكى) ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال يؤتى يوم القيامة بشيخ كان مسلما ثم صار كافرا فيؤمر به الى النار فتلقاه زوجته وولده فيقولان له ما الذى صيرك كافرا فيقول لهم لم تزل الخطايا والزلات تحل عقد ايمانى وتمحو بظلمتها نورا من لسانى حتى أعمى الكفر وأعمانى قال الله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ويحكى أن فتى من أصحاب الفضيل بن عياض رحمه الله مات فرآه الفضيل فى المنام فسأله عن حاله فأخبره أنه مكر به ومات يهوديا فقيل له ولم ذلك قال لأنى كنت أظن انى أفضل أصحابك وكنت أتكبر عليهم وكانت بى علة باطنة فوصف لى شرب الخمر فكنت أشرب قدحا فى كل سنة

(الباب الثالث فى الجمع بين الرجاء والخوف)

وقد جمع الله بينهما فى آيات كثيرة قال الله تعالى ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم وقال الله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب وقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول وقال الشيخ عبد العزيز رحمه فى طهارة القلوب معنى ح أقسم بحلمى ومعنى م أقسم بمجدى فمن الجمال المجد والحلم ومن الجلال العز والعلم ثم من الجمال غافر الذنب وقابل التوب ثم من الجلال شديد العقاب ثم من الجمال ذى الطول أى الفضل ردد لك بين خوفه ورجائه وأفامك بين رأفته وكبريائه وقال تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة ولو يعلم الكافر بكل الذى عنده من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عنده من العذاب لم يأمن من النار وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف

(فصل) قال العلماء رحمهم الله تعالى ينبغى للمريض أن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى ومعناه يظن أن الله تعالى يرحمه أما فى حال الصحة فوجهان أظهرهما فى شرح المهذب أن يكون خوفه ورجاؤه سواء والثانى يكون خوفه أرجح وقال الغزالى رحمه الله فى الاحياء الرجاء والخوف دواآن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان غلب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل وان غلب عليه اليأس والقنوط والمعاصى فالرجاء أفضل ويجوز أن يقال الخوف أفضل مطلقا الغلبة المعاصى فهو أفضل فى حق الاكثرين وأما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه فينبغى أن يعتدل خوفه ورجاؤه قال والاولى ان يستعمل لفظ الاصلح لا الافضل فيقال الاصلح لاكثر الخلق الخوف دون الرجاء واما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه فينبغى ان يعتدل خوفه ورجاؤه قال ومن لاحظ من صفاته تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة غلب عليه الرجاء

فنقول قال بعض الآخرين عن مشكاة نور الله تعالى الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك مسود وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتنى فى هذه المطالبة فانى ما سودت وجهى بنفسى ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة فسافر من وطنه ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال الحبر ما أنصفتنى فانى كنت ساكنا فى المحبرة عازما على أن لا أبرح فاعتدى على القلم واختطفنى من وطنى وأزعجنى وبددنى على ساحة بيضاء كما ترانى فالسؤال عليه لا على قال صدقت ثم سأل القلم عن السبب فى ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه قال اسأل اليد والاصابع فانى كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بخضرة الاشجار فجاءتنى اليد بسكين فنحت القشر واقتلعتنى من أصلى وفرقت بين أنابيبى ثم برتنى وشقت رأسى وغمستنى فى سواد الحبر وهى تستخدمنى وتمشينى على قمة رأسى فلقد نثرت الملح على جرحى بسؤالك وعتابك فتنح عنى وسل من قهرنى فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها القلم فقالت ما أنا الا لحم ودم وعصب وعظم وهل رأيت جسدا يحرك نفسه وانما أنا مركب مسخر ركبنى فارس يقال له القدرة والقوة فهى التى ترددنى وتجول بى

وأثر

و أعلاه المحبة وهى أعلى المقامات فيكون الرجاء أفضل بهذا الاعتبار

(كتاب الزهد والفقر وفيه بابان) *(الباب الاول فى فضل الفقراء)*

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية قال سلمان وخباب بن الارت رضى الله عنهما فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وأصحابهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يارسول الله لو جلست فى صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا انا نحب أن تجعل لنا مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم فقالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعى بالصحيفة ودعا عليا رضى الله عنه ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله بالشاكرين فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى ان أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان قارئ يقرأ علينا فكنا نستمع الى كتاب الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بخمسمائة عام رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال مر رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك فى هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حرى ان خطب أن ينكح وان شفع أن يشفع فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك فى هذا قال يارسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى ان خطب أن لا ينكح وان شفع أن لا يشفع وان قال لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء رواه البخارى ومسلم والجد بفتح الجيم الحظ والغنى وقوله محبوسون أى لم يؤذن لهم بعد فى دخول الجنة وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة أخرج الى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع بما آتاه الله

فى نواحى الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها عن مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر أما ترى أيدى الموتى مساوية لى فى الصورة ثم هى لا تتحرك ولا معاملة بينها وبين القلم وأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بينى وبين القلم فسل القدرة عن شأنى فانى مركب أزعجنى من ركبنى ثم سأل القدرة عن استخدامها فقالت دع عنك لومى ومعاتبتى كيف ظننت أنى ظلمت اليد وقد كنت راكبة لها قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أتحرك حتى جاءنى موكل وأعجزنى وأرهقنى الى ما تراه منى فكانت لى قوة على مساعدته ولم يكن لى قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى ارادة ولا أعرفه الا باسمه وبهجومه وصياله اذ أزعجنى من غمرة النوم وأرهقنى الى ما كان لى مندوحة عنه لو خلانى ورأيى فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذى جرأك على القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك فقالت الارادة لا تعجل على فلعل لنا عذرا وأنت تلوم فانى ما انتهضت وما انبعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم ولقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فأشخصتها باضطرار فأنا مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدرى لاى سبب سخرت له وألزمت طاعته لكنى فى دعة وسكون ما لم يرد على

عز وجل وعن أنس رضي الله عنه قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا فقال يارسول الله اني رسول الفقراء اليك قال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقال يارسول الله ان الفقراء يقولون لك ان الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله وروى بعضهم ذهبوا بالجنة وهم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضول أموالهم ذخرا لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ الفقراء عني أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للاغنياء منها شئ أما الخصلة الاولى فان في الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا الى النجوم لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والخصلة الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام والخصلة الثالثة اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مخلصا وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وان أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم الرسول وأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يارب رضينا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه وقيل ان الله أوحى الى موسى عليه السلام ياموسى ان من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته ولو سألني علاقة سوط من الدنيا لم أعطه وليس ذلك من هوان له علي ولكن أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء وقال أبو مسلم الخولاني ماطلبت شيأ من الدنيا قط فيأتي لي حتى لقد ركبت مرة حمارا فلم يمش فركبه غيري فعدا فرأيت في منامي قائلا يقول لا يحزنك مازوى الله عنك من الدنيا فانما يفعل ذلك بأوليائه وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين قال الشيخ الامام العارف عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله وناهيك بهذا الشرف للمساكين ولو قال صلى الله عليه وسلم واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفا فكيف وقد قال واحشرني في زمرة المساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى فقل ذنب عجلت عقوبته وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها فيأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء الى منزله كئيبا حزينا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا ماقربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل مارأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري فقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما رغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم الغني وأهان الفقير وقال لقمان لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة

لعمري مادام هو في التردد مع تقسيم التعبير في حكمه فأنا ساكتة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأمضت القدرة لتقوم بموجب حكمه فاسأل العلم عن شأني فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت فأقبل على العلم والعقل مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاستنهاض القدرة فقال العقل اما أنا فسراج مااشتعلت بنفسي ولكن شعلت وقال القلب وأما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فاسأل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه على غيره ولكن كنت أطيب نفسي بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب واني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح

السالفة أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم رحمه الله بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال ابراهيم أتريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم (وحكى) السبتي اسمه أحمد أنه كان لهارون الرشيد ولد وقد بلغ من العمر ستة عشر سنة وكان قد رافق الزهاد والعباد وكان يخرج الى المقابر و يقول قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا فما أراها منجيتكم وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم و يبكي بكاء شديدا فمر يوما على أبيه وعليه جبة صوف وعلى رأسه مئزر صوف فقال بعض الوزراء لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فقال له أبوه يا بني لقد فضحتني بما أنت عليه فنظر اليه ولم يجبه ثم نظر الى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال أيها الطائر بحق الذي خلقك الا ما جئت على يدي فانقض الطائر على كتفه ثم قال له ارجع الى موضعك فرجع فقال بحق من خلقك الا ما سقطت في كف أمير المؤمنين فما نزل فقال له الغلام أنت الذي فضحتني بحبك الدنيا ثم فارقه ولم يتزود منه بشيء الا مصحفا وذهب الى البصرة وكان يعمل مع الفعلاء في الطين وكان لا يعمل الا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوت كل يوم بدانق قال أبو عامر البصري وكان قد وقع لي حائط فخرجت أطلب من يعمله فرأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها و بين يديه زنبيل ومجرفة وهو يقرأ في المصحف فقلت له أتعمل فقال فيم أعمل قلت في الطين قال بدرهم ودانق وأصلي صلاتي قلت لك ذلك ثم مضيت به الى العمل فعمل عمل عشرة رجال فوزنت له درهمين فأبى الا درهما ودانقا فلما كان من الغد خرجت الى السوق فلم أجده فسألت عنه فقيل لي لا يعمل الا يوم السبت فأخرت العمل الى السبت الثاني ثم أتيته فوجدته فقال لي مثل الاولى فمضيت به الى العمل فوقفت أنظر اليه من بعيد وهو لا يراني فأخذ كفا من الطين وتركه على الحائط واذا الحجارة تتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء الله يعاونون فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فلم يقبل سوى درهم ودانق فلما كان السبت الثالث جئت الى السوق فلم أره فسألت عنه فقيل لي له ثلاثة أيام يعالج سكرات الموت فاستدللت عليه فاذا هو في خرابة مغشيا عليه وتحت رأسه نصف لبنة فسلمت عليه فعرفني فأخذت رأسه فجعلته في حجري فمنعني من ذلك وقال لي اذا مت فغسلني وكفني في جبتي هذه فقلت يا حبيبي ولم لا أكفنك في ثياب جديدة فقال الحي أحوج الى الجديد من الميت الثياب تبلى والعمل يبقى وخذ مئزري وزنبيلي فادفعهما الى الحفار وخذ هذا المصحف والخاتم وادفعهما الى هرون الرشيد ولا تدفعهما الا من يدك الى يده وقل له يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب وهو يقول لك لا تموتن على غفلتك ثم خرجت روحه رحمه الله فعلمت أنه ولد الخليفة وعملت ما أوصاني به وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد وقصدت قصر هرون فلما خرج قلت له يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب ثم دفعت اليه المصحف والخاتم وقلت له ما أوصاني به فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى علي بعض حجابه وقال ليكن هذا عندك الى أن أسألك عنه فلما رجع أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب أين الرجل فلما دخلت عليه قال ادن مني فدنوت منه فقال أتعرف ولدي قلت نعم قال في أي شيء كان يعمل قلت في الطين والحجارة قال استعملته أنت قلت نعم قال استعملته وله اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما علمت من هو الا بعد وفاته قال أنت غسلته بيدك قلت نعم قال هات يدك فأخذها وتركها على صدره وهو يقول بأبي كيف كفنت العريب العزيز ثم ذهب الى البصرة حتى انتهى الى القبر فلما رآه غشي عليه ثم أفاق وجعل يبكي بكاء شديدا قال أبو عامر فلما كان تلك الليلة قضيت وردي واضطجعت فرأيت قبة من نور عليها سحاب من نور واذا قد كشف السحاب فنادى الغلام ينادي يا أبا عامر جزاك الله عني خيرا فقلت الى ماذا صرت اليه قال الى رب راض غير غضبان أعطاني ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وآلى على نفسه أن لا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجي الا أكرمه مثل كرامتي واستيقظت فرحا بما قال لي و بشرني به رضي الله عنه ونفعنا به

والسراج والمطوي القلم ولا أشاهد منه شيأ أسمع جعجعة ولا أرى طحنا فقال له العلم صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فألق سمعك وأنت شهيد واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة الثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا أدري كيف تسلم فيها الثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها فكل من يمشي على الارض في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشي في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض

(الباب الثانى فى الزهد وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول فى فضله) قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى قوله والعاقبة للتقوى قال أبو رافع رضى الله عنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا من الدقيق أو اسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وانى لأمين فى السماء أمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك لا تنظر الى ما متعنا به أعطينا أزواجا أصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا أى زينتها لنفتنهم فيه أى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك فى المعاد يعنى الجنة خير وأبقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدرى ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت يعنى النار وقال صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والجسم فلينظر الى من دونه فى المال والجسم قال أبى بن كعب من لم يتعزز بعزة الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما فى أيدى الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه وامر أهلك بالصلاة أى قومك وقيل من كان على دينك لقوله تعالى وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة واصطبر عليها أى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر لا نسألك رزقا لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك وانما نكلفك عملا نحن نرزقك والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى أى لاهل التقوى قال ابن عباس رضى الله عنهما الذين صدقوك واتبعوك واتقونى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وروى ابن ماجه وغيره أن رجلا قال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وعن عمرو ابن الحرث رضى الله عنه قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيأ الا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع فى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات وقال سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة أحرف زاى وهاء ودال فمعنى الزاى ان تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء أن تترك هواها ومعنى الدال ان تترك الدنيا باسرها فاذا كان هكذا حينئذ سمى زاهدا وقال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض الزهد فى الحرام والزهد الفضل الزهد فى الحلال والزهد السلامة الزهد فى الشبهات وقال أحمد بن حنبل رحمه الله الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله عز وجل وهو زهد العارفين وقال الشافعى رضى الله عنه خير الدنيا والآخرة فى خمس خصال غنى النفس وكف الاذى وكسب الحلال ولباس التقوى والثقة بالله عز وجل على كل حال

(الفصل الثانى فى المطعم) عن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رواه البخارى ومسلم وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول والله يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قلت يا خالة وما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه رواه البخارى ومسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخارى وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه

سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له كان يمشى على الماء فقال السائل قد تحيرت فى أمرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامه التى وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك واصرفه نحوى فان ظهر لك القلم الذى به أكتب فى لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لذلك الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى النبى أول ما كوشف بالقلم ونزل عليه قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصرى وحدقته والله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده سائر الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدى و[illegible] من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج

وسلم

وسلم ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه رواه مسلم والدقل تمر رديء وعن أنس رضي الله عنه أنه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير واهالة سنخة ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعاله بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لأهله ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وان عنده لتسع نسوة وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الاعراب هؤلاء مجانين فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف اليهم وقال لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة صححه الترمذي ويروى عن أنس قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقيل كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر بيده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه قال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع فقال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم قال ابراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا النفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له ياعبد الله أرضيت من الدنيا بهذا القدر فقال ألا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وكان أبو ذر جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية

(الفصل الثالث في اللبس) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته رواه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم حشوه ليف رواه البخاري وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال أخرجت لنا عائشة كساء وازارا غليظين قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت اللحوق بي فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وعد على قميص لعمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق

(الفصل الرابع في المسكن) روى أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا فقلنا قد وهى فنحن نصلحه فقال ما أرى الامر الا أعجل من ذلك وقال الحسن رحمه الله مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما أنفقه في الماء والطين وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر أو برد وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وعن الحسن قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد قال ابنوه عريشا كعريش موسى قيل للحسن وما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف رواه ابن أبي الدنيا وعن عمار بن عامر قال اذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين الى أين رواه ابن أبي الدنيا موقوفا عليه ورفعه بعضهم قال المنذري ولا يصح وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهله كتبت له صدقة

ولا نقص وان كنت لا تشاهد هذا هكذا فلا تزال الاعتبار بين قوله التنزيه وأوثانا التشبيه منذ بنيا (٢٥٥) بينهما وقد اللاف هؤلاء من الاصوات هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وكيف نزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات وأخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما تقول كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك البصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واسمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني أنا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه لما رأى بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال العلم فاغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي وانه كما وصفه العلم في التنزيه لا هو خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس ولا رأس له فقضى منه العجب فقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن أوصاف القلم فاني أراه

وماوقى به المرء عرضه كتبت له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فان خلفها على الله والله ضامن الاما كان فى بنيان أو معصية قيل لابن المنكدر وما وقى به المرء عرضه قال مايعطى الشاعر والمتقى رواه الدارقطنى والحاكم وصحح اسناده وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محيرز وهو فى بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته قال كم من رجل قد مات وهذا قائم وقيل فى قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول فى البنيان ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون فى هذه الامة من يبنى بنيان هامان لفرعون *(حكاية)* قال ابن الجوزى فى روضة المشتاق رأى ذو النون المصرى رحمه الله رجلا قد اشترى دارا وهو يشهد فى كتابها فقال عجبت لمن يشترى دارا تفنى وثيابا تبلى ثم قال له ياهذا امالك ما اشتريت من مولاك دارا فى دار السلام ومجاورة السادة الكرام فنلت الامان وحللت محلا لا يقوم بنعمته الثقلان دار لها حدود أربعة فالاول منها ينتهى الى منازل الخائفين والثانى الى قباب المشتاقين والثالث الى ميدان الباكين والرابع الى رياض المحبين سمكها عرش الرحمن ونورها من نور الرضوان يشرع بابها الى قباب مضروبة وخيام منصوبة صفة عقد شرائها هذا ما اشترى العبد التواب من المولى القابل الوهاب اشترى منه هذه الدار بخروجه من ذل المعاصى الى عز الطاعة ومن تعب الحرص والطمع الى دار ساحة الزهد والورع شهد بذلك العقل واللسان وما نطق به القرآن قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

(الفصل الخامس فى الاثاث) عن عمر رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف قلت يارسول الله ادع الله ليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال أوفى هذا أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وروى أن عيسى عليه السلام كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز ودخل رجل على أبى ذر رضى الله عنه فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا أباذر ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا قال انه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له مامعك من الدنيا قال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى ووضوئى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله وقال على رضى الله عنه تزوجت فاطمة رضى الله عنها ومالى ولها فراش الا جلد كبش كنا ننام عليه بالليل ونعلق عليه الناضح بالنهار ومالى خادم غيرها ولقد كانت تعجن وان قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذى بها وقال عمران بن الحصين رضى الله عنه كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك منزلة وجاها عندنا فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله فقام وقمت حتى وقفت بباب فاطمة رضى الله عنها فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل بأبى أنت وأمى قال أنا ومن معى قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريت فكيف برأسى فألقى اليها ملاءة كانت عليه خليعة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يابنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بى الجوع فبكى النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تجزعى يابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت الله ربى لأطعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا

فسار اليه وقال مابالك تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ماتبعث به الارادة الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال لقد نسيت مارأيت فى عالم الغيب والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته فأحالك على اليد فقال لا قال فجوابى مثل جوابه قال فكيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته هو الذى يرددنى وأنا مقهور ومسخر ولا فرق بين القلم الالهى وقلم الآدمى فى معنى التسخير وانما الفرق فى ظاهر الصورة فقال فمن يمين الملك قال القلم أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم فالاقلام أيضا فى قبضة يمينه هو الذى يرددها فسار السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه مايزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شئ من ذلك ولا شرحه بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدى وأصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا فى قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابى ماسمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم الشهادة وهى الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها فى نفسها وانما محركها

ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك وانكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة وفي الخبر أنهم لم يكن لهم في البيت الا كساء كانوا اذا غطوا به رؤسهم انكشفت أرجلهم واذا غطوا به أرجلهم انكشفت رؤسهم وفي الليلة التي كانت فاطمة رضي الله عنها عروسا وزفت الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان تحتها جلد شاة كانا ينامان عليه وما كان لفاطمة من متاع البيت سوى كساء ومخدة من ليف لا جرم ينادى لها يوم القيامة يا أهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(باب التقوى)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أي بان يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى و يشكر فلا يكفر ولا يأخذه فيه لومة لائم و يقوم بالقسط ولو على أبيه وابنه وقوله فاتقوا الله ما استطعتم مبين للمراد من الاولى أي بالغوا في التقوى فلا تتركوا من المستطاع منها شيأ وقال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اتقوا تحرزوا وتركوا ما نهى الله عنه وأحسنوا الطاعة ففعلوا ما أمر الله به وفي الصحيح في سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والله تعالى مع خلقه بعلمه وقدرته ومعناه أنه عالم بالكل قادر على الكل قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله سبحانه وتعالى مع المؤمنين بحفظه ونصرته قال الله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ومع خواص العارفين بالهامهم لذكره وترويح أسرارهم في نعيم حضرته قيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية في سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني يا رسول الله قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فان بذلك تغلب الشيطان وروى الترمذي عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وقال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى يا أيها الناس اني قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم الا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وسأل رجل عيسى عليه السلام أي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه أسر العدو ابنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة أيضا فقال له اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وروى أن حاتما الاصم كان تلميذ الشقيق البلخي رحمهما الله فقال له يوما يا حاتم منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل فما هي قال (الاولى) نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد

القدرة لا محالة فسار الى القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر عنده ما تقدم وسألها عن تحريكها اليمين فقالت انما أنا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ و يطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادقات الحضرة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا فاضطرب من غشيته مدة فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك و برضاك من سخطك ونرجع الى الغرض ونبين معنى التوكل فنقول التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده للعلم بانه لا يخرج شئ من علمه وقدرته وأن غيره لا يقدر على ضره ونفعه كما سبق (بيان ما قاله الشيوخ في التوكل) قال أبو موسى الديلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت ان أصحابنا يقولون لو أن السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب لكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب لا يوصل الى الله *(فصل)* في بيان درجات

يحب شيأ فلا يزال محبوبه معه فاذا ذهب الى قبره فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت قبري دخل محبوبي معي قال أحسنت فما (الثانية) قال نظرت في قول الله عزوجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت أن قوله تعالى حق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى (الثالثة) اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة وله عنده مقدار يحفظه ثم نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكل ما وقع لي شئ له قيمة ومقدار وجهته الى الله تعالى ليبقى لي عنده (الرابعة) نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لاشئ ثم نظرت الى قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت على التقوى حتى أكون عند الله كريما (الخامسة) نظرت الى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن في بعض ويلعن بعضهم بعضا فعلمت أن أصل ذلك كله الحسد فنظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد وعداوة الخلق وعلمت أن الذي قسم لي كائن لابد منه (السادسة) نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويعادي بعضهم بعضا فنظرت الى عدوي في الحقيقة فاذا هو الشيطان وقد قال الله تعالى انه لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وأحببت الناس أجمعين (السابعة) نظرت الى الخلق فوجدتهم يطلبون هذه الكسرة ويذلون أنفسهم بسببها ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني من جملة المرزوقين فاشتغلت بالله عزوجل وتركت ماسواه (الثامنة) نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتكل هذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق يتكل على مخلوق فرجعت الى قوله عزوجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله عزوجل فقال شقيق وفقك الله ياحاتم فلقد جمعت الامور كلها

(باب التوكل)

قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لايموت وقال أبو ثور سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول نزه الله نبيه ورفع قدره فقال وتوكل على الحي الذي لايموت وذلك أن الناس في التوكل على أحوال شتى متوكل على نفسه أو على ماله أو على جاهه أو على سلطانه أو على غلته أو على الناس وكل مستند الى حي يموت أو الى ذاهب يوشك أن ينقطع فنزه الله نبيه وأمره أن يتوكل على الحي الذي لايموت وقال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لاحساب عليهم وقال هم الذين لايكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قال الخطابي هذا فيمن تركها توكلا على الله تعالى ورضي بقضائه وبلائه قال وهذا من أرفع درجات المحققين بالايمان والى هذا ذهب جماعة سماهم قال النووي والظاهر ما اختاره الخطابي وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم الى الله عزوجل فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها وأما تطببه صلى الله عليه وسلم ففعله لبيان الجواز قال القشيري رحمه الله اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى فان تعسر شئ فبتقديره وان تيسر فبتيسيره وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده وقال صلى الله عليه وسلم مامن زرع على أرض ولا ثمار على أشجار الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان بن فلان وذلك قوله تعالى في محكم كتابه وما تسقط من ورقة الا يعلمها الآية وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك

التوكل وله ثلاث درجات أولها أن يكون وثوقه به كوثوقه بوكيل قد عرف صدقه وأمانته وعنايته وهدايته وشفقته وثانيها أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق أمه فانه لايعرف غيرها ولا يفزع في الامور الا اليها وهي أول خاطر له فيما يخطر بباله وهذا المقام يقتضي ترك الدعاء والسؤال لغير الله تعالى ثقة بكرمه وشفقته وثالثها مثل صفرة المريض قد تدوم وقد تزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير مادام باقيا على تلك الحالة والمقام الثاني التدبير الامن حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كالطفل لايدعو الا أمه (بيان أعمال المتوكلين) وقد ظن ظانون أن المتوكل ينبغي أن يكون كلحم على وضم وهذا غلط ونحن نبين ذلك فنقول تلك الاعمال تنقسم الى جالب النافع فتنقسم الى ماجرت به سنة الله تعالى فلا يعهد خلافه كطعم الطعام الموضوع بين يديك أوجله الى الفم فان تركه حمق وجنون وأما مايجري الغالب بعدم حصوله دون ذلك بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لايطرقها الناس الا على الندور من غير زاد فهذا ليس شرطا في التوكل ولكن ان فعل ذلك من غير استصحاب الزاد فدلت على درجات المتوكلين فاما الا يفضي الى المقصود الا على الندور كدقيق التدبير في تفاصيل الاكتساب فذلك يبطل التوكل انبت

أثبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا اله الا أنت أن تضلني أنت الحي القيوم الذي لا يموت والجن والانس يموتون وفي صحيح البخاري عنه رضي الله عنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ويروى أنه كان من دعائه عليه السلام اللهم اني أسألك التوفيق لمحابك من الاعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح زاد أبو داود فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي وعنه رضي الله عنه قال كان أخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به رواه الترمذي وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا وقال الامام فخر الدين الرازي فرغ خاطرك عن طلب الرزق وتيقن أنه تعالى اذا سد عليك طريقا فتح لك طريقا آخر أجود من الاول أنظر الى الجنين فانه كان يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحد وهو السرة فلما خرج من بطن أمه انقطع ذلك الطريق وانفتح طريقان آخران وهما الثديان وخرج منهما غذاؤه طاهر لطيف نظيف يخرج من بين فرث ودم ليعلم أن مهما انسد طريق واحد فتح الله طريقين آخرين أحسن وأنفع من الاول ثم اذا تم الحولان وتم هذا الرضاع انقطع هذان الطريقان ولكن فتح الله لك طرقا أربعة طعامان وشرابان أما الطعامان فالنبات والحيوان وأما الشرابان فالمياه والألبان ثم اذا مات الانسان انقطع عنه هذه الطرق الاربعة ولكن الله بفضله ورحمته يفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء *(حكايات نختم بها هذا الكتاب)* (الاولى) قال بعض الصالحين رحمه الله كنا في برية فرأينا سبعا قائما فلما قربنا منه اذا هو أعمى فوقفنا عليه نتعجب واذا بغراب معه قطعة لحم كبيرة فضرب بجناحه على أذن السبع ففتح فمه فطرح فيه اللحم (الثانية) سئل ذو النون المصري رحمه الله عن أصل توبته قال خرجت من مصر الى بعض القرى فنمت في الطريق وانتبهت ففتحت عيني فاذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة فانشقت الارض فخرج منها اسكرجتان احداهما من ذهب والأخرى من فضة في احداهما سمسم وفي الاخرى ماء فأكلت من هذه وشربت من هذه فقلت حسبي ولزمت الباب الى أن قبلني (الثالثة) حكي أن أميرا اجتاز على باب حاتم الاصم فاستسقى ماء فلما شرب رمى اليهم شيأ من المال ووافقه اصحابه ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة لحاتم فانها بكت فقيل لها ما يبكيك فقالت نظر الينا مخلوق فاستغنينا فكيف لو نظر الينا الخالق (الرابعة) حكي أن جماعة دخلوا على الجنيد رحمه الله فقالوا له نطلب أرزاقنا قال ان علمتم أين هي فاطلبوها فقالوا نسأل الله ذلك فقال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل على الله فقال التجربة مع الله شك فقالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (الخامسة) حكي أن عابدا اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان خيرا لك وأفضل فلم يجبه حتى أعاد عليه القول ثلاثا فقال له في الرابعة بجوار المسجد رجل يهودي قد ضمن لي في كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما بين الله تعالى وبين عباده مع هذا النقص في التوحيد لكان خيرا لك تفضل ضمان يهودي على ضمان الله تعالى (السادسة) قال أبو جعفر الفرغاني كنت عند بعض اخواننا من الصوفية بالدينور فجاء قوم من الاكراد ليشتروا منهم متاعا ثم قالوا له لو علمت انا نشتري هذا المتاع لسارعت الى شرائه فقال لهم حدثوني قالوا نعم وجئنا الى رئيس لهم كان معهم فقالوا هذا سيد الحي وكانت له زوجة فولدت له البنات فقال لها وهي حامل ان ولدت بنتا فأنت طالق وقضى أنا رحلنا رحلة الشتاء نريد نحو المغارة ونواحيها فبينما نحن نسير ذات يوم اذ

بالكلية (المقام الثاني) أن يقعد في بيته أو في مسجده في بعض القرى والامصار فهذا من التوكل بكونه تاركا للكسب ولكنه أضعف من الاول لتعرضه بمجرد حاله ولتعهد الناس وجلوسه في موضع يتعهده الناس والمقام الثالث أن يكتسب على السنة كما سبق في باب الكسب وقد قيل ان هذا لا يخرجه عن التوكل ولكنه أضعف المقامات ولكن شرطه أن لا يكون اتكاله على بضاعته وعلامته أن لا يحزن بالسرقة وضياع ماله (بيان توكل المعيل) اعلم أن المعيل لا يصح توكله في نفسه الا بأمور منها القدرة على الامتناع من الطعام مثلا أسبوعا وأن يرضى بالموت ان لم يأته رزقه وأمورا أخر هذا لا تتصور في حق العيال فلا بد له من الكسب لهم كما نقل عن الصديق رضي الله عنه اذ خرج الى الكسب لعياله وهذا هو المقام الثالث الذي ذكرناه فادخار الطعام سنة منقول بسبب العيال فأما من ليس له عيال وظهر له مال بارث مثلا أو سبب من الاسباب فأعلى الدرجات أن يقدر الحاجة بالوقت ويفرق الباقي ولا يدخر لغد الثانية أن يدخر لاربعين يوما فما دونها وقد اختلفوا في أن هذا هل يخرجه من التوكل وهل يوجب حرمانه من الدرجة الموعودة للمتوكلين الثالثة أن يدخر لشهر أو لسنة وهذا يوجب الحرمان عن درجة المتوكلين فقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاث الفأرة والنملة وابن آدم الظن الآخر أن يدفع الضرر عن

ضرب المرأة الطلق فأخذت ماء كأنها تتوضأ للصلاة فولدت بنتا فأخذتها ولفتها فى خرقة وتركتها عند كهف جبل وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل انما كان ريحا وقد انفش ثم غبنا عن ذلك المكان ستة أشهر ثم رجعنا ونزلنا فى ذلك المكان فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذى تركت البنت فيه فلما قربت منه اذا غزالة قائمة عند الصبية وهى ترضعها فلما نظرتها الغزالة استوحشت منها وذهبت وجاءت الأم الى الصبية فأخذتها فبكت ووضعتها وتنحت عنها فرجعت الغزالة فلم تزل ترضع وهى ساكتة فجاءت المرأة الى الحى فأخبرتهم الخبر فجاؤا بأجمعهم الى الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية فلما أحست بهم تنحت فبكت الصبية وأخذها النساء ولم يزلن يرفقن بها حتى سكتت وأنست بهم وجاؤا بها الى الحى وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتى رحلنا وهذا المتاع الذى تريد أن تشتريه جهازها وقد زوجها أبوها

(قصة ابراهيم عليه السلام)

قال المفسرون رحمهم الله ولد ابراهيم فى زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقال السدى رأى نمرود فى منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك على يديه قالوا فأمر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشر نسوة رجلا فاذا حاضت امرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون فى الحيض فاذا طهرت حال بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم قال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة وكانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تعاوده لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم ذات يوم لأنظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا ومن أصبع سمنا قال ابن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل قالت قد ولدت غلاما فمات فصدقها وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه أخرجينى فأخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله غيره ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربى ثم أتبعه ببصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربى وأتبعه ببصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا الخ ثم رجع الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم يبادئهم بذلك فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم ابراهيم انه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه كان فى السرب سبع سنين قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له أسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها وقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث أنه يغير دين الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما جن عليه الليل أى دخل دنى من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذا ربى وقيل انه قال لابويه أخرجانى فانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الانعام فقال ما هذه قال أبوه خيل وابل وغنم فقال ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قيل انه المشترى وقيل الزهرة قال هذا ربى واختلفوا فى قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه

الاسباب تنقسم الى موهوم ومظنون ومقطوع فالموهوم لابد من تركه كالرقية وما يشبهها ولم يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين الا بترك الرقية والكى والطيرة ولم يصفهم بانهم لا يلبسون ما يدفع البرد نعم اذا أمكنه أن يصبر على أذى الغير واحتماله فهو من شروط التوكل اذ قال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وعلى هذا القياس ترك التداوى فى بعض الاحوال فذلك أيضا منقول وذلك بحسب قوة مقام المتوكل

(الباب السادس والثلاثون فى المحبة والشوق والرجاء)

اعلم أن المحبة لله هى الغاية القصوى وهى من الدرجات العلى وما عداها من الشوق والانس والرضا تابع للمحبة وقد أنكر بعض من أحرمه الله هذه اللذة وامكانها ونحن نبين ذلك بالآيات والاخبار قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وقوله تعالى يحبهم ويحبونه وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفى الخبر المشهور أن ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت حين جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى اليه فهل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن اقبض روحى وقال رسول الله

الله وأتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وأيضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد و به عارف ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال اذ جاء ربه بقلب سليم فقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربي معتقدا فهذا لا يكون أبدا ثم قالوا فيه أربعة أوجه من التأويل أحدها أن ابراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون أن الامور كلها اليها فأراهم أنه معظم ما عظموا وملتمس الهدى من حيث ما التمسوا فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشاوروه في أمره فقال الرأي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا واجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا والوجه الثاني من التأويل أنه قال على وجه الاستفهام وتقديره أهذا ربي كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم يعني أومثل هذا يكون ربا أي ليس هذا ربي والوجه الثالث انه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال ذق انك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه يريد الهك بزعمك والوجه الرابع فيه اضمار وتقديره يقولون هذا ربي كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا تقبل منا ثم ان ابراهيم عليه السلام رجع الى أبيه وقد صار شابا بحيث سقط عنه طمع الذباحين وضمه آزر الى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادي من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد ثم يذهب بها ابراهيم الى نهر فيصوب فيه رؤسها ويقول اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته ثم ان ابراهيم عليه السلام لم يزل يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الاصنام ولم يجيبوه الى ذلك فاحتال عليهم فكسر أصنامهم وأمر نمرود باحراقه فجمعوا له حطبا كثيرا وكان الرجل والمرأة ينذران في بعض ما يطلبان ان أصاباه يحتطبان في نار ابراهيم وذكر ابن عساكر في تاريخه عن علي رضي الله عنه ان البغال كانت تناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار ابراهيم فدعا عليهم فقطع الله نسلهم قال ابن اسحق لما أراد نمرود وقومه احراق ابراهيم عليه السلام كانوا يجمعون الحطب له شهرا فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة وهجها فأوقدوا عليها سبعة أيام وروى أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء ابليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام ورفعوه على رأس البنيان وقيدوه ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في الارض أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار واستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال

الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعله أحب الى من الماء البارد وقال اعرابي لرسول الله متى الساعة فقال له ما الذي أعددت لها قال لا كثير صيام ولا صلاة الا اني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله ورسوله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر

*(فصل في بيان معنى المحبة) وهو أن يميل الطبع اليه لكونه لذيذا عنده والبغض ضده وهو نفرة الطبع لكونه غير موافق له وكل ما زادت لذته كان أبلغ في الحب فلذة العين في الابصار ولذة السمع في السماع ولذة الشم في المشمومات الطيبة وكذا كل واحد من الحواس له موافق يلتذ به فيحبه بسببه قال عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة بين أن وراء المحسوس بالحواس الخمس محبوبا ملتذا به وليس الصلاة مما يتلذذ به شيء من الحواس الخمس فاذا البصيرة الباطنة أقوى من البصيرة الظاهرة والقلب أشد ادراكا من العين وكما أن المعاني المدركة بالبصيرة أعظم وأتم من جمال الصور الظاهرة فلا محالة تكون لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون

جبريل فسل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنها النار الا الوزغ فانه كان ينفخ على نار ابراهيم وعن أم شريك رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ قال كان ينفخ على نار ابراهيم قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى الآثار انه لم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع ذلك اليوم بنار فى العالم ولولم يقل على ابراهيم لبقيت ذات بردا أبدا قال السدى فأخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فأقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمر وقال ابراهيم ما كنت فى أيام قط أنعم منى من الايام التى كنت فى الدار قال ابن بشار و بعث الله عز وجل ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا و بعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر النمرود وأشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال وهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها ثم كف نمرود عن ابراهيم ومنعه الله منه قيل كان ابراهيم حين ألقى فى النار ابن ستة عشر سنة قال الله تعالى وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم قال ابن عمر الذى قال حرقوه وانصروا آلهتكم كان كرديا وقيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروى أن نمرود قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أصعدن الى السماء فأعلم ما فيها فعمد الى أربع أفرخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل وقعد مع رجل فى التابوت ونصب خشبات فى أطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى مضى يوم وأبعدت فى الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال ان السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها فقال ان الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الباب الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة قال عكرمة كان معه غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليهم متلطخا بدم سمكة قذفت بنفسها من بحر فى الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل اله السماء ثم أمر صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أن قد حدث حادث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ثم ان الله فتح على نمرود بابا من البعوض فسترت عين الشمس وأكلت عسكره ولم تترك الا العظام ودخلت واحدة منها دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة لذلك فبقى فى البلاء أربعين يوما قيل ان الحكمة فى أن الله أهلك فرعون بالماء ونمرود بالبعوض ان فرعون افتخر بالماء فقال أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى وافتخر نمرود بأعظم الطيور وهى النسور فكان هلاكه بأدناها قيل كان بين الطوفان و بين مولد ابراهيم ألف سنة ومائتان وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة وعاش آدم سبعمائة وثلاثين سنة وقال وهب ألف سنة وولدت له حواء أربعين ولدا فى عشرين بطنا ثم بارك الله فى نسله قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا

فلم يجاوز سور الحواس أصلا واعلم أن أحب الاشياء الى الانسان دوام نفسه لان أعظم الاشياء ملاءمة لنفسه فهو يحب دوام نفسه ثم من أحسن اليه اذ الانسان عبد للاحسان وقد يحب الشئ لذاته لكونه جميلا حسنا فى نفسه وذلك أبلغ أنواع الحب الذى لا يشوبه غرض فان كل خلق حسن محبوب فنقول اعلم أن الحسن الجميل عبارة عن كل ما حضر كماله الممكن له حتى أنا نعلم أن الفرس تحس بما لا يحس به الآدمى والخط يحس بما لا يحس به الصوت والصورة وكل ذلك محبوب وان تخيل متخيل أن ذلك راجع الى الحس فلا خلاف فى محبة العلم والقدرة والعقل وكل حسن ومحبوب مع انه غير محسوس بالحس الظاهر بل يدرك بنور البصيرة وكذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والشافعى وأرباب المذاهب ممكن وهو غير محسوس وغير مدرك بالحواس الخمس بل لما سمع باجتماع خصال الخير وكلما خرج من المحسوس واستحسن فهو مستحسن بنور البصيرة واذا ثبت هذا فلا مستحق للمحبة غير الله تعالى اذ هو الخالق والواهب لاهل الفطرة ثم سبب الدوام والبقاء والاسلام وهو احسن بكل حال وهو الجميل الحسن الذى كل جمال وحسن أثر من

*(كتاب

(كتاب المحبة والرضا وفيه بابان)

(الباب الاول فى المحبة)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه محبة الله العبيد ارادة تقريبهم واكرامهم وتوليتهم بعنايته فى جميع أحوالهم فمن أحبه الله تعالى عامله بلطفه وجاد باحسانه وفتح عليه مالم يبلغه أمله ولم يدركه كده وعمله ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف والتنعم بمناجاته والتلذذ بخدمته وصدق الشوق اليه والاكتفاء به عن كل ماسواه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وسأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم الا انى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت فما فرح المسلمون بعد الاسلام فرحهم بها وروى أن ملك الموت جاء الى الخليل عليهما السلام ليقبض روحه فقال له هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله اليه هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت اقبض وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال عمر رضى الله عنه نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير رضى الله عنه مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق به فقال عليه السلام أنظروا الى هذا الرجل نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الدارانى ان من خلق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وعن سرى السقطى رضى الله عنه قال تدعى الامم بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى و يا أمة عيسى و يا أمة محمد غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله تعالى هلموا الى الله سبحانه وتعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه و رضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى مادونه فكيف لطفه

(الباب الثانى فى الرضا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا أرضاه بما قسم له وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها و يتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أى أمة أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله تعالى حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وأوحى الله الى داود عليه السلام ياداود انك لن تلقانى بعمل هو أرضى لى عنك ولا أحط لوزرك من الرضا بقضائى وقال علقمة فى قوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال هى المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى وقال أبو معاوية الاسود رحمه الله فى قوله فلنحيينه حياة طيبة الرضا والقناعة (حكايات * الاولى) عن مسروق قال كان رجل بالبادية له كلب وديك وحمار فالديك يوقظهم الى الصلاة والحمار ينقلون عليه الماء و يحمل خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فحزنوا فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب فقال الرجل

آثار يجود فيض أحب الانبياء والصحابة والائمة الا انه جماعهم خصال خير فكل خير منه والبيه (٢٦٣) الجمال الذى كل جمال أثر من آثاره وفيه عرفت أن كل جميل محبوب لذاته وقد عرفت أيضا أن كل جبلة الانسان ممكنة من التحلى بالصفات الحميدة حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله تعالى ففى باطن الانسان حقيقة لا تحب الا الله تعالى ففى القلب غريزة عليها النور الالهى لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وهذه الغريزة هى التى تدرك جمال الحضرة الربوبية بقدر قوته واذا كان الجمال محبوبا بما هو فى الوجود أجل وأعلى وأشرف وأعظم وأكمل من كل جمال مستعار من فضله فبقدر مايدرك يلتذ و بقدر مايلتذ يحب *(فصل)* اعلم أن المدركات تنقسم الى مايدخل فى الخيال كالصورة والى مالا يدخل الخيال كذات الله تعالى وكما ليس بجسم ولا صورة كالعلم والقدرة والارادة ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله وكأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى خلاف بين الصورتين بل الى مزيد وضوح وكشف فهو كمن يرى شخصا فى وقت الاسفار وقبل انتشار ضوء النهار ثم رآه فى حال تمام طلوع الشمس فانه لا فرق فى الامرين الا بمزيد الكشف والوضوح فاذا عرفت هذا فاعلم ان سنة الله جارية بأن النفس مادامت محجوبة بصفاتها الذميمة لا تصل الى مشاهدتها

عسى أن يكون خيرا وأصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبى من حولهم وبقوا هم وانما أخذ أولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شئ بحاب قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم (الثانية) عن سعيد ابن المسيب رحمه الله قال قال لقمان لابنه يابنى لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته الا جعلت فى الضمير ان ذلك خير لك قال أما هذه فلا أقدر أن أعطيكها دون أن أعلم ما قلت انه كما قلت قال يابنى فان الله قد بعث نبيا هلم حتى نأتيه فعنده بيان ما قلت لك قال فاذهب بنا اليه فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودا ما يصلحهما ثم سارا أياما وليالى حتى تلقاهما مغارة فأخذا أهبتهما ودخلاها فسارا ما شاء الله أن يسيرا حتى تعالى النهار واشتد الحر ونفد الماء والزاد فاستبطأ الحمار بهما فنزلا يمشيان فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان أمامه فاذا هو بسواد ودخان فقال فى نفسه السواد شجر والدخان عمران وناس فبينما هما كذلك يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم على الطريق فدخل فى باطن قدمه حتى ظهر من أعلاها فخر مغشيا عليه فالتفت من لقمان التفاتة فاذا هو بابنه صريع فوثب اليه فضمه الى صدره واستخرج العظم بأسنانه وشق عمامته وعصب بها رجله ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه لها فنظر الى أبيه يبكى فقال يا أبت تقول هذا خير لى فكيف ذلك وأنت تبكى وقد نفد الماء والطعام وبقيت أنا وأنت فى هذا المكان قال أما بكائى يابنى فوددت انى افتديتك بجميع حظى من الدنيا لانى والد وفى رقة الوالد وأما قولك كيف يكون هذا خيرا لى فلعل ما صرف عنك أعظم مما ابتليت به فبينما هو يحاوره اذ نظر لقمان أمامه فلم ير الدخان والسواد فقال فى نفسه لم أر شيأ ثم قال قد رأيت ولكن لعله أن يكون قد أحدث ربى بما رأيت شيأ فبينما هو يتفكر فى ذلك اذ نظر فاذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض يمسح الهواء مسحا فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به فقال أنت لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك هذا السفيه قال ياعبد الله من أنت أسمع كلامك ولا أرى شخصك قال أنا جبريل لا يرانى الا ملك مقرب أو نبى مرسل ولولا ذلك لرأيتنى فما قال لك ابنك هذا السفيه قال أما علمت ذلك فقال جبرائيل مالى من أمركما علم الا أن حفظتكما أتونى وقد أمرنى ربى تعالى بخسف هذه المدينة وما فيها وما يليها فأخبرونى أنكما تريدان هذه المدينة فدعوت ربى أن يحبسكما عنى بما شاء فحبسكما عنى بما ابتلى به ابنك ولولا ذلك لخسف بكما مع من خسف به ثم مسح جبريل عليه السلام يده على قدم ابنه فاستوى قائما ومسح يده على الذى كان فيه الطعام فامتلأ طعاما ومسح على الذى كان فيه الماء فامتلأ ماء ثم حملهما وحماريهما فرحل بهما كما يرحل الطير فاذا هما فى الدار التى خرجا منها بعد أيام وليالى (الثالثة) قال ابن الجوزى فى روضة المشتاق قيل أصابت عابدا من بنى اسرائيل قرحة وكان قد زل زلة ونسيها فأظهر التبرم والشكوى فوقع بين يديه طائر مكتوب على ظهره ياعبد السوء تنسى زلتك وتذكر علتك تركت عظيم فضلى وعطائى وذكرت يسيرا اذنالك من بلائى أما علمت انى كتبت فى لوحى قبل خلق الارض وسمائى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى من رضى بقضائى وصبر على بلائى وشكر لى نعمائى كتبته من أوليائى ومن لم يرض بقضائى ولم يشكر لى نعمائى ولم يصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى وليطلب ربا سواى فخر الرجل ساجدا على وجهه وهو يقول يامن له الفضل والجود أتوب اليك ولا أعود فهتف به هاتف من جانب البيت ارفع رأسك فقد غفر لك والزم أدب العبيد فللمولى ان يفعل بخلقه ما يريد (الرابعة) قال ابن الجوزى فى روضة المشتاق أيضا روى أن رجلا من بنى اسرائيل تعبد سبعمائة سنة فأوحى الله تعالى الى دانيال عليه السلام أن قل لعبدى المطيل للعبادة تعبد ما شئت فأنت من أهل النار فلما بلغه دانيال ذلك القول من ربه قال مرحبا بحكم ربى وصبرا على قضائه ثم سجد وقال الهى وسيدى عبدتك سبعمائة سنة وأنا أظن أن لا يزن مقدارى عندك قليلا ولا كثيرا فاذا انى أصلح لنارك وعقوبتك مازادنى الاحبا وتلهفا فأوحى الله تعالى اليه أى الى دانيال ان قل لعبدى المستحق للموالاة والرضا رضيت منى بأصعب حكم وقضاء وعزتى وجلالى لو ملأت ذنوبك الارض والسماء لغفرتها لك

تزداد كشفا ووضوحا ولذة وحبا (بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) اعلم أن أسعد الخلق فى الآخرة أقواهم حبا لله تعالى اذ الآخرة هى القدوم على الله تعالى ودرك لقائه وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام النظر من غير منغص ولا مزاحم ولزيادة الحب سببان (أحدهما) خلو القلب عما سواه فان الاناء كلما خلا عن شئ اتسع لغيره وقطع العلائق سبب للتجرد والتفرد واليه الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم (والسبب الثانى) هو كمال المعرفة فالاول مثال تطهير الارض عن الشوك والحشيش والثانى مثال وضع البذر فى الارض فينمو فيتولد منه شجرة المعرفة والكلمة الطيبة كما قال تعالى أصلها ثابت وفرعها فى السماء والله أعلم

(فصل فى الشوق) واذا ثبتت المحبة صح الشوق الى المحبوب ودلت عليه الاخبار والآثار فقد روى أن أبا الدرداء قال لكعب أخبرنى عن أخص آية فى التوراة فقال يقول الله عز وجل طال شوق الابرار الى لقائى وأنا لى لقائهم أشد شوقا قال ومكتوب فى جنبها من طلبنى وجدنى ومن وجد غيرى لم يجدنى فقال أبو الدرداء أشهد أنى سمعت رسول الله

*(قصة

(قصة الذبيح عليه السلام)

اختلف العلماء من المسلمين بعد اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق وقال آخرون هو اسماعيل وكلا القولين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعي أمر في المنام أن يذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في نفسه أي فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله فمن ثم سمي يوم عرفة وقال مقاتل رأى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متتابعات فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال له ابنه يا أبت افعل ما تؤمر وقال ابن اسحق وغيره فلما أمر ابراهيم قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلى ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قالوا فلما أراد ذبحه قال له يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد وان أتيت أمي فاقرئ عليها السلام مني وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال له ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحز السكين وروى انه كان يجر الشفرة على حلقه فلا تقطع فشحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع قال السدي ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر الى الشفرة فأجزع ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى ان ابراهيم لما رأى ذبح ابنه قال الشيطان ان لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل رجلا وأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت فان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن ان يطيع أمره فخرج من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على اثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة ثم أقبل على ابراهيم وقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح بنيك هذا فعرفه ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله لأمضين لأمر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب ابراهيم وآله شيأ وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لأمر الله عز وجل ثم نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر ابراهيم فأخذ ابراهيم الكبش وأتى المنحر من منى فذبحه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم واختلفوا في سن الذبيح فقيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن سبع سنين والله أعلم

(كتاب النية والاخلاص والصدق وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول في النية)

لمن آنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي وآنسوا بي أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبابي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفوتي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب ما علاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب فاذا أجنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وفرشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي ما بين صارخ وباك ومتأوه

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بالارادة النية وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه قال الشافعي رحمه الله يدخل قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات في سبعين بابا من الفقه وقال أيضا يدخل في هذا الحديث ثلث العلم قال البيهقي رحمه الله معناه ان كسب العبد انما يكون بقلبه ولسانه وبدنه فالنية أحد أقسام كسبه الثلاثة وهي أرجحها لانها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين ولان القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ولا يدخل النية وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض وفي رواية الا شركوكم في الاجر رواه مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله رواه البخاري ومسلم وعن أبي بكرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه رواه البخاري ومسلم قال النووي فيه دلالة للمذهب الصحيح الذي عليه الجمهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثما وان لم يفعلها ولا تكلم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ومن هم بها وفعلها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله فانظر يا أخي وفقني الله واياك الى عظم لطفه وتأمل هذه الالفاظ وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها وقوله كاملة للتوكيد وشدة الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة فأكدها بكاملة فلله الحمد والمنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل هذه الامة مثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا لعملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه وينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته مالا ولا علما فيقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما في الوزر سواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب له وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي أداءه أي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وقال عمر رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون العبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية قبل العمل ومادمت تنوي الخير فأنت بخير وقال عمران الجوني تصعد الملائكة بالاعمال فينادي الملك ألق تلك الصحيفة فتقول الملائكة رب قالوا خيرا وحفظناه عليهم فيقول تبارك وتعالى انه

أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبلت بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه وفي خبر داود ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاني أقول اني لم أدعكم لتسجدوا لي وانما دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الي وأباهي بأهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت أبدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود رب أرني أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا أتيتهم فأقرئهم

انه لم يرد به وجهي قال ويناد الملك أن اكتب لفلان كذا وكذا مرتين فيقول عز وجل انه قد نوى وكان بعضهم يقول دلوني على عمل لا أزال به عاملا لله تعالى فقيل له انو الخير فانك لا تزال عاملا وان لم تعمل والنية تعمل وان عدم العمل فانه من نوى أن يصلي بالليل فنام كتب له ثواب ما نوى أن يفعله وقد جاء في الحديث ما من رجل تكون له ساعة من الليل يقومها فينام عنها الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة تصدق بها عليه وفي الحديث نية المؤمن خير من عمله قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله قال بعض أهل العلم لانه قد يثاب على نية الخير وان لم يعمله ولا يثاب على عمله بلا نية وقال بعضهم نية المؤمن خير من عمله لطول نيته وقصر عمله لانه قد ينوي أن يعمل الخير ما بقي ولا يستطيع أن يعمل الخير ما بقي وقال بعضهم لان النية عمل القلب والقلب معدن المعرفة وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره

(الباب الثاني في الاخلاص)

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أي مائلين عن الاديان كلها الا دين الاسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة أي الملة الشريفة المستقيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه اخلص دينك يكفك القليل من العمل وعن أنس رضي الله عنه اذا كان يوم القيامة جاءت الملائكة بصحف مختمة فيقول الله عز وجل القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا الا ما كان فيقول ان هذا كان لغيري ولا أقبل الا ما كان لي وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة يرفعون عمل العبد فيكثرونه ويزكونه فيوحي الله سبحانه وتعالى اليهم أنتم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ان عبدي لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ويصعدون بعمل فيستقلونه فيوحي الله انكم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه فضاعفوه واجعلوه في عليين وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحب من عبادي وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (حكايتان) ذكرهما الغزالي في الاحياء (الاولى) قال الحسن رحمه الله كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل فقال لاقطعن هذه الشجرة فجاء اليها ليقطعها غضبا لله تعالى فلقيه الشيطان في صورة انسان فقال ما تريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال اذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها قال لاقطعنها قال فاني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك من ذلك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم اذا أصبحت عند وسادتك قال فمن لي بذلك فقال أنا لك فرجع فأصبح فوجد عند وسادته دينارين ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيأ فقام غضبان ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته فقال ما تريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال كذبت ما لك الى قطعها سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الارض وخنقه حتى كاد يقتله ثم قال أتدري من أنا أنا الشيطان وقال جئت أول مرة غضبا لله تعالى فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما فقدتهما جئت غضبا للدينارين فسلطت عليك (الثانية) حكي أن رجلا كان يخرج في زي النساء فيحضر حيث يحضرون من عرس أو مأتم فاتفق انه حضر يوما في مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا أغلقوا الابواب حتى نفتش ففتشوا واحدة بعد واحدة حتى اذا بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة وصاحوا أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة

(فصل في معنى الاخلاص) قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى الاخلاص افراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب الى الله تعالى قال ويصح أن يقال الاخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين وقال حذيفة المرعشي الاخلاص استواء أفعال العبد

منى السلام وقل لهم انى رسول ربكم اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة فانكم احبابي واصفيائي واوليائي افرح بفرحكم وأسارع الى محبتكم فأتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه وألقوا بأسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم ان الله يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألوني حاجة ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم وأنظر اليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت دموعهم على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شئ من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق وأتمم تلك المنة علينا وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفنجترئ على الكلام من هو مشغول بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت الالسنة عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك ع

في الظاهر والباطن وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص
ان يعافيك الله منهما وعن سهل التستري رضي الله عنه قال نظرت الاكياس في تفسير الاخلاص فلم يجدوا
غير هذا ان تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا

(الباب الثالث في الصدق)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى
يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله كذابا وقال ابن عباس رضي الله عنهما أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن
الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال النووي في
قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى
ولم يكونوا فيها صادقين وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم
بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم

(باب المحاسبة والمراقبة)

قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه أي يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره
ونحن أقرب اليه من حبل الوريد لان أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن الله تعالى شيء وحبل
الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن والحبل هو الوريد فأضيف الى نفسه
لاختلاف اللفظين وقال تعالى يعلم خائنة الاعين أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل قال مجاهد هو
نظر الاعين الى ما نهى الله عنه وقال تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم أي هو
الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيأ موجودا والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء تفنى الاشياء ويبقى
هو الظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاول
القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم وقال السدي هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر
بجوده اذ عرفك التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته فستر
عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن
بعلم الغيوب وسأل عمر رضي الله عنه كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه
بالظاهر كعلمه بالباطن وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
اذا أوى الى فراشه اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى
منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر ذي كل شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء
وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين
واغننا من الفقر وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وفي صحيح مسلم في حديث جبريل حين
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وعن أبي ذر
ومعاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن حسنه الترمذي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم
يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا
استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان
اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء

قد عرفت حاجتنا انما
هي النظر الى وجهك
الكريم وقال الآخر
نسألك تمام نعمتك فيما
وهبت لنا وتفضلت به علينا
وقال الآخر لا حاجة لنا
بشيء من خلقك فامنن علينا
بالنظر الى جمال وجهك
الكريم وقال الآخر أسألك
من بينهم أن تعمي عيني
عن النظر الى الدنيا وأهلها
وقلبي عن الاشتغال بالآخرة
وقال الآخر قد عرفت
تباركت وتعاليت انك
تحب أولياءك فامنن علينا
باشتغال القلب بك عن كل
شيء سواك فأوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام قل
لهم قد سمعت كلامكم
وأجبتكم الى ما أحببتم
فليفارق كل واحد منكم
صاحبه وليتخذ لنفسه سربا
فاني كاشف الحجاب فيما
بيني وبينكم حتى
تنظروا الى نوري وجلالي
فقال داود يا رب بم نالوا
منك قال بحسن الظن
والكف عن الدنيا وأهلها
والخلوات بي ومناجاتي
ومناجاتهم وان هذا منزل
لا يناله الا من رفض الدنيا
وأهلها وليس يشتغل بشيء
من ذكرها وفرغ قلبه
الي حتى ينظر الي نظر
الناظر بعينه الى الشيء
وأريه كرامتي في كل ساعة
أقربه من نور وجهي ان
مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت

يعرفك

يعرفك في الشدة واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى رواه الترمذي وقال حديث حسن قال الترمذي وغيره من العلماء معنى من دان نفسه حاسبها وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كانك ترا، وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر قال بعلمك ان نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وسئل المحاسبي رحمه الله عن المراقبة قال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال محمد بن على الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاده وقال حميد الطويل لسليمان بن على عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت وسئل حاتم رحمه الله فيم أفنيت عمرك قال في أربعة أشياء علمت أني لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه وعلمت أن لي رزقا لا يجاوزني وقد ضمنه الله لي فوثقت به وقعدت عن طلبه وعلمت ان على فرضا لا يؤديه غيرى فاشتغلت به وعلمت ان لي أجلا يبادرني فبادرته وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اطلبنى عند قوم لا يشبعون اذا شبع الناس قال الهي كيف وأنت الجبار الذي لا يخلو منك مكان قال يا داود أنا مع الخلائق بعلمي ومع أهل محبتي بحفظي قال بعض السادة رأيت غلاما في البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد فسلمت عليه وقلت له يا فتى أنت في مكان منقطع بلا معين ولا رفيق فقال بلى وعزته معي المعين والرفيق فقلت له أين المعين والرفيق فقال هو فوقي بقدرته ومعي بعلمه وحكمته وبين يدي بهدايته وعن يميني بنعمته وعن شمالي بعصمته وقال الفضيل رحمه الله يا مسكين تغلق بابك وترخي سترك وتستحي من الناس ولا تستحي من الملكين اللذين معك ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك ولا تستحي من الجليل سبحانه وهو لا تخفى عليه خافية وروى أن حبشيا أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم قال فهل كان الله يراني قال نعم فصاح الحبشي ووقع ميتا وفي بعض الكتب المنزلة ما بال الرجل يجلس اليك فيحدثك فتصغي اليه فاذا كلمك مكلم أومأت اليه أعطاما بجليسك وتقف في الصلاة بين يدي وقلبك مع غيرى أمن الانصاف هذا أن ترضى لي ما لا ترضاه لغيرى عبدي لا تفعل يا عبدي أما استحييت مني يأتيك كتاب من عند بعض اخوانك وأنت تمشي في الطريق فتعدل عن الطريق لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك حرف منه وهذا كتابي أنزلته اليك أنظر كم وصلت لك فيه من الفوائد وكم كررت عليك لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه كف وها أنا مقبل عليك مخاطب لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك عبدي لا تفعل

*(حكايات * الاولى)* عن عبد الله بن دينار قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال انى مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله تعالى فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من سيده وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمات وأرجو أن تعتقك في الآخرة (الثانية) حكى انه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه أحد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال اذبحه حيث لا يراك أحد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح

نفسه عن [illegible] (٢٦٩) أمتلأنه موضع نظري [illegible] لا أرى غيرى ولا أرى [illegible] فلو رأيته يا داود وذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الىّ حتى يرضى وفي أخبار داود عليه السلام قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الىّ بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود حبني مخالصة وخالطا أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أني أسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي أن لا أثيب عبدا الا عبدا عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى له عني فاذا كنت كذلك

أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد اذ الله مطلع على فى كل مكان فاستحسنوا مراقبته فقال الواحق لك أن تكرمه (الثالثة) حكى أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت وغطت وجه صنمها فقال يوسف مالك أتستحين من مراقبة جماد ولا تستحى من مراقبة الملك الجبار قيل لما راودته عن نفسه قالت له ما أحسن شعرك قال هو أول ما يتنثر من جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل على وجهى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله (الرابعة) حكى عن بعض الأحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت ألا تستحى فقال ممن أستحى وما يرانا الا الكواكب فقالت وأين مكوكبها (الخامسة) قيل كان طاوس اليمانى رحمه الله بمكة فراودته امرأة عن نفسه فلم يزل بها حتى أتى بها الى المسجد الحرام والناس مجتمعون فقال لها اقضى ما تريدين قالت فى هذا الموضع والناس ينظرون قال فالحياء من نظر الله أحق فتابت المرأة وحسنت توبتها (السادسة) حكى ان منصور بن عمار رحمه الله تعالى مر فوجد شابا يحدث امرأة فانصرف الشاب فتقدم منصور الى المرأة وكلمها أن تذهب معه ومشت خلفه حتى دخل الى منزله فقعدت ووقف منصور يصلى فطول عليها فلما سلم قالت يا هذا طولت على فقال لها ما تقولين فى رجل عليه حق بأربعة شهود والحاكم يعلم به هل يقدر أن يمتنع منه بجحوده قالت لا والله قال فان معى ملكين ومعك ملكين والحاكم يعلم فاضطربت المرأة ووقعت ميتة (السابعة) حكى أن رجلا تعلق بامرأة ببغداد فأبت أن تمكنه وكل من جاء يخلصها منه طعنه بسكين وكان شديدا فمر عليه بشر الحافى فدنا منه وحك كتفه بكتفه فوقع على الارض وهربت المرأة ومضى بشر فدنا الناس من الرجل واذا هو يرشح عرقا كثيرا فسألوه عن حاله فقال حك كتفى شيخ وقال ان الله ناظر اليك والى عملك وما تعمل فأصغيت لقوله وهبته ولا أدرى من هو فقيل انه بشر الحافى فحم وقال واسوأتاه كيف ينظر الى بعد اليوم فحم من يومه ومات يوم سابعه رحمه الله

(كتاب التفكر وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى فضله)

قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى وفيما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الصانع ويعرفوا أن لها صانعا قادرا ومدبرا حكيما قال ابن عباس رضى الله عنهما الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وذكر فى الاحياء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله تعالى فقال فكذلك افعلوا تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبى صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى تعالى فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى وقد نزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الفضيل الفكر مرآة يريك حسناتك وسيئاتك

وكلته اليها أضعف الاشياء الى لا تضادع لك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يحبك ولا تجد لمعرفتى حدا فليس لها غاية ومتى طلبت منى الزيادة أعطيتك ولا تجد للزيادة منى حدا ثم أعلم بنى اسرائيل انه ليس بينى وبين احد من خلقى نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندى ابح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعنى بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك الى الذين حجبت عقولهم عنى فاسر حوهلوا بخت بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت وعزتى وجلالى لا أفتح ثوابى لعبد دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف يا داود تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتى منزلة المريدين عندى لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة وهو فيها تستنقذه فاكتبك عندى جهبذا ومن كتبته جهبذا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فتحجب عن محبتى لا تؤيس عبادى من رحمتى أقطع شهوتك الى فعا ابحت الشهوات لضعفة خلقى وما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى واذاقة وبة الاقوياء عندى فى موضع التناول وقال.

وقال وهب بن منبه ماطالت فكرة امرئ قط الافهم وما فهم الاعلم وماعلم الاعمل وقال بشر الحافى لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه وقال يوسف بن أسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها بل لينظر بها الى الآخرة وكان سفيان من شدة تفكره يبول الدم وقال بعض السادة الفكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره

(الباب الثانى فى بيان ما يتفكر فيه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله تعالى فانكم لن تقدروا قدره وقد ورد فى القرآن الحث على التفكر فى مخلوقات الله عز وجل قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الآية وقال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ أى ولم ينظروا الى ما خلق الله فيهما من شئ ليستدلوا على وحدانيته فليتفكر الانسان فى السماء وعظمها وكواكبها وشمسها وقمرها ومافيها كوكب الا ولله تعالى فيه حكمة فى لونه وشكله وموضعه وقد قيل ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وان أصغر كوكب فى السماء مثل الارض ثمان مرات فاذا كان هذا قدر كوكب واحد فانظر الى كثرة الكواكب والى السماء التى فيها الكواكب والى احاطة عينيك ذلك مع صغرها وليتفكر أيضا فى نفسه فان فى خلقه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضى الاعمار فى الوقوف على عشر عشره وهو غافل عن ذلك وقد أمره الله تعالى بالتدبر فى نفسه فقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون فاذا تفكر الانسان فى ذلك ازداد بذلك يقينا ومعرفة ومن ذلك تفكره فى انعام الله عليه قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانه اذا تفكر فى ذلك يزيد فى المحبة والشكر قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله واعلم انك انما تعصى الله تعالى بجوارحك وهى نعمة أنعم الله بها عليك والاستعانة بنعمة الله على معصيته غاية الكفران ومنها أن يتفكر فى زوال الدنيا وتقلبها بأهلها ولا ينظر الى سعة عيش أهلها بل الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم فاذا حقق العبد ما ذكرناه هانت عليه دنياه وجد فى طاعة مولاه ومنها ان يتفكر فى الموت وسكراته وفى حال من مضى من اخوانه وأقاربه وأقرانه وكيف كانوا والى أين صاروا وانه صائر الى ما صاروا اليه وقادم على ما قدموا عليه فان التفكر فى ذلك يحمل على الخوف والخشية وقصر الآمال والمبادرة الى التوبة والى صالح الاعمال (ومنها) أن يتفكر فى أهوال القيامة وكيف يحشر الناس حفاة عراة الى أرض المحشر وفى ازدحام الناس وقرب الشمس من رؤسهم وشدة العرق مع ما فى القلوب من القلق وفى الحديث ان العرق يأخذ الناس على قدر أعمالهم وفى سؤال ربه عن أعماله بغير واسطة فان التفكر فى ذلك كله يدعو الى أفعال الخيرات والتأهب للوقوف بين يدى عالم الخفيات (ومنها) التفكر فى نار جهنم أعاذنا الله منها وشدة حرها فانها اضعفت على نار الدنيا بتسعة وستين جزأ وفيها من الحيات والعقارب وغير ذلك من الاهوال الواردة فى القرآن والاحاديث الصحيحة ولو أن ملكا توعد انسانا أن يحبسه فى الحمام وان يتركه فى الصيف فى الشمس لتنغص عليه عيشه وترك شهوته وان التفكر فى ذلك يزيده خوفا يزجره عن معاصى الله عز وجل (ومنها) أن يتفكر فيما أعد الله لعباده الصالحين فى الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان التفكر فى ذلك يزيده رغبة فيها وقوة على طاعة الله عز وجل (ومنها) أن يتفكر اذا حدثته نفسه بمعصية فى نظر الله عز وجل اليه وانه أقرب اليه من حبل الوريد ويستحضر قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فان التفكر فى ذلك يحمله على الحياء من الله تعالى والامتناع من المعاصى

(الباب الثالث فى تفسير آيات من كتاب الله عز وجل مشتملة على عجيب صنع الله وقدرته سبحانه وتعالى)

قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ذكر الله السموات بلفظ الجمع والارض بلفظ

أذاق مليك فضل النعيم أن أتعجب عقولهم حتى اذا قالوا لم أرض الدنيا الحبيبى ونزهته عنها يا داود ولا تفعل بينى وبينك لا تحجب البكى عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم وايالك والتجربة فى الافطار فان محبتى الصوم ادمانه ياداود تحبب الى عبادى نفسك بمنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بينى وبينك مرفوعة انما أداريك مداراة التقوية على ثوابى اذا منتت به عليك وانى أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتى وهذه الاخبار دلت على امكان الشوق والله أعلم (بيان) محبة الله تعالى للعبد فقد دلت عليه الآيات والاخبار قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا الآية وقال تعالى والله يحب التوابين وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين معناه اذا تاب عليه قبل الموت لم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضى بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى المحبة غفران الذنب فقال يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب وقال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه فاذا أحببته كنت

الواحد لانها ليست من جنس واحد والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية فى السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والنجوم قيل ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وأن أصغر كوكب مثل الارض ثمان مرات والآية فى الارض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار والجواهر والنبات قوله تعالى واختلاف الليل والنهار أى تعاقبهما فى الذهاب والمجىء يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده نظيره قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان والفلك التى تجرى فى البحر الآية تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة لا ترسب تحت الماء بما ينفع الناس يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات والمكاسب وأنواع المطالب وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض قيل أراد بالسماء السحاب يخلق الله ماء فى السحاب ثم ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق الله الماء فى السماء ثم ينزل منها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض ينزل فأحيا به الارض بعد موتها أى بعد يبسها وجدوبتها قال الشعبى كل ما فى الارض فمن السماء أنزله الله قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قوله وبث فيها أى وفرق فيهما من كل دابة وتصريف الرياح تصريفها أنها تنصرف الى الشمال والجنوب والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها انها تارة تكون لينة وتارة تكون عاصفة وتارة تكون باردة وتارة تكون حارة قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال القاضى شريح ماهبت ريح الا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة فى ثلاث من الرياح فى الصبا والشمال والجنوب وأما الدبور فهو الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الريح ثمانية أربعة للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب العقيم والصرصر فى البر والعاصف والقاصف فى البحر وروى أبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به قوله تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض أى الغيم المذلل سمى سحابا لانه ينسحب أى يسير فى سرعة كأنه يسحب أى يجر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون أى يعلمون ان لهذه الاشياء خالقا وصانعا قال وهب بن منبه ثلاثة لا يدرى من أين تجىء الرعد والبرق والسحاب قال على رضى الله عنه وابن عباس وأكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان صوت من نور يزجر به الملك السحاب ونقل الشافعى عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق أجنحته يسوق بها السحاب ثم قال وما أشبه ما قاله بظاهر القرآن قال الشيخ جمال الدين الاسنوى فى شرح المنهاج وحينئذ فيكون المسموع صوته على الاختلاف فيه وأطلق الرعد عليه مجازا وقيل الرعد ملك يزجر السحاب فاذا تبددت ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار وهى الصواعق وقيل الرعد صوت انخفاق الريح بين السحاب قال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابته صاعقة فعلى ديته وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وفى بعض الاخبار يقول الله تعالى لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد قال الله تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا الفرث هو ما فى الكرش من الثفل فاذا خرج منه لا يسمى فرثا لبنا خالصا من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث سائغا للشاربين هنيئا يجرى على السهولة فى الحلق وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا أكلت الدابة العلف واستقر فى

كرشها

حتى رضاك فيه أمر على دلنى يارب السلام عليه موسى وقال أنبياء يكونوا أن فقههم من كادوا علماء حكماء قال انه

حفظ ربك وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث وعلامة حب الله تعالى العبد أن يحول بينه وبين جميع أسبابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا وأهلا وقيل لعيسى عليه السلام لم لم تشتر حمارا تركبه فقال أنا أعز على الله من أن يشغلنى عن نفسه بحمار وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وقالوا من علامة حب العبد أن يؤثر ما يحبه على نفسه وأن يكثر ذكره فلا يفتر وتكون الخلوة والمناجاة أحب اليه من الاشتغال بغيره (بيان فضيلة الرضا) قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وفى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر غاية التفضيل وروى انه عليه السلام سأل طائفة من أصحابه فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بما وقع فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم

كرشه ولو لحمته فكان أسفله فرثا وأوسطه اللبن وأعلاه الدم والكبد مسلطا عليها يقسمها بتقدير الله تعالى
فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو وقال الله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف
ألوانه فيه شفاء للناس وقيل ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقيئه ادخارا
للشتاء وقيل انما تلتقط بأفواهها أجزاء حلوة صغيرة طلية متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها
ادخارا للشتاء فاذا اجتمع شئ كثير منها كان العسل وعلى هذا القول يكون المراد بالبطون الافواه وقوله تعالى
فيه شفاء للناس لا يقتضي العموم لكل علة وفي كل انسان لانه ذكر في سياق الاثبات بل هو خبر عن أنه يشفي
كما يشفي غيره من الادوية في حال دون حال وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان لا يشكو شيأ الا تداوى بالعسل
حتى كان يدهن به الدمل والقرحة ويقرأ الآية وهذا يقتضي انه كان يحمله على العموم وروى ابن ماجه
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في
الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن وروى عن عوف بن مالك أنه مرض فقال ائتوني بماء فان
الله تعالى يقول وأنزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ائتوني بعسل وقرأ فيه شفاء للناس ثم قال ائتوني بزيت
فانه من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفي وقال الله تعالى يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم يعني أباكم آدم من تراب ثم من نطفة يعني ذريته ثم من علقة وهي الدم العبيط المتجمد ثم من
مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة مخلقة أي تامة الخلق
وغير مخلقة أي غير تامة أي ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط روى عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال
غير مخلقة قذفها في الرحم دما فلم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد
ما الاجل ما العمل ما الرزق وبأي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب
فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته لنبين لكم أي بكمال قدرتنا وحكمتنا في
تصريف أطوار خلقكم ليستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة ونقر في الارحام ما نشاء فلا
نمجه ولا نسقطه الى أجل مسمى وقت خروجها من الرحم تام الخلق والمدة ثم نخرجكم أي من بطون أمهاتكم
طفلا لتبلغوا أشدكم يعني الكمال والقوة ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى أرذل العمر
أي الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيأ أي يبلغ من السن بتغير عقله فلا يعقل شيأ وقال الله تعالى ولقد
خلقنا الانسان ولد آدم من سلالة أي سل كل انسان من ظهر أبيه من طين آدم عليه السلام ثم جعلناه أي
ابن آدم نطفة ماء في قرار مكين مستقر حريز يعني الرحم ثم خلقنا النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما قال الامام فخر الدين الرازي انما لم يذكر الخلق كما ذكره في المراتب المتقدمة
لان العظام والاعصاب والعروق أعضاء أصلية متولدة من نطفة ولذلك اذا بطلت لا تعود بخلاف اللحم
ولذلك اذا ذهب بالهزال عاد بالسمن وهو انما يتولد من دم الطمث لا من المني فلذلك جعل كالكسوة للاعضاء
الصلبة ثم أنشأناه خلقا آخر قال ابن عباس وجماعة هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان
والشعر وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال
الى الارتضاع الى القعود الى القيام الى المشي الى الطعام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب
في البلاد الى ما بعدها فتبارك الله أي استحق التعظيم والثناء عليه بأنه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين
المصورين المقدرين قيل ان الله سبحانه وتعالى خلق آدم من عجينة طين وخلق ذريته من ماء مهين وغمرهم من
نعمته بماء معين فدل بالاول على رجوع العبد الى أصله ودل بالثاني على اعلامهم بقدرته ودل بالثالث على
عظيم احسانه وبره وبذلك نطق الكتاب العزيز فقال في النوع الاول منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية
وقال في النوع الثاني أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال في الثالث وان تعدوا نعمة

بمقتضاي واعلم أن الرجوع الى
الله تعالى الاعظام فمن وجد
السبيل فهو أعلى درجات
الرتب ومما يليق حكايات
المحبين (ما حكى) أن أبا تراب
النخشبي كان معجبا ببعض
المريدين وكان يدنيه
ويقوم بمصالحه والمريد
مشغول بعبادته فقال له
أبو تراب لو رأيت أبا يزيد
فقال المريد اني عنه مشغول
فلما أكثر عليه أبو تراب
من قوله لو رأيت أبا يزيد
فهاج وجد المريد وقال
ويحك ما أصنع بأبي يزيد
وقد رأيت الله تعالى
فأغناني عن أبي يزيد فقال
أبو يزيد فهاج طبعي ولم
أملك نفسي فقلت ويلك
تغتر بالله تعالى لو رأيت أبا
يزيد مرة واحدة كان أنفع
لك من أن ترى الله سبعين
مرة قال فبهت الفتى من
قولي وأنكره قال وكيف
ذلك قال له ويلك أما ترى
الله تعالى عندك فيظهر لك
على مقدارك وترى أبا يزيد
عند الله تعالى قد ظهر له
على مقدار فعرف ما قلت
فقال احملني اليه فذكر قصة
قال في آخرها فوقفنا على
تل ننتظره ليخرج علينا
من الغيطة وكان يأوي الى
غيطة فيها سباع قال فمر بنا
وقد قلب فروة على ظهره
فقلت للفتى هذا أبو يزيد
فنظر اليه الفتى فصعق
صعقة فحركناه فاذا هو ميت
فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد ياسيدي نظرة منك قتلته قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن

الله لا تحصوها قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه أى أتقنه وأحكمه وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض وكل حيوان كامل فى خلقته حسن وكل عضو من أعضائه مقدر لما يصلح به معاشه وقال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم أى أعدل قامة وأحسن صورة وذلك انه خلق كل حيوان منكبا على وجهه الا الانسان فانه خلق مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل والتمييز (وحكى) صاحب حياة الحيوان عن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال لما أهبط الله آدم عليه السلام الى الارض لم يكن فيها غير النسر فى البر والحوت فى البحر وكان النسر يأوى الى الحوت فيبيت عنده فلما رأى النسر آدم قال يا حوت لقد أهبط اليوم الى الارض شئ يمشى على رجليه ويبطش بيديه فقال الحوت لئن كنت صادقا مالى منه منجا فى البحر ولا لك منه مخلص فى البر وقال الله تعالى هل أتى أى قد أتى على الانسان يعنى على آدم حين من الدهر أربعون سنة ملقى من طين بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح لم يكن شيأ مذكورا لا يذكر ولا يعرف يريد كان شيأ ولم يكن مذكورا انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم من نطفة أمشاج أخلاط واحدها مشج قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة وقال الحسن النطفة مشجت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض ونقل الامام فخر الدين الرازى فى كتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل عن أبى جعفر الباقر رضى الله عنه انه قال كل ما خلق الله فى العالم الاكبر فانظر فى العالم الاصغر تجده وذلك لانه خلق فى العالم الاكبر شمسا وقمرا ونجوما وخلق فى العالم الاصغر الروح لان الروح تضئ الجسد كما أن الشمس اذا غربت صار العالم مظلما والعقل كالقمر فكما أن القمر يستمد النور من الشمس فكذلك العقل يستمد النور من الروح وكما أن القمر يزيد ضوءه تارة وينقص تارة فكذلك العقل وأما النجوم الخمسة السيارة فنظائرها فى البدن الحواس ونظائر الجبال عظامك ونظير البحار العروق الكبار وكما أنه يحصل من البحار حيتان مضطربة فكذلك ترى فى بحر فمك لسانا مضطربا بذكر الحكمة وفى بحر مقلتك ترى حدقتك مضطربة بمطالعة العبر وكما أنك ترى فى بعض أجزاء الارض نباتا وفى بعضها ليس كذلك فكذلك ترى فى بعض أجزائك شعرا وفى بعضها ليس كذلك قال على رضى الله عنه سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم قال الامام فخر الدين رحمه الله جعل سبحانه وتعالى العينين مقدمتين والاذنين مؤخرتين فالعينان يدركان الاجسام والاعراض وهى أول دليل على وجود الصانع والاذنان يسمعان الكلام والدلائل العقلية مقدمة على الدلائل السمعية وخلق الله العين بغطاء والاذنين بلا غطاء لان متعلق العين أجسام وأعراض باقية فلولا الغطاء فيهما لكانا على خطر ومتعلق الاذنين الصوت ولو كان لهما غطاء لزال الصوت قبل ارتفاع الغطاء فلا يحصل الانتفاع بالسمع وخلق الاذن بلا حجاب ولا باب وخلق وراء اللسان بابين أحدهما الاسنان والثانى الشفتان وفيه تنبيه على أنه يجب أن يكون استماع الكلام أكثر من الاشتغال بالكلام وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ن والقلم) أول ما خلق الله عز وجل القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال لتفتخر على الارض ثم قرأ ابن عباس (ن والقلم) وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وقفها بعث من تحت العرش ملكا يهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله عز وجل من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك عليه أى على سنامه فلم تستقر قدماه فأحضر ياقوتة خضراء من أعلى درجة فى الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار

الاخبار أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما أتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له غيرى ولا يؤثر على شيأ من خلقى وان أحرق بالنار لم يجد لحرق النار احراقا وان تقطع بالمناشير لم يجد من الحديد ألما فمن لم يبلغ الحب الى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء الايمان وفى الحديث ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر رضى الله عنه هل فى خلق منها فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله تعالى السخاء وقال عليه السلام رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر فى كفة وجئ بأمتى فوضعت فى كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لا يسع قلبه للخلة غيره ولذلك قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وقال الشبلى الحب دهش فى لذة وحيرة فى سرور وقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والحاجات والعوارض فأدهم تهم والله أعلم بالصواب * (الباب السابع والثلاثون فى النية والاخلاص والصدق وفيه

فصل فى ... قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وقال عليه السلام الناس أربعة رجل آتاه الله تعالى علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتى فلانا كنت أعمل فيهما فى الاجر سواء وفى حديث الاحنف اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وقال عليه الصلاة والسلام من تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ومن تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك (بيان حقيقة النية) اعلم أن النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حال وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لانه أصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه فالنية هى عبارة عن الارادة المتوسطة بين العلم السابق والعمل اللاحق فيعلم الشئ فتنبعث ارادته ليعمل عملا موافقا لتلك النية وقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله فان قيل العمل بلا نية والنية بلا عمل فلا شك أن النية بلا عمل خير من العمل بلا نية وان وزن العمل الذى تقدم عليه النية بتلك النية السابقة فالنية أيضا خير لانها هى الارادة المنبعثة على أصل العمل وهى أقرب الى القلب فعلى كل حال

الارض ومقرها فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا مد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه عليهما السلام فتكن فى صخرة ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على بحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال أتدرى ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال فلو نفضتهم وألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله عز وجل ذبابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله عز وجل منها فأذن الله لها فخرجت كما كانت قال كعب الاحبار والذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وقال تعالى وفى الارض آيات للموقنين اذا ساروا فيها من الجبال والبحار والثمار والاشجار وأنواع النبات وفى أنفسكم آيات اذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن نفخ فيها الروح وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الالسن والصور والالوان والطبائع قال ابن الزبير يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين أفلا تبصرون قال مقاتل أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا كيف قدرته على البعث وفى السماء رزقكم وما توعدون قال ابن عباس ومقاتل يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق وما توعدون قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار ثم أقسم بنفسه فقال تعالى فورب السماء والارض انه لحق أى ما ذكرت من أمر الرزق لحق مثل أى كمثل ما أنكم تنطقون فتقولون لا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى كما يقول انه لحق كما أنك ههنا وانه لحق كما أنك تتكلم والمعنى انه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعنى كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه الذى قسم له ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه ولا يقدر أن يأكل رزق غيره وقال الله تعالى مرج البحرين يلتقيان أى العذب والملح بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغى أحدهما على صاحبه وقال قتادة لا يبغيان لا يطغيان على الناس بالغرق وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب وهذا جائز فى كلام العرب ان يذكر شيآن ثم يخص أحدهما بفعل كما قال الله تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وكانت الرسل عليهم السلام من الانس وقال بعضهم يخرجان من العذب والمالح جميعا لان الصدف لا يسكن الا عند ملتقى الماءين وقيل ان أحدهما كاللقاح للآخر وقيل يخرجان من ماء السماء وماء البحر قال ابن جريج اذا مطرت السماء فتحت الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة واللؤلؤ ما عظم من الدر والمرجان صغارها وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا وقيل المرجان الخرز الاحمر فبأى آلاء أى نعم ربكما يا معشر الجن والانس تكذبان وله الجوار السفن الكبار المنشآت أى المرفوعات فى البحر كالاعلام كالجبال كل من عليها فان أى على ظهر الارض من حيوان فهو هالك ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام العظمة والسلطان والاكرام التجاوز والاحسان يسأله من فى السموات والارض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة كل يوم هو فى شأن قال المفسرون من شأنه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء قال ابن عباس رضى الله عنهما ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وقال سفيان بن عيينة الدهر

كله عند الله تعالى يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو في اليوم الذي
هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب
والثواب والعقاب وقيل شانه أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاث عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى
أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت
وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء
وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما
بين العصر الى الليل رواه مسلم وقال الحسين بن الفضيل هو سوق المقادير الى المواقيت وقال أبو سليمان
الداراني كل يوم له الى خلقه بر جديد قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال
مقاتل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البحر وأربعون ألفا في البر قال وهب ثمانية عشر ألف عالم الدنيا
عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في الصحراء قال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين أحد الا الله
تعالى قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو

(الباب الرابع في فوائد عجيبة ولطائف غريبة)

شرح عجائب حكمة الله تعالى في خلقة البعوض ملخص من كلام فخر الدين الرازي رحمه الله وبيان ذلك من
وجوه (الاول) ان الناس يتعجبون في عظم خلقة الفيل وهو مع عظم جثته ليس له الا أربعة أرجل وخرطوم
وذنب والبعوضة لها زيادة على ذلك يدان وأربعة أجنحة (الثاني) انه مع غاية صغره سلط على الفيل والاسد
بالايذاء ولا قدرة لهما على البعوض وهذا يدل على أن الاستيلاء ليس بالقوة والشدة (الثالث) ان الصانع من
البشر يقدر أن يصور فيلا من الخشب والحديد ولا يقدر أن يصور بعوضة (الرابع) اذا جلس البعوض
على عضو انسان فانه لا يزال يدير خرطومه من جانب الى جانب حتى يجد الموضع المثقب من جلد الانسان
فيغوص خرطومه فيه فمن الذي هداها الى مقصوده (الخامس) تأمل في صغر جثة البعوض ولا شك ان خرطومه
أصغر من خرطوم الفيل بكثير ثم ذلك الخرطوم مع غاية صغره مجوف ولولا التجويف لما قدر على امتصاص الدم
وانظر مع كونه مجوفا كيف تكون غاية دقته ثم تأمل انه مع غاية الدقة كيف قوته وشدته فانه يغوص الخرطوم
في جلد الفيل والجاموس ويستخرج الدم منه كما يضرب الرجل أصبعه في الخبيص (السادس) تأمل في حال
البعوض كيف أودع الله تعالى في رأس خرطومه سما وفيه فائدتان (الاولى) انه اذا انصب على موضع من
جلد أفسد مزاجه فتحدث بسببه رخاوة ولين فيسهل عليه تغويص خرطومه فيه (الثانية) ان الحرارة السمية
تعينه على هضم ذلك الدم الممصوص قيل الحكمة في خلق السم بين فكي الحية أنه ليس لها أضراس تقوى
بها على مضغ الاغذية فاذا قبضت على جثة الحيوانات أقبل ذلك السم عليه فيتهرى من ساعته فتبلعه
(السابع) تأمل في حالها اذا وقعت على عضو اعتمدت على ما لها من الايدي والارجل وغوصت خرطومها في
الجلد فاذا أحست بمجيء اليد أخرجته في الحال وطارت قبل الوصول اليها ولو أن انسانا جعل مسلة في جرم
غليظ فانه لا يمكنه اخراجها الا بتعب (الثامن) تأمل في رأس البعوضة ووجهها فانها مع غاية صغرها قد جعل
الله في رأسها أعينا وأودعها قوة أكمل مما للانسان ويدل عليه أنها تبصر في الظلمة الشديدة الموضع الذي
يمكنها مص الدم منه وخلق فيه أذنين وأودع فيهما قوة سامعة أقوى مما للانسان ولذلك تسمع خفيق اليد مع
أن الانسان لا يسمعها وخلق فيه قوة الشم ولذلك تحس بوقوع الجيفة في المكان البعيد وخلق فيه الفم
وأودع فيه القوة الذائقة ولذلك ترغب في بعض الطعوم وخلق فيه قوة الحفظ ولولاها لما عرفت الفرار عند
مجيء اليد وقوة الذكر ولولاها لما ميزت المعاني النافعة والضارة ولا شك انه تعالى خلق لها منفذا للغذاء ومخرج
الفضلة ومتى كان كذلك فقد خلق الله تعالى له جوفا وعروقا وامعاء وعظاما فسبحان من لا يعزب عن علمه
وحكمته وقدرته ذرة في الارض ولا في السماء (شعر)

لا تصير طاعة وما كان
مباحا لا تصير طاعة الا بالنية
وحسن النية يضاعف درجة
الطاعة ورب فعل هو فعل
واحد من حيث العدد فيمكن
أن يصير جملة بسبب حسن
النية كالو جلس في المسجد
فنوى زيارة الله سبحانه
وتعالى كما ورد في الخبر من
قعد في المسجد فقد زار الله
تعالى وحق على المزور أن
يكرم الزائر ونوى انتظار
الصلاة والمنتظر للصلاة في
الصلاة ونوى الاعتكاف
في المسجد ونوى الاستماع
الى ذكر الله تعالى وتلاوة
القرآن فبكل ذلك خيرات
تترادف وتكتسب بالنية فأما
المباحات فتصير عبادات
بحسن النية وهذا الفن ينبغي
أن يقع الاعتناء به وفيه
تصير جميع الحركات
والسكنات عبادات بحسن
النية فيفضي به الى أن
لا يضيع من عمره لحظة
واحدة ويتميز عن البهائم
اذ ذاك فان من شأن البهائم
الاتيان بما يتفق من غير
تصور وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان العبد ليسئل
يوم القيامة عن كل شئ حتى
عن كحل عينيه وعن فتات
الطين بأصبعيه وعن لمسه
ثوب أخيه ومن حافظ على
أعماله لتكون على قدر
السنة ونية الخير كان من
المقربين وقد قال الله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا فأردت أن أتربه من منزل جار لي فتحرجت ثم قلت وما تراب فتربته فهتف بي هاتف

يامن

يا من يرى مد البعوض جناحه * فى ظلمة الليل البهيم الاليل * ويرى عروق نياطها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل * اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه فى الزمان الاول

(فصل) فى أحاديث وآثار ومستظرفات من كتاب حياة الحيوان تصنيف الشيخ الامام كمال الدين الدميرى رحمه الله فى مناقب الشافعى رحمه الله تعالى أن المأمون سأله لأى علة خلق الله الذباب فقال مذلة للملوك فضحك المأمون وقال رأيته قد سقط على جسدى قال نعم قال ولقد سألتنى عنه وما عندى جواب فلما رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله أحد فتح لى فيه بجواب فقال لله درك وروى الطبرانى والبيهقى عن شعبة عن أبى زهيرة النميرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم قال وهذا ان صح أراد به اذا لم يتعرض لافساد الزرع فان تعرض له جاز دفعه بالقتل وغيره ثم أسند عن ابن عمر أن جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اهلك الجراد واقتل كبارها وأمت صغارها وافسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء فجاء جبرائيل فقال انه قد استجيب لك بعضه ثم أسند عن الحسن بن على قال كنا على مائدة أنا وأخى محمد بن الحنفية وبنى عمى عبد الله وقثم والفضل أبناء العباس فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبد الله وقال لى ما مكتوب على جسدها فقلت سألت أبى أمير المؤمنين عن ذلك فقال سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مكتوب عليها انا الله لا اله الا أنا خالق الجراد ورازقها اذا شئت بعثتها رزقا لقوم واذا شئت بعثتها بلاء على قوم قال عبد الله هذا من العلم المكنون وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم كنظام السلك وفى الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان وجه فرس وعين فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية (وحكى) القزوينى أن رجلا رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه أحسن شكلها أو طيب رائحتها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الاطباء حتى ترك علاجها فسمع يوما صوت طبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال اطلبوه حتى ينظر فى أمرى فقالوا له ما تصنع به وقد عجز عنك حذاق الاطباء فقال لا بد لى منه فأحضروه اليه فرآه ثم استدعى بخنفساء فضحك الحاضرون فذكر العليل القول الذى سبق منه فقال احضروا ما طلب فان الرجل على بصيرة قال فأحرقها وذر رمادها على قرحته فبرئت باذن الله فقال للحاضرين أراد الله أن يعرفنى أن أخس المخلوقات أعز الادوية ويقال انه اذا اكتحل بما فى جوف الخنفساء من الرطوبة تحد البصر ويجلو غشاوة العين ويزيل البياض

(كتاب ذكر الموت وما يتعلق به وفيه أربعة عشر بابا)

(الباب الاول فى آداب المريض)

ينبغى له أن يستعد بالتوبة ورد المظالم الى أهلها وهذا لا يختص بالمريض الا أن ذلك فى حقه آكد ويستحب له الصبر على المرض وترك الانين ما أطاق ويكره له كثرة الشكوى فانه من تشكى من الامة الى اخوانه نقص أجره وصبره ومن تشكى من مولاه والعياذ بالله ذهب أجره وثبت وزره وألمه لم يزل وقد ذكر أبو حامد رحمه الله فى الاحياء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاءه أحد حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته أن أدخله الجنة وان أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيآته وعن سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا اله الا أنا وأنا أكبر واذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له قال يقول لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى فى ملكى واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال لا اله الا أنا لى الحمد ولى الملك واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال لا اله الا أنا ولا حول ولا قوة الا بى وكان يقول من قال هذا فى مرضه ثم مات لم تطعمه

فيعلم أن المكلف تنبيه ... فعرفه فذهب ليعطيه ثم قبضها الموسق فسأله عن ذلك قال انى لم استه لله ولا أريد أن أسوق به للنبى الله وقال الحسن ان الرجل ليتعلق بالجار يوم القيامة فيقول بينى وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى وأخذت خيطا من ثوبى (بيان) اعلم ان النية لا تدخل تحت الاختيار فيقول ربما سمع الجاهل كلامنا فى النية فيقول أنا أنوى أن أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله وهيهات هيهات انما ذلك حديث نفس وانتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن ذلك وانما النية انبعاث النفس وميلها الى ما ظهر لها من الغرض المطلوب المهم له اما عاجلا أو آجلا والميل ما لم يكن فى الباطن لا يمكن اكتسابه واختراعه بالكسب والتكلف بل ذلك يرجع حاصله الى نقل خاطر من شئ كما يقول الشبعان نويت أن أجوع أو آكل بسبب الجوع أو يقول الفارغ نويت أن أعشق أو أحب أو أحترم وليس كذلك بل لا يتصور انبعاث النفس واجابة الداعية الا بالغرض الباعث وهذا مثاله النكاح فانه من غلبت الشهوة عليه وأراد النكاح ثم أراد أن يتكلف نية الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه ونية الولد الصالح فذلك لا يتأتى لانه ليس فى باطنه هذه البواعث بل فى باطنه الشهوة فحسب وقد نقل عن بعض السلف التأخرعن

النار رواه الترمذى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن قال فى الاحياء وفى صحيح الحاكم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال هل أدلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس عليه السلام فقال رجل يارسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال ألا تسمع قوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين فأيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وان برئ برئ مغفورا له وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عند رأسه رواه البخارى وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية الى قوله غير مضار

(الباب الثانى فى الحث على ذكر الموت)

قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وفى الحديث لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد اليها ما أخذ منها فما من أحد الا يدفن فى التربة التى خلق منها وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن عمل صالحا وفى وكل أجره بدخول الجنة والتبعيد من النار وهو معنى قوله فمن زحزح عن النار أى بعد عنها وأدخل الجنة فقد فاز أى ظفر بالخير ونجا من الشر وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يريد العيش فى هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يتمناه من طول البقاء وسينقطع عن قريب وقال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال عطاء الخراسانى رحمه الله فى تفسير هذه الآية ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ببعض نواحى المدينة واذا بقبر يحفر فأقبل عليه فقال لمن هذا قيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الارض التى خلق منها وأنشد بعضهم

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها * وأرزاق لنا متفرقات

فمن لم يأته منا أتاها * ومن كتبت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

وروى أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود الا وقد ذر عليه من تراب حفرته قال أبو عاصم النبيلى مانجد لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فضيلة مثل هذه لان طينتهما طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة أو قال بها حاجة وأنشدوا

اذا ماحمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت وقال رجل يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وقال كفى بالموت واعظا وقيل له يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فأحسنوا عليه الثناء فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال صلى الله عليه وسلم

لو

وكان من أعيان علماء الكوفة فقيل للثورى ألا تشهد جنازته فقال لو كانت لى نية لفعلت وكان طاوس لايحدث الا بنية فكان يسئل أن يحدث فلا يحدث فقيل له فى ذلك فقال أتحبون أن أحدث بغير نية اذا حضرت لى نية فعلت وقيل لطاوس أدع لنا فقال حتى أجد له نية

(فصل فى الاخلاص)

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى ألا لله الدين الخالص وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى وكان فى بنى اسرائيل رجل عابد كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال أين تريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة فقال وما أنت وذلك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك قال ان هذا من عبادتى قال انى لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد وطرحه على الارض وقعد على صدره فقال ابليس أطلقنى حتى أكلمك فقام عنه وقال له ابليس ياهذا ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك أنت ماتعبدها وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء فى الارض

لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وعن الحسن رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله عز وجل حق الحياء وقال أبو الدرداء رضي الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه ويحك يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت من ذا يصوم عنك بعد الموت من ذا يرضي عنك بعد الموت ثم يقول يا أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم من الموت موعده والقبر بيته والتراب فرشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه وكان الثوري اذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فان سئل عن شيء قال لا أدري وقال الدقاق من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل بالعبادة وروي أن الحسن البصري رحمه الله دخل على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت فنظر الى كربه والى شدة ما نزل به فرجع الى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له الطعام يرحمك الله فقال يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه وقال الحسن رحمه الله فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت الا صغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها وروي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت فقال من لا يهاب الملوك ولا يمنع من القصور ولا يقبل الرشا قال فاذا أنت ملك الموت ولم أستعد بعد قال يا داود أين فلان قريبك أين فلان جارك قال مات قال أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كل ليلة يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وكان حامد العصري يقول كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فعلام تفرحون وما عسيتم تنتظرون الموت أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر فيا اخوتاه سيروا الى ربكم سيرا جميلا وقال سميط بن عجلان من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لبعض العلماء عظني فقال لست أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وروي أن سليمان بن عبد الملك كان بالمسجد الحرام فأتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وبان منك الولد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة وقال ابراهيم بن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ويغلق باب العز ويفتح باب الذل ويغلق باب الراحة ويفتح باب الجهاد ويغلق باب النوم ويفتح باب السهر ويغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر ويغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت وقيل لحاتم الأصم رحمه الله كيف أصبحت قال كيف يصبح من أجله قريب وأمله بعيد والموت أمامه والقبر مسكنه وهو مع ذلك مطالب بتسع خصال قيل وما هي قال الله تعالى يطالبني بالفرض والنبي بالسنة والعيال بالنفقة والنفس بالقوت والوالدان بالبر والملكان بصدق اللسان والقبر

ولو شاء لبعث نبيه الى الأرض وأمرهم بقطعها فقال العابد لابد لي من قطعها فقاتله الشيطان فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير لا شيء لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن أجعل عند رأسك كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وأصدقائك وتصدقت على اخوانك ويكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطع هذه الشجرة فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله تعالى أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال الى أين فقال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر عليها ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذ

يا بالجسم والدود بالعم ومنكر ونكير بالجنة فهؤلاء غرمائي فكيف يصبح من كان على هذه الحالة فقد غلب تقصيري عن الوفاء يقال ان الارض تنادي كل يوم خمس مرات يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك الى بطني يا ابن آدم تأكل الالوان على ظهري وتأكلك الديدان في بطني يا ابن آدم تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطني يا ابن آدم تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر اخلص النية فان المولى عظيم وبادره بالعمل فان الاجل قريب وجوده بالتحقيق فان الناقد بصير وأكثر الزاد فان الطريق بعيد وأوثق السفينة فان البحر عميق *(حكايات نختم بها الباب* الاولى)* سئل بعض السادة عن أول توبته فقال كنت مشغولا بالتجارة لا أفتر من الاسفار لطلب الارباح فاتى على في بعض أسفاري ذهاب جميع مالي واشتد لذلك همي وعظم حزني فاقبلت أمشي في البرية هائما على وجهي واذا بصارخ ينادي سمعت صوته وما رأيت شخصه وهو يقول ألا تعجب مما تعجبت منه فأجبته وقلت له ما الذي تعجبت منه فقال عجبت ممن يحزن من ذهاب ماله ولا يحزن على ذهاب عمره وعجبت ممن الدنيا موليه عنه والآخرة مقبلة عليه وهو مشغول بما أدبر عنه معرض عما أقبل اليه ثم انقطع الصوت عني فذهب عني جميع ما كنت فيه فظهر لي فساده وكان ذلك سبب توبتي (الثانية) قال بعض السادة رأيت شابا صغيرا قد أنهكته العبادة فقلت له يا هذا اقد استعجلت فراق شبابك وفقد اخوانك وأحبابك فنظر الي متبسما وقال لي يا شيخ رأيت الموت لا يختص بوقت ينتظر فيه ولا له حد ينتهي اليه فبادرت بغتته بالكد والعمل ونفيت عن نفسي غرور التسويف والامل قال وكان في بعض السواحل فأزال يده من يدي ومر ماشيا على الماء وهو يقول هذا قليل عند ما أرجوه في يوم الجزاء بل أنت سؤلي ان كنت لي نلت المنى (الثالثة) روي أن رجلا جمع مالا عظيما وصنع يوما طعاما لاهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمي فقد جمعت لك ما يكفيك فبينما هو كذلك اذ أقبل ملك الموت في زي مسكين فقرع الباب فخرج اليه بعض الغلمان فقال ما حاجتك فقال ادعوا الى سيدكم فانتهروه وقالوا أمثلك يخرج اليه سيدنا فقال نعم فجاؤا فأخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعاد فقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا اليه فقال أخبروا سيدكم اني ملك الموت فلما سمعوه وقع على الجميع الذل فدخل ملك الموت عليه فأحضر أمواله فنظر اليها تحسرا وأسفا وقال لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي فأنطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على الملوك بي وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير لنفعتك (الرابعة) قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاء رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما فقال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى اليه رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني الآن حتى أرجع الى أهلي واقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك ونقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله قال فاختر على أي حال شئت ان أقبض روحك فقال تقدر على ذلك فقال نعم اني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد (الخامسة) قال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت

به فقال يا هذا اغلبتني بخل مني واخبرني كيف غلبتك أول مرة وغلبتني الآن فقال لانك غضبت أول مرة لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله تعالى لك وهذه المرة غضبت لنفسك والدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق لقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وكان معروف يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي (بيان حقيقة الاخلاص) اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه غيره فاذا صفي عن شوبه وتخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى الخالص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فاذا خلص الفعل عن الرياء وكان لله تعالى كان خالصا (بيان أقاويل المشايخ في الاخلاص) قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص احتاج اخلاصه الى اخلاص وقيل لسهل أي شئ أشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال الاخلاص كون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدرات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيه الله تعالى عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ

أشد

أشد وجدًا ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض روح امرأة في فلاة من الارض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء (السادسة) يقال ان ملك الموت دخل يوما على سليمان عليه السلام فجعل يحد بصره ويطيل نظره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال الرجل يا نبي الله من هذا الذي دخل قال هذا ملك الموت فقال أخاف انه يريد قبض روحي فخلصني منه فقال كيف أخلصك قال تأمر الريح أن تحملني في هذه الساعة الى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال لعله يضل عني فأمر سليمان الريح فحملته الى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال فدخل ملك الموت على سليمان مرة ثانية فقال له لاي سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل قال كنت أتعجب منه لاني أمرت بقبض روحه بأرض الهند وكان بعيدا عنها الى أن اتفق حمل الريح له الى هناك كما قدر الله فقبضت روحه هناك

(الباب الثالث في قبض الروح وسكرات الموت وشدته)

قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت وجاء في الاخبار أن الله جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الارواح يدعو الارواح فتجيب له وقال تعالى الله يتوفى الانفس أي الارواح حين موتها يريد موت أجسادها والتي لم تمت يريد يتوفى الانفس التي لم تمت في منامها والتي يتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فيزول بزوالها النفس والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد ويرسل الاخرى وهي التي لم يقض عليها بالموت الى الجسد الى أجل مسمى الى أن يأتي وقت موته ويقال للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وعن علي رضي الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه عاد أي الروح الى جسده بأسرع من لحظة ويقال ان أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شاء الله عز وجل فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله عز وجل أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء حتى ترجع الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم أي النفس الحلقوم عند الموت وأنتم حينئذ تنظرون أي وأنتم يا أهل الميت تنظرون اليه حتى تخرج نفسه وقيل المعنى تنظرون الى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ ونحن أقرب اليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون الذين حضروه وقال تعالى كلا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير مذكور التراقي حين تخرج بها عند الموت والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت وقيل من راق قال من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته ودوائه وقال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله تعالى شيأ وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان هذا من قول الملائكة عليهم السلام يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وظن أيقن الذي بلغت روحه التراقي انه الفراق من الدنيا والتفت الساق بالساق قال قتادة الشدة بالشدة وقال عطاء شدة الموت بشدة الآخرة قال السدي لا يخرج من كرب الا جاءه أشد منه قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال الحسن هما ساقاه اذا التفتا في الكفن الى ربك يومئذ المساق أي مرجع العباد الى الله سبحانه وتعالى فيساقون اليه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل

كما قال الله تعالى ... الصادقين) وقال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال عليه الصلاة والسلام ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال تعالى في معرض المدح واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا (بيان معنى الصدق) اعلم أن لفظ الصدق مستعمل في ستة مواضع صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق وبقدر ما يتمكن من هذه المقامات فهو صادق بالنسبة اليه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب الثامن والثلاثون في المراقبة والمحاسبة)

اعلم أن الايمان بالحساب يوم العرض الاكبر يوجب تعجيل المحاسبة والاستعداد قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وقال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم

مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا انما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقد ذكر أن هذا المعزى هو الخضر عليه السلام وروى أنه عليه السلام قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجته الملائكة دهشت الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك فأما عمر فكان ممن خبل فجعل يقول انه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم وأما عثمان فأخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم وأقعد علي وأضنى عبد الله بن أنيس وبلغ أبا بكر الخبر رضي الله عنه وكان بالسنح فجاء وعيناه تهملان فقبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت جاشهم وكان أثبت القوم رضي الله عنهم وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة وهو سن أبي بكر وعمر وعلي وعائشة رضي الله عنهم ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس وقيل ليلة الاربعاء وعن أنس رضي الله عنه قال لما كان اليوم الذي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الايدي حتى أنكرنا قلوبنا *(وفاة أبي بكر رضي الله عنه) روى أبو المليح أن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة أرسل الى عمر بن الخطاب فقال اني أوصيك بوصية ان أنت قبلتها مني ان لله عز وجل حقا بالليل لا يقبله بالنهار وان لله عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا ألم تر أن الله أنزل آية الرجاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرجاء ليكون العبد راغبا راهبا لا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولست تعجزه وقيل لما احتضر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثرى عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت وتوفي يوم الاثنين لثمان وقيل لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة *(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)* طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو قائم في صلاة الصبح بسكين مسمومة ذات طرفين وطعن معه ثلاثة عشر رجلا توفي منهم سبعة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان عمر في حجري لما طعن وكان مرضه الذي توفي فيه فقال ضع خدي بالارض فقلت وما عليك كان في حجري أم على الارض وظننت ان ذلك تبرم منه فلم أفعل فقال ضع خدي بالارض لا أم لك ويلي وويل أمي ان لم يرحمني ربي وروى انه لما طعن وحمل الى بيته وجاء الناس يثنون عليه جاءه رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لا علي ولا لي ثم قال يا عبد الله بن عمر انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فضى وسلم واستأذن عليها ودخل فوجدها قاعدة تبكي فقال عمر يقرأ عليك السلام ويستأذن

الثواية صارت متكلفة فقد شغل في عبادة ... الشواغل فرحية الا شغلان فيها سالما بعقو ولا تشتغل بوعظ غيرك الا ان تفرغ منها قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فعليك أن تقبل على نفسك وتقرر عليها حماقتها وجهلها واغترارها وتقول لها أما تستحي أن تنسبين الناس الى الحمق والجهل وأنت أجهل الناس فانك صائرة الى الجنة أو الى النار فمالك تشتغلين باللهو والضحك وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم فلعلك ترين الموت بعيدا وهو قريب ولعله يكون اليوم أو الليلة أو غدا وكل ما هو آت قريب أما علمت أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول (وحكى) ان منصور ابن عمار قال سمعت في بعض الليالي عابدا بالكوفة يناجي ربه ويقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي وويلي كلما طال عمري كثرت ان

أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل له هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال ماوراءك قال الذي تحب ياأمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شئ أحب الى من ذلك فاذا أنامت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت فأدخلوني وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وفى افراد مسلم من حديث المسور بن مخرمة أن عمر رضي الله عنه قال لو أن لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه وفى حديث آخر والله لو أن لى ماطلعت عليه الشمس أوغربت لافتديت به من هول المطلع وكان طعنه يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحدا وعشرين يوما وعمره ثلاث وستون سنة *(وفاة عثمان رضي الله عنه)* عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان قالت لما كان اليوم الذى قتل فيه عثمان رضي الله عنه ظل فى اليوم الذى قبله صائما فلما كان عند افطاره سألهم الماء العذب فبات من قبل أن يفطر فلما كان فى وقت السحر أتيت جارات لى على أجاجرة متصلة فسألتهم الماء العذب فأعطوني كوزا من ماء فأتيته فحركته فاستيقظ فقلت هذا ماء عذب فرفع رأسه فنظر الى الفجر فقال انى قد أصبحت صائما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على من هذا السقف ومعه ماء عذب فقال اشرب ياعثمان فشربت حتى رويت ثم قال ازدد فشربت حتى نهلت ثم قال ان القوم سيكرون عليك فان قاتلتهم ظفرت وان تركتهم أفطرت عندنا قالت فدخلوا عليه من يومه فقتلوه وكان قتله يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا ليالى وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لاريب فيه وان الله لايخلف الميعاد عليها نحيى وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله *(وفاة على بن أبي طالب رضي الله عنه)* عن الشعبي قال لما ضرب على رضي الله عنه تلك الضربة قال مافعل بضاربي قالوا أخذناه قال أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي فان أنا عشت رأيت فيه رأيي وان أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لاتزيدوه عليها ثم أوصى الحسن أن يغسله وقال لاتغال فى الكفن فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتغالوا فى الكفن فانه يسلب سلبا سريعا وامشوا بي بين المشيين لاتسرعوا بي ولا تبطئوا بي فان كان خيرا عجلتموني اليه وان كان شرا ألقيتموني عن أعناقكم وروى أنه لما كانت الليلة التى أصيب فيها على عليه السلام أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا * ولاتجزع من الموت * وان حل بناديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه بسيف مسموم فى جبهته فأوصله دماغه ليلة العاشر من رمضان ليلة الجمعة ثم توفى رضي الله عنه بالكوفة ليلة الاحد تاسع عشر من رمضان سنة أربعين

(الباب السادس فى ذكر كلمات نقلت عن جماعة عند موتهم من الصحابة وغيرهم)

لما حضر معاوية الموت قال ياليتني كنت رجلا من قريش بذى طوى وانى لم أل من هذا الامر شيأ ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ولم أل من أمر الناس شيأ فبلغ ذلك أباحازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون مانحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه وقيل لعبد الملك فى مرضه كيف تجدك ياأمير المؤمنين قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم الآية وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ياأمير المؤمنين أبشر فقد

والاستعانة بعلمها والتبرى من الحول والقوة والتضرع والاستكانة بين يديه لعله بفضله يكفيك شرها والله أعلم

(الباب التاسع والثلاثون فى التفكر)

قد ورد فى السنة بأن تفكر ساعة خير من عبادة سنة والحث على التفكر والتدبر والنظر والاعتبار معلوم من الآيات والاخبار اذ هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وشبكة العلوم أما فضيلته فقد قال تعالى فى معرض المدح ويتفكرون فى خلق السموات والارض وقال ابن عباس لقوم لاتتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لاتتكلمون قالوا نتفكر فى خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد ابن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت ياعبيد مايمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال

أحيا الله بك سنناو أظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق فو الله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات وحكى عن هرون الرشيد انه انتقى أكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رمادا عند موته واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير مافعلت وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر الى صناديق بيته من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا ولما حضرت معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم اني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم انت تعلم اني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع نزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب أخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ولما حضرت سلمان الفارسي رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات نظر في جميع تركته فاذا قيمتها بضع عشرة درهما ولما حضرت بلالا رضي الله عنه الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه قال أبو مسلم جئت أبا الدرداء رضي الله عنه وهو يجود بنفسه ويقول ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا الا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ثم قبض رحمه الله وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضرت ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال أنتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة أو بالنار ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري وقلة زادي وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وهو يقرأ القرآن ويختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك مني وهو ذي تطوى صحيفتي وقال المزني دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف أصبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ولا أدري أروحي تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغو بابليس عابد * وكيف وقد أغوى صفيك آدما

(الباب السابع فيما يقول من مات له ميت وحثه على الصبر)

قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلف الله تعالى لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد المؤمن قال الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة رواه البخاري وذكر بعضهم انه صحب الفضيل ثلاثين سنة فما رآه ضاحكا

فقال ذرني أصلي لربي فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن قال الجنيد رضي الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الموارد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه (بيان حقيقة الفكر وثمرته) اعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن يعرف أن الآخرة خير وأبقى وما كان خيرا وأبقى كان بالاختيار أحرى والغرض من التفكر تحصيل العلم في قلبه فيوجب ذلك حالا وفعلا بمجاهدته وهما من ثمرات العلم وثمرته التفكر (بيان مجاري الفكر) اعلم أن العبد تارة ينظر في حال نفسه ويتفكر

الا

الا يوم مات ولده فقيل له في ذلك فقال له أن الله أحب أمرا فأحببته وعن معروف رحمه الله أنه توفي له ولد فلم يجزت عليه فقيل له في ذلك فقال رأيت جوار الله وثوابه خيرا له مني وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى يوم مات ولده ابراهيم وروى عن بعض العارفين انه ضحك يوم مات ولده فقيل له تضحك في هذه الحالة فقال أن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه وقد استشكل هذا فقيل كيف يبكي رسول الله وهو أرضى الخلق عن الله ويبلغ الرضا بهذا العارف الى أن ضحك فالجواب عن هذا أن هدى نبينا صلى الله عليه وسلم كان أكمل من هدى هذا العارف فانه أعطى العبودية حقها فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقة عليه فحمد الله ورضي عنه في قضائه وبكى رحمة ورقة فحملته الرحمة على البكاء وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الامرين ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقة وفي الحديث الصحيح أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه فتأوله جمهور العلماء على ما اذا أوصى به كما كانت العرب تفعله لانه بسببه ومنسوب اليه وقيل يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم قال القاضي عياض وهو أولى الاقوال وقيل يقال للميت اذا ندبوه أكنت كذلك فذلك التوبيخ عذاب وحكى النووي رحمه الله في البستان عن موسى بن المهدي انه قال لابراهيم بن مسلم وعزاه بابنه فقال أسرك وهو فتنة وأحزنك وهو صلة ورحمة قال النووي وكتب رجل الى بعض اخوانه يعزيه بابنه أما بعد فان الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فاذا قدمه فهو صلة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلته ورحمته

(الباب الثاني في النهي عن النياحة)

في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وروى مسلم عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وروى الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم الا وملك الموت يقف على باب أحدكم خمس مرات فاذا وجد أحدكم قد نفد أجله وانقطع أمله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمراته فمن أهل بيته الناشرة شعرها والصارخة بويلها والباكية بشجوها فيقول ملك الموت ويلكم مم الفزع وفيم الجزع ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت بقبض روحه وان لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدا فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى اذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهي تنادي يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيري فالمهنأ له والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي

(الباب التاسع في الصلاة على الميت وحضور دفنه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله فيه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه الادنين الا قال الله تعالى قد قبلت علمهم فيه وغفرت له ما لا يعلمون رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر (حكى) عن بعض الصالحين انه مات رجل من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فامتنع كثير من

التفكر في صفاته وملكه وملكوته فبقدر ما يتفكر في ملكه وملكوته وصفاته والتفكر فيما خلق له يزداد حبه لانكشاف جماله به وذلك كالتدبر في معاني أسمائه وصفاته والتفكر في السموات والارض والكواكب وكل شئ سوى الله تعالى فانه خلقه وصنعته قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق الآية وقال الله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون فمجارى التفكر نفسك ثم جميع خلق الله تعالى فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الاربعون في ذكر الموت وما بعده)

قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فمن الناس من لا يذكر الموت الا على الندور واذا ذكره كرهه لان ماله في الدنيا كثير وهذا يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا ومن الناس من أقبل بوجهه على الله تعالى فاكثر من ذكر الموت ليزيده خشية وتهيأ واستعدادا ووفاء بتمام التوبة فهذا لا يكره الموت وانما يكرهه لقلة زاده وعدم استعداده فهذه الكراهية ليست كراهية للقاء الله تعالى بل هو غير مذموم فانه يريد الحياة للتأهب والاستعداد ويوده لو كفي ما هو فيه فيفضي به الموت الى لقاء الله تعالى وجواره الكريم وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لكونه موعدا

الناس عن جنازته وحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فان قالوا مذنب ذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسى بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ونظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على ميت وقال لو تترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وفى الدعاء للطبرانى من حديث أنس رفعه من رأى جنازة فقال الله أكبر صدق الله ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا ايمانا وتسليما كتب له عشرون حسنة

(الباب العاشر فى دفن الميت والدعاء له والاستغفار والقراءة)

عن على رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فان الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى الاحياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه وأنجزوا وصيته واعمقوا له فى قبره وجنبوه الجار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال هل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال كذلك ينفع فى الآخرة قال أبو عبد الله القرطبى رحمه الله يروى أن امرأة دفنت بقرطبة أعاذها الله وأتت أهلها فى النوم وجعلت تعتبهم وتشكوهم وتقول ما وجدتم أن تدفنونى الا الى فرن الجير فلما أصبحوا نظروا فلم يروا فى ذلك الموضع كله ولا يقرب به فرن جير فبحثوا وسألوا عمن كان مدفونا بازاء المرأة فوجدوه رجلا سياقا كان لابن عامر وقبره الى قبرها فأخرجوها من جواره وروى أبو داود عن عثمان رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال اذا دفنتمونى فأقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربى قال الآجرى يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبته فى الحياة الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره قال الشافعى رحمه الله ويستحب أن يقرأ عنده شئ من القرآن وان ختم القرآن كله كان حسنا وقال أحمد بن حنبل اذا دخلتم المقابر فاقرؤا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لاهل القبور فانه يصل اليهم وروى عن ابن عمر انه أوصى أن يقرأ اذا دفن عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها (وحكى) عن بعضهم أنه قال قرأت على قبر حزبا من القرآن ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فاذا لى قال فهبت على نفحة ريح مسك فغشيتنى وأقامت معى ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى الا وقد مشيت نصف الطريق وقال بعضهم ماتت لى امرأة فقرأت فى بعض الليالى آيات من القرآن فأهديتها ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها وسألت فلما كان فى اليوم الثانى حدثتنى امرأة تعرفها وتعرفنى قالت لى رأيت البارحة فى النوم فلانة تعنى الميتة المذكورة فى مجلس حسن ودار حسنة وقد أخرجت أطباقا من تحت سرير كان فى البيت والاطباق مملوأة نورا وقالت لى هذا أهداه الى صاحب بيتى وما كنت أعلم بها أحد أذكر هذه الحكاية والتى قبلها القرطبى فى التذكرة ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات أخ لى رأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار ولولا أن داعيا دعا لى لرأيت انه سيضربنى به وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانات فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سيآتكم وقبل الله تعالى حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلى ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم

عنه أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى من الغنى والسقم أحب الى من الصحة والموت أحب الى من الحياة فسهل على الموت حتى ألقاك وأعلى الرتب أن يفوض أمره الى الله تعالى فلا يختار لنفسه شيأ الا ما يختاره له مولاه

(بيان فضل ذكر الموت)

قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات وقال عليه السلام لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضى الله عنها هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من تذكر الموت وقال النبى عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى المسجد واذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا واعلم أن الموت أمر هائل عظيم والتفكر فيه يوجب التجافى عن دار الغرور وقلة السرور والتأهب له نعم الانسان اذا ذكره بقلب مشغول لا يظهر أثره فيه فالسبيل فيه أن يفرغ قلبه عما عداه ويتفكر فيه كمن يتفكر فى سفره الذى عزم عليه فى بر أو بحر فانه يكون غالبا على قلبه فيتفكر فيه والاستعداد له لا غير (فضيلة قصر الامل وذم طوله) قال

اذ

إذا أنا بخلق كثير قد جاؤني قلت من أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا إنك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فإني أعود لذلك فما تركته بعد وقال بشار بن غالب إني رأيت رابعة العدوية رحمها الله تعالى في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل هذه هدية فلان إليك ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجو لك وأخاف عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعد ذلك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله تعالى حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك وقال صلى الله عليه وسلم إن مشيعي الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهمومون محزونون حتى إذا أسلموه في القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى بهم وهو يقول ارجعوا إلى دنياكم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم

(الباب الحادي عشر في الصدقة على الميت)

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لي أجر إن تصدقت عنها قال نعم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم (وحكى) أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن صالح المري أنه أقبل في ليلة الجمعة يريد مسجد الجامع ليصلي به صلاة الفجر فمر بمقبرة فقال لو أقمت حتى يطلع الفجر فصلى ركعتين واتكأ على قبر فغلبته عيناه فرأى في منامه كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا حلقا فإذا شاب عليه ثياب دنسة فقعد في جانب مغموما فأقبلت أطباق مغطاة بمناديل فكلما جاء واحد منهم طبق أخذه ودخل في قبره ولم يأت الشاب شيء فقام حزينا ليدخل قبره فقلت له يا عبد الله مالي أراك حزينا فقال يا صالح المري هل رأيت الأطباق فقلت نعم فما هي فقال تلك أطباق الأحياء يأتونهم كلما تصدقوا عنهم ودعوا لهم أتاهم ذلك في ليلة الجمعة وإني رجل من أهل السند أقبلت بوالدتي أريد الحج فلما وصلنا البصرة توفيت وتزوجت والدتي بعدي ولم تذكر أن لها ولدا قد أشغلتها الدنيا فحق لي الحزن فقال صالح المري فقلت وأين أملك فذكر لي موضعها فلما أصبحت وقضيت صلاتي وسألت عن منزلها فأرشدت إليه فجئت إليها وقلت لها أنا صالح المري ثم قلت لها هل لك من ولد قالت لا فقلت هل كان لك ولد فتنفست ثم قالت كان ومات وهو شاب فقصصت عليها القصة فبكت ثم دعت لي بألف درهم فقالت تصدق بها عن ولدي ولا أنساه من الدعاء والصدقة فيما بقي من عمري قال فتصدقت بالألف فلما كانت الجمعة الأخرى أقبلت أريد المسجد فأتيت المقبرة فصليت ركعتين واستندت إلى قبر فنمت فإذا أنا بالقوم قد خرجوا وإذا بالفتى وعليه ثياب بيض قد جاء فرحا مسرورا حتى دنا مني ثم قال يا صالح جزاك الله عني خيرا قد وصلت إلينا الهدية

(الباب الثاني عشر في زيارة القبور)

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال

لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله ما تدري ما اسمك غدا وروي عن علي رضي الله عنه أنه عليه السلام قال إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه يوجب الحب للدنيا ثم قال ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت وهي مولية ألا وإن الآخرة قد جاءت وهي مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون أن تصيروا في يوم حساب ليس فيه عمل وقال عليه السلام أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال أبو سعيد الخدري اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا

ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت

استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وروى مسلم أيضا عن بريدة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال أبو هريرة رضي الله عنه اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أو أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال فقلت هل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال بفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع رحمه الله يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى الاثنين فقال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده

(الباب الثاني عشر في حقيقة الموت)

الذي تدل عليه الآيات والاخبار أن الموت مفارقة الروح للجسد فالروح باقية مدركة منعمة في الجنة أو معذبة في النار وأول ما تدركه الروح عند مفارقة الجسد يختلف بحال الانسان فالمؤمن المقبل على الله المتنعم بذكره كان جسده سجنا لروحه وحياته طريقا الى مقصوده وليس له من الدنيا الا بلغة يتزودها في مسيره فاذا مات فقد خرج من السجن ووصل الى محبوبه الذي يتنعم بذكره ولم يبال بما ترك من الدنيا بعد أن عاين مطلوبه ثم يكشف ثواب طاعاته فيتم سروره وبالعكس منه من كان غافلا عن المولى معرضا عن الاخرى مشتغلا بالدنيا متنعما بزهرتها فهو كسارق دخل في دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ونسي صولة الملك وبطشه فاذا أخذه وأزعجه عن داره تحسر على مفارقة ما كان فيه من اللذات وانكشف له عاقبة ما قدم من الجنايات قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله تعالى تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس رضي الله عنهما عند الموت وقال قتادة ومقاتل اذا خرجوا من قبورهم وقال وكيع البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث أن لا تخافوا من الموت قال مجاهد لا تخافوا ما تقدمون عليه من الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم من ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني أغفرها لكم وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم أي في الدنيا والآخرة وقال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون تتمنون نزلا رزقا من غفور رحيم ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب ان يرجع الجنين الى بطن أمه عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا أمواتكم بسيآت أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور وقال صلى الله عليه وسلم ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وروى أبو أيوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه

نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وروى ابن عباس انه كان يخرج عليه السلام يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يارسول الله ان الماء منك قريب فيقول مايدريني لعلي لا أبلغه وروى أنه عليه السلام أخذ ثلاثة أعواد فغرس عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل

(فصل في سكرات الموت وما يستحب عنده من الاحوال) اعلم أنه لو لم يكن بين يدي ابن آدم هول سوى سكرات الموت لكان جديرا بأن لا يتهنأ له عيش وحقيقا بأن يطول فيه تأمله وفكرته ويحسن له استعداده وتأهبه كما قال بعض الحكماء رحمه الله تعالى كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يابني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب ان الانسان لو كان يتوقع أن يدخل عليه جندي يضربه خمس خشبات لتنغص عيشه وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت كيف ينتعش عيشه واعلم أن شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها

كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية ونقل القرطبى رحمه الله عن أبى الحسن القابسى رحمه الله أنه قال الصحيح من المذهب والذى عليه أهل السنة أن الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى فيسألها فان كانت من أهل السعادة قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها فى الجنة على قدر ما يغسل الميت فاذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده فاذا حمل على النعش فانه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فاذا وصل الى قبره وصلى عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان قال القرطبى الروح جسم لطيف مشابك للاجسام المحسوسة لا يموت ولا يفنى وهو مما له أول وليس له آخر وكل من يقول ان الروح تموت وتفنى فهو ملحد وكذلك من يقول بالتناسخ اذا خرجت من هذا ركبت فى شئ آخر حمار أو كلب أو غير ذلك

(الباب الرابع عشر فى عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وما ينفع الميت فى قبره وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى عذاب القبر) روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منزل من منازل الآخرة فاذا نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد وروى الترمذى عن أبى سعيد قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا يتكلم فيقول أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا اما ان كنت لاحب من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما كنت لابغض من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابعه فأدخل بعضها فى بعض قال ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الارض ما انبتت شيأ ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب وقال صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيم نزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلسعونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وقال أبو ذر رضى الله عنه ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى

(الفصل الثانى فى سؤال منكر ونكير) عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما الكافر والمنافق فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة

بالقياس على الآلام التى اذكرها وانما الاستدلال باحوال الموتى اذا شاهدها أما القياس فبأن يعلم أن الآلام انما يسل بالى الروح منها شئ قليل وأما الموت فهو ألم فى النفس والروح وشدته فى جميع الاعضاء فيا أعظمه من ألم ألا ترى النار اذا باشرت الجسد بالاحراق يزيد على الجرح ألمه لانه يلقى سائر أجزاء الروح وانما انقطع صياحه وصوته مع شدة ألمه لان الكرب فيه قد تصاعد الى قلبه واستغرق جميع أعضائه فهد منه كل عضو وقوة ولم يبق له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الاطراف فقد أضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه بقية قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة فى حلقه وصدره وقد تغير لونه وأربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته فتنزع الروح من كل عرق من عروقه على حياله ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة وحسرة على حيالها حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وقال عليه السلام تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه ليبلغ

يسمعها من يليه غير الثقلين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا أو كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عبد الله الصغاني قال رأيت يزيد بن هرون في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت ما فعل الله بك قال تقبل مني الحسنات وتجاوز عني السيآت قلت وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الا الكرم غفر لي ذنوبي فادخلني الجنة قلت بم نلت الذي نلت قال بمجالس الذكر وقولي الحق وصدقي في الحديث وطول قيامي في الصلاة وصبري على الفقر قلت منكر ونكير حق قال اي والله اي والله الذي لا اله الا هو لقد اقعداني وسألاني من ربك وما دينك وما نبيك فجعلت أنفض لحيتي البيضاء عن التراب وقلت مثلي يسئل أنا يزيد بن هرون الواسطي كنت في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس فقال أحدهما صدق هو يزيد بن هارون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم قال بعض العلماء الحكمة في سؤال الملكين ان الملائكة طعنت في بني آدم بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال الله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون فاذا مات المؤمن بعث الله الى قبره ملكين فيقولان له من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني الاسلام فيأمرهما الله تعالى ويقول اشهدا بين الملائكة بما سمعتما ثم يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي قد أخذت روحه وماله فماله لعدوه وزوجته في حجر غيره وضيعته في يد غيره ثم ان الملائكة سألوه في بطن الارض ولم يذكر غير توحيدي وتنزهي لتعلموا اني أعلم ما لا تعلمون

(الفصل الثالث فيما ينفع الميت في قبره) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يجري أجرها العبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو اجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا استغفر له بعد موته وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة قال كعب الاحبار اذا وضع الرجل الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال في الصلاة في القيام لله تعالى قال فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال بي الصيام قال فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وضعت في يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له نم هنيئا طبت حيا وميتا قال فتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ويفسح له مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة يستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر

(كتاب النفخ في الصور وأحوال الميت من حين النفخ الى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وفيه اثنا عشر بابا)

(الباب الاول في النفخ في الصور)

يسكرات الموت وكربة ذريته في الجنة واذا كان الكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض سئل فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي تخرج من ثقب ابرة وقال عليه السلام موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر (الداهية الثانية) مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب روي عن الخليل صلى الله عليه وسلم أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال فاعرض عني فأعرض عنه فالتفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب نار ودخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود لالقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك قال

قال الله تعالى و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الآية الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن هو الصور وأوّل بعضهم كلامه أن الارواح تجمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيا الاجساد ففزع من فى السموات ومن فى الأرض أى فصعق كما قال فى آية أخرى فصعق من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين قوله تعالى الا من شاء الله اختلفوا فى هذا الاستثناء روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وفى بعض الآثار الشهداء ثنية الله عز وجل الذين استثناهم الله عز وجل وقال الكلبى ومقاتل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح اسرافيل ثم ملك الموت ثم روح ميكائيل ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتا جبريل عليه السلام ويروى أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول من بقى يا ملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقى فيقول سبحانك وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت ثم يقول يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقى وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى قال يا جبريل لا بد من موتة فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الظرب من الظراب ويروى أنه يبقى مع هؤلاء حملة العرش فيقبض روح جبريل وميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت وقال الضحاك هو رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الانسان يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل

(الباب الثانى فى البعث من القبور)

قال الله تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أى يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا قال أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما اذا مات الناس كلهم فى النفخة الاولى أرسل الله عليهم مطرا كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون فى قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم تلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم وعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال تعالى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أقروا حين لم ينفعهم الاقرار وقيل قال الملائكة لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال مجاهد يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال عكرمة ان الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شئ الا العظام فتلقيها الامواج الى الساحل فتمكث حينا ثم تصير حائلة نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجئ قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فيجئ ريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء ان كانت الاصيحة واحدة أى نفخة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ونقل القرطبى عن الحليمى ان الجل

الموت وقال [illegible] عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمى باذن الله تعالى فقال يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا أتانى آت وأنا جالس فى ملكى وعلى تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى اذ بدا الى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كانت وحشة وروى ابن عباس رضى الله عنه ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض ثم التفت فاذا هو شاب وقد ذكر من حسنه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراآى ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا كل خير فرب مجلس صدق أجلستنا ورب عمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا ومن كلام قبيح أسمعتنا فذلك شخوص

الذي لم ينفخ فيه قط اذا سقط يكون مع الوحوش ترابا ولم يبتدئ احياؤه لان اليوم يوم الاعادة فمن لم يمت في الدنيا لم يحيى في الآخرة وقال الله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي يعني اسرافيل عليه السلام ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله عز وجل يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط الأرض قال الكلبي هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا يوم يسمعون الصيحة بالحق وهي النفخة الأخيرة ذلك يوم الخروج من القبور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل عليه السلام أن لا اله الا الله أنس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون رؤسهم هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فتبيض وجوههم وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم

(الباب الثالث في الحشر)

قال الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال ابن عباس ركبانا وقال أبو هريرة رضي الله عنه على الابل وقال علي بن أبي طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا طارت ونسوق المجرمين أي الكافرين الى جهنم وردا أي مشاة وقيل عطاشى قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء لا يرد أحد الماء الا بعد العطش لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني للمؤمنين كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى قيل لا يشفع الا لمن شهد أن لا اله الا الله أي لا يشفع الا المؤمن وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة الامر أهم من أن ينظر بعضهم الى بعض رواه البخاري ومسلم قوله غرلا أي غير مختونين وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يدفن فيها قال ابن عبد البر وقد يحتج بهذا الحديث من قال ان الموتى يبعثون على هيآتهم وجله الاكثر من العلماء على الشهيد الذي أمر أن يزمل في ثيابه ويدفن بها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عنه شيء من حاله بدليل حديث عائشة رضي الله عنها قالوا ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أرأيت قول الله يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالبكاء ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران فأما الذين هم على صورة القردة فالقتات بين الناس يعني النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس والمنكسون رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا والعمي من يجور في الحكم والصم والبكم الذين يعجبون بأعمالهم والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم

الموت بأحدى كلمتين أبشر يا عدو الله بالنار وابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب قال عليه السلام لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة والنار

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر) والمستحب هو الهدء والسكون وأن يكون لسانه ناطقا بالشهادة وبستحب من قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى راجيا لمغفرته قال صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهو من رحمة الله تعالى وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه انه عليه السلام قال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه وهو يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص ويستحب الرفق في التلقين فلعل لسانه لا ينطق للضعف فان ألح عليه يخشى أن يكره الكلمة وأما حسن الظن فيستحب لقوله عليه السلام أحسنوا الظن بالله... ولا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله (بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت) قال وهب بن منبه

والمقطعة

والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلوبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وعن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليمان بن عامر الراوي عن المقداد فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم رواه البخاري ومسلم وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع وقال الفراء رحمه الله في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان عملت شرا قالت يا ليتني لم أفعل وقال كعب الاحبار رحمه الله لو أن رجلا عمل عمل سبعين نبيا لاستقله يوم القيامة لما يرى من أهوال ذلك اليوم وعوتب بعض الصالحين في كثرة اجتهاده فقال وما هذا في جنب ما يراه الخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اشتغلوا بحظوظ نفوسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوم القيامة يكون على الكافر مقدار خمسين ألف سنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا

(فصل فيما ينفع العباد اذا عاينوا هذه الاهوال الشداد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار واذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله عز وجل والناس في الحساب وقال صلى الله عليه وسلم ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم صلاة علي وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا فمن أطعم في الدنيا أطعمه الله ومن سقى سقاه الله ومن كسا كساه الله

(فصل في قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون) قيل اذا كان يوم القيامة نادى مناد امتازوا اليوم أيها المجرمون يعني اعتزلوا أيها الكفار من المؤمنين ويقال ان المنادي ينادي أيها المجرمون امتازوا فان المؤمنين قد فازوا وأيها المنافقون امتازوا فان المخلصين قد فازوا وأيها الفاسقون امتازوا فان الصالحين قد فازوا وأيها العاصون امتازوا فان المطيعين قد فازوا ثم يقال للكافرين والمنافقين بعدما امتازوا ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين يعني أن لا تطيعوا الشيطان قال ابن عباس من

كان بعض الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه وطلب غيرها ليلبسها فما أعجبته وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس من الكبر فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لي حاجة قال اصبر قال لا فقال اذكرها قال هو سر فأدنى اليه رأسه وقال أنا ملك الموت فقال دعني حتى أرجع الى بيتي وأقضي حاجتي وأودعهم فقال والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم لقي عبدا صالحا في تلك الحال فسلم فرد عليه السلام وقال ان لي حاجة أذكرها لك فساره وقال أنا ملك الموت جاء فقال مرحبا وأهلا وسهلا بمن طالت غيبته علي والله ما كان في الارض غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال له ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق فلما نظر اليه بكى

أطاع شيأ فقد عبده انه لكم عدو مبين أى بين العداوة وأن اعبدونى أى أطيعونى و وحدونى هذا صراط مستقيم يعنى هذا التوحيد طريق مستقيم ويقال دين الاسلام هو طريق مستقيم لاعوج فيه وهو طريق الجنة وقيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله لو جلست حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشتغل بأربعة أشياء فلو فرغت منها لجلست لكم قيل وماهى قال (أوّلها) انى تفكرت فى يوم الميثاق حين أخذ الميثاق من بنى آدم وقال هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى فلا أدرى من أى الفريقين كنت (والثانى) تفكرت بان الولد اذا قضى أن يخلقه الله تعالى فى بطن أمه ونفخ فيه الروح قال الملك الذى وكل به يارب أشقى أم سعيد فلم أدر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت (والثالث) حين ينزل ملك الموت فاذا أراد أن يقبض الروح فيقول يارب مع الاسلام أم مع الكفر فلا أدرى كيف يخرج جوابى (والرابع) تفكرت فى قول الله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلا أدرى من أى الفريقين أكون

(الباب الرابع فى الحساب وسؤال العبد عن أعماله)

قال الله تعالى وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدّم وأخر قال ابن عباس وابن مسعود بما قدّم قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدّم من طاعة الله وأخر من حق الله تعالى فضيعه وقال زيد بن أسلم بما قدّم من ماله لنفسه وما أخر خلفه للورثة وقال مجاهد بأوّل عمله وآخره وقال عطاء بما قدّم فى أوّل عمره وأخر فى آخر عمره وقال صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدّم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه و يستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما المنافق والكافر فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وعن أنس رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول انى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل و يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيعدد عليه نعمه فيقول له ياعبدى أما أسبغت عليك نعمتى أما لاطفتك بجودى ومنتى فيقول يارب قد كان جميع ذلك فيقول الله تعالى هل كنت ذاكرا اليوم هذا ومستعدا للعرض على فيقول يارب شغلتنى الحياة وأسكرتنى الشهوات فيؤمر به الى النار و يقول فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وقال صلى الله عليه وسلم يجاء يابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به فيقول الله تعالى له أرنى ماقدمت فيقول يارب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به فاذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامنكم من أحد الا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يابن آدم ماغرك بى يابن آدم ماذا عملت فيما علمت ماذا أجبت المرسلين يابن آدم ألم أكن لك رقيبا على عينيك وأنت تنظر بهما الى مالايحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا على سائر الاعضاء وقال صلى الله عليه وسلم أوّل

قال فالمهلة حتى أفرغه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه

(فصل فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين)

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا واذ توفى هو فلا طمع لاحد فى البقاء قال الله تعالى أفان مت فهم الخالدون وقال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت قال ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين اذ دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا حياكم الله أواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لاتعلوا على الله فى عباده و بلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله تعالى والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكأس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم منى السلام وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتى بعدى فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبى انى لا أخذله فى أمته وبشره بانه أسرع خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم

ما يسئل عنه يوم القيامة يعني العبد ان يقال له ألم أصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة الا يسئل عنها ما أراد بها وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء وعن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خرج من عندي خليلي جبريل آنفا فقال يا محمد والذي بعثك بالحق ان لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج في كل ليلة رمانة يتعبد يومه فاذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند انقضاء الاجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للارض ولا لشئ يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد قال ففعل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا فنجد له في العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعملي فيقول الله قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول أدخلوا عبدي النار فينادي رب برحمتك أدخلني الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيأ فيقول أنت يا رب فيقول من قواك على العبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يا رب فيقول من أنزلك في جبل في وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وانما تخرج مرة في السنة وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل فيقول أنت يا رب قال فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة أدخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله يا محمد رواه الحاكم عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال صحيح الاسناد ذكر هذا الحديث المنذري رحمه الله في كتاب الترغيب والترهيب

(الباب الخامس في الكتب)

قال الله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس رضي الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقال الكلبي ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وعن مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وفي الآثار أن الله تعالى يأمر الملك أن يطوي الصحيفة اذا تم عمر العبد فلا تنشر الى يوم القيامة اقرأ كتابك أي يقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا محاسبا قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبلة والكبيرة الزنا الا أحصاها عدها وقال السدي كتبها وأثبتها عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وهذا بعود وأنضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب لموبقات وقال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليؤتى كتابه منشورا فيقول يا رب فأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست في صحيفتي فيقول له قد محيت باغتيابك الناس رواه الاصبهاني

(الباب السادس في الميزان)

قال الله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعني يوم السؤال قال مجاهد معناه

حتى تدخلها الجنة فقال الآن قد قرت عيني وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده ويقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله قلت فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكأس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجل من أهل بيتي الادنى فالادنى فقلنا ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي قباطي مصر قال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم

والقضاء يومئذ العدل وقال الآخرون أراد به وزن الاعمال بالميزان وذلك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب واختلفوا في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال ويدل له ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص ويدل لهذا القول ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل توزن الاعمال وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما فيؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان والحكمة في وزن الاعمال امتحان الله عباده بالايمان به في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى وروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه وقال الهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة واحدة وعن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت هل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الكتب حين يقال هاؤم اقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم وعن أنس رضي الله عنه قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لأخيه كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له

(الباب السابع في التقاء الخصوم ورد المظالم)

قال ميمون بن مهران في قوله تعالى لينذر يوم التلاق أي يلتقي فيه الظالم والمظلوم والخصوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو بشيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه وقال صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وقال ابن مسعود رضي الله عنه يؤخذ بيد العبد والامة فيقف على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة بان يكون لها الحق على ابنها أو أخيها أو أبيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب للعبد ائت هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النار وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس بين يديه فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان عقابك اياهم بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا

من يدخل على من خلق الله ويصلي علي جبريل عليه السلام ثم ميكائيل عليه السلام ثم اسرافيل عليه السلام ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا على أفواجا زمرا وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا صرخة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي السلام وقالت عائشة رضي الله عنها لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري وجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه عاد وأعاد رأسه في حجري وقال للنساء ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل

عليك

عليك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ما تقرأ كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما أجد شيأ خيرا من فراق هؤلاء يعني عبيده أشهدك أنهم كلهم أحرار رواه أحمد والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول انا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك الي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على المعصية وعلى المنكر فلا تنهاني

(الباب الثامن في حشر البهائم واقتصاص بعضها من بعض)

قال الله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال مجاهد أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم وقيل يقضي بعضهم على بعض وقيل في الخلق والموت والبعث وقال ابن قتيبة أمثالكم في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك وقال عطاء أمثالكم في التوحيد والمعرفة ما فرطنا في الكتاب أي في اللوح المحفوظ من شئ ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها قال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء قال النووي هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة واعادتها في القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الاطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى واذا الوحوش حشرت واذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من اجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره قال العلماء وليس من شرط الحشر والاعادة في القيامة المجازات والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف اذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة قال ابن دحية اختلف الناس في حشر البهائم وفي جريان القصاص بينها فقال الشيخ أبو الحسن الاشعري لا تجوز المقاصة بين البهائم لانها غير مكلفة قال وما ورد من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء من القرناء ويسئل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقصي في ذلك وانه لا بد أن يقتص للمظلوم من الظالم وقال الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني يجري القصاص بينها ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا قال ابن دحية وهذا جار على مقتضى العقل والنقل لان البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل على العلف وينزجر الكلب اذا زجر والطير والوحش ينفر من الجوارح استدفاعا لشرها فان قيل القصاص انتقام والبهائم ليست مكلفة فالجواب أنها ليست بمكلفة الا أن الله يفعل في ملكه ما أراد كما سلط عليهم في الدنيا التسخير لبني آدم والذبح لما يؤكل منها فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى وأيضا فان البهائم انما يقتص لبعضها من بعض لانها لا تطالب بارتكاب نهي ولا بمخالفة أمر لان هذا مما خص الله به العقلاء

(الباب التاسع في الصراط)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالجسر يوم القيامة فيجعل بين ظهراني جهنم قلنا يا رسول الله ما الجسر

يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال يا رسول الله ان الله تعالى أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا باذنك فان لم تأذن أرجع وان أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا جواب ولا رأي وما يتكلم أحد من أهل البيت تعظيما لذلك الامر وهيبة قالت وجاء جبريل عليه السلام في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت ودخل جبريل فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منا ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وتكون سنة في أمتك فقال أجد وجعا قال ابشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل عليه السلام يا محمد ان ربك اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة أدني فأكبت عليه وجهها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدني مني رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فسألتها بعد ذلك فقالت قال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله أن يلحقك في أول أهلي بي وأن يجعلك معي فضحكت

قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسك يمر المؤمن عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش حتى يمر آخرهم يسحب سحبا وقال أبو سعيد الخدري بلغني ان الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف وقال سعيد بن أبي هلال ان الصراط يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع وقال صلى الله عليه وسلم يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله في عمله مضى فيه وان كان عاصيا انخرق به الجسر فيهوي به في جهنم مقدار خمسين عاما وروي عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل عند سبع قناطر فأما الاولى فيسئل عن الايمان بالله وهي شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز والثانية يسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ويسئل عند الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ويسئل في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ويسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ويسئل في السادسة عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ويسئل في السابعة عن ظلامات الناس وليس في القناطر أصعب منها ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وصلة لاخيه المسلم الى ذي سلطان في منفعة بر أو تيسير عسر أعين على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام

(الباب العاشر في الشفاعة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع مشفع ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيأ وقال صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة وقال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون الى ما أنتم فيه الى ما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا أباكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن أكل الشجرة فعصيت فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل الى الارض وقد سماك الله عبدا شكورا أما ترى الى ما نحن فيه ألا ترى الى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الارض ألا تشفع لنا الى ربك أما ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك أما ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها لا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك

قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فاذن له فقال الملك ما تأمر يا محمد قال الحقني بربي الآن قال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح عرقا ما رأيت من انسان قط أطيب منه فكنت أقول له اذا أفاق بأبي وأمي ونفسي وأهلي ومالي ما تلقى جبهتك من العرق والرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى أهلينا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه الى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد وانما صدهم الله عز وجل عنه لانه تولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمي عليه

ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يارب أمتي يارب أمتي يارب فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وقال صلى الله عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال النووي رحمه الله معنى الحديثان لكل نبي دعوة متيقنة الاجابة وهو على يقين من اجابتها وأما باقي دعواتهم فهم على طمع في اجابتها وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم وقال صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أما انها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين وعن أنس رضي الله عنه قال يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة وقال بعضهم أنا الذي وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخله الجنة قال النووي رحمه الله لنبينا عليه السلام شفاعات خمس أولاهن الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء كما ثبت في الصحيح الثانية في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب الثالثة في ناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها الرابعة في ناس دخلوا النار فيخرجون الخامسة في رفع درجات ناس في الجنة فالاولى مختصة به وكذا الثانية قال النووي ويجوز أن تكون الثالثة والخامسة أيضا أي مختصة به والرابعة يشاركه فيها غيره من الانبياء والعلماء والاولياء قال القاضي عياض ان شفاعته لاخراج من في قلبه مثقال حبة من ايمان مختصة به اذ لم تأت شفاعة لغيره الا قبل هذه قال ابن الملقن رحمه الله وأهمل النووي شفاعة سادسة وهي تخفيف العذاب على من استحق الخلود فيها كما في حق أبي طالب في اخراجه من غمرات النار الى ضحضاحها وسابعة وهي لمن مات بالمدينة وروى الترمذي وصححه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن مات بها اذكر هذه والتي قبلها القاضي عياض في الاكمال وفي مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رفعه لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة فهذه شفاعة أخرى خاصة بأهل المدينة

(الباب الحادي عشر في وصف جهنم أعاذنا الله منها وفيه ثمانية فصول)

(الفصل الاول في شدتها وعظمها) قال الله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقال الحسن رحمه الله ان النار تأكلهم كل يوم سبعين ألف مرة ثم يعودون كما كانوا وقال تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون أي آيسون من كل خير وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان أهون أمتي عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حجزته ومنهم من تأخذه الى ترقوته رواه مسلم الحجزة معقد الازار وتحت السرة والترقوة بفتح التاء وضم القاف هي العظم الذي عند ثغرة النحر وللانسان ترقوتان في جانبي النحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون

فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها وتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته هذا البيت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال ابو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الى وقال اني فعال لما أريد ودخل سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذوا منها الا بلاغكم واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله تعالى ولا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف

ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم سبعين خريفا فالآن انتهى الى قعرها وقال صلى الله عليه وسلم ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف أشد ما تجدون من الحر في الصيف من حرها وأشد ما تجدون من البرد في الشتاء من زمهريرها وقال صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط وهل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب فيؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل رأيت شدة قط فيقول لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شئ أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيأ فأبيت الا أن تشرك بي وقال صلى الله عليه وسلم ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون فقال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وعن أنس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال محمد بن كعب القرظي لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربعة فاذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين الآية فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم الآية ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم الآية ثم يقولون ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم الآية فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا

(الفصل الثاني في دركات النار) قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أي سبع طبقات بعضها فوق بعض بين كل طبقتين مسيرة سبعين سنة فالاولى لعصاة المسلمين والثانية لظى تتلظى أي تتلهب فتنزع الجلود والتي تحتها الحطمة تحطم أهلها فتسحقهم سحقا ثم تحتها السعير تتسعر فيأكل بعضها بعضا وتحتها سقر تنبث في اللحوم والجلود وتحتها الجحيم ومعناها الجمر الغليظ وتحتها الهاوية من دخلها لم يستقر فيها أبدا ولكنه يهوي أبدا فأول ما تمتلئ الهاوية ثم التي فوقها حتى تملئ كلها وقوله لكل باب منهم جزء مقسوم أي من اتباع الشيطان جزء مقسوم فمعناه لكل طبقة أهل قد جعلهم الله لها من أتباع الشيطان وروي أن كل طبقة أعظم عذابا من التي فوقها بسبعين ضعفا وان أهونهم جهنم ولو أن رجلا بالمغرب وكشف عنها بالمشرق لسال دماغه من حرها وقال الضحاك رحمه الله في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين اذا دخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون

(الفصل الثالث في أوديتها وجبالها وأنهارها وحياتها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب يسكنه كل جبار وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى سأرهقه صعودا هو جبل من نار

يصعد

لما استخلف عمر رضي الله عنه فقال الناس لما استخلفت علينا فظا غليظ القلب فما تقول لربك فقال أقول استخلفت عليهم خير خلقك رضي الله عنهما آمين

(وفاة عمر رضي الله عنه) قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو غير ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة أو سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه وروي انه بعث عبد الله الى عائشة رضي الله عنها وقال قل لها يقرأ عليك عمر السلام لا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع أصحابه وفي نسخة مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله

يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوى فيه كذلك أبدا وقال صلى الله عليه وسلم ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره وقال عكرمة في قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافته حيات مثل البغال الدهم فاذا سارت اليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار وقال ابن عباس في قوله تعالى فسوف يلقون غيا هو واد في جهنم وان جهنم لتستعيذ من حره وقال صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن قيل واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين وفي رواية أعده الله للذين يراؤن الناس بأعمالهم وفي الحديث ان حيات جهنم أمثال أعناق البخت وعقاربها كالبغال الموكفة

(الفصل الرابع في الزبانية) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى عليها تسعة عشر أي على النار تسعة عشر من الملائكة عليهم السلام وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة فيدفع أحدهم سبعين ألف فيرميهم حيث أراد في جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر

(الفصل الخامس في طعام أهل النار وشرابهم) قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا الحميم الماء الحار الذي انتهى حره قال ابن عباس الغساق هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار وقال قتادة هو ما يغسق أي يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا وقال تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم أي ذي الاثم وهو أبو جهل والزقوم ثمر شجرة خبيثة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها كالمهل هو دردي الزيت أسود يغلي في البطون أي بطون الكفار كغلي الحميم كالماء الحار اذا اشتد غليانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف من يكون طعامه وقال تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين هو صديد أهل النار وقيل هو شجر يأكله أهل النار وقال تعالى تسقى من عين آنية أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت ليس لهم طعام الا من ضريع قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام قال ابن زيد أما في الدنيا فهو الشوك اليابس له ورق وهو في الآخرة شوك من النار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك وأمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش نبئت أن بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم

ابن عمر وقد بيده قال ارفعوني فغسلته وسل للنبة قال ما الذي بك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم الي من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلموا وقولوا يستأذن عمر فان أذنت لي فادخلوني وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء يسترنها فلما رأيناها خرجوا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالت أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء قال عليه السلام قال لي جبريل ليبكي الاسلام على موت عمر

(وفاة عثمان رضي الله عنه) والحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال أعطشوك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فادلى الي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم

فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم الله عز وجل اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك ييأسون من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل ويروى هذا موقوفا على أبي الدرداء

(الفصل السادس في لباس أهل النار والاغلال التي يغلون بها) قال الله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين أي مشدودين بعضهم ببعض في الاصفاد في القيود والاغلال سرابيلهم قمصهم من قطران هو الذي يهنى به الابل أي يدهن وقال تعالى والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء اذا حمي أشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبسون مقطعات من النار يصب من فوق رؤسهم الحميم هو الماء الحار الذي انتهت حرارته يصهر به أي يذاب بالحميم ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء والجلود وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان ولهم مقامع من حديد سياط من حديد وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها أي ردوا اليها بالمقامع وفي التفسيرات جهنم لتجيش فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق أي وتقول لهم الملائكة ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه سبعون ذراعا بذراع الملك فيدخل في دبره ويخرج من منخره وقيل يدخل من فيه ويخرج من دبره وعن كعب قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها

(الفصل السابع فيما جاء في خروج الموحدين من النار) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وايمانكم نفعكم فلا يبقى موحد الا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالاغلال ولا يقرنون بالشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الادراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم فيها مكثا مثل الدنيا يوم خلقت الى يوم فنيت وذلك سبعة آلاف سنة أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ونقل القرطبي رحمه الله في التذكرة عن كعب الاحبار أنه قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فنزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول الله تعالى لجبريل ائت بجهنم فيأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتي لا أسألك الا نفسي ويقول موسى بمناجاتي لا أسألك الا نفسي وان عيسى يقول بما أكرمتني لا أسألك اليوم الا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي انما أسألك اليوم أمتي قال فيجيبه الجليل تعالى ان أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوعزتي وجلالي لاقرن عينيك في أمتك ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به فيقول لهم تعالى وتقدس معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد الى النار فقد اشتد غضبي عليهم بتهاونهم بأمري في دار الدنيا واستخفافهم بحقي وانتهاكهم حرمتي يستخفون من الناس ويبارزوني مع كرامتي لهم وتفضيلي اياهم على الامم ولم يعرفوا فضلي

رحمه الله تعالى وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين بلغ حماة قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة (وفاة علي رضي الله عنه وأرضاه)* أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع فعاد الثانية وهو كذلك متثاقل فعاد الثالثة فقام ومشى وهو يقول هذه الابيات

أشدد حيازيمك للمو ... ت فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من المو ... ت اذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخر مغشيا عليه حتى سمعت بنت علي رضي الله تعالى عنه فجعلت تقول مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله تعالى عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة

(فصل في كلام المحتضرين)

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أقعدوني فاقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية عند موت الولد اذا مات ولدك وقرابتك فنزله منزلة من يقدم عليك وأنت تتبعه أو من رجع قبلك وأنت تستقبله لي لوطن وأنت تقدمه فانك اذا علمت انك مصيبة تلحق به لا يشق عليك ويستحب أحيانا

فضلى وعظيم تعصي فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلقون بهم الى النار وما من عبد يساق الى النار من غير هذه الامة الا مسودا وجهه قد وضعت الانكال فى رجليه والاغلال فى عنقه الا من كان من هذه الامة فانهم يساقون بألوانهم فاذا وردوا على مالك قال لهم معاشر الاشقياء من أى أمة أنتم فما ورد على أحسن وجوها منكم فيقولون يا مالك نحن من أمة نقرأ القرآن فيقول يا معاشر الاشقياء أو ليس القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء فيقولون وا محمداه وا محمداه اشفع لمن أمر به الى النار من أمتك قال فينادى مناد من الله بتهديد وانتهار يا مالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن ادخالهم العذاب يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى فى دار الدنيا يا مالك لا تغلهم بالاغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة يا مالك لا تعذبهم بالانكال فقد طافوا ببيتى الحرام يا مالك لا تلبسهم سرابيل القطران فقد خلعوا ثيابهم فى الاحرام يا مالك مر النار أن لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرؤن القرآن يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم والنار أعرف بهم و بمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى صدره فاذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم واصرارهم فتح بينهم و بين المشركين باباً وهم فى الطبق الاعلى من النار لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يبكون و يقولون وا محمداه ارحم من أمتك الاشقياء واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم ثم ينادون يا رباه يا رباه يا سيداه يا سيداه ارحم من لم يشرك بك فى دار الدنيا وان كان قد أساء وأخطأ وتعدى فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم ايمانكم بالله و بمحمد فيغضب الله تعالى لذلك فعندها يقول يا جبريل انطلق فأخرج من فى النار من أمة محمد فيخرجهم ضبائر قد امتحشوا فيلقيهم على نهر على باب الجنة يقال له نهر الحيوان فيمكثون به حتى يعودوا أنضر ما كانوا ثم يأمر بادخالهم الجنة مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك فيتضرعون الى الله تعالى أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان عبدا فى جهنم ينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل ائت عبدى فلانا قال فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم قال فيرجع فيقول يا رب لم أره فيقول الله تعالى انه فى مكان كذا وكذا قال فيأتيه فيجيء به فيقول يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك قال فيقول شر مكان وشر مقيل قال فيقول ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو أن تردنى اذ أخرجتنى فيقول الله تعالى دعوا عبدى

(الفصل الثامن فيما ينجى من هذه الدار) روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسى اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاث مرات أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار فان قالها أربع مرات أعتقه الله من النار وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الاولى كتب الله له براءتين براءة من النار و براءة من النفاق وعن مسلم بن الحرث التميمى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسر اليه فقال اذا انصرفت من صلاة المغرب فقل اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك اذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جواز منها فاذا صليت الصبح فقل كذلك فانك اذا مت من يومك كتب الله لك جوازا منها وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشىء يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وقال صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه و بين النار يوم القيامة سبع خنادق بين الخندق والخندق ما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم حار ألقى

عنها قال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور تذكروا بها الآخرة واغسلوا الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصلوا على الجنائز فان الحزين على ذلك فى ظل الله تعالى وقال عليه السلام زوروا أمواتكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة *(بيان حقيقة الموت)* اعلم أن حقيقة الموت على ما دلت عليه الآيات والاخبار وشهدت له طرق الاعتبار مفارقة الروح البدن لا عدم الروح أما الآيات فقال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين هذا فى الشهداء والخبر يدل على الاشقياء أيضا قال عليه السلام يوم بدر لما نادى قريشا هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا أنهم لا يقدرون على الجواب وقد روى أبو أيوب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح

الله سمعه و بصره الى أهل السماء وأهل الارض فاذا قال العبد لا اله الا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من
نار جهنم قال الله تعالى لجهنم ان عبدا من عبادي استجار بي منك واني أشهدك اني قد أجرته واذا كان يوم
شديد البرد ألقى الله سمعه و بصره الى أهل السماء وأهل الارض فاذا قال العبد لا اله الا الله ما أشد برد هذا
اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم ان عبدا من عبادي استجار بي من زمهريرك واني أشهدك
أني قد أجرته فقالوا وما زمهرير جهنم قال جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض

(الباب الثاني عشر في صفة الجنة وما أعد الله فيها للمؤمنين من أصناف النعيم وفيه أربعة عشر فصلا)

(الفصل الاول في صفتها وصفة أهلها) قال الله تعالى ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين
أي من الآفات والموت والخروج ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين يقابل بعضهم
بعضا لا ينظر أحد الى قفا صاحبه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استقر أهل الجنة في الجنة
اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير ذا الى سرير ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا
فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا لا يمسهم فيها نصب أي تعب وما هم
منها بمخرجين قال الامام أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل هذا أنص آية في القرآن على الخلود وقال تعالى
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وروى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال سمعت أن الناس
حين يبعثون ليس منهم أحد الا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها
الناس كلهم فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم تحبرون أي تكرمون وتسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون وقال تعالى ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس
واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى أي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم وفي
الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي
لهم من قرة أعين وقال صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء
أهل الجنة اطلعت الى أهل الارض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من
الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا
في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن وجنتين من فضة آنيتهما وما فيهما
وجنتين من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في
جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس
أعلاها درجة منها تتفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فاذا سألتم الله فاسألوه
الفردوس وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر
السريع مائة عام ما يقطعها وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة
الجنة ينادي مناد ان لكم أن تحيوا ولا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا
فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
عز وجل يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم
فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك
فيقولون وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقال صلى الله

عليه

كان في كرب شديد فيسألونه
ماذا فعل فلان وماذا فعلت
فلانة وهل تزوجت فلانة
فاذا سألوه عن رجل مات
قبله وقال مات قبلي قالوا انا
لله وانا اليه راجعون ذهب
به الى أمه الهاوية (بيان
كلام القبر للميت حين
يوضع فيه) قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول
القبر للميت حين يوضع فيه
ويحك يا ابن آدم ما غرك
بي ألم تعلم اني بيت الفتنة
وبيت الظلمة وبيت الوحدة
وبيت الدود ما غرك بي اذ
كنت تمر بي مرارا فان كان
مصلحا أجاب عنه مجيب
القبر فيقول أرأيت ان كان
يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر فيقول القبر اني اذا
أتحول عليه خضرا ويعود
جسمه نورا وتصعد روحه
الى الله تعالى (بيان عذاب
القبر وسؤال منكر ونكير)
قال البراء بن عازب خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم نصلي على جنازة رجل
من الانصار فجلس على قبره
منكسا رأسه ثم قال اللهم
اني أعوذ بك من عذاب
القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن
اذا كان في قبل من الآخرة
بعث الله تعالى ملائكة
كأن وجوههم الشمس
معهم حنوط وكفن
فيجلسون مد بصره فاذا
خرجت روحه صلى عليه كل
ملك بين السماء والارض
وفتحت أبواب السماء فليس
منها باب الا يحب أن يدخل

عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب درى في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء اللحم والعظم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب وقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء قال النووى روى بعضهم على خلق رجل واحد بفتح الخاء واسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح وقال القرطبى فى قوله صلى الله عليه وسلم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة قد يقال هنا أى حاجة فى الجنة للامشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ وأى حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك قال ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم وليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن وانما هى لذات متوالية ونعم متتابعة ألا ترى قوله تعالى لآدم ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم فى الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به فى الدنيا وزاد فى ذلك ما لا يعلمه الا الله وقد جاء مثل هذا فى أهل النار حيث قال اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم وقال ان لدينا أنكالا فعذبهم فى النار بنوع ما كانوا يعذبون به فى الدنيا وقال الشعبى أترون أن الله جعل الانكال فى الرجل خشية أن يهربوا لا والله ولكنهم اذا أرادوا أن يرتفعوا استقلت بهم وقال صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جردا مكحلون وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبؤس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها

(الفصل الثانى فى دخولها وذكر أبوابها) قال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قيل الواو فى قوله تعالى وفتحت أبوابها صلة وقيل هى واو الثمانية وأبواب الجنة ثمانية وقيل هى واو الحال والمعنى جاؤا وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النار فانها انما فتحت عند مجيئهم قال بعض العلماء والحكمة فى ذلك من وجوه (أحدها) أن يستعجل أهل الجنة الفرح والسرور اذا رأوا الابواب مفتحة وأهل النار يأتون النار وأبوابها مغلقة لتكون أشد لحرها (الثانى) ان الوقوف على الباب المغلوق نوع ذل وهوان فصين عنه أهل الجنة لا أهل النار (الثالث) أن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة فلو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لا يليق انتظار فتحه فى كمال الكرم بخلاف أهل النار وأبواب الجنة ثمانية لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقد جاء من هذه الابواب الثمانية فى حديث أبى هريرة أربعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أى أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير قال فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة قال القاضى عياض رحمه الله وقد جاء ذكر بقية أبواب الجنان الثمانية فى حديث آخر باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين فهذه السبعة أبواب جاءت فى الاحاديث وجاء فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم يدخلون الجنة بغير حساب من الباب الايمن

قيل أعرفت أتعرف فلان فيقول لا ويجوز قال أره ما أعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله تعالى ودينى الاسلام ونبيى محمد فينتهرانه انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أبشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله تعالى فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى وأما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من سرابيل من قطران

فاعله الباب الثامن انتهى كلامه وروى عن على رضى الله عنه انه قرأ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فقال اذا انتهوا الى أبوابها وجدوا عند كل باب شجرة يخرج من تحتها عينان تجريان فيشربون من احداهما فيذهب الله عنهم كل داء وبأس وغل ويتطهرون من الاخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم ثم يتقدمون الى الابواب فتقول لهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتتلقاهم الولدان فرحين ثم يذهب الولدان فيبشرون الحور العين فتفرح كل حورية بزوجها حتى أنهن ليقفن على أبواب القصور منتظرات للمؤمنين فاذا وصل الرجل الى منزله رأى أساس بنيانه جنادل اللؤلؤ فوقه حيطان من ذهب وفضة فاذا دخل وجد أزواجا مطهرة وأكوابا موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فيتكئ يومئذ ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فاذا اتكأ كل انسان مع زوجته ناداهم مناد يا أهل الجنة تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وروى أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه لمنزله الذى كان فى الدنيا وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن يقولون ذلك اذا دخلوا الجنة واختلف المفسرون فى الحزن قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال عكرمة حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وقال قاسم حزن زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هم الخبز فى الدنيا وقيل هم المعيشة قال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الاحزان ما كان منها للمعاش أو لمعاد ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا أى أنزلنا دار المقامة أى الاقامة لا يمسنا فيها نصب لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اعياء من التعب قال ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق ورد فى الخبر اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الخلائق فى صعيد واحد ونصبت الموازين ونشرت الدواوين ونادت الجنة بلسان فصيح يسمعه الخلائق يارب قد عظم حسنى واجتمع وتم ما يراد منى وقد أشرقت أنوارى وزهرت ثمارى وجرت أنهارى فعجل الى بأهلى وأحبابى فوعزتك لاخدمن من أطاعك اجلالا لقدرك وتعظيما لامرك ثم تنادى النار بلسان فصيح يسمعه جميع الحاضرين يارب قد عظم أمرى وعلا دخانى واشتد عذابى ونكالى وأحضرت أهوالى وجهزت سلاسلى وأغلالى فعجل الى بأهلى فوعزتك لانتقمن ممن عصاك تعظيما لقدرك فيقول لهما سبحانه كفا فلكل واحدة منكن نصيب معروف

(الفصل الثالث فى أنهار الجنة وشرابها) قال الله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون أى صفتها فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال تعالى يطاف عليهم بكأس اناء فيه شراب ولا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب والا فهو اناء من معين خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون بيضاء قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن لذة لذيذة للشاربين لا فيها غول قال الشعبى لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلبى اثم قال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقىء والبول ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقال تعالى يطوف عليهم أى للخدمة ولدان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون وقال الحسن هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها لان الجنة لا ولادة فيها فهم خدام أهل الجنة بأكواب وأباريق الاكواب جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا والاباريق جمع الابريق وهى ذوات

فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول أرجعوه فاروه ما أعددت له من الشر فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول له ابشر بسخط من الله تعالى وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله تعالى بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ما علمت ان كنت لسريعا فى معصية الله تعالى بطيئا عن طاعة الله تعالى فجزاك الله تعالى شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يحملوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له

انهار طيبة سميت أباريق لبريقها لونها من الصفاء وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقال تعالى ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك قال ابن مسعود مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه وعاقبته مسك وقال أبو الدرداء هو شراب مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه من تسنيم شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة قال عليه السلام من شرب الخمر في الدنيا حرمها في الآخرة وقال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل طاهر من الاقذار والاقذاء لم تدنسه الايدي والارجل كخمر الدنيا وقال أبو قلابة وابراهيم انه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم ريحه كريح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربونه فتطهر بطونهم فيصير ما أكلوا رشحا من جلودهم أطيب ريحا من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتهيج شهوتهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله تعالى ما كان في قلبه من غل وغش وحسد وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وأشد بياضا من الثلج وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه لا يظمأ أبدا

(الفصل الرابع في أشجارها وثمارها وأطعمتها) قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وقيل الثمار في الجنة متشابهات في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى وأتوا به بالرزق متشابها وقال ابن عباس ومجاهد والربيع متشابها في الالوان مختلفا في الطعوم وقال الحسن وقتادة متشابها أي يشبه بعضها بعضا في الجودة أي كلها خيار لا رداءة فيها وقال محمد بن كعب تشبه ثمرة الدنيا غير أنها أطيب وقيل متشابها في الاسم مختلفا في الطعم وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسامي وقال أيضا ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو وقال تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وعكرمة وقال ابن كيسان هو الذي لا أذى فيه قال وليس شيء من ثمار الجنة في غلاف كما يكون في الدنيا من الباقلا وغيرها بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وطلح منضود وموز واحدتها طلحة عن أكثر المفسرين وقال الحسن ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب والمنضود المتراكم الذي قد انتضد بالحمل من أوله الى آخره ليس له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها ثمر كله وظل ممدود دائم لا تنسخه الشمس وروي عن ابن عباس في قوله تعالى وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عليها ريحا من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب مصبوب يجري دائما في غير أخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس رضي الله عنه لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع أكثر ثمار الدنيا اذا جاء الشتاء ولا يتوصل اليها بالثمن وفي الحديث لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وثمارها يتناولها القائم والقاعد والمضطجع قال الله تعالى وذللت قطوفها تذليلا ويروى أن شجرة طوبى ليس في الجنة موضع الا وفيه غصن منها وقال صلى الله عليه وسلم ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب وقال ابن عباس في قوله تعالى

لوسين من نار والقمو اله الى النار فيفرشه فرشا من نار ويفتح له باب الى النار وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ ولما قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه في منكر ونكير قال يا رسول الله ويكون معي عقلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال اذن اكفيكهما فدل ذلك على ان العقل لا يزول بالموت محقق

(فصل فيما يلقى الميت من نفخة الصور وما بعده) قد عرفت فيما سبق شدة أهوال الموت وسكراته وخطره في خوف الخاتمة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم منكر ونكير وسؤالهما ثم عذاب القبر ان كان شقيا وأعظم ذلك كله الانتظار التي بين يديه من نفخ الصور والب

وطير مما يشتهون يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيجيء مشويا بين يديك وقال المفسرون في قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوه قالوا سبحانك اللهم فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(الفصل الخامس في لباس أهل الجنة وحليهم) قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب قال سعيد بن جبير على كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه ومعنى الغلظ في ثياب الجنة احكامها وقيل السندس هو الديباج المنسوج بالذهب متكئين فيها في الجنات على الأرائك وهي السرر في الحجال واحدتها أريكة نعم الثواب أي نعم الجزاء وحسنت الجنة مرتفقا مجلسا ومقرا قال أبو هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما في قوله تعالى بطائنها من استبرق هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى متكئين على رفرف خضر هي المجالس المرتفعة في الرياض النضرة وعبقري حسان هي البسط من الديباج وهي زرابي أيضا والنمارق الوسائد وروى أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض وأن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة فان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه

(الفصل السادس في الحور) قال الله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة أي طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا وطهر مع ذلك باطنهن من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهرت ألسنتهن من الفحش والبذاءة وطهر طرفهن من أن يطمحن به الى غير أزواجهن وطهرت أثوابهن من أن يعرض لها وسخ أو دنس وقال تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون الحور النساء النقيات البياض قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور الشديدات بياض الاعين الشديدات سوادها والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين واللؤلؤ المكنون المخزون في الصدف لم تمسه الايدي وقال تعالى انا أنشأناهن خلقناهن انشاء خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر فجعلناهن أبكارا روى عن الحسن أنه قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هي عجائز الدنيا أنشأهن الله عز وجل خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور أنشأهن الله عز وجل لم يقع عليهن ولادة وقوله تعالى عربا جمع عروب أي عواشق محببات الى أزواجهن وقيل غنج أترابا مستويات في السن على سن واحدة وقال تعالى فيهن قاصرات الطرف أي غاضات الاعين قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم قال ابن زيد تقول الحوراء لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيأ أحسن

يوم النشر والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم امعان الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها أما النفخ في الصور فقال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون صعق أي مات الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت بقبض روح جبريل ثم روح اسرافيل ثم روح ميكائيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يساقون الى أرض المحشر وهم حفاة عراة قد غرقوا في العرق كل واحد على قدر ذنوبه فيقفون في طول يوم القيامة شاخصة أبصارهم كل على قدر حسابه فيسئل عن المقبر ثم يوزن بالميزان

منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك * وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله تعالى فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء اليمن وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له ويروى أنه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها ويروى أن الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصرات بالتسبيح وقال صلى الله عليه وسلم يعطى المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له الى مكة فكان ان نزلوا فهو يصلي وان أكلوا فهو صائم فصبر عليه رفيقه ذاهبا وراجعا فلما أراد أن يفارقه قال له يا أخي أخبرني ما الذي هيجك الى ما رأيت قال رأيت قصرا من قصور الجنة واذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء اذا شرافة من زبرجد وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها عليها ثوب من فضة يتثنى معها كلما انثنت فقالت جد الى الله في طلبي فقد والله جديت اليه في طلبها فهذا الذي تراه في طلبها قال أبو سليمان هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها

(الفصل السابع في المرأة اذا كان لها زوجان في الدنيا ولايهما تكون في الجنة) روى أن أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير رضي الله عنهم ضربها زوجها فشكته الى أبيها فقال لها أي بنية اصبري فان الزبير رجل صالح ولعله أن يكون زوجك في الآخرة ولقد بلغني أن الرجل اذا ابتكر المرأة تزوجها في الجنة وخطب معاوية أم الدرداء رضي الله عنها فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة لآخر أزواجها في الآخرة وقال لي ان أردت أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي بعدي وروى أن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا ثم يموتون فيجتمعون في الجنة لايهما تكون للاول أو للآخر قال هي لاحسنهما خلقا كان معها يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة قال القرطبي رحمه الله وقيل انها تخير اذا كانت ذات أزواج

(الفصل الثامن في أشياء متفرقة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد عليه السلام جرد مكحلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لسان أهل الجنة عربي وقال الزهري لسان أهل الجنة اذا خرجوا من قبورهم سرياني وقال سفيان بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فاذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية وقال صلى الله عليه وسلم النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن اذا اشتهى الولد في الجنة كان وضعه وحمله وسنه في ساعة كما يشتهي رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع من غير حمل ولا ولد يروى ذلك عن طاوس ومجاهد والنخعي وقال البخاري قال لي اسحق بن ابراهيم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان كما يشتهي في ساعة ولكن لا يشتهي قال البخاري وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد وقال رجل يا رسول الله أهل في الجنة من خيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت

[illegible]
ذلك فقال بعضهم [illegible] ثم يساقون الى الصراط كما سبق في الاعتقاد فيسألون من ذلك وهو قوله تعالى واهدوا الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون (صفة الشفاعة) اعلم أنه اذا حق العذاب على طوائف من المؤمنين فالله سبحانه وتعالى يقبل فيهم شفاعة الانبياء والاولياء والعلماء وكل من له عند الله منزلة (صفة الحوض) قال أنس رضي الله عنه أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت فقال صلى الله عليه وسلم آية نزلت علي آنفا فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم انه نهر وعدنيه ربي جل جلاله عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب اللهم ارزقنا الورود عليه (صفة جهنم وأهوالها وأنكالها أجارنا الله تعالى منها) اعلم أن النار يردها كل أحد قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا اعلم انه لا نجاة الا بالتقوى قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فالورود يقينا والتقوى التي بها النجاة مشكوك فيها فاستشعر أيها المسكين في قلبك هول ذلك المورد

الافعلات وسأله رجـل فقال يارسول الله هل في الجنة من ابل فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك

(الفصـل التاسع في رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة) قال الله تعالى وجوه يومئذ أي يوم القيامة ناضرة أي ناعمة بهجة مسرورة الى ربها ناظرة قال ابن عباس وأكثر العلماء ينظرون الى ربهم عيانا بلا حجاب وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سـنة وأكرمهم على الله عز وجل من ينظر الى وجهـه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسـلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وفي الصحيحين عن جرير رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسـلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته وقال تعالى للذين أحسـنوا الحسنى وزيادة قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه زيدوا النظرة الى ربهم وعن صهيب رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسـنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يثقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ألم يدخلنا الجنـة ألم يجرنا من النار فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما من شئ أحب اليهم من النظر الى الله وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السـلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله سـلام قولا من رب رحيم فينظر اليهـم و ينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركاته عليهم في ديارهم وقال الشافعي رحمه الله في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لما حجبهم في السخط كان هذا دليـلا على أنهم يرونه في الرضا

(الفصل العاشر في قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان الله ليرفع ذرية المؤمن اليه في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهـم من شئ قال ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين قال ابن عباس رضي الله عنهما قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسـلم قال اذا دخـل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجتـه وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالالحاق بهـم ثم تلا ابن عباس والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهـم الى آخر الآية قال ابن القيم قالوا جعل الله المنازل في الجنة بحسب الاعمـال في حق المسـتقلين وأما الاتباع فان الله سبحانه يرفعهم الى درجة أهليهم وان لم تكن أعمـالهم كاعمـال المتبوعين كأزواج النبي صلى الله عليه وسـلم وأيضا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم وان لم يكن لهـم عمل بخلاف المكلفين البالغين فانهم يرفعون الى حيث تلقيهم أعمـالهم قال الكلبي عن ابن عباس ان كان الآباء ارفع درجـة من الابناء رفع الله الابناء الى الآباء وان كان الابناء ارفع درجة من الآباء رفع الله الآباء الى الابناء قالوا و يدل على صحة هذا القول القراءتان الآيتان فمن قرأ واتبعتهـم ذريتهم فهذا في حق البالغين الذين يصح نسبة الفعل اليهم كقوله والسابقون الاولون الآية ومن قرأ واتبعناهم ذرياتهم فهذا في حق الصغار الذين اتبعهم الله آباءهـم في الايمـان حكما قالوا والذرية تقع على الصغير والكبير والابن والاب قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم أي آباءهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك

(الفصـل الحادي عشر في دخول الاطفال الجنة) أما أولاد الانبياء فيـدخلون الجنة بالاجماع وأما أولاد غـيرهم من المؤمنين قال النووي رحمه الله أجمع من يعتـد به على انهم من أهل الجنة قال وتوقف

والناس في غمرات الأهوال مما قاسوا من تلك الدواهي اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عـن شدة الغيظ والغضب فأيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من سـوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فـلان بن فلان المسوّف نفسـه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العـمل فيبادرونه بمقامع من حـديد نعـوذ بالله منها (القول في صفة الجنة ونعيمها) اعلم أن دار البوار يقابلها دار القرار وهي الجنة وبقدر البعـد من أحـدهما يصـل الى الآخرة فاذكر النار ليستثير به الخوف من قلبك واذكر الجنـة ليستثير الرجاء اذا خفت على نفسك القنوط من كثرة الذنوب وغلبـة الخوف والآيات والاخبار دالة على صفة أهـل الجنة ونعيمهم وأمنهم وطعامهم وشرابهم وفواكههم فلا يحتاج الى الاطناب فيـه وقد وردت الاخبار الدالة عـلى الرؤية وهي أعـلى درجات النعيم قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فرأى القمر ليلة البدر فقال صـلى الله عليه وسلم انكم سـترون ربكم كما ترون القمر

فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة والحديث الذي أشار اليه النووي
ما روى عن عائشة قالت أدرك النبي صلى الله عليه وسلم جنازة صبي من صبيان الانصار فقالت عائشة طوبى له
عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم
في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم قال النووي وأجاب العلماء عنه بانه
لعله نهاها عن المسارعة الى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله
أعطه اني لاراه مؤمنا قال أو مسلما الحديث قال النووي رحمه الله ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل
ان يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك في قوله ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث
الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وغير ذلك من الاحاديث والله أعلم وأما اطفال المشركين ففيهم ثلاث
مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه
المحققون أنهم من أهل الجنة ويستدل لهم باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه
النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين
رواه البخاري ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول
الرسول حتى يبلغ والله أعلم انتهى كلام النووي رحمه الله تعالى

(الفصل الثاني عشر في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة أم لا) قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله
أجمعت الامة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل الى الجن وعلى أن عاصيهم يعذب بالنار واختلفوا في
طائعهم هل يجازى على حسناته أم لا فقال ابو حنيفة ما دل دليل على انهم يجازون وقال أصحابنا العمومات
تدل على جزائهم نحو قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وغير ذلك انتهى كلام الشيخ عز الدين رحمه الله
ونقل بعض العلماء عن أبي حنيفة رحمه الله انه استدل بانهم لا ثواب لهم الا النجاة من النار بقوله تعالى يا قومنا
أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وبقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف
بخسا ولا رهقا وأجاب عن ذلك بجوابين أحدهما أن الثواب مسكوت عنه والثاني أن ذلك من قول الجن قال
ويجوز أن يكونوا لم يطلعوا الا على ذلك وخفي عليهم ما أعد الله لهم من الثواب واستدل الجمهور على انهم
يثابون ويدخلون الجنة بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فانه ذكرها بعد قوله سنفرغ لكم أيها
الثقلان والثقلان الجن والانس سميا بذلك لانهما أثقلا الارض وقيل لانهما مثقلان بالذنوب قيل انهم اذا
دخلوا الجنة لا يكونون مع الانس بل يكونون في ربضها

(الفصل الثالث عشر في ذبح الموت) في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون
هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون
فيقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة الآية ونقل القرطبي عن صاحب خلع النعلين ان
الذابح للكبش هو يحيى بن زكريا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذ في اسمه اشارة الى الحياة الابدية
وذكر صاحب كتاب الفردوس ان الذي يذبحه جبريل عليه السلام كذا ذكره صاحب حياة الحيوان

(الفصل الرابع عشر في الاعمال الموصلة الى سكنى هذه الدار) قال الله تعالى للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار وصفهم الله تعالى أولا بالايمان ثم بالاستغفار من الذنوب ولا يصح الاستغفار الا بالتوبة من الاوزار
ثم وصفهم بالخوف من العقاب وانهم يسألون الله السلامة من العذاب ثم وصفهم بالصبر والصبر تمام الامر

لا تضامون في رؤيته فان
استطعتم أن لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ
فسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها وهو
مخرج من الصحيحين وروى
مسلم في الصحيح قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة
قال صلى الله عليه وسلم اذا
دخل أهل الجنة الجنة قال ان
لكم عند الله موعدا
يشتهي أن ينجزكموه قالوا
ما هذا الوعد ألم يثقل موازيننا
ويبيض وجوهنا وأدخلنا
الجنة ونجانا من النار قال
فيرفع الحجاب وينظرون الى
وجه الله تعالى فما أعطوا
شيأ أحب اليهم من النظر
اليه وقد روى حديث
الرؤية جماعة من الصحابة
وهي غاية الحسنى ونهاية
النعيم وكل ما قصاناه من نعيم
عند هذه النعمة ينسى
وليس لسرور أهل الجنة
عند سعادة اللقاء منتهى
بل لا نسبة لشئ من لذات
الجنة الى لذة اللقاء وقد ذكرنا
طرفا من ذلك في باب المحبة
وعلى الجملة فلا ينبغي أن
تكون همة العبد من الجنة
سوى لقاء المولى فأما سائر
النعيم في الجنة فانه يشاركه
فيها البهيمة المسرحة في
المرعى فافهم تغنم (خاتمة
تدل على سعة رحمة الله تعالى
على سبيل التفاؤل) فقد
كان صلى الله عليه وسلم يحب
الفأل ونحن نرجو
فضل الله تعالى ورحمته و

وهو الصبر على المكاره والمصائب رجاء ثواب الله والصبر عن الشهوات المحرمة خوف عقاب الله تعالى والصبر
على ملازمة فرائض الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله
لابره ألا أخبركم بأهل النار قالوا بلى يارسول الله قال كل عتل جواظ مستكبر ثم وصفهم بالصدق في معاملة الله
وهو استواء السر والعلانية لله واخلاص القصد في العمل لوجه الله ورؤية المنة في الطاعات من الله ثم وصفهم
بالقنوت والخضوع والانقياد لطاعة الله ثم وصفهم بالانفاق من اموالهم في طاعة الله ثم وصفهم
بالاستغفار في الاسحار والوقوف على الباب بوصف الافتقار قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله في طهارة القلوب
فمن طمع في الجنة فليعرض أعماله على أعمالهم وليقايس حاله بأحوالهم والا كان مغرورا متمنيا وقال
تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في
السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو
ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون
أخبر سبحانه وتعالى أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للاحسان
في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فان من الناس من يبذل في حالة اليسر والرخاء ولا يبذل في حالة
العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم للناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو ثم ذكر حالهم بينهم
وبين ربهم في ذنوبهم وأنهم اذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الاصرار فهذا
حالهم مع الله وذلك حالهم مع خلقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام
وقال صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما على عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على
جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم قال بعض
العلماء من أراد دخول الجنة فليداوم على خمسة أشياء أولها أن يمنع نفسه من جميع المعاصي قال الله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والثاني أن يرضى باليسير من الدنيا روى في الخبر أن ثمن الجنة
ترك الدنيا والثالث أن يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة
ووجوب الجنة قال الله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون والرابع أن يحب الصالحين
وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فان واحدا منهم اذا غفر له يشفع لاصحابه واخوانه (والخامس) ان يكثر
الدعاء ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة وان يجعل خاتمته الى خير وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد
المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده
عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي
قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب
فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه
صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا من حلقة طردوه فجاءه
اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الى جانبي ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة
وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه
من الظلمة وادخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت
يامعاشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته
صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه

امره

مغفرته أن يختم بالسعادة آجالنا كما ختمنا هذا الكتاب بالاخبار الدالة على سعة المغفرة والرحمة أما الآيات فقد قال الله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله عز وجل مائة رحمة أنزل منها رحمة بين الجن والانس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى أنه اذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت في النار مكانه يهوديا أو نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة

أمره بالمعروف ونهيته عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله تعالى فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته على فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الابواب وأدخل الجنة

(باب سعة رحمة الله تعالى نختم به الكتاب)

اذ ليس لنا أعمال نرجو بها العفو ولكنا نرجو رحمة الله عز وجل قال الله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وقال صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وفي رواية ان الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وعن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق وان زنا وان سرق وان زنا وان سرق ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم النار على من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله هذه الاحاديث كلها في الصحيحين وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شئ اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا اله الا أنت اللهم انا نستغفرك من أقوالنا التي تخالف أعمالنا ومن كل تصنع تزينا به للناس وكل علم وعمل قصدناه ثم خالطه ما يكدره فبكرمك نستشفع الى كرمك وبجودك نسألك من جودك انك قريب مجيب الهنا ان كانت رحمتك للمحسنين فالى أين تذهب آمال المذنبين الهنا ذنوبنا لها غاية وكرمك لا غاية له الهنا ان كنا لا نقدر على التوبة فأنت تقدر على المغفرة الهنا ان ذنوبنا صغيرة في جنب عفوك وان كانت عظيمة في جنب نهيك الهنا دلنا عليك وارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا الهنا كيف نرجوك ونحن نحن وكيف لا نرجوك وأنت أنت الهنا ان كنا لا نقدر على ترك ذنب كتبته علينا فأنت تقدر على مغفرته لنا الهنا ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر الذنوب ولا يبالي اللهم يا من ستر الزلات وغفر السيئات وأبدلها حسنات أجرنا من مكرك وزينا بذكرك واستعملنا بأمرك ووفقنا لشكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله وحده

مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم لقد أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فاذا رأى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بالعبد المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر ابن عبد الله رضى الله عنه من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته يوم القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه وقال الصنابحى دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله لكم فيه خير الا حدثتكموه الاحديثا

(يقول مصححه راجي غفران المساوي محمد الزهري الغمراوي)

ان أولى ماحلت به جيدها العقول وافتخرت بفرائد جواهره في يوم يرتجى فيه الغليل وصول حمد مبدع الكائنات ومفيض الجود بعظيم الهبات فنسأله أن يمن بما يفيد العون على شكر آلائه ويعيد النفوس راوية من سلسبيل معاني أسمائه ويدر سحب الصلوات المشمولة بالتسليم على رسوله سيدنا محمد ذي القدر العظيم وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين أما بعد فقد تم بعونه تعالى طبع كتاب نزهة الناظرين في الاخبار والآثار المروية عن الانبياء والصالحين وهو لعمري كتاب حوى اسمه بعض معناه ولا يستقصي مافيه غير النظر لمبناه حذا سير الاحياء فأكسب القلوب الصفاء وتتبع النقول الصحيحة فشفى من الجهل كل نفس جريحة لا يمل الناظر من لذيذ مفاكهاته ولا تعبس النفوس من أدوية زجره وعظاته فله في كل باب من الفضل الساحة الفيحاء ومن الهداية على تخليص القلوب من أدوائها كل يد بيضاء وكيف لا وهو لعلامة زمانه وفريد أوانه تقي الدين عبد الملك بن أبي المنى البابي ثم الحلبي رحمه الله وقد تحلت طرره ووشيت غرره بمختصر الاحياء للامام الغزالي رحمه الله فجاء بحمد الله وافيا بكل غرض حاويا من الافادة كل جوهر وعرض وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي ذي العجز والتقصير وذلك في شهر صفر الخير سنة ١٣٠٨ هجريه على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحيه آمين



واحد اوسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله تعالى عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا فيقول ألك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ والحمد لله وحده والصلاة على نبيه

(فهرسة مختصر الاحيا للغزالي رحمه الله تعالى الذي بالهامش)

صحيفة		صحيفة	
٢٨٦	بيان حقيقة الفكر	٣٠٣	وفاة عثمان رضى الله عنه
٢٨٦	بيان مجارى الفكر	٣٠٤	وفاة على رضى الله عنه
٢٨٧	الباب الاربعون فى ذكر الموت ومابعده	٣٠٤	فصل فى كلام المحتضرين
٢٨٨	بيان فضل ذكر الموت	٣٠٥	بيان حقيقة الموت
٢٨٨	فضيلة قصر الامل وذم طوله	٣٠٦	بيان كلام القبر للميت حين يوضع فيه
٢٩٠	فصل فى سكرات الموت ومايستحب عنده من الاحوال	٣٠٦	بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
٢٩٤	بيان مايستحب من أحوال المحتضر	٣٠٩	فصل فيما يلقى الميت من نفخة الصور ومابعده
٢٩٤	بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت	٣١١	صفة الشفاعة
٢٩٦	فصل فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين	٣١١	صفة الحوض
٣٠١	وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه	٣١١	صفة جهنم وأهوالها وأنكالها أجارنا الله تعالى منها
٣٠	وفاة عمر رضى الله عنه	٣١٢	صفة الجنة ونعيمها
		٣١٣	خاتمة فى سعة رحمة الله تعالى

(تمت)

